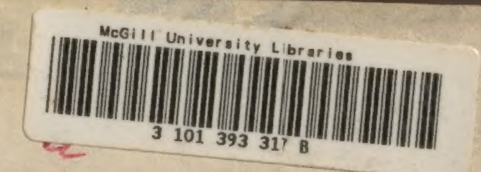
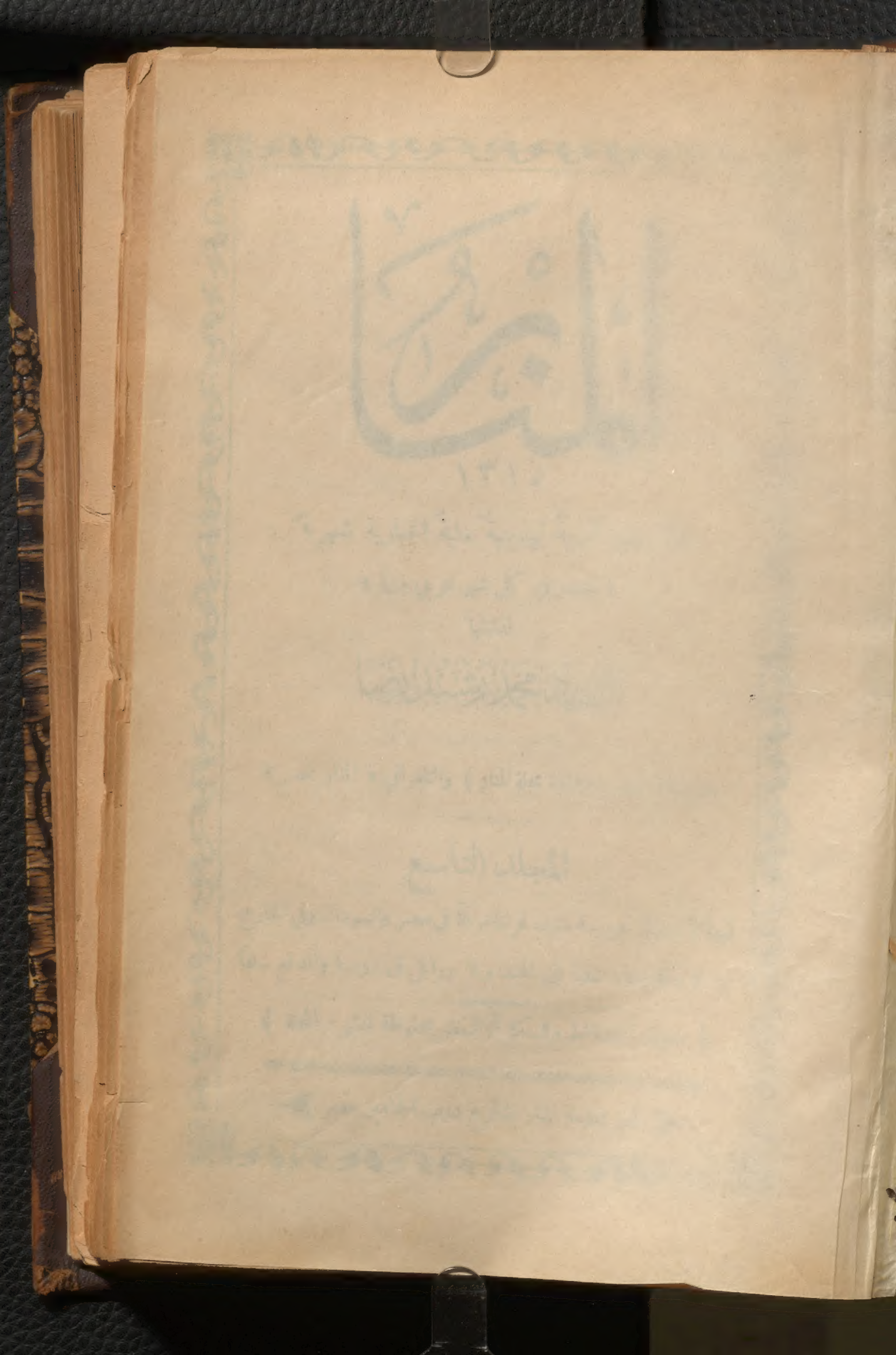

McGill University Libraries
3101393317B



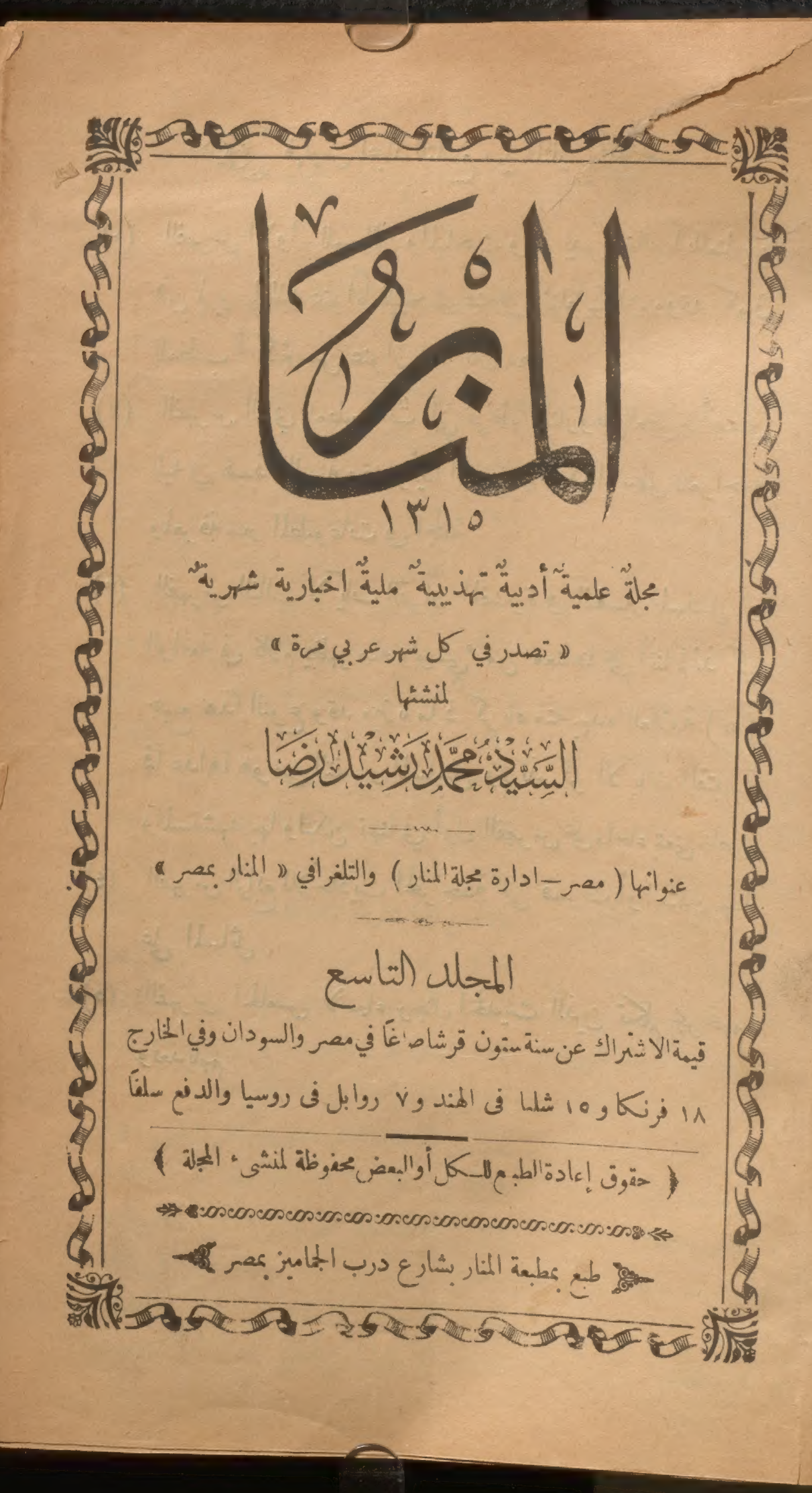
ch 65



المنار

محمد رشيد رضا

المجلد التاسع



المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية شهرية

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد التاسع

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشا اغا في مصر والسودان وفي الخارج
١٨ فرنكا و ١٥ شلنا في الهند و ٧ روابل في روسيا والدفع سلفا

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

فهارس المجلد التاسع من المنار

(١) الفهرس الاول للمسائل والمباحث وهو ليس خاصاً بالعناوين فمن لم ير لمطلبه عنواناً فليبحث عنه في أثناء الكلام. وقد يكون للمطلب أكثر من عنوان اذا كان مهما

(٢) الفهرس الثاني للمطبوعات التي قرظها المنار وهي بعض ما أهدي اليه في هذه السنة وقد رأينا ان وضعها هكذا أسهل للمراجعة ولمعرفة سير المطبوعات فى الجملة

(٣) الفهرس الثالث لآيات القرآن المفسرة في التفسير المسلسل أو الواقعة فى كلام يظهر منه ولو شيء من معناها على أننا لم نذكر جميع هذا النوع وقد ميزنا ما ذكرناه منه بهذه العلامة (*) فما عداها هو من التفسير المسلسل ولم نذكر الآيات المقتبسة والمستشهد بها ولكن نبهنا في أول الفهرس على ماجاء بمعنى خاص

(٤) الفهرس الرابع للأحاديث المخرّجة التى فسرت أو استدل بها على المسائل

(٥) الفهرس الخامس لاسماء رجال الحديث الذين تكلم بجرحهم وتعديلهم

فهارس المجلد التاسع للمنار

(١)

فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد التاسع

١

حرف الألف

حرف النون

﴿ فهرس ثان للكتب والمجلات والقصص التي قرظت في هذا المجلد ﴾

فهرس ثالث للآيات المفسرة والآيات المؤيدة للمباحث

﴿ فهرس رابع للاحاديث المخرجة ﴾

« فهرس خامس لاسماء رجال الحديث »

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ — ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى، وأنزلت من البينات والهدى، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى، الذي بعثته لاصلاح جميع الورى، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى، ثم أصلح بحاله وقاله وهدى، «١٨ : ١٠» رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، » ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى، واكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبغى، وفتنة من ضلّ من مرشدينا وغوى، وخُسر من عصى من دهمائنا واعتدى، واجعل اللهم لنا على نيران هذه الحوادث هدى، ويسرنا بفضلك لليسرى، وانفعنا بما أنزلت من الذكرى، وآتنا ماوعدتنا في الآخرة والاولى،

هذا مايفتتح به المنار سنته التاسعة — تذكير ودعاء، يبعثهما أمل

ورجاء ، على حين سحلت مرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجانب ، بين سلطان يحارب العلم وسلطان يحاربه الجهل ، وأمير مفتون بالدثر ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشريف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدر غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزغ بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغراهم بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء تذل كل يوم وتخزى ، سنة الله في القرون الاولى ، «٢٠:١٢٨» أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى *

نعم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالغثاء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكامنا في سياستنا ، ويد في تصريف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأي شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ؟ اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاقلين ، ومن يتصل بحزبهم حينا بعد حين ، والعاقبة للمتقين ، «٢:٢٤٩» كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين* «٢٠: ١٣٢» وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى* ١٣٣ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه: أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى*

بلى قد جاءتنا صحف الأولين، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين، انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نفر من أولي الألباب، ومثقفي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس أقوامهم، بما يلقيه من الحكمة في ذلاقة ألسنتهم ونفثات أقلامهم، فيستبدلون الاعتصام بالانفصام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة، والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعملون بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون* ٥٣: ٣١ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى*

ما المنار الا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للامة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعوا اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للامة، ويموتون في سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛ اللذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والاولى، «٢٠: ١٢٤» ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* ١٢٥ قال

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق والضنك في معيشته الاولى، وبالعذاب في الدار الأخرى، وقد قال تعالى وهو أقوم قيلا، «٧٢:١٧» وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً * » فالدنيا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الانتساب الى أولئك السلف الكرام، أما سمع المغرور حديث الصحيحين: يافاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت لاأغني عنك من الله شيئاً «٥٣:٣٦-٤١ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * »

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول اياهم أخذاً وبيلا، «٤:١٤١» وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً » * نعم ان المؤمن يبتلى ويفتن، ولكنه لايهن ولايحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣:١٣٩، وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ٢٢:١١ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خسرَ الدُّنيا وَالآخرَةَ ذَلكَ هوَ الْخُسْرَانُ المُبِينُ * » فما انتفع المغرورون بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٥٣ : ٢٣ إنْ يَتَّبعُونَ إلاّ الظَّن وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى * ٢٤ أَمْ للإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * ٢٥ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأولَى *

نعق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لا نجاة لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن ينزل بكم ، الا بفناء ارادتكم في ارادة حكامكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشتراك في الاعمال ، ولا بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة فى الحلال والحرام ، ولا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، — وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لا حياة لكم بالرابطة الملية ، لأنها ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ، فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يحبوا من هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ، فما اعتز به المسلمون الأولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدنية أوربا فى هذا الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء احذروهم وان خدموا الامة والدين ، إن يبغون بدعوة الوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى ، وكثرة العرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ، «٥٣ : ٢٩ فأعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ٣٠ ذلك

مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى*

اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون، وكل حزب بما لديهم فرحون «٨: ٢٤ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» فله وحده دعوة الحق، وما خالفها فهو باطل أو فسق «٢٦: ١٥٠ فاتقوا الله وأطيعون* ١٥١ ولا تطيعوا أمر المسرفين* ١٥٢ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون*» ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمناً طويلا، أطعنا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، وأخذنا الأجانب من ناحية سلطتهم أخذا وبيلا، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم فتيلا، «٧٦: ٢٩ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.» ولا سبيل اليه الا باتباع هدايته، والسير على سننه في خليقته، «١٧: ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا* ٩٢: ١-١٠ والليل اذا يغشى، والنهار إذا تجلى، وما خلق الذكر والأنثى، إن سعيكم لشتى* فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى*

فعليكم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة، واختلفت دعوة الدعاة، أن تجيبوا داعي الله، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله، لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله، واتقى أسباب الفتن والمحن، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وصدق بالشريعة الحسنى، والخليقة الفضلى، تصديق إذعان، يتبعه العمل بالجنان والاركان، والتعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان، فاذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسري، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن بخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمته وملته ، وكذب في نفسه بان الشرعة الحسنى، والخليقة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فان الله تعالى لاييسر له بمقتضى سنته الا عسرى الخطتين، وسوءى الطريقتين، فيكون شقياً بماله، مضطربا في حاله، مبغضاً الى قومه وآله ، لافرق في هذه السنة، بين الشخص والامة، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فمارزئ شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢ : ١١ـ١٣ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى، وان لَنَا لَلآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية، وأثبت أنّ الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعيــة ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحدا أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحدا في آيات الله وان سمى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ،كان حظه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان، وهو الاقرب الى هداية القرآن ١٨ : ٥٩ وتلكَ القُرَى اهلَكْنَاهم لَمَّا ظلَمُوا وجَعَلْنا لِمَهلِكِهِم مَوعداً *

١٦:٧٢ وأن لَوْ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ١٧ لنفتنهم
فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا «٨٧: ٩ فذكر
ان نفعت الذكرى ١٠ سيذكر من يخشى *

أما حزب الشيطان، وأنصار الظلم والعدوان، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن، هي اجتهاد اقفل بابه في هذا الزمان، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان، وماعلينا الا تقليد شيوخنا أهل الفقه والعرفان، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام، على عواتق أهل السلطة المتغلبين على الأحكام، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان، وان نسخ باستبداده القرآن، وطغى بظلمه في الميزان، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر، ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين، يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة ملية، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم، واذا لم يتبعوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون، ولم نر دعوة من هذه الدعوات أنكرها الرؤساء الرسميون، والامراء المستبدون، الا دعوة هذه الامة، الى الاهتداء بالكتاب والسنة، فلقد قاوموا المنار، وآذوا الاهل والانصار، ودمروا على الدار، واحتوو الكتب والاسفار، وراقبوا الشيخ في عقر الدار، حتى اختار الله له دار القرار، وصادرونا في الوقف وتصدوا للعمار، وهنالك العالم الآثم، يمد بغيه الحاكم الظالم،

هذا وقد كان لبلاد الحرية، اصبع فيما كان في بلاد العبودية، بعد

استفتاء وائتمار ، بشأن الاخراج من الديار ، فكان نجاح المئبر ، بديلا من خذلان المئمر ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الا رجاء بالله، وانتظاراً لروح الله ، مع العجز والتقصير، وفقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وماجاء به رسوله هو الصدق « ٥٣ : ١ والنَّجمِ اذا هوَى * ٢ مَاضَلَّ صاحِبُكُمْ ومَا غَوَى * ٢٠ : ١٣٥ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الغرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما تتوجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فنرغب الى من يسألوننا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث يحتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمنتقد أن يبين لنا ذلك . واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ماينتقده علينا العلماء والأدباء، ومايشكل على عامة القراء، فان كان المنتقد مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئاً بينا وأعذرنا، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مغتاب، كاتم للعلم مذموم بنص الكتاب،

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

الجزء الثالث (١)

(٢ : ٢٥٣) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا، وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ *

قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ما مثاله مفصلا : كان الكلام الى هنا في طلب بذل المال والنفس في سبيل الله تعالى وقد ضرب له مثل الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فماتوا بجبنهم ولم تغن عنهم كثرتهم ثم أحياهم الله تعالى أي أحيا أمتهم بنفر منهم غيروا ما بأنفسهم ، ومثل الملأ من بني اسرائيل بعد ان غلب الفلسطينيون أمتهم على أمرها وأخرجوها من ديارها وأبنائها ثم نصرها الله تعالى بفئة قليلة مؤمنة بلقائه صابرة في بلائه ، بعد هذا أراد سبحانه ان يقوي النفوس

(١) نكتفي في عدّ الآيات بما في مصحف حافظ عثمان المطبوع في الاستانة وما وافقه من المصاحف المطبوعة بمصر نتبع ذلك في آيات التفسير وآيات الشواهد في التفسير وغيره من المنار . وننبه في آيات التفسير على ما خالف فيه هذا المصحف العادين من السلف وهو قليل فنذكره في الهامش . واما فلوجل الالماني فإن في عده الذي عمل له الفهرس الشهير المعروف بنجوم الفرقان وطبع له مصحفاً خاصا خطأ كثيرا في العدّ ولعلنا نبينه في الهوامش . ومن أراد المراجعة فى هذا المصحف هنا فليعلم ان الفرق آية واحدة ففلوجل جعل هذه الاية ٢٥٤ وهكذا يستمر الفرق الى ان نذكر في الهامش بيانا آخر

على القيام بذلك فذكر الأنبياء المرسلين الذين كانوا أقطاب الهداية ، ومحل التوفيق منه والعناية ، الذين بين الدليل في آخر السياق الماضي على أن المخاطب بهذا القرآن الذي فيه سيرتهم منهم وكان قد ذكر قبل ذلك داود وما آتاه الله من الملك والنبوة ذكرهم مبينا تفضيل بعضهم على بعض وخص بالذكر أو الوصف من بقي لهم أتباع وذكر ما كان من أمر أتباعهم من بعدهم في الاختلاف والاقتتال ، ثم عاد الى الموضوع الأول وهو الانفاق و بذل المال فى سبيل الله ولكن بأسلوب آخر كما ترى في الآية التي تلي هذه الآية . قال تعالى

﴿ تلك الرسل﴾ أي المشار اليهم بقوله « وانك لمن المرسلين» في آخر الآية السابقة ومنهم داود الذي ذكر فى الآية التي قبلها . وهذا أظهر من قولهم المراد بالرسل من ذكروا فى هذه السورة أو من قص الله على النبي قبل هذا من أنبائهم أو المراد جماعة الرسل ﴿فضلنا بعضهم على بعض ﴾ مع استوائهم فى اختيار الله تعالى اياهم للتبليغ عنه وهداية خلقه الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . والتصريح بهذا التفضيل وذكر بعض المفضلين يشبه ان يكون استدراكا مع ماذكر في الآيات السابقة من إيتائه تعالى داود الملك والحكمة وتعليمه مما يشاء فهو يقول انهم كلهم رسل الله فهم حقيقون بأن يتبعوا و يقتدى بهداهم وإن امتاز بعضهم على بعض بما شاء الله من الخصائص في أنفسهم وفي شرائعهم وأممهم . وقد بين هذا التفضيل في بعض المفضلين فقال ﴿منهم من كلم الله ﴾ بصيغة الالتفات عن الضمير الى التعبير بالظاهر لتفخيم شأن هذه المنقبة والغرض من هذا الالتفات إلفات الاذهان الى هذه المنقبة تفخيما لها وتعظيما لشأنها . وهذا التكليم كان من الله تعالى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى في سورة النساء ٤:١٦٤ «وكلم الله موسى تكليما » وفي سورة الأعراف ٧:١٤٣ « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » وفي الآية التي بعدها ١٤٤ «قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي » فهذه الآيات تدل على ان موسى قد خص بتكليم لم يكن لكل نبي مرسل وإن كان وحي الله تعالى عاما لكل الرسل و يطلق عليه كلام الله تعالى . وقد قال تعالى في سورة الشورى ٤١:١٥ «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو

يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم » فجعل كلامه لرسله ثلاثة أنواع والظاهر ان تكليم موسى كان من النوع الثاني في الآية وكلها تسمى وحي الله وكلام الله . وقال بعضهم إن هذا النوع من التكليم كان لنبينا عليه الصلاة والسلام في تجلي ليلة المعراج فهو المراد بمن كلم الله هنا والجمهور على القول الاول وان كان لفظ «من» يتناول أكثر من واحد .

أقول وقد خاض علماء العقائد في مسألة الكلام الإلهي والتكليم وتبعهم المفسرون فقال بعضهم كالمعتزلة ان التكليم فعل من أفعال الله تعالى كالتعليم والكلام مايكون به وقال الجمهور ان كلام الله تعالي صفة من صفاته تتعلق بجميع مافي علمه وتكليمه الرسل عبارة عن إعلامهم بما شاء من علمه وما به الإعلام هو كلام الله وهو كما قال الاستاذ الامام في رسالة التوحيد شأن من شؤونه قديم بقدمه: أي انه تعالى متصف في الازل بالكلام أي بالصفة التي يكون بها التكليم متى شاء كما انه متصف في الأزل بالقدرة التي بها يكون الخلق والتقدير متى شاء . هذا أوضح ما يبين به مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى النفسي وهو ان له صفة ذاتية بها يُعلم بها من يشاء من عباده بما شاء من علمه متى شاء وهذا الإعلام هو التكليم والوحي . ولا يجوز لنا البحث عن كيفية كلامه القديم ولا عن كيفية تكليمه رسله وايحائه اليهم . قال الاستاذ الامام في الدرس انهذا الكلام مما لا يمكن ان يعرفه الا النبي المكلَّم فلا ينبغي لنا ان نبحث فيه ونحاول الوقوف على كنهه حتى ان النبي المكلَّم نفسه لا يستطيع ان يفهمه لغيره لأنه ليس له عبارة تدل عليه : يعني ان ما كان للرسل عليهم السلام من تكليم الله وما خصهم به من وحيه هو من قبيل الوجدان والشعور النفسي كالشعور بالسرور واللذة والألم فلا يمكن التعبير عن حقيقته وليس هو من قبيل التصورات والخواطر . ولا نزيد على هذا البيان في هذا الكلام ، فانه من مزال الاقدام والاقلام ، فنحن نؤمن بكلام الله تعالى ووحيه ، مع تنزيهه في ذاته وصفاته عن مشابهة خلقه ، فان وقع في كلامنا مايوهم خلاف هذه العقيدة السلفية فهو من عثرات القلم الضعيف في البيان ، لا من شذوذ عن صراط الله المستقيم في الايمان ،

وأما قوله تعالى ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ فذهب جماهير المفسرين الى ان

المراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مارواه ابن جرير عن مجاهد وأيده وقال الاستاذ الامام: ان الأسلوب يؤيده ويقتضيه أي لأن السياق في بيان العبرة للأمم التي تتبع الرسل والتشنيع على اختلافهم واقتتالهم مع أن دينهم واحد في جوهره . والموجود من هذه الأمم اليهود والنصارى والمسلمون فالمناسب تخصيص رسلهم بالذكر ولعل ذكر آخرهم في الوسط للاشعار بكون شريعته وكذا أمته وسطا

أقول ومن هذه الدرجات ماهو خصوصية في نفسه الشريفة ومنها ما هو في كتابه وشريعته ومنها ما هو في أمته وآيات القرآن تنبئ بذلك كقوله تعالى في سورة القلم ٦٨ : ٤ « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله تعالى في أواخر سورة الانبياء ٢١ بعد ما ذكر نعمه على أشهرهم ١٠٧ «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ولم يقل مثل هذا في أحد منهم . وقوله في سورة سبأ ٣٤ : ٢٨ «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقال تعالى في فضل القرآن ١٧ : ٩ «ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» الآيات . وقال فيها ٨٨ «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقال في سورة الزمر ٣٩:٢٣ « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » الآية وقال فيها ٥٥ «واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم » الآية وقال ١٦:٨٩ «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين» وقال ٦:٣٨ «ما فرطنا في الكتاب من شيء» ووصفه بالحكيم و بالمجيد و بالعظيم و بالمبين و بالفرقان وحفظه من التحريف والتغيير والتبديل ووصف الشريعة بقوله تعالى في سورة الأعلى ٨٧ : ٨ « ونيسرك لليسرى » وقال في أمته أي أمة الاجابة الذين اتبعوه حق الاتباع دون الذين لقبوا أنفسهم بلقب الاسلام ولم يهتدوا بهدي القرآن ٢:١٤٣ «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا » وقال فيها من سورة آل عمران ٣:١١٠ « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ولو أردت استقصاء الآيات في وجوه درجاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأتيت بكثير

وهذا القليل لا يقال له قليل . وفى الأحاديث من ذكر خصائصه ما أفرد بالتأليف وهي مما يصح أن تعد من درجاته . وانك لترى العلماء مع هذا كله لم يتفقوا على انه المراد فى الآية بل جوزوا ان يكون المراد بها ادريس عليه السلام لقوله تعالى فى سورة مريم ١٩ : ٥٧ « ورفعناه مكانا عليا » على أن المكان ليس بمعنى الدرجات وجوز بعضهم ان يكون المراد بمن رفع الله درجات غير واحد من الرسل وهو بمعنى التفضيل المطلق فى قوله « فضلنا بعضهم على بعض » وجعل بعض المتأخرين حمل « ورفع بعضهم درجات » على نبينا (ص) من التفسير بالرأي و بالغ فى التحذير منه وكيف يقبل هذا منه والآية جاءت بعد مطلق التفضيل بهذه الوجوه من التفصيل التي يمكن معرفتها بالدلائل على نحو ما قلنا وتفسير المبهم بالدليل ليس من التفسير بالرأي لاسيما اذا أيده السياق ورضي به الاسلوب . انما التفسير بالرأي هو ما يكون من المقلدين ينتحلون مذهبا يجعلونه أصلا فى الدين ثم يحاولون حمل الآيات عليه ولو بالتأويل والتحريف والأخذ ببعض الكتاب وترك بعض

ثم قال تعالى ﴿ وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ البينات هي ما يتبين به الحق من الآيات والدلائل كما قال في هذه السورة ٩٢ « ولقد جاءكم موسي بالبينات » وروح القدس هو روح الوحي الذي يؤيد الله به رسله كما قال لنبينا ٤٢ : ٥٢ « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا » الآية وقال له في سورة النحل ١٦ : ١٠٢ « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين » » وقال أبو مسلم ان روح القدس عبارة عن الروح الطيبة المقدسة التي أيد بها عيسى عليه السلام . وقد سبقت هذه العبارة فى آية (٨٧) من هذه السورة فلا نطيل فى اعادة تفسيرها . ولعل النكتة في ذكر اسم عيسي عليه الصلاة والسلام أن ما آتاه إياه لما كان مشتركا كان ذكره بالابهام غير صريح في كونه ممن فضل به أو للرد على الذين غلوا فيه فزعموا أنه إله لا رسول مؤيد بآيات الله، ظهر لي هذا عند الكتابة ثم راجعت تفسير أبي السعود فاذا هو يقول : وافراده

عليه السلام بما ذكر لرد مابين أهل الكتابيين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط

ثم قال تعالى ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾ قال الاستاذ الامام مامثاله مبسوطا : اذا جرينا في فهم الآية على تفسير مفسرنا (الجلال) وأضرابه نكون جبرية لانقبل دينا ولا شرعاً ولا يكون لنا في الكلام عبرة لأنهم يقولون ماقصاراه ان الله تعالى هوالذي غرس في قلوب هؤلاء الذين جاؤا من بعدالانبياء بذور الخلاف والشقاق وقضى عليهم بما ألزمهم العدوان والاقتتال فانه شاء ان يكونوا هكذا فكانوا مضطرين في الباطن وان كان لهم اختيار ما بحسب الظاهر فلندع هذا ولننظر ما تدل عليه هذه الكلمات القليلة من اتفاق حكمة الله تعالى مع مشيئته في خلق الانسان وسننه فى شؤونه الاجتماعية . لم يخلق الله الناس بقوى محدودة متساوية في أفرادهم لاتتجاوز طلب مابه قوام الجسم بالإلهام الفطري والادراك الجزئي كالانعام السائمة والطيور الحائمة ، بل خلق الانسان كما نعرفه الآن — جعل له عقلا يتصرف في أنواع شعوره وفكرا يجول في طرق حاجاته البدنية والنفسية وجعل ارتقاءه فى ادراكه وأفكاره كسبيا ينشأ ضعيفا فيقوى بالتدريج حسب التربية التي يحاط بها والتعليم الذي يتلقاه وتأثير حوادث الزمان والمكان والأسوة والتجارب فيه . وجعل هداية الدين له أمرا اختياريا لا وصفا اضطراريا فهي معروضة أمامه يأخذ منها بقدر استعداده وفكره كما هو شأنه فى الأخذ بسائر أنواع الهداية والاستفادة من منافع الكون . هذه هي سنته تعالى في الانسان وهي منشأ الاختلاف فهو يقول لو شاء الله أن يجعل سنته في تبليغ الدين وعرضه على الناس أن يجعله من إلهاماتهم العامة وشعورهم الفطري كشعور الحيوان وإلهامه مافيه منفعته لكانوا في هداية الدين سواء يسعدون به أجمعين فتمنعهم بيناته ان يختلفوا فيقتتلوا ولكنه خلق الانسان على غير ماخلق عليه الحيوان، وكان ذلك سبب اختلاف أهل الاديان، فمنهم من آمن إيمانا صحيحاً فأخذ الدين على وجهه ، اذ فهمه حق فهمه ، ومنهم من لبسه مقلوباً وحكم هواه فى تأويله فكان كافرا به في الحقيقة ،

وإن كان غاليا فيما أحدث فيه من مذهب أوطريقة ، وكان ذلك مدعاة التخاصم ، وسبب التنازع والتقاتل ، اختلف اليهود في دينهم فاقتتلوا وأما النصارى فلم تختلف أمة اختلافهم ، ولم يقتتل أهل المذاهب في دين من الاديان اقتتالهم، بل كان المذهب الواحد من مذاهبهم يتشعب الى شعب يقاتل بعضها بعضا . وكان يجب أن يحذر المسلمون من هذا الاختلاف أشد الحذر لكثرة ما نهاهم الله عن الاختلاف وأنذرهم العذاب عليه فى الدنيا والآخرة وقد امتثلوا أمره تعالى بالاتحاد والاعتصام، وانتهوا عما نهاهم عنه من التفرق والاختلاف ، في عصر صاحب الرسالة وطائفة من الزمن بعده فكانوا خير أمة أخرجت للناس ثم لم يلبثوا أن ذهبوا في الدين مذاهب ، وفرقوا دينهم فكانوا في شريعته مشارب ، فاقتتلوا في الدين قليلا، وفي السياسة التي صبغوها بصبغة الدين كثيرا ، وقد تمادوا في هذا الشقاق والاختلاف، فانتهوا الى زمن صاروا فيه أبعد الامم عن الاتفاق والائتلاف ،

ثم قال تعالى ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ قال الاستاذ الامام: يمكن تفسير هذه الجملة بمثل ما فسرت به الجملة الاولى والأولى ان تفسر بوجه آخر أخص كأن يقال لو شاء الله تعالى أن تكون سنته في الانسان على ما فطر عليه من الاختلاف أن يعذر المختلفون من أفراده بعضهم بعضاً ويوطن كل فريق منهم نفسه على أن ينتصر لرأيه بالحجة، ويسعى الى مصلحته بالفطنة، لما اقتتلوا على ما يختلفون فيه ولكنه جعلهم درجات في الفهم والحزم وأودع في غرائزهم المدافعة عن حقيقتهم والنضال دون مصلحتهم بكل ما قدروا عليه من قول وعمل فالقوي بالرأي يحارب بالرأي والقوي بالسيف يقاوم بالسيف فكان الاختلاف في الرأي والمصالح معا مؤديا للاقتتال لامحالة — قال : هكذا خلق الانسان فلا يقال لم خلقه هكذا لأن هذا بحث عن أسرار الخلقة ككبر أذني الحمار وصغر أذني الجمل ولذلك قال ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ أي ان اختصاص الناس بهذه المزايا هو أثر ارادته وتخصيصها فلا مردّ له

فعلم بهذا ان لا تكرار في الآية وقد تقدم الكلام في اختلاف البشر وأسبابه مفصلا تفصيلا فيما كتبه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى تفسير قوله تعالى ٢١٢ «كان الناس أمة واحدة» وقد عنّ لي الآن أن أختم تفسير الآية بسرد بعض الآيات

الناهية عن الاختلاف والتفرق في الدين الناعية على المتفرقين والمختلفين قال تعالى (١٠٣:٣) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تَفَرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا الى أن قال —

(١٠٥:٣) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم

(١٥٩:٦) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء : الآية

(٣١:٣٠) منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٣٢ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

(٦ : ٦٥) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم او يَلْبسَكُمْ شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ، أنظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون

(١٣:٤٢) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبي من يشاء ويهدي اليه من ينيب * ١٤ وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، وان الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ١٥ فلذلك فادع واستقم كما امرت الخ

فهذه الآيات وأمثالها نصوص صريحة فى ان دين الله تعالى الذي شرعه على ألسنة رسله ينافي الاختلاف والتفرق وان الله ورسوله بريء من المختلفين وقد أرشدنا الى المخرج مما فطر عليه الناس من الاختلاف فى الفهم والتنازع فى الامر إذ قال فى سورة النساء

(٥٩:٤) ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا *

فإطاعة الله هي الاخذ بكتابه كله وفيه مارأيت من النهي عن الاختلاف والتفرق في الدين، وإطاعة رسوله بعد وفاته هي الاخذ بسنته ، وإطاعة أولي الأمر

هي العمل بما يتفق أهل الحل والعقد وأولو الشأن من علمائنا ورؤسائنا بعد المشاورة بينهم في أمر اجتهادي على أنه هو الاصلح لنا الذي يستقيم به أمرنا · فان وقع التنازع والاختلاف وجب رده الى الله ورسوله وتحكيم الكتاب والسنة فيه ولا يجوز أن يتمادى المسلمون على التفرق والاختلاف بحال

هذا حكم الله الذي أبطله التقليد بما جعل بين المسلمين وبين الكتاب والسنة واجتماع رأي اولي الأمر والشأن من الحجب حتى صار المسلمون شيعا في امر الدين هذا خارجي وهذا شيعي وهذا كذا وهذا كذا وشيعا في امر الدنيا هذا يتبع سلطانا ويحارب لأجل هواه جماعة المسلمين، وهذا يتبع سلطانا يعصي في طاعته نصوص الدين ، وقد أفضى الخلاف الى غاية هي شر الغايات وخاتمة هي سوءى الخواتم وهي السكوت لكل مبتدع على بدعته ، والرضى من كل مقلد بجهالته ، واتفاق سواد الشيع كلها على الإنكار والتشنيع على من يدعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل إنك لتجد في حملة العمائم، وسكنة الأثواب العباعب ، من لا ينكر على التلميذ المبتدىء ان يقرأ الكتب والصحف التي تطعن كبد الدين، وتحاول هدم بنائه المتين ، وينكر أشد الإنكار عليه قراءة كتاب أو صحيفة تدعوه الى كتاب ربه وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام ، ويعد هذا الإنكار غيرة على الدين وخدمة له!! فأي بعد عنه أشد من هذا البعد، وأي أثر للتقليد شر من هذا الاثر ،

أما الاقتتال بين المسلمين بسبب الاختلاف فأوله ما كان بين علي ومعاوية، وكانت فئة الثاني هي الباغية ، والله يقول فيمن سبقهم ، « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ثم كان ما كان من حروب الخوارج ثم الشيعة · وآخرها الاقتتال بين المصريين والوهابيين، والله عليم بالظالمين،

ومن أراد تمام العبرة في ذلك فليرجع الى كتب التاريخ لاسيما تاريخ بغداد وحادثة خروج التتر التى كانت أول حادثة زلزلت سلطان المسلمين في الأرض ودمرت بلادهم تدميرا فقد كان الخلاف بين الشافعية والحنفية من أسبابها وابن العلقمي الشيعي الوزير هو الذي دعاهم الى بغداد سنة ٦٥٦ فخربوها وقتلوا فيمن قتلوا الشرفاء شيعة وغير شيعة ووبخه هولاكو على خيانته فمات غما · والفتن التي كانت بين أهل

السنة والشيعة في الشرق والغرب كثيرة . ومن ذلك قتل الأولين للآخرين في جميع بلاد أفريقية أول سنة سبع وأربع مئة حتى انهم كانوا يحرقونهم بالنار و ينهبون دورهم . وتاريخ بغداد مملوء بالفتن بين الشيعة وأهل السنة وبين الشافعية والحنابلة وكان أشد الخلاف بين هؤلاء على الجهر بالبسملة في الصلاة يسفكون الدماء لذلك ولا ينسين الراجع الى التاريخ الفتنة بين الشافعية والحنفية اذ تقلد ابن السمعاني مذهب الشافعي فقد كان ذلك من أسباب خراب مرو عاصمة خراسان

أقول ان الوجود قد كان ولا زال مصدقا لما جاء به الكتاب العزيز من اهلاك الاختلاف في الدين للامم وافساده للدين نفسه . ولم يذكر كتاب الله هذا المرض الاجتماعي الا وقد بين علاجه للمسلمين وهو تحكيم الله تعالى فيما اختلفوا فيه ورد ما كان من المصالح الدنيوية والامور السياسية الى أولي الأمر كما قال في الامور الحربية في سورة النساء «٤:٨٢» واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا» ولكن هذا العلاج يتعذر على المسلمين في هذا العصر لأن الاستبداد ذهب بأولي الأمر منهم فليس لأحد منهم مع الامراء والسلاطين رأي ولا مشورة . بل زعم بعضهم ان أولي الأمر في هذه الآية وغيرها هم الامراء والسلاطين مع انها نزلت في أولي الأمر الذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك أمير ولا سلطان، ما كان هناك الا أهل الرأي من كبراء الصحابة عليهم الرضوان، الذين يعرفون وجوه المصلحة مع فهم القرآن، وهكذا يجب ان يكون في الامة رجال أهل بصيرة ورأي في سياستها ومصالحها الاجتماعية وقدرة على الاستنباط يردّ اليهم أمر الأمن والخوف وسائر الامور الاجتماعية والسياسية . وهؤلاء هم الذين يسمون في عرف الاسلام أهل الشورى وأهل الحلّ والعقد ومن أحكامهم ان بيعة الخلافة لا تكون صحيحة الا اذا كانوا هم الذين يختارون الخليفة و يبايعونه برضاهم . وهم الذين يسمون عند الامم الاخرى بنواب الأمة

لو وجد هؤلاء في بلاد اسلامية لتيسر لهم إخراج المسلمين من ظلمة الخلاف وانجائهم من شروره . أما في الامور القضائية والادارية والسياسية فبإقامتها على

القواعد الشرعية في حفظ المصالح ودرء المفاسد بحسب حال الزمان والمكان وأما في الأمور الاعتقادية والتعبدية فبإرجاعهم الى ما كان عليه السلف الصالح بلا زيادة ولا نقص واعتبار ما أجمع عليه المسلمون في العصر الأول هو الدين الذي يدعى اليه، ويحمل كل مسلم عليه، وما عداه من المسائل الاجتهادية مما يعمل فيه صاحب الدليل بما يظهر له أنه الحق من غير ان يعادي أو يماري فيه من لم يظهر له دليله من اخوانه المسلمين الموافقين له في مسائل الإجماع وأما العامي الذي لاقدرة له على الاستدلال فلا يذكر له شيء من أمر الخلاف فان عرض له أمر استفتى فيه من يثق بورعه وعلمه من علماء عصره وذلك العالم يبين له حكم الله فيه بأن يذكر له ماعنده فيه من آية كريمة أو سنة قويمة ويبين له المعنى بالاختصار — هكذا كان علماء الصحابة والسلف وعامتهم . وأنى للمسلمين اليوم ان يستقيموا على طريقتهم وهم فاقدو اولي الامر الذين تفوض الأمة اليهم أمورها العامة وتجعلهم مسيطرين على حكامها وأحكامها

قد اهتدى الامام الغزالي في آخر عمره الى مضارّ الاختلاف في المسلمين والى انه لانجاة لهم منه الا بحكم الله ورسوله والعمل بما أجمع عليه السلف على مقربة مما قلنا فقد ذكر فى كتابه (القسطاس المستقيم) مناظرة دارت بينه وبين أحد الباطنية القائلين بأنه لابد في كل زمن من امام معصوم يرجع اليه ويطاع طاعة عمياء واننا نورد بعض كلامه في ذلك (*) قال رحمه الله تعالى بعد كلام في الاختلاف

فقال — أي مناظره الباطني — : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت إن أصغوا اليّ رفعت الاختلاف بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لاحيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم الى الانبياء والا الى إمامك فكيف يصغون اليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الأزل بأنهم لايزالون مختلفين الا من

(*) قد بينا رأينا السابق في ازالة الخلاف بالتفصيل في (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من المنار وذكرنا فيها رأي الغزالي بالتفصيل وقد طبعت على حدة . وقد قرأ الاستاذ الامام ذلك كله وأعجبه

رحم ربك ولذلك خلقهم : وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب (جواب مفصل الخلاف وهو الفصول الاثنى عشر)

« فقال فلو أصغوا اليك كيف كنت تفعل ؟ قلت كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى ٥٧ : ٢٥ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد» الآية وإنما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البله وهم أهل الجنة، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة، ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة

« أما الخواص فاني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال (أحدها) القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها (الثانية) خلوّ باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث مسموع فان المقلد لا يصغى والبليد وان أصغى لا يفهم (الثالثة) ان يعتقد أني من أهل البصيرة بالميزان ومن لا يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكن ان يتعلمه منك (١)

« والصنف الثاني البله وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحِرَف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولا يتخيرون بين الائمة المختلفين . فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما أدعو أهل البصيرة بالحكمة وأدعو أهل الشغب بالمجادلة ، وقد جمع الله هذه الثلاثة في آية واحدة ، (٢) كما تلوته عليك أولا فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال له « وماذا عملت فى رأس العلم »

(١) يريد بالثالثة طريقة تنفيذ ما قبلها وانما الطريقة أن يكون للأمة أولو أمر كما قلنا (٢) يريد الآية ١٢٥ من السورة ١٦ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » الآية

أي الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة «اذهب فاحكم رأس العلم ثم ارجع لأ علمك من غرائبه » فأقول للعامي ليس الخوض فى الاختلافات من عشك فادرج فإياك أن تخوض فيه أو تصغى اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك فى غير العلم فكيف تكون من أهل العلم ومن أهل الخوض فيه فإياك ثم إياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون عليه من الخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري

« فان قال لا بد من دين أعتقده وأعمل به لأصل الى المغفرة والناس مختلفون فى الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعوّل عليه ؟ فأقول له: للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما . أما الأصول فليس عليك ان تعتقد فيها الا مافي القرآن فان الله لم يستر عن عباده صفاته وأسمائه فعليك ان تعتقد ان لا إله الا الله وان الله حيّ عالم قادر سميع بصير جبّار متكبر قدوس ليس كمثله شيء – الى جميع ماورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كافٍ في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل « آمنا به كل من عند ربنا » واعتقد كل ماورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حدّ طاقتك . فان أخذ يتحذلق ويقول قد علمت أنه عالم من القرآن ولكني لا أعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة : فقد خرج بهذا عن حدّ العوام اذ العامي لا يلتفت قلبه الى هذا مالم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوما الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر (١) واذا التحق بأهل الجدل فأذكر علاجهم

« هذا ما أعظ به في الاصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء هم أهل الحوالة على الكتاب . وأما الفروع فأقول لا تشغل

(١) لعله يريد حديث أبي أمامة عند الترمذي وصححه « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل

قلبك بمواقع الخلاف مالم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الأمة على أن زاد الاخرة هو التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام ، والفرائض كلها واجبة ، فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا فهو جدلي وليس بعامي . افرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخنقهم ؟ هيهات ماأشبه ضعف عقولهم في خلافهم الا بعقل مريض به مرض أشرف به على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول : قد اختلف الاطباء فى بعض الأدوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعلمني رفع الخلاف فيه » الخ ما أطال به وقد فهم مما ذكرنا رأيه في الخواص وكيف يعالجهم بموازين البراهين وفي أهل الجدل وقد ذكر ان جدالهم يكون بمثل مافي كتب الكلام وأن المتعنت يبغي بجدله فتنة العوام ليس له الا الحديد أي قوة السلطان الذي يمنع بعض الناس من فتنة بعض

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ما اورد السفاريني فى هذه المسائل ليعلم قراء كتب الاشعرية مافي غيرها من الحقائق التي قد تخالفها الى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد. قال فى شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار ... من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى ... كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿وربنا﴾ تبارك وتعالى ﴿يخلق﴾ ماشاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿باختيار﴾ منه فمذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بعد ان لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق ﴿من غير حاجة﴾ منه تعالى اليه أي يخلق الخلق لا لحاجة اليه ولا ﴿اضطرار﴾ عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الالجاء والاحواج والالزام والاكراه فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الاشعري وأصحابه وهو قول كثير من نفاة القياس فى الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال — أول الفكرة آخر العمل. وأول البغية آخر المدرك — ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعلة قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعلة حادثة لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلة أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر

احداثه وان كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها و يلزم التسلسل فهذه الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

(التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة فى كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لا نعني بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول و يلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل وإما الترجيح بلا مرجح . ثم اكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك ومما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وامثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول اكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول اكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كابي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة فى الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون فى هذا القول لان الاحسان الي الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثا في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثا ولم يكن محمودا على هذا وأنتم عللتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لامصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من العقلاء أحدا بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لماله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا فى الآجل لا يستحسن من الآمر ومن ثم قال ﴿ لكنه ﴾ تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي هملا بلا أمر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كثير جدا أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسئلة التحسين والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد واهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضارا للفاعل منافرا له انه تمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضارّ للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لاحسن ولا قبح في الفعل الا ماعاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح فى حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل مايقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على مايحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس مايوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس مايحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم مانزه نفسه عنه فانه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيآت غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (مايبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لاظلم عليك اليوم»

***

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعلة في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا و بعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني انهما لعلة وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الاصلح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصله عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟ فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) ونظائرها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوازا عند أهل السنة ووجوبا عند المعتزلة فيفعل مايريد بحكمته وتقدم ان النافين للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال ومن حدوثها افتقارها الى علة أخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فانها قديمة ومتعلقها حادث وتقدمت الاشارة فى أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ الاسلام وجمعاً من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة فى أفعال الباري جل وعلا وأقاموا على ذلك من البراهين مالعله لايبقي فى مخيلة الفطين السالم من ربقة تقليد الاساطين أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب وأجنب وأتى بما يقضى منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار السعادة) وغيرهما فمما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة قبحه في نفسه لامن جهة كونه انه لايكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز ان يترك عباده سدى لايأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان باطل والله متعال عنه لمنافاته لحكمته فقال تعالى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وانه لايليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله قوله تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون * فتعالى الله الملك الحق لاإله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه و باعدها عن هذا

الحسبان وانه متعال عنه فلايليق به لقبحه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين و بين الايجاب والتحريم شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلمثبتي الحسن والقبح فيه طريقان احدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون باثباته و يصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد و بنفي ايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الايجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لامزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف انه لاتلازم بين الحسن والقبح و بين الايجاب والتحريم العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فللناس فيه ههنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحريم العقليين شاهدا وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهدا ويترتب المدح والذم عليه. وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبته منهم يقولون ان العذاب الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي و بذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الايجاب والتحريم العقليان غائباً فهم مصرحون بهما و يفسرون ذلك باللزوم الذي أوجبته حكمته وانه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب واللغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كماله وغناه قالوا وهذا في الافعال نظير ما يقول أهل السنة فى الصفات انه يجب له كذا و يمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلة واقتسما طرفي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحريم الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحريم عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والمخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلا كتحريم الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يحرمه على نفسه ولم يوجبه على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته حكمته وكماله والفرقة الوسط أثبتت له ما أثبته لنفسه من الايجاب والتحريم الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون فتيلا) فاخبر بتحريمه على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضربوا له من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الاعلى الذي أثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه فى صفاته بالجمادات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة نزهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزهوه فيها عن الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الاعلى ولم يضربوا له الامثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا انه لايقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لايقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالما وأنه اذا اشترك اثنان فى ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظالما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده فى فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل مايقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فانهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير ملكك بل انما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبد له ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وبقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وبقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وبما روى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فلله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلدهم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعا لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الامرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لارادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون. والتزموا أيضا أنه يجوز أن يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلدهم فى الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معا أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وارادة هو ما فسره به سلف الامة وأئمتها انه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها اذا قارنها أوطرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديماً فمما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه ان عذبهم فانهم عباده وانه غير ظالم لهم وانه لا يسئل عما يفعل وان قضاءه فيهم عدل وبمناظرة اياس للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حق يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى ان يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعهما وانه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وانه ليس فوقه آمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيبا لحقه

عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يارسول الله قال «ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنا لها فانها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالما لهم وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تتقاضاه شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لا من حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك ترى في هذه الجملة من النقول عن أئمة الامة ماينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبا معينا دون النظر في كتب أهل المذاهب الاخرى يفك الآخذ مني ربقة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمحيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصلحة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضلل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهو ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهملة ثم رأيناها الآن فنذكرها سردا ثم نجيب عنها والظاهر أنها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي

(السؤال الاول)

ماقولكم متع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الاوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بانها شعار شربة الخمر و بفسق مستمعها وتأثيمه ورد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضاً يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والمخنثين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ماملخصه ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة كطنبور وعود ورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولانها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) فى النهاية للشيخ الرملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواجر عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزامير والاوتار والكوبة فلا يختلف في تحريم استماعها وكيف لايحرم وهو شعار أهل الخمور والفسوق ومهيج للشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه انتهى ملخصاً. وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فى كتابه النصائح الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: وذكر من جملتها اتخاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوتار والمزامير (وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق فى عد كبائر الذنوب مالفظه: واللعب بآلات اللهو المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوتار: وكتصريح هؤلاء الأئمة تصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم واتفاقهم عليه حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه وعلى رد شهادتهم (فهل) قول هؤلاء الأئمة وتصريحهم بما ذكر معتمد في المذهب ومعول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم متع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة فى تصريح هؤلاء الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح تلك الآلة المحرمة كتصريح الشيخ ابن حجر فى التحفة بقوله إني رأيت تهافت كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوتار وغيرها ولم ينظر لكونه مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي فى تأليف له في السماع ولغيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ماعليه أئمة المذاهب الاربعة وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) فى النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصريح) الشيخ ابن حجر في الزواجر بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه انه كان يبيح سماع العود ويسمعه وانه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ماأجمع عليه أهل المدينة فقدردوه على ابن طاهر بانه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذرعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيته في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهذبه بتحريم العود وهو قضية مافي تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين تقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصريح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لاتتبع ابن حزم
فقد أبيحت عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصريح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه انه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ماورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعه أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهريته الشنيعة القبيحة ومازعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما و بعدهما من اللهو انتهى ملخصا وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكي عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد أنهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصريح هؤلاء الائمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أحل الاوتار و بتكذيب نقولهم معتمد في المذهب ومعول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصلحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكمال المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابدتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالمشرع الروي والجوهر الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحميدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الغوغاء بسبب هذه النسبة والافتراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم متع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الغوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم «مَن سَن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» ام لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به العلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله:(تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بحظوظ البشرية قلنا له كذبتَ على طبعك وكذبتَ على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَن فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ البجيرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهورهم وضلالهم فلا يعول

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاغترار بخرافات الاغيار ام لا افتونا فى هذه الاسئلة فان البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شررها لعل الله بنور علمكم يطفيها لا زلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى معاونين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهو قديما وحديثا وأكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ان ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال ابو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام» رواه أحمد وأبو داود . وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر «والمزر والكوبة والقنين» وفي اسناد الحديث الوليد بن عبدة راويه عن

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين انه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري ان الحديث معلول، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بذيمة وقال ابن الاعرابي الكوبة النرد وقد اختلف في الغبيراء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص فقيل الطنبور وقيل العود وقيل البربط وقيل مزر يصنع من الذرة أو من القمح و بذلك فسره في النهاية. والمزر بالكسر نبيذ الشعير. والمعتمد في الغبيراء ما قاله في النهاية من انها من الأشربة والقنين قيل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحبشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يارسول الله قال «اذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب:
أقول وقد أخرجه من طريق عبّاد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورءوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثا واحدا مقرونا بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال فى الميزان لايعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنتقى وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيي بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبدالرحمن . قال البخاري عبيدالله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيي بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روي عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٣١ : ٦ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحميدي في مسنده بلفظ « لا يحل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها» وهو لا يصح كما تقدم

(٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب» رواه أبو داود مرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت انه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الاباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد » وفي رواية ياأبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا » فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفى أبواب متفرقة ومسلم فى العيد والنسائي في عشرة النساء وانما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان نائما لم يسمع

(٢) وعنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ما كان معكم من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو » رواه البخاري. قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم لهو » : فى رواية شريك فقال « فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

اتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ماحلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ماسمنت عذاريكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُنيَ عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدفّ يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم مافي غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لاتقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدفّ والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالا اجلس إن شئت فاستمع معنا وان شئت فاذهب فانه قد رخص لنا اللهو عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن بريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا ان أضرب بين يديك بالدف وأتغنى : قال لها «ان كنت نذرت فاضربي والالا» فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل عليّ وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك ياعمر ، إني كنت جالسا وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت ياعمر ألقت الدف» رواه أحمد الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ماورد فيه مما يحتج به ، وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً وغناء القيان وهن الجواري المغنيات وقد رأيت في أحاديث الاباحة إباحة العزف بالدف وغناء الجواري وانعقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات اليه أن كلام أبي بكر وكلام عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهو لاسيما أصوات النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس بتحري السرور فيها كالعيد والعرس وقدوم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة بصحتها وضعف مقابلها ونكارته ، وبكونها على الاصل في الاشياء وهو الإباحة ، وبموافقتها ليسر الشريعة وسماحها وموافقتها للفطرة . وهذا لاينافي أن الانصراف الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد النكير على أهل اللهو لما كثر وأسرف الناس فيه عندما عظم عمران الأمة واتسعت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الاطبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لايطرب وانه غير دف أهل الطرب. وهاك أجمع كلام يحكي خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل الاوطار قال بعدما أورد ماتقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى التحريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود واليراع ، وقد حكي الاستاذ ابو منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لايرى بالغناء بأسا ويصوغ الالحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره وكان ذلك فى زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا عن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي . وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي الدم : نقل الأثبات من المؤرخين ان عبدالله بن الزبير كان له جوار عوّادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود فقال ماهذا ياصاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته فى السماع بسنده الى ابن سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهن جارية تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهن شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك بيعاً من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك بأساً قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص انهما سمعا العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء بالمزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والمزهر عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواريه قبل الخلافة ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي فى الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي المدينة . وحكى الروياني عن القفال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف « وحكى الاستاذ أبو منصور والفوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب المكي في قوت القلوب عن شعبة انه سمع طنبورا في بيت المنهال بن عمرو المحدث المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع انه لاخلاف بين أهل المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل المدينة قال ابن طاهر واليه ذهبت الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم(١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاه أبو الفضل بن طاهر عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاه الاسنوي فى المهمات في الروياني والماوردي ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاه ابن الملقن في العمدة عن ابن طاهر وحكاه الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاه صاحب الامتاع عن أبى بكر بن العربي وجزم بالاباحة الادفوي — هؤلاء جميعا قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع ان الغزالي في بعض تآليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوى في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن الجراح كما أخرجه البيهقى وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه

(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلما وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحمزة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبدالله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره. وأما التابعون فسعيد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبدالله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبدالعزيز وسعد بن ابراهيم الزهري. وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الائمة الاربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي

« واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحزان والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تحريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو ابي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الحظر ما نصه :

« وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد وافقه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه: وأطال الكلام في ذلك بما يكفي » اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويجاب عنه بانه من رجال الصحيح .

(والثالث) ان الحديث مضطرب سندا ومتنا . أما الاسناد فللتردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متنا فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليشربن أناس من أمتي الخمر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويجاب عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وابا مالك الاشعريين فتبين بذلك انه من روايتهما جميعا . وأما الاضطراب في المتفق فيجاب عنه بأن مثل ذلك غير قادح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث تارة ويذكرها أخرى

(والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويجاب بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالته فقالوا لا نسلم دلالته على التحريم وأسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة «يستحلون» ليست نصا في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويجاب بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملابسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملجئ الى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملا لأن يكون للآلة ولغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركا والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازا

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت أنه ليس فيه الا لفظ المعازف وعرفت معناه وانه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويجاب بانه يدل على تحريم استعمال ماصدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لان اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على ان الراجح جوازا استعمال المشترك فى جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر فى الاصول (وثالثها) انه يحتمل ان تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترفة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن اناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتغدو عليهم المعازف » ويجاب بان الاقتران لايدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم ان الزنا المصرح به في الحديث لايحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وأيضا يلزم فى مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ «انه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين» انه لايحرم عدم الايمان بالله الاعند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الالزام قد علم منه دليل آخر فيجاب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضاً كما سلف على انه لاملجئ الى ذلك حتى يصار اليه (ورابعها) ان يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويجاب عنه بما تقدم في الذى قبله

واستدلوا ثانيا بالاحاديث المذكورة في الباب التى أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدها ويجاب بأنها تنتهض بمجموعها — ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها ان تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فانها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « ان الغناء ينبت النفاق» فانه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب ورنة شيطان » واخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعا «ان الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء » والاحاديث في هذا كثيرة قد صنف في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الاربلي والذهبي وغيرهم

« وقد أجاب المجوزون عنها بانه قد ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية وقد تقدم ماقاله ابن حزم ووافقه على ذلك أبو بكر بن العربي فى كتابه الاحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر انه لم يصح منها حرف واحد والمراد ماهو مرفوع منها والا فحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٣١: ٦ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » قد تقدم انه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال انهم لو أسندوا حديثا واحدا فهو الى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود فى تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية انهما فسرا اللهو بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافرا ولو أن شخصا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروّح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى — قال الفاكهاني اني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثا صحيحا صريحا في تحريم الملاهي وانما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لا أدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٢٨: ٥٥ «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وأيّ دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء وللمفسرين فيها أربعة أقوال — الاول انها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني ان اليهود أسلموا فكانوا اذا سمعوا ماغيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان الكفار من قريش يقولون لهم أفٍّ لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من هذه الآية انتهى . ويجاب بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو عام وهو فى اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

« ومن جملة ما استدلوا به حديثا « كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل الا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه » قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلهي بالنظر الى الحبشة وهم يرقصون فى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت فى الصحيح خارج عن تلك الأمور الثلاثة

« أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم من انه حديث منكر وأيضا لو كان سماعه حراما لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه تجنبه كما كان يتجنب كثيرا من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار على الراعي انما كان لعدم القدرة على التغيير لأنا نقول ابن عمر انما صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار فيه دليل على عدم التحريم

« وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ٧:١٥٧ « ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخبائث » ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستلذ وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انا لو حكمنا بتحريم اللهو لكونه لهواً لكان جميع مافي الدنيا محرما لانه لهو لقوله تعالى ٣٦:٤٧ «انما الحياة الدنيا لعب ولهو» ويجاب بانه لاحكم على جميع مايصدق عليه مسمى اللهو لكونه لهوا بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما علل في الآية بعلة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ماحررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولاسيما اذا كان مشتملا على ذكر القدود والخدود والجمال والدلال ، والهجر والوصال ، ومعاقرة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لايخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول ، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيفاء للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الاباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتذروا عن أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين ولا مقصرين ،ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ، والقاهرين في حكمهم ، ان يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا يعلى ، وأن الحق هو الذى جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى . وقد يعتور الأمة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي فى طور قوتها وعزها أنها اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وانها حليفة الحق فى الطورين ، لم تتعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله تعالى فى الافراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ماظفر ،و يعتذر عنها بالقوة اذا هو غُلب وقهر ، وهذا الغرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح .وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على الحق ، الا تلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غُلب الحق لما كان حقاً . والحق أن الحق قد يخفى ، وقد يترك و ينسى، ولكن ما صارع الباطل الا صرعه ، ولا قارعه الا وقرعه ، « وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا ثبوت أو لا تحقق له في نفسه وما لا ثبوت له ولا تحقق لا يحق ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون الا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعيـة، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان الا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهـم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسـة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية، الوجود والسنن الكونية (٣) السنن الاجتماعية (٤) القوانين والمواضعات العرفية (٥) الدين والشريعة الالهـية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثـين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيـل خطأ كثيرين من السابقـين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الا راء النظرية والفلسفية من أخـفى الأمور وأوغلها في الابهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين فى المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى احدى اليقينيات التى لا نزاع فيها . وبيان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع انما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إفادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وانما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان الغلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغـير العليا ذلك الزمن الطويل الا لأن الحق فيها كان خفيا أو غـير معروف لأهلها. بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فاذا كانت المقدمات مسلمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة · وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فاذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ — وهو ماسلمه من المقدمات — لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة · ولو شئت لجئت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال الى غيره مماترى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كل وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخليقة فهو حق والخلل فيها باطل لا تحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفلتات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ «الذي أحسن كل شيء خلقه » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الغلبة بالحق · وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بحقائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وانه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * ويقول ٤٥:٢٢ «وخلق الله

السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» وفي معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بان سعة العلم بالسموات والأرض من الحق الذي تعتز به الامم، وان جهلت الامة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن فى تكوّن الأحجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نموّ النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركبها وهي ماعنيناه بالاصل الثاني . وللبشر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون وفيها يتقلبون فقوتهم وضعفهم وغناهم وفقرهم وعزهم وذلهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لاتباع سنن الله في السير على أحد الطريقين المشار اليهما بقوله تعالى فى الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكبها خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم، هم الآخذين باطراف السعادة من أمم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو مابه الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شيء آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم فى قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تتبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨: ٣٨ «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٤:١٣ «وقد خلت سنة الأولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣:١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفى الآية الثالثة بعد هذه الآية «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات

فهذه الآيات البينات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الارض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولا تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي تواريخ الامم يعده رجال الدين منهم جانيا على الدين صاداً عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الازهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صدّا عنه وجناية عليه من القرآن الذى هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهدية بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون و يسودون ، وهم يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦:١١ « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * » فسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امراؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لانه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل والعمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين فى الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالآخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاركها مادامت الامة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاقة له فاذا رجعت الامة عن عرفها أوالدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يعد ذلك حقا لان حقيته لم تكن لذاته وانما كانت للعرف الذى يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوربا على الممالك المشرقية وافتياتها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة انه ليس لدولة أن تفتات على أخرى في ادارتها الداخلية ولكن أوربا تفتات وتغلب فههنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ فى هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي ان أوربا سلبته من تركيا في مصرأو كريت مثلا اماأن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضي سنن الله في الاجتماع البشري أوحقاعرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامةالتي تعترف بهاالدول وتكفلها فان ادعى المدعي الشق الأول فاننا نمنع دعواه ونقول ان سنن الاجتماع لاتتبدل ولاتتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والاصلاح فى الارض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الامة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوربا فلاحق طبيعي هناك.

واما الحق العرفي فقد قلنا انه ليس حقا ذاتيا وانما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد اتفقت الدول الكافلة للقوانين العامة على ان لا تعامل دول المشرق بما تتعامل هي به وأن تفتات عليها بحكمة حتى لا يفضي الافتيات الى الحروب ، التي يخسر فيها الغالب والمغلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى. وذلك أن دول أوربا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسلطان ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فان قيل ان أوربا تظلم فى البلاد التي تفتات فيها: قلنا نعم ولكن ظلمها دون ظلم حكام البلاد المفتات عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لايعلمون

ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم بسنن الكون وسنن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق وأما قوله:القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لاتغلب الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب حقا أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظانون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي بحيلهم وختلهم كثيرا مايؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر :ونقول ان هذا القول صحيح ولكنه لايفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكام فلا قانون ولا شريعة وانما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي لايغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم عادلا والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم المحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس ماقلناه فيها عند الكلام في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والعجز يخفيه:وقال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح وإنما الصحيح هو ماقاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله باحكم الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الانسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك انه خلقه وجعل له من الحواس مايدرك به مايحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضارّ عنها ومن العقل مايميز به بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها ومايحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلح فهو مجبول على أن يختار ماهو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لايكون الا بعلم والعلم لايكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضارّ سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردّ الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعاته يجنون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها و يوءيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطىء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد للفطرة وللعقل يحدد لهما الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارّة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهروا في معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصلح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع إيمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو مريد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن فى شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢ : ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وقوله ٣٩:٧١ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد الخ وقوله ١٣ : ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جُفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال» و بالآيات التي افتتحنا بها هذا المقال · وبمثل قوله ١١ : ٤٩ ان العاقبة للمتقين » وقوله في السحر الذي هو باطل لاحقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته» وقوله بعد ارشاد للأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ماخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفاق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا مايعرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلته عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني انه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل و يصفعه فرأى الباطل ان لاطاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكيدوا للحق كيدا فجاءوه يلقون اليه السلم و يدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهيلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيبطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوته العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالهم عليها خوفا منه والباطل يسرح و يمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينهما ولكن الحق ماعتم أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المتثاقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره ·

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود و يثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق و يقاومه به وأن ذلك لا يدوم · فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الارض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافنة للحق

دائسة له فيكون باطل الحكومة غالبا لباطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل الحكومة الظالمة فجندله وربما جندلها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادلة أوظالمة تفتك بها وتقاص ظالمها ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا يثبت أن الدين في جملته حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون فيها قاعدة الأصلح والانفع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين (أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب موافقة للفطرة في تقويم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنن الاجتماع وقواعد العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الأمة مؤثرة في قلوبها ، وآدابه حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد والعمل ولاهله الغلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي القوانين والمواضعات العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرها وحفظ حقوقها كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أوجنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤ وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم — الى قوله — ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الارض

ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور * ومثل قوله ١٣٥:٤ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا * وقوله ٥ : ٨ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ،ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائما وهو العدل وبالشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غني ولا رحمة فقير مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الارض واهلاك الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون الى الاسلام وان لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يجيز هذا الكتاب الحكيم لمدعي الانتماء اليه بالقول دون العمل اذا رأى استيلاء الاوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكامهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الاوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين، ؟ كلا انه لا يجيز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك اذا كانوا مصلحين في الارض بالعدل وسائرين على سنن الله فى العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة مهما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير.
وأعظم عبرة للمسلم انكسار الصحابة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ٣: ١٦٥ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا قل هو من عند أنفسكم» فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتي يرجع وما أسرع رجوع المؤمن الى الحق اذا زل عنه

لهذا أقول ان الوصول الى حق اليقين في التوحيد ينافي الاصرار على الظلم ، والتمادي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الاسلام الاعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سياجا للايمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتناء ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا فى الدلالة على أن الموقن بعقله المذعن بقلبه لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواه ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وانما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرّف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ٣ : ١٧٥ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكرسنته في الايام يداولها بين الناس ٣: ٩٠ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين* فهل تنطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى أن يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لأشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هؤلاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأييده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ماعاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام دينا من العمل بكتابه والاهتداء بسننه في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الامر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بعدله وسلط عليهم من هم أقرب الى الاخذ بسننه منهم كما توعدهم بقوله ٨ : ٤٦ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبكار المسائل التي لم يفترعها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الازمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم، والآيات المبينة لسننه في الأمم المستحقة للإهلاك والاذلال، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آنا بعد آن بروءية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقي البشر

في أنفسهم كما قال ٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢ : ٣٠ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود اليهم، إن الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠ : ٧٨ فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦ : ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يُهلك الا القوم الفاسقون * ٦ : ٤٧ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون، ٧ : ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» * ولا تغتروا بدينكم الذي اليه تنتسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩ : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٤٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعتبرون، ٢١ : ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون * ١٤ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين * ١٥ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين * ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

آثار علمية أدبية

﴿ أجابة سؤل ﴾

﴿ أو نقد شرح ديوان أبي تمام ﴾

لاديب متنكر ، تأخرت عدة أشهر

للنقد على العلم فضل يذكر ، ومنة لاتنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنمّيه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، واذا أبيح النقد في أمة واستحبّه ابناؤها ، وعُرِضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائداً لها الى بحابح المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد ومايعود عليهم من ثمراته الشهية فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها و بيان صحيحها من فاسدها وبالامس اطلعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثاً في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين باللغة نقد ما علّقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعه، واستدللت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة، وها أناذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الاشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتبين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناه ،اوحمله على غير ماأراده قائله منه، قال:

(ص٢) قد كان خطب عاثر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العاثر الساقط والاقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعاًلك أي انتعاشا ونهوضاً . قال في الاساس ومن المجاز عثر فى كلامه وعثر الزمان به وجدّ عثور اه وعثارزمان المرء وعثار جَدّه

* نودع عبارة الشارح المنتقدة بين قوسين ونضع إزاء كل بيتٍ عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحوّل حاله ومفاجأة النوائب له. وحقيقة الإقالة فسخ البيع وابطاله قال في الاساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه. ومجاز الاقالة يستعمل مع مجاز العثار. فقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سيّ‌ء يقال خطب عاثر أي سيّ‌ء فظيع منكر. ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطاله وفلّ غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وانما المراد مجازه كما ان المراد بالاقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالاخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشّطه والشاعر يرمي الى غير هذا. وقد فسر الشارح الاقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت.

(ص٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتعوا فنا خالد من غير درب لكم درب

(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حواليها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا. والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص٥٩) نسائلها أيّ المواطن حلت وأيّ بلاد أوطنتها وأيّت

(أيّت أقامت) أيت تأنيث أيّ الاستفهامية كأنه يقول وأيّة بقعة تبوأتها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * بايّ كتاب ام بأيّة سنة * وورود تأيّا بمعنى توقف وتمكث لا يجيز لنا استعمال أيَّ بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وانما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مربوطة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص٦١) واحيا سبيل العدل بعد دثوره وأنهج سبل الجود حين تعفت

(أنهج قوَّم) أنهج السبيل أوضحها واظهرها بعد عفائها واضمحلالها. وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص٦١) به انكشفت عنا الغيابة وانفرت جلابيب جور عمّنا واضمحلت

(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعته وانفرى الاديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلابيب فسر بالانكشاف والانحسار مثلا · ومثله تفرّى الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أوانجاب الظل فسرا بانكشفت وتقلص مثلا ·

(ص٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا   منعت جفونك ان تذوق حثاثا

(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل أونحو نصفه اما الموهن فمعناه الثاني منهما · فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من الليل أونحو نصفه لا الضعف · والطارقات الملمات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني

(ص٦٦)   من كل رعبوبة تردّى   بثوب فينانها الأثيث

(فينانها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر و يطلق أيضاً على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيها له بأفنان الشجرة اذا التفت وتكاثفت فالفينان من الفنن وهو الغصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من شعرها الكثيف

(ص٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة   وفرقة تظلم الدنيا لنازحها

(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي الى مفعولين ثانيهما بحرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته عليه · فاشلى في البيت بمعنى أغرى ·

(ص١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة   تكاد تفهمها من حسنها البرد

(البرد المتبادر انه جمع بريد وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعربوا « بريده دم » وخففوها الى بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد وكانوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد بريدا ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت والحديث «اذا ابردتم الي بريدا

فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم» وسميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع» الابيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص١٠١) حلفت برب البيض تدمى متونها   ورب القنا المنآد والمتقصد

(المنآد المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأوّد وانآد انحنى وانعطف والمنآد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرماح التي يوشر الطعن بها فمنها ماتكسر ومنها مااعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص١٠١) اذا مادعوناه باجلح ايمن   دعاه ولم يظلم باجلح انكد

(اجلح شديد مقدام) يقولون يوم أجلح واصلع أي شديد وقالوا جلّح على الشيء من باب فرّح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افعل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس كالصلع أواخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك ببابك ان كانت جلحته مباركة علينا ودعوناه لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشؤومة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكد . ونسبة اليمن والنكد الى الصلعة معهود كنسبتهم الى الوجه والطلعة   (له بقية)

﴿ التقريظ ﴾

﴿ الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية ﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ماهو سلبي كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني من التعلق ماذكروا حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال فى باب النبوات أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الانبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو انها جائزة عقلا اذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرة الله صالحة للتعلق بايجاده وقد أخبر الصادق ان ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه ايضاحا ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها الى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم و بدعوة يوشع بن نون عليه السلام. قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق :

أقول ان مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج وورد فى رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي فى الموضوعات وتعقبه في اللآلئ وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت؟ قال لا قال « اللهم ان كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس ليوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بصيغة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده فى الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات. فهو يقول

مادمنا نؤمن بقدرة الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفا لسننه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته فى بيان دفع مايرد على هذه الخارقة بعد التصريح بامكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التى تدور: لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذا بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة و يغرق أهلها: قلنا ان القادر على ايقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين أنه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأنا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التى ينشأ عنها اهتداء ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الايمان الذي يحييها الحياة الأبدية و ينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالايمان ممن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداه ويتصوربها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها و يليق بها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها . على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيأ يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه فى بعض الروايات التى نقلت تلك المعجزة مايفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أواعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الارض انه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطلب وقوف الارض أو عكس حركتها عوضا عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الامر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض أو غربت أو وصلت الارض لمقابلة نور الشمس أوفارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ماقررناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمنا بهذه المعجزة اذ لامانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام ، يهدي و يثبت بها الالوف من الانام » اه بحروفه

ولا يحسبن القارئ أن الاستاذ المؤلف يحكم بأن من أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحدا لتعبيره عن المعترض بلفظ الملحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أيّ حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثا ضعيفا أو منكرا باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحدا اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشيء ثبت عنه عنده ثم ينكره لعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الاحاديث لعلة في رواتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعلة من ذلك لا يعد ملحدا ولا مبتدعا ولا عاصيا ولا منحرفا عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجح عنده أن من جرح رواتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان ما ذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيده رواية

الحـديث فيها اذلم يرد أن كافرا آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برؤيتها . ولا شك أن هذه الخارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب العصا حيـة ونحو ذلك فلو تحدي بها لرجي أن يظهر ماقاله من الحكمة ولكن لم ينقل رواتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضع السـنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أوتحويلها أو ازالتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لاتتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لاتفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان، فى رواية مطعون فيهما من المحدثين، فهي لاتفيد الظن فضلا عن اليقين،

واننا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيـه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها فى باب السمعيات ـ وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولا مشهورا لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم ـ الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لاعلم لهم بحقائق الدين من انكار مالم يثبت باليقين الى انكار ماثبت به وصار معلوما من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لايحكم بكفره الا اذا جحد شيأ مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصنم اختيارا .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وثمن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة ـ أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفرنجيـة مشهورة معروفة المعنى وهو مايأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكلمة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهرية) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهرية وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٢٠ فرنكا في غيره. والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونعني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني. وثمن النسخة الواحدة منها ستة غروش. وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر.

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتبة العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه

(الطبيب المصري) قصة أدبية اخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي الهراوي من عمال نظارة المعارف ولم نتمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبدي فيها رأيا فاكتفينا بالتعريف اعترافا بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين. وثمن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتتحة برسم الاستاذ الإمام وبترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فنرجو لها العمر الطويل، ونثني على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشا في مصر و٢٥ فرنكا في غيرها

(الاخاء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في مصر و٢٥ فرنكا في خارجها فنتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد على بك نصوحي الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فنتمنى لها الرواج ونرجو لها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالمدافعة عن الاوقاف فنتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

باب الأخبار والآراء

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأثير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضافت وكتب الينا بعض أهل الغيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسعاد الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب الينا به بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجابان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحببنا أن نكاتبه ونمن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما ترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجعوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فعسى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالما بخمسة آلاف روبية ليذهب الى جابان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرتها ولكننا لا نوافقكم في أن سروات مصر لا يكتتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتتبون سنويا لعيد الجلوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلا عن أن يثيب على ذلك فمن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا نزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الغيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابة بعض عبارات في مجلة شوكيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلآخر شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تعجبنا من ذلك لعلمنا بعدم وجود هكذا شخص بالصين أهلا لذلك ونأسف كما يأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس اليه

« ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كا ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطب بهذا المعنى والآن نجهل محل اقامته كما نجهل (ادريسه) الا أنه يمكن يحرر له بالاسم المشروح أعلاه بالانكليزي الى يوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحرر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليكم الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائهين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أسماءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط .... على مذهب الشافعي .. وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا ننكر وجود جملة إسلام يعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العالية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكر ربنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب .. » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهر انه يريد بالجبان اليابان وبالأدريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الغراء ماترجمته :

حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة نجاساكي اليابانية في ١١ دسمبرسنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد الاسلامي ونبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين اللادي مس رنيدلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة اياها أحسن تقريظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح ومسرة عن التوحيد والنبوّة و بعدعشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اه

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيني هو الجرائد العثمانية ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي للاسلام هنالك صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هنديا لان أهل الهند أعلم بها من أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلنا نجد فيها ما يطمئن له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في أن هذا العمل الجليل لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت أشعة عقله وفهمه، فلابد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان المصريين وحدهم يضطلعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس الجد على الهزل ولا أزيد على هذا شيئا في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في المصريين لأملاً ما ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل الاقطار عليه . ويرجي بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب الهمم العالية والغيرة الصادقة ان تصير الثقة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهؤلاء قد فسدت فطرتهم فلا رجاء فيهم ، ومنهم من لا هم له الا الاسراف والتبذير فى سبل الشهوات واللذت والفخفخة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبيد الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته، وتحسن خاتمته، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفريقا أو يوقف وقفا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضارّ والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وانما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع فى الاعمال العظيمة فقليل، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل،

(منار السنة التاسعة ـ تنبيهات)

(١) اننا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات فى أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جمها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءتها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعدّ المصحف المطبوع فى الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع مايذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذى طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجعله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عد مشتركا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شذ فأخلف ظننا نحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا الينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركي سنغافوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الروبيات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق

(٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين فى القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان فى عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك. وقد حظرنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئا من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبو خطيوه) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يحر جوابا ولعل له عذراً يظهر عن قريب . فنرجو من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبذا من المباحث الادبية منظومها ومنثورها ونذكر في الجزء الآتي كلاما في المغرب الاقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

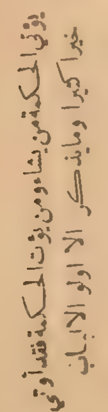
عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة فى ردع الناس عن الشر وتوجيههم الى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم ان هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لا لتربية العامة . فمن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناع والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذّ وان اكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرجى بها ان يكونوا صناعا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسكون من أجور العمال شيئا بمثابة الرهن فمن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضا لصاحب المطبعة عما يخسره باهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تبلغ البلادة والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الايام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويعسر على أذكى الاذكياء وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضارّ به وهذا نافع له كأن أقحافهم المحيطة بأدمغتهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتئام . فتبا للمتفرنجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام ، وخزيت بهم الأنام ، — هذا وان تأخير هذا الجزء عن موعده كان لامتناع بعض العمال عن العمل أياما وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب





(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ – ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٥٤) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ، وَالْكَفِرُونَ هُمُ الظَّلِمُونَ *

بعد أن ذكرنا تعالى بالرسل وما كان من أقوامهم بعدهم من الاختلاف والاقتتال، عاد الى أمرنا بالانفاق بأسلوب آخر كما تقدم التنبيه في تفسير الآية السابقة. هنالك يقول « من ذا الذي يقرض الله » وقد نبهنا على ما في هذا الخطاب من اللطف والبلاغة. وأزيد هنا ان هذا اللطف انما يفعل فعله ويبلغ نهاية تأثيره فيمن بلغ في الإيمان الى عين اليقين، وعرج في الكمال الى منازل الصديقين، ولطف وجدانه وشعوره، وتألق ضياؤه ونوره، وما كل المؤمنين يدرجون في هذه المدارج، أو يرتقون على هذه المعارج، فالأكثرون منهم يفعل في نفوسهم الترهيب، ما لا يفعل الترغيب، فهم لا ينفقون في سبيل الله الا خوفا من عقابه، أو طمعا في ثوابه، وقد يعرض للضعفاء من هؤلاء الغرور بشفاعة تغني هنالك عن العمل، أو فدية تقي صاحبها عاقبة ما كان عليه من الزلل، فأمثال

هولاء يعالجون بقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ قرأ أبو عمر وابن كثير ويعقوب «لا بيع» وما عطف عليه بالفتح والباقون بالرفع

قالوا ان المراد بالانفاق هنا الانفاق الواجب لأن الكلام يتضمن الوعيد على الترك وهو لا يكون الا على ترك الواجب وقال بعضهم بل يشتمل المندوب · ومن الواجب على أغنياء المسلمين اذا وقع الفساد في الامة وتوقفت ازالته على المال ان يبذلوه لدفع المفاسد الفاشية والغوائل الغاشية وحفظ المصالح العامة · أقول وفي قوله تعالى « مما رزقناكم » إشعار بأنه لا يطلب منهم الا بعض ما جعلهم مستخلفين فيه من رزقه ونعمه عليهم فأين هذا من الطلب بصيغة الإقراض ؟ ·

كأنه يقول اننا ما رزقناكم الرزق الحسن واستخلفناكم فيه الا وقد نقلناه من أيدي قوم أساؤا التصرف فحبسوا المال وأمسكوه عن المصالح والمنافع التي يرتقي بها شأن البشر بالتعاون على البر والخير فلا تكونوا مثلهم فانهم ظلموا أنفسهم وقومهم ببخلهم فكانوا كافرين بنعم الله تعالى عليهم اذ لم يضعوها في مواضعها ولذلك ختم الآية بقوله ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ وسيأتي بيانه

أما البيع والخلة والشفاعة فللمفسرين في بيان المراد بنفيها طريقان أحدهما ان المراد بالبيع الكسب بأي نوع من أنواع المبادلة والمعاوضة والمراد بالخلة — وهي الصداقة والمحبة للقرابة وغيرها — لازمها وهو ما يكون وراءها من الكسب كالصلة والهدية والوصية والإرث ، وبالشفاعة وهي معروفة لازمها فى الكسب وهو ما يكون من اقطاعات الملوك والأمراء لبعض الناس وانما يكون غالبا بالتوسل اليهم والشفاعة عندهم فهذه الثلاث من طرائق جمع المال وسعة الرزق فى الدنيا فهو يقول يا أيها الذين آمنوا بادروا الى الانفاق في سبيل الله مما تناله أيديكم وأنتم متمكنون منه بتغاء مرضاة الله به قبل أن يأتي يوم الجزاء الذي لا تجدون فيه ما تتقربون به اليه مما يكسب ببيع وتجارة ، ولا مما ينال بخلة أو شفاعة ، فانه هو اليوم الذي يظهر فيه فقر العباد وكون الملك لله الواحد القهار ،

وأما الطريق الثاني فقد فسروا فيه البيع بالافتداء وجعلوا فيه الخلة والشفاعة على

ظاهرهما أي أنفقوا فان الانفاق في سبيل الخير والبر — وهي سبيل الله — هو الذي ينجيكم في ذلك اليوم الذي لا ينجي الأشحة الباخلين فيه من عذاب الله تعالى فداء فيفتدوا منه أنفسهم ولا خلة يحمل فيها خليل شيئا من أوزار خليله أو يهبه شيئا من حسناته ولا شفاعة يؤثر بها الشفيع في ارادة الله تعالى فيحولها عن مجازاة الكافر بالنعمة الباخل بالصدقة المستحق للمقت والعقوبة بتدنيس نفسه وتدسيتها في الدنيا . وهذا هو الوجه الذي اختاره الاستاذ الإمام فالآية بمعنى قوله تعالى في هذه السورة (٤٨ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون *) فقوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى نفي الخلة هنا والعدل هو الفداء بالعوض وهو بمعنى البيع المنفي هنا . ومثلها آية ١٢٣ . والخطاب في تينك الآيتين لبني اسرائيل الذين كانوا في عصر التنزيل يقيسون أمور الدنيا على أمور الآخرة كما هو شأن الوثنيين فيظنون ان الانسان يمكن أن ينجو في الآخرة بفداء يفتدي به أو شفاعة تناله من سلفه النبيين والربانيين ، كدأب الأمراء والسلاطين ، وان كان في هذه الحياة فاسقاً ظالماً فاسد الأخلاق مناعا للخير معتدياً أثيما . وقصارى هذا الاعتقاد أن سعادة الآخرة هي كالمعروف للعامة من سعادة الدنيا ليست جزاء للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الصحيحة أي ليست أثراً لشيء في نفس الإنسان وانما الغالب فيها أن تكون بإسعاد غيره له وخير ضروب هذا الإسعاد وأعلاها ما يكون بالشفاعة عند الأمراء والسلاطين الذين يجعلون المرء من أعظم أرباب المال والجاه بكلمة يحملهم عليها الشافع . فمن كان يطلب في الآخرة منتهى السعادة فعليه ان يعتمد على أحد المقربين عند الله ليشفع له هناك ولا يكلفن نفسه عناء التهذيب وأعمال البر ، وقد بين الله تعالى لبني اسرائيل خطأهم في هذا الاعتقاد بما فيه عبرة لهذه الأمة ثم خاطب المؤمنين بذلك وأنذرهم ما أنذر به بني اسرائيل ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم يحرفون الكلام عن مواضعه كما فعل بعض المفسرين الذين زعموا أن قوله تعالى «والكافرون هم الظالمون» يدل على أن الكافرين بأصل الدين هم الذين لا ينفعهم يوم القيامة بيع ولا خلة ولا شفاعة . أي هذا النفي العام المستغرق لمنفعة الفداء والخلة

والشفاعة خاص بمن لا يسمي نفسه مسلما، وأما من قبل هذا الاسم فان الآية لا تتناولهم وان كان الخطاب فيها للذين آمنوا . وستعلم أن لفظ الكافرين لا يراد به هنا منكرو الالوهية والنبوة أو رافضو لقب الإسلام ، لان هذا اصطلاح لم يلتزمه القرآن ،

سبق القول في الشفاعة والجزاء والفداء في تفسير آية « واتقوا يوما » التي استشهدنا بها آنفا فلا نعيده . ولكن بدا لي أن اكتب جملة وجيزة في مسألة قياس عالم الغيب على عالم الشهادة، في التماس السعادة بالإسعاد والشفاعة ، فأقول تقدم ان القياس باطل على تقدير صدق ظنهم في سعادة الدنيا لأن الشفاعة المعروفة عند الملوك والحكام – وهي أكبر الشبهات في هذا المقام – مما يستحيل على الله عز وجل لأن الشفيع هنا يحدث في ذهن المشفوع عنده من الرأي والعلم بالمصلحة وفي قلبه من الميل والأثر مالم يكن فيهما فيعفو ويصفح ، أويهب ويمنح، إما بهذه العاطفة، وإما بتلك المعرفة، لأن عمل الانسان في الدنيا يصدر عن أحد هذين المصدرين في النفس أوكليهما . وأما أفعال الله تعالى فهي تابعة لعلمه وحكمته وسائر صفاته القديمة التي يستحيل ان يطرأ عليها تغيير ما . وهذه هي الشفاعة التي يتعلق بها السفهاء المغرورون وقد نفاها الله تعالى في هذه الآية وغيرها من الآيات وبين فيها وفي آيات أخرى كثيرة جدا أن سعادة الآخرة انما تنال بالاعمال الصالحة مع الايمان الصحيح المؤثر في الوجدان، المصرف للارادة في الأعمال ،

وانما الذي أريد ان أقوله هنا هو ان السعادة الدنيوية الحقيقية التي يعرفها الشرع، ويؤيده الاختبار والعقل ، هي في الأنفس لا في الآفاق . أعني أنها لا تنال باسعاد الاخلاء ، ولا بشفاعة الشفعاء ، انما العمدة فيها على اعتدال النفس في أخلاقها وأعمالها ، وصحة عقائدها ومعارفها ، ويتبع هذا في الغالب صحة الجسم، وسهولة طرق الرزق ، والسلامة من الخرافات والأوهام ، التي تفتك بالعقول والاجسام ، ويظهر صدق هذا القول ظهورا بينا تقل فيه الشبهات في البلاد التي تساس بالعدل ويكون الحكام فيها مقيدين بأحكام الشريعة التي تكفلها الامة وانما تعرض الشبهات على صدقه في البلاد التي يحكم فيها السلاطين بارادتهم وأهوائهم

فيعطون من مال الامة ما أرادوا لمن أرادوا ، ويسلبون من أموال الرعية ما أحبوا فينفقونه على من أحبوا ، ويحكمون من شايعهم على ظلمهم ، في أنفس الخاضعين لحكمهم ، ولا يشايعهم الا من كان فاسد الاخلاق سيء الاعمال يؤثر هواهم على رضوان الله — ان كان يفكر في رضوان الله أو يؤمن به — وعلى مصلحة الامة فما يتمتع به أعوان الظالمين من المال والجاه بالباطل وما يناله أشياعهم من منافع شفاعتهم كل ذلك في حكم الله وشرعه من الشقاء لا من السعادة . أفعلى حكم هؤلاء الظالمين، نقيس حكم رب العزة في يوم الدين ، ؟ أين نحن اذاً من قوله (٢١ : ٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين *) اذا خفي شقاء هؤلاء الملوك وأشياعهم على الجاهل في طور الإملاء والاستدراج فانه لا يخفى على أهل العلم بسنن الله في الخلق و يعرف ذلك كل أحد يوم يأخذهم الله بظلمهم ، و يسلط عليهم من يسلب ملكهم ،وتشقى بهم الأمة التي رضيت بأحكامهم . فهل يشبه الله تعالى بهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون *

أقول لا يبعد أن يكون في قوله تعالى بعد نفي الخلة والشفاعة «والكافرون هم الظالمون» تعريضا بهؤلاء الملوك الذين يمنحون بالشفاعة غير المستحق و يمنعون المستحق و يعاقبون بها البريء و يعفون عن المجرم ، والمراد بالكافرين الكافرون بالنعم بقرينة السياق وهم الذين لا ينفقون في سبل البر والخير وقد قصر الظلم عليهم كما أفادت الجملة المعرفة الطرفين تشنيعاً لحالهم كأن كل ظلم غير ظلمهم ضعيف لا يعتد به لانهم ظلموا أنفسهم ودنسوها برذيلة البخل ومنع الحق وظلموا الفقراء والمساكين وغيرهم من الأصناف الذين فرضت لهم الصدقة بمنعهم مما فرض الله لهم وظلموا الامة باهمال مصالحها المعبر عنها بسبيل الله . وإن أمة يؤدي أغنياؤها ما فرض الله عليهم لفقرائها ولمصالحها العامة لا تهلك ولا تخزى ولا شيء أسرع في إهلاك الأمة من فشوّ البخل ومنع الحق في أفرادها

وأقول ان هذا الكفر والظلم مما يتهاون فيه المسلمون في هذه الأزمنة وفي أزمنة قبلها لظنهم أن جميع ما في القرآن من وعيد الكافرين يراد به الكافرون

بالمعنى الخاص في اصطلاح المتكلمين والفقهاء وهم الجاحدون للألوهية أو للنبوة أو لشيء مما جاء به النبي (ص) وعلم من الدين بالضرورة اجماعا وهذه الآية نفسها تبطل ظنهم وفي معناها آيات كثيرة . ثم انهم يروون عن عطاء انه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون : يعني أنه لايكاد يسلم امرؤ من ظلم لنفسه ولغيره فلو كان كل ظالم كافرا يهلك الناس . وقد فات صاحب هذا القول أن الظلم والكفر في القرآن يتواردان على المعنى الواحد فيطلقان تارة على مايتعلق بالاعتقاد وتارة على مايتعلق بالعمل ومنه الحكم بين الناس و يقابل هذه الآية في الجمع بينهما في المعنى قوله تعالى (٦:٣٣ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون*) ومن استعمال الظلم بمعنى الاعتقاد الباطل قوله (تعالى ٣١ : ١٣ ان الشرك لظلم عظيم*) وقوله تعالى (٦:٨٢ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون*) فسر الظلم هنا في الحديث المرفوع المتفق عليه بالشرك وتلا صلى الله عليه وسلم الآية السابقة شاهدا . ومن استعمال الكفر بمعنى كفر النعم بعمل السوء قوله تعالى (١٤:٧ واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد*) بل استعمل الكفر في القرآن بمعنى لغوي غير مذموم وذلك قوله تعالى (٥٧:٢٠ كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الكفار هنا بمعنى الزراع سموا بذلك لأنهم يكفرون الحب بالتراب أي يغطونه و يسترونه والستر والتغطية هو المعنى العام لهذه المادة . ولم يستعمل الظلم في معنى محمود قط فالظلم في جملة معانيه شر من الكفر في جملة معانيه

ثم ان الله تعالى توعد على الظلم بالهلاك والعذاب كما توعد على الكفر سواء كانا بالمعنى الاول أو الثاني . قال تعالى (١٤:٢٧ ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ٢٩ جهنم يصلونها وبئس القرار ٣٠ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار *) الوعيد الاول على كفر النعمة بعمل السيئات وترك الاعمال النافعة الصالحة والوعيد الثاني على الشرك وكلاهما من وعيد الآخرة . وقال تعالى (١٦ : ١١٢ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ١١٣ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب

وهم ظالمون ١١٤ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وأشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون*) فالوعيد الاول دنيوي وهو على كفر النعمة. والثاني مثله وهو على الظلم فى الاعتقاد . والآية الثالثة صريحة في أن الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص يقتضي شكر النعم وحسن العمل . ومن الوعيد على الظلم بعذاب الآخرة قوله تعالى(١٩ : ٧٦ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً *) أي في النار . وقوله(٤٢ : ٤٥ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم *) وأما وعيد الظالمين بعذاب الدنيا كهلاك الامة فكثير كقوله تعالى (١١ : ١٠٢ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد *)

اذا تدبرت هذه الآيات وأمثالها علمت أن ما نقل عن عطاء لا وجه له وأن الظالمين والكافرين في كتاب تعالى وفي حكمه سواء وأن الكفر والظلم في العمل أثر الكفر والظلم في الاعتقاد الا ما لا يسلم منه البشر من اللمم فقد يلمّ بالمؤمن الذنب بجهالة أو نسيان أو غلبة انفعال ثم يعود عن قريب ولا يصرّ على الذنب وهو يعلم . وان ما نحن بصدده من الانفاق في سبيل الله ليس من اللمم فالمنع له لا يتفق مع الايمان الصحيح والدين الخالص من الشوائب . ويعجبني ما قاله البيضاوي في تفسير هذه الجملة قال «يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم اذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه. فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله (٩:٧ ومن كفر) مكان: ومن لم يحج : وايذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله (٤١: ٦ وويل للمشركين ٧ الذين لا يؤتون الزكاة) اه وقد صدق فى قوله ان منع الزكاة من صفات الكفار أي لا يصر عليها المؤمن فتكون صفة له

قال الاستاذ الامام ما معناه: لو فتشتم عن خفايا النفس لوجدتم أن العلة الصحيحة في منع الزكاة ونحوها من النفقات الواجبة هي أن حب المال أعلى في قلب المانع من حب الله تعالى وشأن المال أعظم في نفسه من حقوق الله عز وجل لان النفس تذعن دائما لما هو أرجح في شعورها نفعا ، وأعظم في وجدانها وقعا ، مهما تعارضت وجوه المنافع . ولو وزنتم جميع أنواع الظلم الذي يصدر من الانسان لوجدتم أرجحها ظلم الباخل بفضل ماله على ملهوف يغيثه ومضطر يكشف ضرورته أو على المصالح العامة التي

تقي أمته مصارع الهلكات ، أو ترفعها على غيرها درجات ، أو تسد الخروق التي حدثت في بناء الدين ، أو تزيل السدود والعقبات من طريق المسلمين، فان هذا النوع من الظلم هو الذي لا يعذر صاحبه بوجه من وجوه العذر التي يتعلل بها سواء من ظالمي أنفسهم أو التي قد تكون اعذارا طبيعية فيمن لم يؤخذ بأدب الدين كثورة الغضب وسورة الشهوة العارضة

(قال) ترى كثيرا من أغنياء المسلمين عارفين بما عليه أمتهم من الجهل بأمور الدين ومصالح الدنيا وفساد الاخلاق وتقطع الروابط وتراخي الأواخي وما نشأ عن ذلك من هضم حقوقها وانتزاع منافعها من أيدي أبنائها ويعلمون أن اصلاحهم يتوقف على بذل شيء من أموالهم ينفق على التربية والتعليم ونحوهما من المنافع العامة ثم هم يدعون الى بذل قليل من كثير ماخزنوه في صناديق الحديد وما ينفقونه في شهواتهم ولذاتهم وتأييد أهوائهم وحظوظهم فيبخلون بذلك ويرونه مغرما ثقيلا ولا يحفلون بوعد الله للمنفقين في سبيله ولا وعيده للباخلين بفضله .

وأمثال هؤلاء لا يستحقون ان يكونوا من المسلمين لانه لا يوجد في نفس الواحد منهم عرق ينبض في التألم لمصائب الاسلام وأهله فمن كان يرى ان ماله أفضل من دينه في الوجدان والعمل وهواه أرجح من رضوان الله فهو كافر حقيقة وان سمى نفسه مؤمنا فما ايمانه الا كايمان من نزل فيهم (٢:٨ ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين*) فهناك يحكي عنهم دعوى الايمان ويحكم عليهم بعدمه لأن عملهم لا يشهد لايمانهم وههنا يعبر عنهم بالكافرين . ومن المستبعد ان يطلق الله تعالى هذين الوصفين على من كان للايمان في قلبه بقية تبعثه على الانفاق في سبيله إيثارا لرضوانه وخشيته على الشهوات والحظوظ الباطلة وترجيحا لحبه على حب المال . وأزيد على هذه المعاني المتعلقة بجوهر الدين وما به النجاة في الآخرة التنبيه الى العبرة بشقاء الدنيا الذي يترتب على ترك الانفاق وأقول ماذا يبلغ وزن ايمان هؤلاء اذا وضع في ميزان القرآن وقوبل بمثل قوله في خطاب المؤمنين بعد الامتنان عليهم بأنه لم يسألهم انفاق جميع أموالهم منذراً اياهم بأن البخل قاض بإهلاكهم واستبدال قوم آخرين بهم (٤٧:٢٧ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في

سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لايكونوا أمثالكم

(٢٥٥) اللهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *

بعد أن أمرنا تعالى بالانفاق في سبيله قبل ان يأتي يوم لامال فيه ولا كسب، ولا ينجي من عقابه فيه شفاعة ولا فداء، انتقل كدأب القرآن الى تقرير أصول التوحيد والتنزيه التي تشعر متدبرها بعظيم سلطانه تعالي ووجوب الشكر له والاذعان لأمره والوقوف عند حدوده و بذل المال فى سبيله وتحول بينه و بين الغرور والاتكال على الشفاعات والمكفرات التي جرأت الناس على نبذ كتاب الله وراء ظهورهم فقال

﴿ الله لا آله الا هو الحي القيوم ﴾ فسر الجلال الآله بالمعبود بحق والحي بالدائم البقاء والقيوم بالمبالغ بالقيام بتدبير خلقه وقد استحسن الاستاذ الامام قوله في تفسير كلمة التوحيد وقال ان تفسيره لكلمة اله هو الشائع وهو انما يصح اذا حملنا العبادة على معناها الحقيقي وهو استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبي لاتحيط به علما، ولا تعرف له كنها ، فهذا هو معنى التأليه في نفسه وكل ماأله البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبي بالاستقلال أو بالتبع لآله آخر أقوى منه سلطانا، ومن ثم تعددت الآلهة المنتحلة وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية وان كان المعبود غير آله حقيقة أي ليس له هذا السلطان الذي اعتقده العابد له لا بالذات ولا بالتوسط الى ماهو أعظم منه . فالآله الحق هو الذي يعبد بحق وهو واحد والالهة التى تعبد بغير حق كثيرة جدا وهي غير آلهة في الحقيقة ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم . ذلك ان الانسان اذا رأى أوسمع أوتوهم ان شيئا غريبا

صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم تكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك . حتى ان الذين يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكاشي يعدون عابدين لهـا حقيقة . (١)
والحاصـل ان معنى «لا إلـه الا هو» ليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية على النفوس يبعثها على تعظيمه والخضوع له قهرا منها معتقدة ان بيده منح الخير ورفع الضر بتسخير الاسباب أو بابطال السنن الكونية الا الله تعالى وحده

قال الاستاذ الامام وأما الحي فهو ذو الحياة وهي مبدأ الشعور والادراك والحركة والنمو ومثل لذلك بالنبات والحيوان فان كلا منهما حي وان تفاوتت الحياة فيهما فكانت في النبات أكمل منها في الحيوان . قال والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه لأنه محال عليه ولذلك فسر مفسرنا «الحيّ» بالدائم البقاء وهو بعيد جدا لا يفهم من اللفظ مطلقا وانما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة: أي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة . وهذا الوصف يبطل قول الماديين الذين يزعمون ان مبدأ الكون علة تتحرك بطبعها ولا شعور لها بنفسها ولا بحركتها وما ينشأ عنها من الافعال والآثار. أي ان هذا النظام والإحكام في الخلق من آثار المادة الميتة التي لا شعور لها ولا علم

اختصر الاستاذ الامام في الدرس فلم يزد في الدرس على نحو ما ذكرنا في حياة الله تعالى شيئا والمتكلمون يستدلون على حياة الله تعالى بالعقل من وجهين أحدهما انه تعالى عليم مريد قدير وهذه الصفات لا تعقل الا للحي وفيه أنه من قياس الغائب على الشاهد كما يقولون أو من قياس الواجب على الممكن . وثانيهما أن الحياة كمال وجودي وكل كمال لا يستلزم نقصا يستحيل على الواجب فهو واجب له . وهذا ماقدمه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد وقد قدم له مقدمـة نفيسة في صفات الواجب قال رحمه الله تعالى :

---

(١) شجرة الحنفي شجرة عند جامع السلطان الحنفي المعروف بمصر تزار وتلتمس منها المنافع ودفع المضار. ونعل الكاشي نعل قديمة في تكية الشيخ الكاشي بمصر يتبرك بها ويقال ان الماء الذي يشرب عنها ينفع للتداوي من العشق

« معنى الوجود وان كان بديهيا عند العقل ولكنه يتمثل له بالظهور ثم الثبات والاستقرار وكمال الوجود وقوته بكمال هذا المعنى وقوته بالبداهة

« كل مرتبة من مراتب الوجود تستتبع بالضرورة من الصفات الوجودية ما هو كمال لتلك المرتبـة في المعنى السابق ذكره والا كان الوجود لمرتبة سواها وقد فرض لها . ما يتجلى للنفس من مُثُل الوجود لا ينحصر وأكمل مثال في أي مرتبة ما كان مقرونا بالنظام والكون على وجه ليس فيه خلل ولا تشويش فان كان ذلك النظام بحيث يستتبع وجودا مستمرا وان في النوع كان أدلّ على كمال المعنى الوجودي في صاحب المثال

« فان تجلت للنفس مرتبة من مراتب الوجود على ان تكون مصدراً لكل نظام كان ذلك عنوانا على انها أكمل المراتب وأعلاها وأرفعها وأقواها

«وجود الواجب هو مصدر كل وجود ممكن كما قلنا وظهر بالبرهان القاطع فهو بحكم ذلك أقوى الوجودات وأعلاها فهو يستتبع من الصفات الوجودية ما يلائم تلك المرتبة العلية وكل ما تصوره العقل كمالا في الوجود من حيث ما يحيط به من معنى الثبات والاستقرار والظهور وأمكن ان يكون له وجب ان يثبت له وكونه مصدرا للنظام وتصريف الأعمال على وجه لا اضطراب فيه يعدّ من كمال الوجود كما ذكرنا فيجب ان يكون ذلك ثابتا له فالوجود الواجب يستتبع من الصفات الوجودية التي تقتضيها هذه المرتبة ما يمكن أن يكون له

«فما يجب ان يكون له صفة الحياة وهي صفة تستتبع العلم والارادة وذلك ان الحياة مما يعتبر كمالا للوجود بداهة فان الحياة مع ما يتبعها مصدر النظام وناموس الحكمة وهي في أي مراتبها مبدأ الظهور والاستقرار في تلك المرتبـة فهي كمال وجوديّ ويمكن ان يتصف بها الواجب وكل كمال وجودي يمكن ان يتصف به وجب ان يثبت له فواجب الوجود حيّ وان بايَنَتْ حياته حياة الممكنات فان ما هو كمال للوجود انما هو مبدأ العلم والارادة ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو أكمل منه وجودا وقد تقدم انه أعلى الوجودات وأكملها فيه

« والواجب هو واهب الوجود وما يتبعه فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها؟

فالحياة له كما أنه مصدرها » اه

أقول وهذا تحقيق دقيق لاتجد مثله لغيرهذا الامام العارف والحكيم المحقق ولا يعقله الا أولو الالباب وقد كنت كتبت في كتاب العقائد الذي ألفته باقتراحه رحمه الله تعالى على وجه يليق بمعارف هـذا العصر ويفيد طلاب علومه كلاما في حياة الله تعالى قريبا من الافهام واطلع عليه فاعجبه وإنني أحب ايراده هنا لأنني لم أر فى كتب التفسير ولا في كتب الكلام كلاما ممتعا في هذا المقام. وهو وارد بأسلوب السؤال من تلميذ مبتدىء في المدارس والجواب من أخيه وهو عالم عصري طبيب نعبر عنه بالشاب ومن أبيه وهو عالم صوفي نعبر عنه بالشيخ وهذا نصه باختصارما

قال التلميذ : تنبت الشجرة صغيرة ثم تنمو حتى تكون في زمن قريب أضعاف ماكانت فمن أين تجيء هذه الزيادة وكيف تدخل فى بنيتها وتتفرق فتأخذ الساق منها حظا والفروع حظا وكذلك الورق والثمر

الشاب : ان هـذه الزيادة التي تدخـل في بنية النبات بعضها من الارض وبعضها من الهواء . والنبات جسم حيّ فهو بصفة الحياة يأخذ من عناصر الأرض والهواء ما يصلح لغذائه فيتغذى به كما يتغذى الحيوان بما يأكله ويشربه وينمو بذلك كما ينمو الحيوان

التلميذ : اننا لانرى في الأرض ولا في الهواء شيئا من مادة النبات ولا من صفاته كاللون والطعم والرائحة

الشاب: انه يأخذ منها العناصر البسيطة فيأخذ من الهواء الاكسجين والنيتروجين (الازوت) وكذلك الكربون وبعض الاملاح التي توجـد في الهواء عادة وان لم تكن جزءا منه . ويأخذ من الأرض مايناسبه من عناصرها الكثيرة كالبوتاسا والفصفور والحـديد والجير والاملاح ويكوّن مما يأخذه من ذلك غـذاءه بعمل كيماوي منتظم يعجز عن مثله أعلم علماء الكيمياء . وقد علمت أن جميع هذه الصور المختلفة الاشكال والصفات انما اختلف بعضها عن بعض باختـلاف التركيب الكيماوي وعمل الطبيعية حتى ان مادّة السكر هي عين المادة التي يتكون منها الحنظل،

والماس والفحم الحجري من عنصر واحد

الشيخ : ان النبات لاحياة فيه ولو كان يعمل عمله الذي ذكرت في معنى النمو وكيفيته بما تقتضيه صفة الحياة التي أثبتها له لكان عالما بعمله ومختارا فيه ولم يرد بهذا نقل، ولا أثبته عقل ، فنموّ النبات انما يكون بمحض قدرة الله تعالى

الشاب : لادليل على أن للنبات علما ولا على أنه لاعلم له فهو في عمله كأعضاء الانسان وغيره من الحيوان التي تعمل أعمالا منتظمة لاشعور للانسان بها ولا هي صادرة عن علمه وتدبيره كأعمال المعدة والكبد في هضم الطعام فليس عندنا دليل على أن للمعدة علما خاصا ولا على انه لاعلم لها ولكننا نعلم أنها عضو حي بحياة صاحبه فاذا أبين منه ثم وضع فيه الطعام فانه لايعمل ذلك العمل . وكون كل شيء بقدرة الله لايمنع أن يكون لكل شيء سبب فالله تعالى حكيم لايعمل شيئا الا بنظام (٦٧ : ٣ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت)

التلميذ : من أين تكون هذه الحياة النباتية للنبات والحياة الحيوانية للحيوان في هل المادة التى يتغذى بها النبات حية فيأخذ منها حياته ؟

الشاب : كلا إن مواد التغذية ليست حية بنفسها ألا ترى ان الانسان لايأكل شيئا من الحيوان الابعد إماتته بنحو الذبح والطبخ ولا يأكل نباتا الابعد ازالة حياته النباتية ولو بالقطع والمضغ فقط ؟ وكذلك النبات . ولكن في النواة التي تتولد منها الشجرة والبيضة التى يتولد منها الحيوان حياة كامنة مستعدة للنموّ بالتغذية على ما نشاهد في الكون . وهذه الحياة مجهولة الكنه والمبدإ حتى اليوم وأمرها أخفى من أمر المادة في كنهها ومبدئها

الشيخ : اذا كنتم في علمكم هذا أرجعتم جميع العناصر التى تألفت منها مادة الكون الى شيء واحد عرف أثره ولم تعرف حقيقته - كما قلت في مبحث الوحدانية - فما بالكم تقفون في حياة بعض المواد كالنبات والحيوان وتقولون لانعرف مبدأ حياته وحقيقتها وتقفون عند هذا الحد ولا تقولون ان الذي صدرت عن ذاته جميع الذوات هو الحي القيوم الذي صدرت عن حياته كل حياة ؟

الشاب : لاشك ان الوجود الواجب القديم هو حي كما انه قيوم فاذا كان

معنى قيوميته انه قائم بنفسه وكل شيء قائم به فكذلك هو حيٌّ بذاته وكل ماعداه من الأحياء فهو حي به أي انه يستمد حياته منه لأن هذه الأحياء كلها من نبات وحيوان هي حادثةٌ والحادث هو ماكان وجوده من غيره لا من ذاته. فالحياة أمر وجودي بل هي أعلى مراتب الوجود فهل يقول عاقل : ان تلك الذات الأزلية قد صدرت عنها الاشياء كلها بلا حياة ثم ان بعضها أحدث لنفسه حياة ؟ هذه سخافة لاتخطر في بال عاقل فالإنسان أرقى الأحياء على هذه الأرض لأن من أثر حياته العلم بالكليات والإرادة والتدبير والنظام وهو عاجز عن هبة الحياة لنفسه ولغيره فغيره من الاحياء أحق بالعجز

التلميذ : اذا كانت الحياة التي أثرها العلم والارادة والتدبير والنظام هي أرقى مراتب الحياة وهي حياة الانسان ألا يلزم من ذلك مشابهة حياة الانسان لحياة الله تعالى لأن هذه الخصائص هي لحياة الله تعالى أيضاً

الشيخ : اعلم يابني أن ذات الله تعالى لاتشبه الذوات ، وصفاته لاتشبه الصفات ، فاذا طرأت عليك الشبهة في أثر الحياة فقط لأن حقيقتها مجهولة فتأمل الفرق بين الحياتين — ان حياة الله تعالى ذاتية وحياة الانسان من الله تعالى ، إن حياة الله تعالى أزلية وحياة الانسان حادثةٌ ، ان حياة الله تعالى لاتفارقه وحياة الانسان تفارقه حين يموت . ان حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حيٍّ وحياة الانسان خاصة به . وكذلك العلم والتدبير والارادة والنظام كل ذلك ناقص في الانسان والله تعالى منزه عن النقص واليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته : اه المراد نقله من تلك العقيدة

وهذا الذي قلناه في بيان معنى «الحي القيوم» يجلي لمن وعاه ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا هو اسم الله الاعظم أو قال: أعظم أسماء الله الحي القيوم وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (٢:١٦٣ وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم * وفاتحة آل عمران ٣:١ ألم الله لا إله الا هو الحي القيوم) فالآية الأولى تثبت له تعالى وحدانية الالوهية مع الرحمة الشاملة والثانية تثبت له مع الوحدانية

الحياة التي تشعر بكمال الوجود وكمال الايجاد بافاضة الحياة على الاحياء والقيومية وهي كونه قائما بنفسه أي ثابتا بذاته وكون غيره قائما به أي ثابتا وموجودا بإيجاده اياه وحفظه لوجوده بامداده بما يحفظ به الوجود من الاسباب . ومن معاني هذه القيومية القيام بالقسط كما قال تعالى (٣:١٨ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) والقسط هنا هو العدل العام في سننه الكونية وشرائعه . ومنها القيام على كل نفس بما كسبت كما قال (١٣:٣٣ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت).

وقد قصر المفسرون في بيان معنى (الحيّ) وقاربوا في معنى (القيوم) قال مجاهد هو القائم على كل شيء وقال الربيع هو قيّم كل شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه وقال قتادة القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم . وقال ابن الأعرابي من رواة اللغة معناه المدبر وقال الزجاج نحو قول قتادة . قال في شرح القاموس بعد نقل قول قتادة وقال غيره هو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده الا به . قلت ولذا قالوا فيه انه اسم الله الأعظم اه والمادة تعطي هذه المعاني كلها . والغزالي يبدئ هذا المعنى في الاحياء ويعيده لاسيما في كتاب الشكر وكتاب التوكل ومما قاله في الأول وقد قسم الناس الى أقسام في شهودهم نعم الله وشكره قال :

« النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به . ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجَد . وليس فى الموجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو ، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك فان . واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام» اه

﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السنة النعاس وهو فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

والنوم معروف لكل أحد وان اختلف تعريفه من جهة بيان سببه قال البيضاوي «والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا» وهو قول الاطباء المتقدمين وللمتأخرين أقوال أخرى مختلفة سنشير الى بعضها. قيل كان الظاهر ان ينفي النوم أولا والسنة بعده على طريق الترقي واجيب بأن ما في النظم جاء على حسب الترتيب الطبيعي في الوجود فنفى ما يعرض أولا ثم ما يتبعه. وقد قال: لا تأخذه: دون لا تعرض له أو لا تطرأ عليه مراعاة للواقع في الوجود فان السنة والنوم يأخذان الحيوان عن نفسه أخذا ويستوليان عليه استيلاء. وقال الاستاذ الامام: ان ماذكر في النظم الكريم ترق في نفي هذا النقص ومن قال بعدم الترقي فقد غفل عن معنى الاخذ وهو الغلب والاستيلاء ومن لا تغلبه السنة قد يغلبه النوم لأنه أقوى فذكر النوم بعد السنة ترق من نفي الاضعف الى نفي الاقوى: والجملة تأكيد لما قبلها مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه فان من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة وضعيف القيام بنفسه أو على غيره أقول ويظهر هذا على رأي المتأخرين في سبب أكمل الظهور وإن كان بديهيا في نفسه فانهم يقولون ان النوم عبارة عن بطلان عمل المخ بسبب ما تولده الحركة من السموم الغازية المؤثرة في العصب وقيل بسبب ما تفرزه الحويصلات العصبية من الماء الكثير بالفعل الكيماوي وقت العمل فكثرة هذا الماء تضعف قابلية التأثر فيها فتحدث فيها الفتور فيكون النوم ويستمر الى ان يتبخر ذلك الماء وعند ذلك تتنبه الاعصاب ويرجع اليها تأثرها وادراكها. فسبب النوم أمر جسماني محض والله تعالى منزه عن صفات الاجسام وعوارضها

﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ فهم ملكه وعبيده مقهورون لسنته خاضعون لمشيئته وهو وحده المصرف لشؤونهم والحافظ لوجودهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده ﴾ منهم فيحمله على ترك مقتضى ما مضت به سنته، وقضت به حكمته، وأوعدت به شريعته، من تعذيب من دسى نفسه بالعقائد الباطلة، ودنسها بالأخلاق السافلة،

وأفسد في الارض ، وأعرض عن السنة والفرض ، من ذا الذي يقدم على هذا من عبيده ﴿ الا بإذنه ﴾ والأمر كله له صورة وحقيقة . وليس هـذا الاستثناء نصا في ان الإذن سيقع وإنما هو كقوله (١١ : ١٠٥ يوم يأتي لا تَكَلَّم نفس الا باذنه) فهو تمثيل لانفراده بالسلطان والملك في ذلك اليوم (٨١ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) ولهذا قال البيضاوي في تفسير الجملة : « بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه ويستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا أو مناصبة » . وقال الاستاذ الامام ما محصله ان في هذا الاستثناء قطعا لأمل الشافعين والمتكلين على الشفاعة المعروفة التي كان يقول بها المشركون وأهل الكتاب عامة ببيان انفراده تعالى بالسلطان والملك وعدم جراءة أحد من عبيده على الشفاعة أو التكلم بدون اذنه وأذنه غير معروف لأحد من خلقه ثم قال

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس أو أمور الدنيا التي خلفوها وأمور الآخرة التي يستقبلونها أو ما يدركون وما يجهلون . وهذا دليل على نفي الشفاعة بالمعنى المعروف وبيان ذلك انه لما كان عالما بكل شيء فعله العباد في الماضي وما هو حاضر بين أيديهم وما يستقبلهم وكان ما يجازيهم به مبنيا على هـذا العلم كانت الشفاعة المعهودة مما يستحيل عليه تعالى لأنها لا تتحقق الا باعلام الشفيع المشفوع عنده من أمر المشفوع له وما يستحقه ما لم يكن يعلم . مثال ذلك اذا اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ينفي رجلا من المدينة ولا يمكن ان يريد ذلك وهو عادل الا اذا كان يعتقد المصلحة فيه بأن يكون الرجل مفسدا ضارًّا بالناس . فاذا شفع له شافع ولم يبين لعمر ما لم يكن يعلم من أن المصلحة في بقائه دون نفيه فانه لا يقبل شفاعته . هذا اذا كانت الشفاعة عند سلطان عادل كعمر واما اذا كانت عنـد سلطان جائر فيجوز ان تقبل ويترك نفي المفسد الضارّ بالناس لاجل مرضاة الشفيع كأن يكون من أعوان السلطان وبطانته الذين يؤثر مرضاتهم على المصلحة العامة لأنهم يؤثرون هواه على المصلحة الحقيقية . وفي هذه الحال يظن الغافل ان الشفاعة ليس فيها اعـلام المشفوع عنده بما لم يكن يعلم ولو

رجع نظر البصيرة لرأى ان الشفيع قد أعلم السلطان ان هذا الرجل الجاني ممن يلوذ به ويهمه شأنه ويرضيه بقاؤه ولم يكن يعلم ذلك . والشفاعة المعروفة التي يغتر بها الكافرون والفاسقون ويظنون أن الله تعالى يرجع عن تعذيب من استحق العذاب منهم لأجل أشخاص ينتظرون شفاعتهم هي مما يستحيل على الله تعالى لأنها وهي من شأن أهل الظلم والبغي تستلزم الجهل وهو ذو العلم المحيط ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ﴾ ومن علم شيئا منك فلا سبيل له الى التصدي لإعلامك به فما ذا عسى ان يقول من يريد الشفاعة عنده بالمعنى الذي يعهده الناس ويغتر به الحمقى الذين يرجون النجاة بها في الآخرة بدون مرضاة الله تعالى في الدنيا . قال الاستاذ الامام معناه ان الشفاعة تتوقف على اذنه واذنه لا يعلم الا بوحي منه تعالى يريد ان ذلك ترقٍّ في نفيها من دليل الى آخر أي اذا أمكن ان تكون هناك شفاعة بمعنى آخر يليق بجلال الله تعالى كالدعاء المحض فانه لا يجرأ عليها أحد في ذلك اليوم العصيب الا باذن الله تعالى واذنه تعالى مما استأثر بعلمه فلا يعلمه غيره الا اذا شاء إعلامه به ثم قال وانما يعرف اذنه تعالى بما حدده من الاحكام في كتابه أي فمن بين انه مستحق لعقابه فهو مستحق له لا يجرأ أحد ان يدعو له بالنجاة ومن بين أنه مستحق لرضوانه على هفوات ألمَّ بها لم تحوّل وجهه عن الله تعالى الى الباطل والفساد الذي يطبع على الروح فتسترسل في الخطايا حتى تحيط بها وتملك عليها أمرها فذلك مستحق له منته اليه بوعد الله في كتابه وفضله على عباده كما سبق في علمه الأزلي

ثم قال الاستاذ الامام قالوا ان للاستثناء في قوله تعالى « الا باذنه » واقعا وهو ان نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصل القضاء فيفتح باب الشفاعة فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والأصفياء كما ثبت في الأحاديث وهي مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة . والله تعالى يأذن لمن يشاء ، ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما علم من الاستثناء ، ونقول أجمع كل من أهل السنة والمعتزلة وسائر فرق المسلمين على كمال علم الله تعالى واحاطته وذلك يستلزم استحالة الشفاعة عنده بالمعنى المعهود كما سبق القول وقلنا هناك ان مثل هذا الاستثناء ورد في القرآن لتأكيد النفي وبذلك نجمع بين الآيات التي تنفي الشفاعة بدون الاستثناء وبين

هـذه وقلنا ان ماورد فى الحديث يأتي فيـه الخلاف بين السلف والخلف فى المتشابهات فنفوض معـنى ذلك اليه تعالى أو نحمله على الدعاء الذي يفعل الله تعالى عقبه ماسبق فى علمه الازلي ان سيفعله مع القطع بان الشافع لم يغير شيئا من علمه ولم يحـدث تأثيرا ما في إرادته تعالى وبذلك تظهر كرامة الله لعبده بما أوقع الفعل عقب دعائه أقول وبهـذا فسر الشـفاعة شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) (وراجع تفسير آية ٤٨ واتقوا يوما الخ)

﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ قال الاستاذ الامام السياق يدل على أن الكرسي هو العـلم الإلهي وبذلك قال بعض المفسرين وأهل اللغة — ويقال كرس الرجل كفرح أي كثر علمه وازدحم على قلبه — أي ان علمه تعالى محيط بما يعملون مما عبر عنه بقوله « يعـلم ما بين أيديهم وماخلفهـم » وبما لا يعلمون من شؤون سائر الكائنات فبماذا يمكن ان يعلمه الشفعاء . وقيل هو العرش واختاره مفسرنا (الجلال) وهو انمـا يثبت بخبر المعصوم وقيـل انه تمثيل لملك الله تعالى واختاره القفال والزمخشري والآية تدل على انه شيء يضبط السماوات والأرض ولا يتوقف التسليم بها على تعيينه والقول بأنه عـلم أو ملك أو جسم كثيف أو لطيف أي فان كان هو العلم الالهي فالأمر ظاهر وان كان خلقا آخر فهو من عالم الغيب الذي نؤمن به ولا نبحث عن حقيقته ولا نتكلم فيـه بالرأي كما قال كثيرون انه هـو الفلك الثامن المكوكب من الافلاك التسعة التي كان يقول بها فلاسفة اليونان ومقلدوهم فذلك من القول على الله بدون علم وهو من أمهات الكبائر

﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ أي لا يثقله حفظ هـذه العوالم بما فيها ولا يشق عليـه ﴿ وهو العليّ العظيم ﴾ فيتعالى بذاته ان يكون شأنه كشأن البشر في حفظ أموالهم، ويتنزه بعظمته عن الاحتياج الى من يعلمه بحقيقة أحوالهـم ، أو يستنزله الى مالم يكن يريد من مجازاتهم على أعمالهم، وأقول ان جملة الآية تملأ القلب بعظمة الله وجلاله وكماله حتى لا يبقى فيـه موضع للغرور بالشفعاء الذين يعظمهم المغرورون تعظيما خياليا غير معقول حتى ينسون انهـم بالنسبة الى الله تعالى عبيد مربوبون ، أو عباد مكرمون ، (٢١ : ٢٧ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٢٨ يعلم ما بين

أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون *) فمن تدبر هـذه الآيات وأمثالها مما ورد في علم الله وعظمته وانفراده بالسلطة لاسيما في ذلك اليوم وهو يوم الدين فان عظمته تعالى لاتدع في نفسه غرورا بل يوقن بان لاسبيل الى السعادة في الآخرة الا بمرضاة الله تعالى في الدنيا فمن لم يكن مرضيا لله تعالى لا يتجرأ أحد على الشفاعة له كما تلوت في الآية الكريمة آنفا. واتل أيضا قوله تعالى عن ذلك اليوم (٢٠ : ١٠٨ يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ١٠٩ يومئذ لاتنفع الشفاعـة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ١١٠ ! يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون به علما ١١١ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ١١٢ ومن يعمل من الصالحات وهو موءمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ١١٣ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهـم يتقون أو يحدث لهم ذكرا *) وأنك لتجد المسلمين يترنمون بهذه الآيات وقلما تحدث لأحد منهم ذكرا يصرفه عن حمل الظلم لنفسه ولغيره والاعتماد في النجاة على وعد الله لمن يعمل الصالحات وهو موءمن بل ترى الجماهير يعرضون عن هـذا الذكر ويرجون النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة بالشفاعات فقط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لاتجري على اليبس

قال الاستاذ الامام مامثاله مبسوطا: جملة الآية ومافي معناها إنذار للمسلمين ان يكونوا كأهل الكتاب الذين يتكلون في نجاتهم على شفاعة سلفهم فأوقعهم ذلك في ترك المبالاة بالدين ولكن المسلمين اتبعوا بعد ذلك سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وسبقوهم في الاتكال على الشفاعة وما يترتب عليـه من التهاون بالدين كما نرى . — هذه القلوب التي خويت من ذكر الله وخلت من خشيته للجهل بما يجب من معرفته وهي على خطر الهلاك الأبدي - وهـذه النفوس المنغمسة في أقذار الشهوات ، المسترسلة في فعل المنكرات ، وهي تشعر بأنها على شفير جهنم — تريد ان تتلهى بما يصمها عن سماع نذير الشريعـة للفطرة التي أفسدتها الجهالات والأهواء لكيلا تتألم بما ينغص عليها لذاتها، أو يحتم عليها طاعة ربها ، فلا ترى أُلهية

تضيفها الى الدين، و يرتضيه لها رؤساؤه الرسميين ، الا كلمة الشفاعة التي تزعم انها تعظم بها النبيين والصديقين ، وان جعلتها بمعنى وثني يخلّ بعظمة رب العالمين ، وكل من اغترّ بذلك فشيطانه هو الذي يوسوس له ويمدّه في الغي ، وانها لنفوس ما عرفت عظمة الله ولا شعرت بالحياء منه في حياتها ولاظهر في أعمالها أثر محبته، ولا احترام دينه وشريعته ، وما أثر الايمان به والحب له والرجاء بفضله الا أخذ دينه بقوة وجد وآيته بذل المال والروح في إعلاء كلمته ، وتأييد شريعته ، لا الامتنان عليه وعلى رسوله بقبول لقب الاسلام، وتعظيمه بالقول والخيال ، دون القلوب والأعمال، والقرآن شاهد عدل،(٨٦: ٣ انه لقول فصل ١٤ وما هو بالهزل)

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الافراط والتفريط ما نصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاه، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لاخالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع و يقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها و يقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل و يقول الاشعري ان الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لاأثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لاتأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لايكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلافرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لافي أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكي عنه انه كان يخرج الى الجذمى ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس الامشيئة محضة لااختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلابد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلايتم أثره الامع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (١٨:٦٣ وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٤:٧٨ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم فى خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيأ من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذ كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في الجمادات (واخرجت الارض أثقالها) وقال (واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (تدمّر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح ـ وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ـ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد مانقل الخلاف ملخصا مانصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله من غير فرق بين مايتعلق قدرة العبد به و بين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي ما نصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري فى الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان إمام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس

على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في ان أفعال العباد واقعة على حسب ايثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله ان يفعل مايشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرائع ورد ماجاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها و يسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين ان يدعي الاستبداد و بين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا — ثم قال يعني امام الحرمين — فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيأ آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيأ اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا وفعلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يُرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا أنه عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما للرب في التدبير موقعا ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره؟.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المنقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجوداً أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الاشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الاشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الاشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الاشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ماتعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه ــ كماذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر ــ مايدل على انه أي الاشعري انما نفى الاستقلال لا أصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لاقدس ولاقدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه و بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد فى عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محققي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاغضاء عما ينمقه الخلف و بالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة لانسان فى عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لا به وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه فى الحقيقة

وتعزوا هذا الى الاشعري وكبار انصاره ليعلموا أن كلام الاشعري ليس نصا في ذلك وأن اكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والاسفرايني والغزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق الا الباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الاشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطبيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآن أن أعود اليه بايضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملا كما نعتقد وليعلم هؤلاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس إلا حصى لا تزحزح طودا من مكانه. ولولا غفلة المنتمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظنا منهم أنها تؤلمه.

القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالبا في العصر الأول ان صحت الروايات الآحادية الواردة في هذا الباب: والذين قالوا به منهم انما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ٢:١٠٥ «ما ننسخ من آية أو ننسها» لآية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة فى التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبيّ مثلا يقول اني لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكمًا بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي وانا لندع من قول أبيّ وذاك أن أبيا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى: « ماننسخ من آية أوننسها »:

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره. على أن المتمسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر ان شاء الله الآيات التي توهموا أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع مّا أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى. ولا يحل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك ينافي حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع. اننا لا ندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز مايجب العمل به ومايجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب مايرشدهم الى ذلك. وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون فى أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣:٥٢ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا). فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على مانسخ وعلى مالم ينسخ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الايات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات؟ ولِمَ يجز كون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها؟!

غلا الناس في هذه المسئلة غلوًّا حتى انهم أرادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تؤلف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) مانسخ لفظه وحكمه معا (٢) مانسخ لفظه فقط (٣) مانسخ حكمه فقط. ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقه عليها القرآن فيختلق ماشاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقاة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ماعرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ماتواتر ويرفضوا كل ماخالفه والا لفقدوا التميز ولما أمكنهم التصديق بشيء مما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له الثاني) الى آخره . ولو عقل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون» على أنها لاتخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الآحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمعوذتين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يعتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواه فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة فى صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وُلّي عثمان الخلافة أمر بالاقتصار على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحافظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف. هذا ومن عرف طباع العرب وشدتها تحقق أنه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ولقتل عثمان لهذا السبب ولوجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ماتلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديمها وحديثها شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهيمن على هذه المصاحف آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الازمنة . هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الاهواء ، وتعددت في شأنها الآراء ،

لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بمدة تكفي لضياعها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ماليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات ، ولكن

الاسلام – ولله الحمد – دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كاحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليتق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواة أحاديث جميع الاديان والملل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لانه ليس معصوما . فماهذا الجمود ياأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضربنا به .

ولنرجع الى تتميم موضوعنا فنقول أما ما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكر هنا أشهر الآيات التى تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي فى سورة التوبة ٩:٥ (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا انها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتي يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التى تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لايجدي مع العدو نفعا ولايزيده الاطغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويغتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهداولا يرقب فيهم إلاًّ ولاذمة . لماتحققواذلك وقووا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لافي كل وقت ولا الى غيرحد ويفضلان على الأخذ بالمثل الاإذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لاتعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثيرمن علماء المسلمين كالسيوطي وغيره .. هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنافنجرب أولا اللين فان لم ينجع فالشدة . الاإذاخفناأن يضيع اللين مركزناويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرافقال (ياأيها الذين امنوا خذواحذركم-وقال-وليأخذواحذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لوتغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولاخلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ماحصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألةالقبلة — لايخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ٥٣: ١٠ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليله المعراج ولاندري جميع ماأوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى مابلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضافقد يوحى اليه بشيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٤٨: ٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا إليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهى تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضاً في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية .
وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقا

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥ ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين *» قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ماهذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعد من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمتثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم امتثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا كالتعليل لعدم ايجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقتا الى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وان كان مثليكم مرتين ويعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وانما قدم الوعد الاخير على الأول لأنه أبلغ في الحض على القتال فأتى به بعد قوله (حرّض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة فى القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون *) والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤونهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ماسيأتي بعد ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذا لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣١ (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (٢:١٠٦ ماننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ماننسخ من اية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه. وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية

(السادسة) قوله تعالى (١٦ : ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملة دينه للخلق جميعاً. وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٥ : ٢٤ انا نزلنا التوراة — الى قوله — ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدلك على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٦ : ١١٤ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون *) الى أن قال (١٢٣ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : اننا اذا بدلنا آية في موضوع مَّا بآية أخرى عند تكرر هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا انما أنت مفتر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بارشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مّا في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نصّ على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فيا قوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه، . هداكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلوهم على القران وقد أطال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والغرض الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة ردّ هذه الشبهات على أنه يعتقد صحة ماذهب اليه مانعو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سننشره في جزء آخر وانه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك نقبل منهم مباحثهم واسئلتهم مع الاغتباط والسرور، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الامم وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ توالد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم

ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا ولهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحيّ مستعداً للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حيّ له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء و بالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقلّ في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم

ان لحياة الانسان الاجتماعيـة امراضا كما أن لحياته الشخصية أمراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا يبعث طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفعها من الحضيض الى القمة ،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعـة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كماليها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها فى الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهـم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها و يعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية . إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هـذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجـل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العـدل، ويعمر الأرض، ويؤمن الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساوله في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا

بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحيتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع مالم نر من قبل فان انكلترا وهي أعدل دول أوربا لاتساوي بين آحاد أبنائها و بين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلائل ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس وليّ عهدها في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستذلال المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر لاسلام

هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الاميّ أو شبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحمل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وآخى بين هذا القطر و بين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ الى قطر إسلامي كاليمن اليوم وكالسودان بالامس فيبغي في الارض ، ويجني على العَرَض والعِرْض ، فيترك الارض موظوبة ، والاموال مسلوبة ، والدماء مسفوكة، والاعراض مهتوكة ، حتى أنّت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين *) بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الامة بطابع القهر والعبودية حتى لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على رفع ضر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الامة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلّص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الامة وبهذا كان الانتقام عاما ولو كانت الامة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيدها وأخذ صولجان الحكم بيدها لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للامة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الامة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها بفقدهم الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى دفع العرض الطاريء قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحيّ أن ينفعل مزاجه بما يعرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع العرض باعانة ذلك العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والامة الحية كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضر أو يرهقه ظلم حتى تدفعه عنه أو تعجز فتكون من الهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد يغلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الإستبدايه ، وفرقوا بين المسلمين في الجنسية، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركي ، وفي اللغة، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي، ومغربي وحجازي، واذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضروبه شرا فاناذ كرلك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسمم جسم الامة الاسلامية بسم " الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع بمصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه حجرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أوما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وانما تلك أماكن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شورى بينهم لافي ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميها حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين ومابقي لهم فهو في طور النزع ولكن هذا العصر يمتاز على ماقبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنتين اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تنتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو ببعض المجال ، والا نفوه الى بلد قفر ، أو جزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجملة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحوّل السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عمّ الفساد كل عضو من أعضائها – ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة – فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجدّ في إبسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا إعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليائس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم اياهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منعها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهدايته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فان لهم سلطتين — القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام (٥:٤٤ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبعث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتربصون بباقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا ونراهم قد اكتسبوا حقاً جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يبقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب الجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالمة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني اسرائيل الا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فانهم يعرفون مايحتج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد - ان شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح مايجوز نشره منه، واننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى مايحييهم ويجعلهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة فى المذهب أو انتفى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيرا على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم مايكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعاة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك انما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس

بينا في مقالة الحياة الملية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

تعترض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سبقهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أممهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في ألواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وانما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة أساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها ، ومالي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين ، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعلامة

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ فى هـذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمـة والملة لا يرجى ان يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنيـة والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفـاق أو بترك معظم نشء الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن سيكون عليها أو على ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججا لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون فى اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسارين. يرى البصير فى مصر والهند نابتة على شيء من استقلال الفكر ويرى فى روسيا نابتة لم يعمل فى أرواحها سم الاجانب عمله فى غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى فى الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجى ان تكون مفيدة ، ويرى فى تونس حركة أخرى حيوية، تعوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابتتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدرون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

ما رأيت لكاتب في هـذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملا ينبيء بمراقبته

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الاما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، ومايدبر به أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى و يسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها ستمد اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر فى مغبته، هو الذي فهم مايرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون فى أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجحون لسير نابتتنا خير النجدين ؟ هذا مانحن فى أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا فى هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى مافيه خيرها وسنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران اوثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س٦-٩) من خ٠م٠س في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجرّ بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافهني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتمحيصه للحقائق وإني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ماسألناه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق

— وهذا ماقاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها القدح المعلى في

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل مايطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد اتكالاً على مجد من سلف حتى اذا ماعرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحي أمواتهم انهم مطلعون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحًا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفًا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان ؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حمله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئًا من كلامهم في نحو ماذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين ؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ماجاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يحيلنا على ماسبق و يبسط لنا في جوابه على ماذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزمن في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستئصاله — فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا —

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي التماس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) مايرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجدد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

بدعتهم في ذلك أن نقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لامجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٤٢: ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أوطلب منه حاجة أو صلى عند قبره أوتمسح به أوقصده للدعاء أوقال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبناه بالنقل وان يجده . وانما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصلاح كانوا يتبركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصروا الحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان — غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تفنى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبأ عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على مايريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبائر الاثم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٧: ٣٢ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون*)

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضرّ أوجلب النفع من غير الله استقلالا أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الامم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم و بين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أوخلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها ، وإنما خالفوهم في مظهرها وصورتها ، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعائهم . أفرأيت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة و يدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركين وهو التوحيد؟؟

قال تعالى (١٠:١٨ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبّؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لاتخلّ بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذلا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقربين عندهم . وقدنفى سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٢:٤٨ ولا يقبل منها شفاعة — ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٧٤:٤٨ فما تنفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٦:٥١ وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * — ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكّر به أن تُبسَل نفسٌ بما كسبت ليس لها من دون الله وليٌّ ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلا

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفا ومثلهما آية ألم السجدة (٣٢:٤ مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣٩:٣) والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدلت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل مايعتقده المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل باشخاصهم يقرّب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الاسراء (١٧:٥٦ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا *٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعونهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصروا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن لله فيه سننا لا تتبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء ولذلك قال (٥:١٧ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير*) فبمثل هـذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأولياءه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضله عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده فلا نغلو في تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لئلا نطلب منهم نفعا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٣٥:٢٧ انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغه ذلك فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم ان مايطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣:٣٥ والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير * ١٤ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهي المؤمنين ان يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨:٨٢ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا*)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فتنوا برجال من صالحيهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت الى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وصاروا يبنون عليهم الكنائس أو ينسبونها اليهم ويتوسلون بهم الى الله تعالى ويعتقدون ان الله يقضي حاجاتهم بجاههم أو انه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الاسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولعن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع ان الصحيح في الأصول عند الجمهور ان الأمر بالشيء بعد النهي عنه انما يدل على اباحته لا وجوبه أو ندبه وهب ان الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد علات بعلة تذكر الآخرة فاذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحظور الذي لم يأذن به الله ؟

ومن عجائب تلاعب الاهواء بالمتبدعين ان كل ما ورد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحي الموتى ينفعون الأحياء ويضرونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . واننا نختم هذا الجواب بشيء مما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧:١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال «لا تتخذوا قبري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر الا تعظيمه وطلب الحوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله · فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك · وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم ·

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة · ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكانا للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل والا فليمض : وبلغه ان قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها · وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبن عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم · وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوّيَ القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته · واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت · وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر فى الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرّ أو جلب نفع لا على أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وانما حصر الوساطة بينه وبين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على نفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وابنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الامر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجه مّا لدعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين * و يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج٧) لاحجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » أي مردود و بذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « مالم يعرف دليلنا » وممن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي. وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لكتاب الله. فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا. ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

---

(١) لا نلتزم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لا لبيان معناها في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه و يرد عليه الا صاحب هذا القبر . ويشير الى الروضة الشريفة

وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهـذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر النـاس أقوالا في ذلك وكذلك الحنـابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي وأصحابه فخـذه : وقال « لا تقـلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم و كم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان لمثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهوا وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والائمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفا فى صدر الاسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالاولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء فى القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه و يقيم سننه وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

تناصرهم في إعلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته . والله وليّ الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذه شريكا كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة

ليس لمؤمن ان يعتقد جزما ان أحداً من الناس بعينه قدمات وهو وليّ لله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أولياءه، لأن ذلك تعدٍّ على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة وانه لا يقطع لأحد بالموت على الايمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وانما نحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء — امرأة من الانصار — أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا — أي وقع في سهمنا — عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدراً فاشتكى فمرضناه حتى اذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك ان الله أكرمه» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير . ما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي» قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً : فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع ألسنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلانا ممن يعرف وممن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنده قطعا وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأننا فتنا من حيث لا ندري

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتف الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب الينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التى كان أرسلها الينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وانما يصح ان يعتنى به هذا الاعتناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الاشارة اليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله). أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ماذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعترضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذه عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو أوردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبه أو رد شبهة معترض فليتدبر. هذا وإن أسئلته قد جعلت في اللما من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك انه يندر ان يوجد في مصر من يتحامى السماع ولكن الجمود في كثير من البلاد على تقليد المعسّرين لا يلين الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يرى القارىء المنصف ان ما قاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفوة التحقيق الا أن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزمار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الاباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فان الإسراف ضارٌ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لانه اذا لم يغر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يغار عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هـذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً . وبهذا تبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (٧ : ٣٢ قل من حرَّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعارض

آخر » اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض

فهذا القول هو أحسن ماقيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ماقيل في السنة وأجمعه · وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة انما حرم لما فيه من مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبها بأهل السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين والغنباز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحه في أخرى لعلة التشبه وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الاطلاق كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم · ومن العوارض التي لا بد من التنبيه اليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك حرم عليه · هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلة التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال في لبس القباء · وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة بالسماع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء انما يحرك الساكن ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطال الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الاشخاص وان ذلك لا يمنع ان الاصل فيه وفي جميع اللذات الاباحة · والحديث الذي أورده فيه عن كتاب النصائح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها اتخاذ القينات والمعازف وفسرها بالملاهي من الاوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

الحظر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يارسول الله قال « اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أومسخا »

والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ ؟ فقال هذا باطل : فقيل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : اذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير: وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث : ثم ان الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ماهو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وان لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الاخلاق واضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيتمي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلوه في التعصب لاقوال علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وانما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر العسقلاني امام المحدثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكر له ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها: وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحر للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار. أخبرني ولده الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظا للحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيتمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة لخط عليه وقال كان صوفيا ملامتيا سكن الري ثم همذان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير ياهذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وانما كان يرى اباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيتمي من انه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الائمة الذين يسبهم ابن حجر الهيتمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم تصح عنه فقد صحت عمن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقدمنا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاه الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاه الفوراني في كتابه العمد. وحكى الروياني عن القفال انه حكي عن مالك انه كان يبيح الغناء على المعازف وحكاه الماوردي في الحاوي عن بعض الشافعية ومال اليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي انه كان مذهبه وانه كان مشهورا عنه وانه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى انه لاخلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكراهة ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالنرد للخبر اكثر مما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل النرد مكروها غير محرم ، وما حكاه المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم انه قال إنه مكروه ، ونقل عن العز بن عبد السلام انه سئل عنه فقال انه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الغزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه ومما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أسانيدهما لينظر في طعنه . وسقط بهذه النقول ماجاء في الاسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمعه

واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لايكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كما نقل ذلك عمن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه

واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكرهم في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه العود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدفوف بلا نكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضارّ في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يغريه بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

آثار علمية أدبية

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام — تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد . وهي سلكاه من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه العقد) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات العقد الفريد التي عبر عنها بالسِنَن وهي جمع سنة كحِبر جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدملكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

العقد بها واطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه خبث رائحة السن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته

(ص١٠٤) رآنا مشعري أرق وحزن وبغيته لدى الركب الهجود

(الهجود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب الهجود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول ان الطيف تحامى زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام

(ص١٠٩) اخو الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود

(العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام انفرى لنا شظف الايام في عيشة رغد

(انفرى انصلح) انفرى هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر *به انكشف عنا الغيابة الخ

(ص١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد

(الفراش موقع اللسان في قعر الفم)أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزان كتاب وان معناه ماذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريده أهل اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد.

(ص١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع)لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه "بالمصعد" فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة. فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتنزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء

(ص١٤٥) حتى التوى من نقع قسطلها على حيطان قسطنطينية إعصار

(النقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وانما المراد بالنقع هنا

الغبار وتكون اضافة النقع الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الاضافة البيانية

(ص١٤٨) واذا القسي العوج طارت نبلها سوم الجراد يشيح حين يطار

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوما حامت وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتثارها حوماً رجل الجراد الذي هيج فجد في الطيران. وجواب الشطر البيت بعده

(١٥١) لولا أحاديث أبقتها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السمر

(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على مايسقط فى الليل يطلق أيضاً على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المعنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل.

(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها عصب تيمن فى الوغى وتمضر

(العصب صبغ ينبت في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي ونقوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حللا ملونة تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي الصبغ نفسه

(ص١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده المتحير

(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى. واتساق القمر اكتماله واستواؤه. وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له.

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفو ترب وللندى حلس

(الحلس الكبير من الناس): نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير لمن يلازم الشيء و يعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من احلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقر وعمرو ترب ادب. وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ماذكرناه.

(ص١٦٩) قالت وعيُّ النساء كالخرس وقد يصبنَ الفصوص في الخلس

(الفصوص احداق العيون) نعم لكن ليس المراد بها هنا هـذا المعنى : اصل الفص حجر الخاتم وتجوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصه أي أصله وحقيقته ومخرجه الذى خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذى قصد اليـه الشاعر يقول ان النساء على عيهن قد يقعن على الصواب و يصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته المرأة له . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور فى بطاح هذه في الصباح روض أريض

(البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسـيل واسع فيـه دقاق الحصى كالأبطح والبطيحـة . والبطاح غـير الصحارى فان الصحراء الارض المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص١٨٣)لاتكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيض

(يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لاتحيك فيه العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضدِّه فلان عوده رضيض فالعجم في البيت متجوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص٢١٤) يؤوب الى شمائل منه ميث قليـلات الاماعز والـبراق

(الاماعز الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يؤوب يرجع الى السلام الذي أرسله الشاعر الى الممدوح يعنى أن سلامه يرجع الي شمائل ممدوحـه التي وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء واراض ميث . ولما وصف الشاعر شمائل ممدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفى عنها صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل ومعنى القلة هنا العدم كما لايخفى فهو يقول إن شمائل الممدوح وطباعه لينة وليست بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فريث خلة في درج ثوب اللابس المتوق

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه ويبالغ في تزيينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك الممدوح

(ص٢٢٨) ضنك اذا خرست أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذُبُل

(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس ضمر وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى ولان وتذبل في مشيه تفتر فيه ثم أجروا المادَّة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطة القشرة التي تكون على القصب وربما كان اللين مرادا أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح اذا لم يكن لينا لدنا تقصف ولم يصلح للطعن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من ذبول الرماح . واذا أريد وصف الرماح بالصلابة قيل كما قال الحماسي

ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أزور

فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين: وحسبك منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخضر يغني في دار العاص بن وائل وهو يقول

تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات

فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجمرات

وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات

وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات

وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الابيات لسعيد لا للنميري . أقول وقابل ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنانهن بحال نسائنا اليوم . ويوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتغنى بهذه الابيات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها (١)
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها (٢)
من الخفرات البيض لم تلق شقرة و بالحسب المكنون صاف نجارها
فان برزت كانت لعينك قرة وان غبت عنها لم يغمك عارها

فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الابيات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنى بهذه الابيات

فما ظبية أدماء حفافة الحشا تجوب بظلفيها بطون الخمائل (٣)
بأحسن منها اذ تقول تدللا وأدمعها تذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه رهين بأيام الشهور الأطاول

قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله اتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب يغنيه بهذا الشعر:

مغيرية كالبدر سنة وجهها مطهرة الاثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

(١) الجثجاث نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو النرجس البري (٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر اوما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفافة الحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت اللهاة

﴿ رسالتان في قراءة الفونغراف والسكورتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بخيت الأزهري المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقويم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : «وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السوأل عما يأتي و يطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اه ويا ليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا — في الروملي الشرقيـة من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا — في ولاية سلانيك من مقدونيا — استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي مابرح يذمها وينفر عنها حتى انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافرا أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء و يأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأة رجلا ولا يؤم أعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه أوسوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر انه أفسد اسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فانه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فان المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينهى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمى رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية :

«الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهلة ،» فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقفال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فعسى ان يتروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورب ما عدنا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجىء العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى اتحدت بجمعية الملاجىء العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد وجعلت هدية للمشتركين في جمعية الملاجىء العباسية وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و١٠ فرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة — ان وجد بأريحية محبي الخير — فهو لمساعدة الايتام والفقراء والعجزة في تلك الملاجيء فعسى ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر — برداوسلاما — يتنعمون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تعضيد أولي الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكثر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ : كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا : « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين . وتستعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولاحظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم أن الانتقاد على تعدية لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

باب الأخبار والآراء

﴿ مملكة مراكش ومؤتمر الجزيرة ﴾

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الاولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراكش بأن طوفان اوربا لا بد ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هو لم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم فى غمرة ساهون ، لا يتوبون ولاهم يذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجائهم الى قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الافتيات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يالطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم فى اعتقادهم ماكان من عاهل الالمان يومئذ وايعازه الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراكش على مؤتمر أوربي فانعقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاؤه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون. أما المصرف فلابتلاع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتأمين تجارة أوربا التي يبتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون

وقد طال التنازع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيس والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لاغرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو إضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلها عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذلا يحتاجون فيه الى بذل دمائهم واموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألتي كريت ومكدونية وكما سيجري في مراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقا رسميا في القبض على ادارة البلاد وأموالها.

اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراكش وبين الانتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجمود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعتان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة. وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل. فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب. واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها. على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين،

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

﴿ سلطان الشياطين على عالم أزهري . ومخادعة دجال غوي ﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه « أشهر الحوادث وأعظم الرجال — حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ . الا اذا افتتحه بذكر الاستاذ الامام رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقرأ كل مايكتب عنه . ومن العجائب أن بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته وانما ننشره وننكره وهو باختصار

«لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الازهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك وعرب وعجم فضلا عما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصيح باعلى صوته بان لا وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب المنزلة فما استطاء الهرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس وافقه على هذا الأمر على انه يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الازهر ومن رجال التشريفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ اشترى من منذ سنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صورمن خشب على السطوح فزاد الحال وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قردة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه و يلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثير من أعاظم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبي الكتبي واستحضر جملة من المغاربة" والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى يئس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بانه يوجد رجل .... ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ... فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يا من هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوتت بصوت رفيع وتكلم معها واشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم" ... بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ... عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب علي" أن أضع له سور من حديد على انه لا يمكنني ان اطلع احداً عليه مهما كان ميله الي" وقربه من فؤادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلو" في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ...

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يتعمد الكذب .

(أولاها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكانا صغيرا كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الازهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهرا . وهذا كذب و بهتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تآليفه أو تفسير المنار الذي نقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الازهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد واللواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقوه على انكار

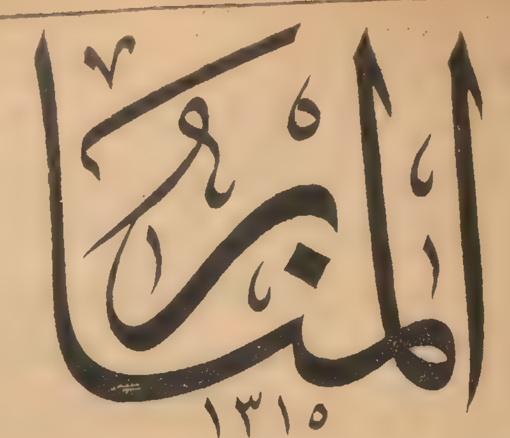
الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسنين أنه يقول ان للحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان

صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكام بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة - ابن مسعود وابن عباس - هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤا متى شاؤا ، وما كانوا لا خادعين وما كان الاستاذ الامام الا منكرا دجلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام

استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسنين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كاد له شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعيثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيثهم من عمل الجن و بلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الازهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريت والشياطين من السلطان على علماء الازهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريت لتحوت العوام، اذ قلت الخرافات والاوهام ، ؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ — ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٥٦) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (٢٥٧) اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـٰتِ أُولَئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ *

(المفردات) الرشد بالضم والتحريك اصابة وجه الامر ومحجة الطريق والهدى اصابة الثاني فهو أخص والرشد ومثله الرشاد ويستعمل في كل خير وضده الغي . والطاغوت مصدر الطغيان ومبعثه وهو مجاوزة الحد في الشيء وهو صيغة مبالغة كالملكوت من الملك أو مصدر ويصح فيه التذكير والتأنيث والافراد والجمع بحسب المعنى . والعروة من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب مدخل الزر ومن الشجر الملتف الذي تشتو فيه الأبل فتأكل منه حيث لا كلأ ولا نبات أو هو مالا يسقط

ورقة كالأراك والسدر أو ماله أصل باق في الارض — أقوال يدل مجموعها على أن العروة هي مايمكن الانتفاع به من الشجر في كل فصل لثباته وبقائه وقالوا اذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية يعنون ماله أصل باق كالنصي والعرفج واجناس الخلة والحمض والوثقى مونث الأوثق وهو الاشد الاحكم والموثق من الشجر مايعول عليه الناس اذا انقطع الكلأ والشجر وأرض وثيقة كثيرة العشب يوثق بها. والنفصام الانكسار والانقطاع مطاوع فصمه وكسره أو قطعه ولم يبنه

(سبب النزول) روى أبو داود والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاة (أي لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها ان عاش لها ان تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله ﴿لا إكراه في الدين﴾ وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال نزلت (لا إكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا استكرههما فإنهما قد أبيا الا النصرانيـة ؟ فأنزل الله الآية وفي بعض التفاسير انه حاول إكراههما فاختصموا الى النبي (ص) فقال يارسول الله أيدخل بعضي النار وانا أنظر ؟ ولابن جرير عدة روايات في نذر النساء في الجاهلية تهويد أولادهم ليعيشوا وأن المسلمين بعد الاسلام أرادوا إكراه من لهم من الأولاد على دين أهل الكتاب على الاسلام فنزلت الآية فكانت فصل مابينهم. وفي رواية له عن سعيد بن جبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ما أنزلت «قد خير الله أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فهم منهم» أقول هذا هو حكم الدين الذي يزعم الكثيرون عن أعدائه — وفيهم من يظن أنه من أوليائه — أنه قام بالسيف والقوة فكان يعرض على الناس والقوة عن يمينه فمن قبله نجا ومن رفضه حكم السيف فيه حكمه. فهل كان السيف يعمل عمله في اكراه الناس على الاسلام في مكة أيام كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مستخفياً وأيام كان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من التعذيب ولا يجـدون رادعا حتى اضطر النبي وأصحابه الى الهجرة؟ أم يقـولون ان ذلك الإكراه وقع في المدينة بعد أن اعتز الاسلام وهذه الآية قد نزلت في غرة هذا

لاعتزاز فان غزوة بني النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة وقال البخاري انها كانت قبل غزوة أحد التي لا خلاف في أنها كانت في شوال سنة ثلاث وكان كفار مكة لا يزالون يقصدون المسلمين بالحرب · نقض بنو النضير عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكادوا له وهموا باغتياله مرتين وهم بجواره في ضواحي المدينة فلم يكن له بد من إجلائهم عن المدينة فحاصرهم حتى أجلاهم فخرجوا مغلوبين على أمرهم ولم يأذن لمن استأذنه من أصحابه باكراه أولادهم المتهودين على الاسلام ومنعهم من الخروج مع اليهود · فذلك أول يوم خطر فيه على بال بعض المسلمين الاكراه على الاسلام وهو اليوم الذي نزل فيه: لا إكراه في الدين

قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان معهودا عند بعض الملل لاسيما النصارى حمل الناس على الدخول في دينهم بالاكراه · وهذه المسألة أشبه بالسياسة منها بالدين لأن الايمان وهو اصل الدين وجوهره عبارة عن اذعان النفس ويستحيل ان يكون الاذعان بالالزام والاكراه وانما يكون بالبيان والبرهان ولذلك قال تعالى بعد نفي الاكراه ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي قد ظهر ان في هذا الدين الرشد والهدى والفلاح والسير في الجادة على نور وأن ماخالفه من الملل والنحل على غيّ وضلال · ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ وهو كل ماتكون عبادته والايمان به سبباً للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد، ورئيس يقلّد، وهوى يتبع، ﴿ويؤمن بالله﴾ فلا يعبد الا إياه، ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه، يرجوه ويخشاه لذاته، وبما سنه من الاسباب والسنن فى عباده ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ أقول أي فقد طلب أو تحرّى باعتقاده وعمله ان يكون ممسكاً بأوثق عرى النجاة، وأثبت أسباب الحياة، أو فقد اعتصم بأوثق العرى، وبالغ في التمسك بها، وقال الاستاذ الامام: الاستمساك بالعروة الوثقى هو الاستقامة على طريق الحق القويم الذي لا يضل سالكه كما أن المتعلق بعروة هي أوثق العرى وأحكمها فتلا لا يقع ولا يتفلت · وقد حذف لفظ التي وذلك معروف عن العرب في مثل هذا الكلام، وأقول أفاد كلامه ان العروة في الآية مستعارة من عروة الثوب ويناسبه الانفصام ولعل الأقرب ان يراد بها عروة الشجر والنبات فهي التي لا

ينقطع مددها بالقحط والجدب كأنه يقول ان المبالغ بالتمسك بهذا الحق والرشد كمن يأوي بنعمه الى ذلك الشجر والنبات الثابت الذي لا ينقطع مدده ولا يفنى علفه فاذا نزل الجدب والقحط بمن يعتمدون على الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار كان هو معتصماً بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها أي ان صاحب هذه العروة يجد فيها السعادة الدائمة خلافاً لغيره · ومما خطر لي عند الكتابة الآن أن عروة الايمان اذا كانت لا تنقطع بالمستمسك بها فهو لا يخشى عليه الهلكة الا اذا كان هو الذي تركها فاذا كان الايمان بالله وما يتبعه من الآثار في صفات صاحبه وأعماله من أسباب الثبات والاستقرار في الوجود لأنه هو الحق والخير الموافق لمصالح العالم فلا شك أن شدة التمسك به هي العصمة من الهلاك والسبب الأقوى للثبات والاستقرار في الملك والسيادة والسعة في هذه الحياة للبقاء والى الأبدي في الحياة الأخرى · والتعبير بالاستمساك يدل على أن من لم يكفر بجميع مناشئ الطغيان، ويعتصم بالحق اليقين من أصول الايمان ، فهو لا يعد مستمسكا بالعروة الوثقى وان انتمى في الظاهر الى أهلها ، أو ألمّ بها إلمام الممسك بها، فالعبرة بالاعتصام والاستمساك الحقيقي ، لا بمجرد الأخذ الضعيف الصوري ، والانتماء القولي والتقليدي ، ﴿ والله سميع ﴾ لأقوال مدعي الكفر بالطاغوت والايمان بالله بألسنتهم ، ﴿عليم﴾ بما تكنه قلوبهم مما يصدق ذلك أو يكذبه فهو يجزيهم وصفهم فمن شهد بقوة إيمانه جميع الاسباب والسنن الكونية مسخرة بحكمة الله تعالى مسيرة بقدرته وانه لا تأثير لسواها الا لواضعها والفاعل بها فهو المؤمن حقاً وله جزاء المستمسك بالعروة الوثقى ، ومن كان منطوياً على شيء من نزغات الوثنية ، ناحلا ماجهل سره من عجائب الخلق قوة غير طبيعية ، يتقرب اليها أو يتقرب بها الى الله زلفى ، فهو غير معتصم بالعروة الوثقى، وله جزاء الكافرين ، الذين يقولون آمنا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين ، وقال الاستاذ الامام ان هذه الجملة (والله سميع عليم) تذكر للترغيب والتهديد أي فهي تفسر بحسب المقام كما قلنا فهي جامعة هنا بين الامرين

ورد بمعنى هذه الآية قوله تعالى (١٠ :٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ويؤيدهما الآيات الكثيرة الناطقة بأن الدين هداية اختيارية للناس تعرض عليهم مؤيدة بالآيات والبينات وان الرسل لم يبعثوا جبارين ولا مسيطرين، وانما بعثوا مبشرين ومنذرين، ولكن يرد علينا أننا قد أمرنا بالقتال وقد تقدم بيان حكمة ذلك بل أقول ان الآية التي نفسرها نزلت في غزوة بني النضير اذ أراد بعض الصحابة إجبار أولادهم المتهودين ان يسلموا ولا يكونوا مع بني النضير في جلائهم كما مر فبين الله لهم ان الاكراه ممنوع وان العمدة في دعوة الدين بيانه حتى يتبين الرشد من الغي وان الناس مخيرون بعد ذلك في قبوله وتركه . شرع القتال لتأمين الدعوة ولكف شر الكافرين عن المؤمنين لكيلا يزعزعوا ضعيفهم قبل ان تتمكن الهداية من قلبه ويقهروا قويهم بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون في مكة جهرا ولذلك قال (٢ :١٩٣ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) أي حتى يكون الايمان فى قلب المؤمن آمنا من زلزلة المعاندين له بايذاء صاحبه فيكون دينه خالصا لله غير مزعزع ولا مضطرب فالدين لا يكون خالصا لله الا اذا كفت الفتن عنه وقوي سلطانه حتى لا يجرأ على أهله أحد (قال الاستاذ الامام) وانما تكف الفتن بأحد أمرين (الاول) اظهار المعاندين الاسلام ولو باللسان لأن من فعل ذلك لا يكون من خصومنا ولا يبارزنا بالعداء وبذلك تكون كلمتنا بالنسبة اليه هي العليا ويكون الدين لله ولا يفتن صاحبه فيه ولا يمنع من الدعوة اليه (والثاني) وهو أدل على عدم الاكراه قبول الجزية وهي شيء من المال يعطوننا اياه جزاء حمايتنا لهم بعد خضوعهم لنا وبهذا الخضوع نكتفي شرهم وتكون كلمة الله هي العليا فقوله تعالى (لا اكراه في الدين) قاعدة كبرى من قواعد دين الاسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد ان يكره أحدا من أهله على الخروج منه . وإنما نكون متمكنين من اقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة اذا كنا أصحاب قوة ومنعة نحمي بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداء علينا بما هو آمن ان نعتدي بمثله عليه اذ امرنا ان ندعو الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة وان نجادل المخالفين بالتي هي أحسن

معتمدين على ان تبين الرشد من الغي بالبرهان ، هو الصراط المستقيم الى الايمان، مع حرية الدعوة ، وأمن الفتنة ، فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار أي انه ليس من جوهره ومقاصده وانما هو سياج له وجنة فهو أمر سياسي لازم له للضرورة . ولا التفات لما يهذي به العوام ، ومعلموهم الطغام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وأن الجهاد مطلوب لذاته ، فالقرآن في جملته وتفصيله حجة عليهم . وتأمل مع ما ذكرناك به من الآيات قوله تعالى

﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ فهذا القول يهدي الى ان الايمان وغيره من ضروب الهداية تكون بتوفيق الله تعالى من شاء واعداده للنظر في الآيات والخروج من الشبهات بما ينقدح لنظره من نور الدليل لا بالاجبار والاكراه . فالآية بمثابة الدليل على منع الاكراه في الدين والتنبيه لأولئك الآباء الذين أرادوا اكراه أولادهم على ترك اليهودية والدخول في الاسلام على ان الولاية على العقول والقلوب هي لله تعالى وحده فاذا أعدتها سننه وعنايته لقبول الحق والرشاد كانت الدعوة المبينة كافية لجذبها الى نور الهداية والا فقد تودع منها لاحاطة الظلمات بها

وقال الاستاذ الامام: ذهب كثير من المفسرين في معنى الآية الى ان الله تعالى هو متولي أمور المؤمنين يوفقهم الى الخروج من الظلمات ويمدهم في الهداية بمحض القدرة كما ان الطاغوت يمدون الكافرين في الغواية، ويخرجونهم بالاغواء من نور الحق الى ظلمات الضلالة، وهذا تفسير العوام الذين لا يفهمون أساليب اللغة العالية أو تفسير الاعاجم الذين هم أجدر بعدم الفهم . ومعنى الآية الذي يلتئم مع معنى سابقتها ظاهر أتم الظهور وهو ان المؤمن لا ولي له ولا سلطان لأحد على اعتقاده الا الله تعالى ومتى كان كذلك فانه يهتدي الى استعمال الهدايات التي وهبها الله له على وجهها وهي الحواس والعقل والدين . فهؤلاء المؤمنون كلما عرضت لهم شبهة لاح لهم بسلطان الولاية الإلهية على قلوبهم شعاع من نور الحق يطرد ظلمتها فيخرجون منها بسهولة (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) جولان الحواس في رياض الأكوان، وادراكها ما فيها من بديع الصنع والاتقان، يعطيهم نورا، ونظر العقل في فنون المعقولات يعطيهم نورا، وما جاء به الدين من الآيات

البينات يتم لهم نورهم ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ أي لا سلطان على نفوسهم الا لتلك المعبودات الباطلة السائقة الى الطغيان فاذا كان الطاغوت من الاحياء الناطقة ورأى ان عابديه قد لاح لهم شعاع من نور الحق الذي ينبههم الى فساد ماهم فيه بادر الى إطفائه بل الى صرفهم عنه بما يلقيه دونه من حجب الشبهات وأستار زخارف الأقوال التي تقبل منه لأجل الاعتقاد أو بنفس الاعتقاد . واذا كان الطاغوت من غير الاحياء فان سدنة هيكله وزعماء حزبه لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات ، وتزيين تلك الشهوات، أقول بل هؤلاء الزعماء يعدون من الطاغوت كما علم من تفسيره فانهم دعاة الطغيان وأولياؤه فان لم يكونوا ممن تعتقد فيهم السلطة الغيبية وتوله العقول في مزاياهم الآلهية فانهم ممن يؤخذ بقولهم في الاعتقاد وبتلك السلطة والمزايا وما ينبغي لمظاهرها أو لأربابها من التعظيم الذي هو عين العبادة وان سمي توسلا أو استشفاعاً أو غير ذلك

ثم قال الاستاذ: الظلمات هي الضلالات التي تعرض على الانسان في كل طور من أطوار حياته كالكفر والشبهات التي تعرض دون الدين فتصد عن النظر الصحيح فيه أو تحول دون فهمه والاذعان له وكالبدع والاهواء التي تحمل على تأويله وصرفه عن وجهه وكالشهوات والحظوظ التي تشغل عنه وتستحوذ على النفس حتى تقذفها في الكفر . أقول ولهذه الظلمة شعبتان احداهما من يخرج صاحبها من الايمان ظاهرا وباطنا لأنه يرى ذلك وسيلة الى التمتع بشهواته الحسية أو المعنوية كالسلطة والجاه والثانية من يسترسل صاحبها في الفواحش والمنكرات أو الظلم والطغيان حتى لا يبقى لنور الدين مكان من قلبه وهؤلاء هم المشار اليهم بمثل قوله تعالى (٧٢:١٤ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ١٥ كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) الآيات . وقال رحمه الله تعالى : لا توجد مرآة يرى فيها عبدة الطاغوت أنفسهم كما هي أجلى من القرآن : أي ولكنهم لا ينظرون فيه اما لأنهم استحبوا العمى وألفوه حتى لم يبق من أمل في شفاء بصائرهم واما لان طاغوتهم يحولون بينهم وبينه كما تقدم ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لأن النار هي

الدار التي تليق بأهل الظلمات الذين لم يبق لنور الحق والرشاد مكان فى أنفسهم يصلها بدار النور والرضوان فما يكون عليه الانسان في الآخرة هو عاقبة ما كانت عليه نفسه في الدنيا . وقد سبق القول بأن الخوض في حقيقة تلك الدار التي سميت بالنار غير جائز وانما يعتقد من مجموع النصوص أنها دار شقاء يعذب المرء فيها بما تقدم من عمله السيء وقد يكون هذا العذاب بالبرد اذ ورد ان فيها الزمهرير وازيد الآن انه لا يبعد أن تكون شبيهة بالأرض من حيث ان فيها مواضع شديدة الحرّ كالأماكن التي في خط الاستواء ومواضع شديدة البرد كالقطبين الا انها أبعد من الأرض عن الاعتدال فحرها و بردها أشد ومصادرهما غير معروفة لنا اعاذنا الله منها ومما يؤدي اليها من اعتقاد وقول وعمل بمنه وكرمه آمين

هذا وان في الآيتين من هدم التقليد مالا يخفى على ذي البصيرة ولكن الاستاذ الامام لم يتعرض له في الدرس بالنص بل يفهم منه . ذلك ان الله تعالى جعل تبين الرشد وظهوره في كتابه هو الطريق الى الدين فلو لم يكن بيان الكتاب كافيا في أن يتبين للمكلف ماهو مطالب به لما صح قوله « قد تبين الرشد من الغي » ولا تفويض الأمر بعد البيان الى الناظر وعدّ البيان اعذاراً له وانذارا ولما التأم مع هذا قوله « الله وليّ الذين آمنوا » الخ فان معني هذه الآية أن أهل الايمان هم الذين وكلوا الى ولاية الله تعالى وحده فلم يكن للبشر سلطان على عقائدهم ولا تصرف في هدايتهم أي أنهم ظلوا على فطرة الله التي فطر الناس عليها فنظروا في الدين بما غرز في فطرتهم من العقل والتمييز فتبين لهم الرشد فاتبعوه والغي فاجتنبوه والمقلد لم يتبين له شيء من ذلك وانما هو تابع لاعتقاد غيره فلا تسلم له ولاية الفطرة السليمة التي تؤديها العناية العظيمة . وأما أهل الكفر فلهم أولياء من الطاغوت يتصرفون في اعتقادهم وهم يتقبلون ثقة بهم وتعظيما لشأنهم وهذا ليس بعذر عند الله تعالى بعد ما بين الرشد من الغي فتبين في نفسه حتى لا يمكن أن يخفي على من نظر فيه طالبا للحق من غير تعصب للاهواء ، ولا لتقاليد الآباء ، ويؤكد هذه المعاني قوله تعالى: لا انفصام لها : فانه يفيد أن من تبين له هذا الرشد فانه لا ينفك عنه والمقلد عرضة للترك والانفكاك لانه لا يعرف قيمة ماهو فيه لذاته

أقول ومما يجب بيانه في تفسير هذه الآية أيضا الفرق بين ولاية الله للمؤمنين وولايتهم له وولاية بعضهم لبعض فان الجاهلين لايميزون بين الولايتين فيجعلون لبعض المؤمنين من الولاية ماهو لله تعالى وحده وذلك شرك في التوحيد خفي على عند الجاهل جلي عند العارف ولا بد من تفصيل فيه

هذه الآية تثبت ولاية الله وحده للمؤمنين وفي معناها آيات تفيد الحصر كقوله تعالى في سورة الشورى (٤٢: ٩ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الآية وقوله فيها (٢٨ وهو الوليّ الحميد) وثمة آيات كثيرة تنفي ولاية غيره تعالى كالآيات التي تقدمت في الكلام على الشفاعة وكقوله تعالى في سورة هود بعد أمر النبي ومن معه بالاستقامة (١١: ١١٣ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون) وقوله له في سورة الانعام (٦: ١٣ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يُطعِم ولا يُطعَم؟ قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولاتكونن من المشركين) وقوله (٧: ١٩٦ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وكذلك أمر سائر الأنبياء ان لايتخذوا وليالهم غير الله تعالى أي وان يعلموا أممهم ذلك قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (١٢: ١٠١ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة) الآية وقال (٤: ٤٥ وكفى بالله وليا) فهذه شواهد على ولاية الله وحده للمؤمنين ونهيهم عن اتخاذ ولي من دونه وورد في ولايتهم له قوله في سورة يونس (١٠: ٦٢ ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ٦٣ الذين آمنوا وكانوا يتقون) وفي معناها قوله في سورة الانفال بعد ذكر المشركين (٨: ٣٤ وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون)

وقال تعالى في ولاية المؤمنين بعضهم لبعض (٨: ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك بعضهم أولياء بعض) وقال (٩: ٨١ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله)

يقابل ولاية الله تعالى للمؤمنين وولايتهم له ولاية الشيطان والطاغوت للكافرين وولايتهم له كما ترى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها وقال تعالى (٣:١٧٥ انما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه) وقال (٤:٧٦ فقاتلوا أولياء الشيطان) وقال (٧:٣٠ أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) ويقابل ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ولاية الكافرين بعضهم لبعض كما قال (٨:٧٣ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) وقال (٥:٥١ بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم)

ومن تأمل هذه الآيات رأى معانيها ظاهرة جلية أما كونه تعالى هو الولي وحده لا وليّ سواه فالمراد به انه هو المتولي لأمور العباد في الواقع ونفس الأمر كما تقدم وذلك بما خلق لهم من المنافع ومن الاعضاء والقوى التي تمكنهم من الانتفاع بها وبما بين لهم من السنن ومهد لهم من الاسباب وهذه هي الولاية العامة المطلقة واما ولايته للمؤمنين خاصة فهي عبارة عن عنايته بهم وإلهامه وتوفيقه اياهم لما فيه الخير والصلاح الروحاني والجسماني بما اختاروا لأنفسهم من الايمان به وبما جاءت به رسله وأما ولايتهم له تعالى فقد عبر عنها بالايمان والتقوى فهم بالايمان بولايته لهم يتولونه أي يعتقدون انه هو المتولي لأمورهم وحده كما تقدم وهم في استفادتهم بقواهم من منافع الكون واتقائهم لمضاره يلاحظون أن هذا من فضله عليهم وتوليه لأمورهم اذ مكنهم من ذلك وهيأ أسبابه لهم واذا ضعفت قواهم دون مطلب من مطالبهم أو جهلوا طريقه وسببه توجهوا اليه وحده مع تعاونهم وتناصرهم لا يتوجهون الى غيره في استمداد العناية وطلب التوفيق والهداية كما تقدم آنفا. ثم إنهم مع هذا الايمان يتقونه تعالى بترك المعاصي والاثم والظلم والبغي في الارض وغير ذلك مما جعله الله سبب البلاء والشقاء في الدنيا والآخرة وبفعل الطاعات والخيرات التي هي أسباب السعادة في الدارين فهذا معنى تفسير أوليائه بالذين آمنوا وكانوا يتقون

وأما ولاية المؤمنين بعضهم لبعض فهى عبارة عن تعاونهم وتناصرهم في الأمور المشتركة مع استقامتهم على الاعمال الصالحة الخاصة لأن الفساد الشخصي لا يتفق مع القيام بالمصالح العامة وذلك ظاهر من قوله في الآية ٩:٧١ بعد ذكر هذه الولاية «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الخ

ومن وصفهم بالمجاهدة في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم كما في الآية الأخرى ٨:٧١ . فكل من كان كذلك فقد وجبت ولايته على جميع المؤمنين ولا معنى لكون المؤمن وليا للمؤمن الا هذا أي أنه عون له ونصير في الحق الذي يعلو به شأن الايمان وأهله . فمن تجاوز ذلك فاتخذ له وليا أو أولياء يعتقد أنهم يتولون شيئا من أموره فيما وراء هذا التعاون والتناصر بين الناس فقد أشرك اذ اعتدى على ولاية الله الخاصة به التي لا يشاركه فيها أحد لا بالتوسط عنده ولا الاستقلال دونه

هذا المعنى هو عين ولاية الكافرين للشيطان أو للطاغوت كما قال (٣٩:٣ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ولا يقال ان هذا يقتضي ان يسمى بالطاغوت بعض من اتُّخذ وليا بهذا المعنى من الانبياء والصالحين كعيسى عليه السلام فان الذين اعتقدوا هذه الولاية بعيسى وبغيره من الصالحين لم يتبعوهم في ذلك وانما اتبعوا وحي شياطين الانس والجن ووساوسهم فهم طاغوتهم كما قال (٦:١٢١ وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) الآية وقال (٦:١١٢ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وان بعضهم ليتبرأ من بعض يوم القيامة كما علم من الآيات الأخرى ومن هذا التقرير تعلم أن القرآن حجة على كل من أسند ولاية الله الخاصة الى غيره وان كان ينسب الى الاسلام . وقد أوغل بعض متخذي الاولياء فى دعاء أوليائهم ومطالبتهم بما لا يطلب الا من الله تعالى حتى صار في المنتسبين الى العلم منهم من يقول ويكتب: ان فلانا الولي يميت ويحيي ويسعد ويشقي ويفقر ويغني : فعليك أيها المؤمن بهدي القرآن، ولا يغرنك تأويل أولياء الشيطان ،

(٢٥٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرٰهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ، إِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي (١) وَيُمِيتُ: قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ

(١) جاء يحيي وكذا أحيي في رسم المصحف الامام بياء واحدة فوضعنا بجانب الكلمة ياء مفردة علامة للمد

إِبْرٰهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ: فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ *

قال الاستاذ الامام — وعزاه الى المحققين — الكلام متصل بماقبله وشاهد عليه كأنه يقول انظروا الى ابراهيم كيف كان يهتدي بولاية الله له الى الحجج القيمة والخروج من الشبهات التى تعرض عليه فيظل على نور من ربه ، والى الذي حاجه كيف كان بولاية الطاغوت له يعمى عن نور الحجة و ينتقل من ظلمة من ظلمات الشبه والشكوك الى أخرى · قالوا الاستفهام في قوله تعالى ﴿الم ترالى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه﴾ للتعجيب من هذه المحاجة وغرور صاحبها وغباوته مع الانكار وقوله ﴿أن آتاهُ اللهُ الملك﴾ معناه ان الذي حمله على هذه المحاجة هو إيتاء الله تعالى الملك له فكان منشأ إسرافه في غروره وسبب كبريائه وإعجابه بقدرته ﴿اذقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾ وكأنه كان قد سأله عن ربه الذي يدعو الى عبادته وقد كسر الأصنام التي تعبد من دونه وسفه أحلام عابديها لأجله فأجاب بهذا الجواب فأنكره الملك الطاغية الذي حكي عنه ادعاء الألوهيــة لنفسه و ﴿ قال أنا أحيي وأميت﴾ أحيي من حكم عليه بالإعدام بالعفو عنه وأميت من شئت اماتته بالامر بقتله فدل جوابه هذا على أنه لم يفهم قول ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قال الاستاذ الامام لم يقل « فقال أنا أحيي وأميت» لأن جوابه منقطع عن الدليل لا يتصل به بالمرة فإنه أراد انه يكون سببا للاحياء والاماتة والكلام في الانشاء والتكوين لا في اتخاذ الاسباب والتوسل في الشيء المكوَّن فالمراد بالذي يحيي و يميت الذي ينشىء الحياة في جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرها و يزيل الحياة بالموت وعبر بالذي الدالّ على المعهود المعروفة صلته دون «من » التي فيها الابهام و بالمضارع الدالّ على التجدد والاستمرار لافادة أن هذا شأنه دائما كما هو معهود معروف لمن نظر في الأكوان نظر المفكر المستدل · ولما رأى ابراهيم أنه لم يفهم ان مراده بالذي يحيي ويميت مصدر التكوين الذي يحيا كل حي باحيائه ويموت بقطع امداده له بالحياة ﴿قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ فهذا ايضاح لقوله الاول وازالة

لشبهة الخصم لانه جواب آخر كما فهم الجلال وغيره والمعنى ان ربي الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وحكمته هو الذي يطلع الشمس من المشرق أي هو المكوّن لهذه الكائنات بهذا النظام والسنن الحكيمة التي نشاهدها عليها فان كنت تفعل كما يفعل فغير لنا نظام طلوع الشمس وأت بها من الجهة المقابلة للجهة التي جرت سنته تعالى بظهورها منها ﴿فبهت الذي كفر﴾ أي أدركته الحيرة من نصوع الحجة وسطوعها فلم يحر جوابا ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ قال الاستاذ الامام هذا ترشيح للكلام والمراد بالظلم في هذا المقام الإعراض عن النور الإلهي وهو نور العقل الذي يسير به المرء في طريق الدين فمن ظلم نفسه بإطفاء هذا المصباح فسار يتخبط في الظلمات فانه لايهتدي في سيره الى الصراط المستقيم الموصل الى السعادة بل يضل عنه حتى يهلك دون الغاية. أقول يريد من لم يجعل الحكم في أمر الدين لنظر العقل الصحيح البريء من الهوى ونزعات التقليد بل يحكم الطاغوت الذي استسلم له كتقليده للذين وثق بهم تاركا ماأعطاه الله من الاستعداد للفهم اكتفاء برأيهم أو اتباعه لهواه وشهواته التي تزين له ماهو فيه وتوهمه أن النظر في الدليل قد يقنعه بترك ما هو متمتع به فيفوته فخير له أن يعرض عن النظر والفكر ويسترسل فيما هو فيه

من فهم الآية على الوجه الذي قررناه يعلم ان لامحل للشبهة التي يوردها بعض الناس على حجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهي أنه كان لنمروذ ان يقول له اذا كان ربك هو الذي يأتي بالشمس من المشرق وهو قادر على ما طالبتني به من الاتيان بها من المغرب فليأت بها يوما ما. قال بعض المقلدين ولا يمكن ان يسأل ابراهيم ربه ذلك لأن فيه خراب العالم وقال بعض المرتابين انه لو قال له نمروذ ذلك لألزمه. وقد فهم نمروذ على طغيانه وغروره من الحجة مالم يفهم هؤلاء القائلون فهم أن مراد ابراهيم أن هذا النظام في سير الشمس لابد له من فاعل حكيم اذلا يكون مثله بالمصادفة والاتفاق وان ربي الذي أعبده هو ذلك الفاعل الحكيم الذي قضت حكمته بأن تكون الشمس على ماترى . ومن فهم هذا لايمكن ان يقول اطلب من هذا الحكيم ان يرجع عن حكمته ويبطل سنته. كذلك لامحل لقول بعضهم لم سكت ابراهيم عن كشف شبهته الأولى اذ زعم ان ترك القتل احياء فقد علمت ان مسألة الشمس قد

كشفت ذلك انكشافا لايخفى الاعلى من تخفى عليه الشمس

(٢٥٩) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

﴿ المفردات ﴾ الكاف في قوله « أو كالذي » بمعنى مثل فهي اسم ومن الشواهد على ذلك قول الراجز

بيض ثلاث كنعاج جُمّ يضحكن عن كالبرد المنهمّ

أي عن ثنايا مثل حب البرد الذائب وقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الطعن الزيت والفتل

وزعم الجلال أنها زائدة انتصارا لمذهب البصريين الذين أنكروا مجيء الكاف بمعنى مثل ولكن المعنى لا يستقيم كما يليق ببلاغة القرآن الا على الاول قال الاستاذ الامام ان تحكيم مذاهبهم النحوية في القرآن ومحاولة تطبيقه عليها وان أخل ذلك ببلاغته جراءة كبيرة على الله تعالى واذا كان النحو وجد لمثل ذلك فليته لم يوجد. والقرية بالفتح الضيعة والمصر الجامع وأصل معنى المادة الجمع ومنه قرية النمل لمجتمع ترابها ويعبر بالقرية عن الامة . والخاوية الخالية يقال خوى المنزل خواء وخوى بطن الحامل وقيل يعنى ساقطة من خوى النجم اذا سقط. والعروش السقوف يتسنه يتغير بمرور السنين واشتقاقه من السنة فهاؤه أصلية يقال سنه (كتعب) أتت عليه السنون وتسنهت النخلة أتت عليها السنون وتسنه الطعام تكرج وتعفن لطول الزمن أوأصله تسنى أو تسنن والهاء للسكت. وننشزها بالزاي نرفعها من أنشزه اذا رفعه.

وننشرها بالراء نقويها ومنها حديث أبي داود: لا رضاع الا ما أنشر العظم وأنبت اللحم:

(التفسير) قال الاستاذ الامام ما ملخصه: للمفسرين في الآية قولان أحدهما ان هذا الذي مر على القرية كان من الصديقين أو الانبياء وثانيهما أنه كان من الكافرين وهو ضعيف لان الكافر لا يؤيد بآيات الله فالكلام على الوجه الاول وهو الصحيح مثل لهداية الله تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور كما كان شأن ابراهيم مع ذلك الكافر وقالوا ان هذا لا يصح ان يكون معطوفا على قصة الذي حاج ابراهيم في ربه لان ذلك منكر ورد على طريقة التعجيب والانكار لأن من شأن مثله أن لا يقع وهذا وان كان عجيبا لا يصح انكار وقوعه لأن الشبهة قد تعرض للمؤمن وهو مؤمن فيطلب المخرج بالبرهان فيهديه الله اليه بما له من الولاية والسلطان على نفسه ويخرجه من ظلمات الشبهة والحيرة الى نور البرهان والطمأنينة. وقد قدروا هنا «أرأيت» لإثبات التعجيب دون الانكار أي ﴿أو﴾ رأيت ﴿كالذي مر على قرية﴾ أي مثل الذي مر على قرية في إلمام ظلمة الشبهة به واخراج الله اياه منها الى النور. وقد أبهم الله تعالى هذا المارّ وهذه القرية فلم يذكر مكانها وأصحابها بل اقتصر على الوصف الذي به تقرر الحجة حتى لا يشغل القارىء أو السامع عنها شاغل فهو من الاختصار البليغ ولكن المفسرين أبوا الأن يبحثوا عنها وعمن مرَّ بها فقال بعضهم انها قرية الذين خرجوا من ديارهم وقيل غير ذلك وقيل ان الذي مرّ أرمياء وقيل العزيز رجما بالغيب

وقوله ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ معناه وهي خالية من السكان واقعة على عروشها فقوله «على عروشها» خبر بعد خبر أو متعلق بخاوية على القول الثاني أي ساقطة على عروشها. وقيل المعنى وهي خاوية من السكان وقائمة على عروشها ومن أمثالهم اذا نزعت القوائم سقطت العروش والحال تأتي من النكرة خلافا لمن منع ذلك وأوقع المفسرين في التعسف في التأويل واختيار الجملة الحالية على الحال المفرد لتمثيل حال القرية في النفس بذكر ضميرها وإسناد خاوية اليه ولو قال: على قرية خاوية لما أفاد هذا التمثل. ﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ يتعجب من ذلك ويعده غريبا لا يكاد يقع ﴿فأماته الله مئة عام ثم بعثه﴾

قالوا معناه ألبثه مئة عام ميتا وذلك ان الموت يكون في لحظة واحدة قال الاستاذ الامام وفاتهم ان من الموت ما يمتد زمنا طويلا وهو ما يكون من فقد الحس والحركة والادراك من غير ان تفارق الروح البدن بالمرة وهو ما كان لأهل الكهف وقد عبر عنه تعالى بالضرب على الآذان . أقول ولعل وجهه ان السمع آخر ما يفقد من ادراك من أخذه النوم أو الموت . وهذا الموت أو الضرب على الآذان هو المراد بالشق الثاني من قوله تعالى (٣٩:٤٢ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) والبعث هو الارسال فاذا كان هذا النوع من الموت يكون بتوفي النفس أي قبضها فزواله انما يكون بارسالها وبعثها

وأقول قد ثبت في هذا الزمان أن من الناس من تحفظ حياته زمنا طويلا يكون فيه فاقد الحس والشعور ويعبرون عن ذلك بالسبات وهو النوم المستغرق الذي سماه الله وفاة . وقد كتب الى مجلة المقتطف سائل يقول انه قرأ في بعض التقاويم ان امرأة نامت ٥٥٠٠ يوم بلياليها من غير ان تستيقظ ساعة ما في خلال هذه المدة وسأل هل هذا صحيح فأجابه أصحاب المجلة بأنهم شاهد واشابا نام نحو شهر من الزمان ثم أصيب بدخل في عقله وقرأوا عن أناس ناموا نوما طويلا أكثره أربعة أشهر ونصف واستبعدوا ان ينام انسان مدة ٥٥٠٠ أي أكثر من ١٥ سنة نوما متواليا وقالوا انهم لا يكادون يصدقون ذلك . نعم ان الامر غير مألوف ولكن القادر على حفظ الانسان ١٥ سنة قادر على حفظه مئة سنة وان لم نهتد الي سنته في ذلك فلبث الرجل الذي ضرب هنا مثلا مئة سنة غير محال في نظر العقل ولا يشترط عندنا فى التسليم بما تواتر به النص من آيات الله تعالى وأخذها على ظاهرها الأن تكون من الممكنات دون المستحيلات . وانما ذكرنا ما وصل اليه علم بعض الناس من هذا السبات الطويل الذي لم يعهده أكثرهم لأجل تقريب امكان هذه الآية من أذهان الذين يعسر عليهم التمييز بين ما يستبعد لانه غير مألوف وما هو محال لا يقبل الثبوت لذاته.

﴿قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ أي لم يفسد بمرور السنين أقول ولم يبين لنا تعالى نوع

ذلك الطعام وذلك الشراب ولا بد أن يكون مما يعدّ بقاؤه مئة عام من الآيات التي تدلّ رائيها على مالا يعلم من قدرة الله تعالى والافإن من الطعام والشراب مالا يفسد بطول السنين . وقد اختلفوا في المراد بقوله تعالى ﴿وانظر الى حمارك﴾ فقيل معناه انظر كيف مات وتفرقت أو تفتتت عظامه فلولا طول المدة لم يكن كذلك وقيل معناه انظر كيف بقي حيا طول هذه المدة على عدم وجود من يعتني بشأنه . كذلك اختلفوا في قوله ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ من حيث العطف ولا معطوف عليه في الكلام فقدّر بعضهم فعلا محذوفا أي ولنجعلك آيةً للناس فعلنا مافعلنا من الاماتة والاحياء وقال الاستاذ الامام: لنزيل تعجبك ونريك آياتنا في نفسك وطعامك وحمارك ولنجعلك آية للناس فالعطف دالا على المحذوف المطوي دلالة ظاهرة وهذا من لطائف ايجاز القرآن أما كون ما رأى آية له فظاهر وأما كونه هو آية للناس فهو أن علمهم بموته مئة سنة ثم بحياته بعد ذلك من أكبر الآيات وقد قال المفسرون انه كان عند موته لايزال شابا وكان له أولاد قد شابوا وهرموا وقد عرفوه وعرفهم و بيان ذلك ان بدنه لم يعمل في هذه المدة الاعمال التى تضنيه وتذهب بماء الشباب منه فتهرمه بل حفظت له حالته التي توفيت نفسه وهو عليها

ثم قال ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها بالراء من الانشار والباقون بالزاي من الانشاز . قال من ذهب الى ان الحمار مات ان المراد بالعظام هنا عظامه ومعنى ننشزها نرفعها ونركب بعضها ببعض ومعنى ننشرها نحييها . ولا مندوحة لمن قال بأن الحمار كان لايزال حيا من القول بأن المراد بالعظام جنسها

قال الاستاذ الامام: انه بعد ان أراه الآية التي تكون حجة خاصة لمن رآها نبهه الى الحجة العامة والدليل الثابت الذي يمكن ان يحتج به على البعث في كل زمان ومكان وهو سنته تعالى في تكوين الحيوان وانشاء لحمه وعظمه فالانشاء معناه التقوية والانشاز معناه التنمية لأن الذي ينمو يعلو ويرتفع كأنه يقول كما أطلعناك على بعض الآيات الخاصة التي تدلك على قدرتنا على البعث نهديك الى الآية الكبرى العامة وهي كيفية التكوين وانما كانت هي الآية العامة لأن القرآن يحتج بها

على جميع الخلق بمثل قوله (٧: ٢٩ كما بدأ كم تعودون) وقوله (٢١: ١٠٤ كما بدأنا أول خلق نعيده) وقوله في آيات تبين تفصيل كيفية البدء (٢٣: ١٤ فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) أقول ويؤيد هذا التفسير قراءة أبيّ رضي الله عنه «وانظر الى العظام كيف ننشيها» من الانشاء وعظام الحمار كانت موجودة لم يتعلق بها انشاء جديد بل الحمار نفسه كان موجودا على المختار وهو المتبادر من قوله «وانظر الى حمارك» ثم من اعادة العامل (انظر) عند ذكر آية انشاز العظام وانشاء الحيوان مع الفصل بينهما بذكر جعله في نفسه آية فهذا الفصل دليل على الانتقال من الآية الخاصة الى الآية العامة التي يغفل الناس عنها

﴿ فلما تبين له ﴾ أي ظهر واتضح له ماذكر ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ علما يقينيا مؤيدا بآيات الله في نفسي وفي الآفاق . وسأل الاستاذ الامام سائل عن كيفية هذا الكلام فقال ان الله تعالى لم يبينه وهو مما لا يدركه كل سامع فكانت الحكمة في عدم بيانه . أقول انما سأل السائل لأن الاستاذ جرى على أن الذي مر على القرية صدّيق أما على القول بأنه كان نبيا فهذا التكليم كان من الوحي ولا يبعد ان يكون مافي القصة لنبي قررت به الحجة هكذا كما وقع لابراهيم وقد يقع في نفوس الصديقين من المعاني والافكار الصحيحة مالا يقع في نفوس غيرهم فيعد من الهام الله تعالى اياهم ذلك كالهام أم موسى ما ألهمت به وقد يعبر عنه بالوحي ويحكى بمثل مايحكى عن التكليم . ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم

(٢٦٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(المفردات) فصرهن بضم الصاد املهن من الامالة وكذلك فصرهن بكسر الصاد يقال صاره اليه يصوره ويصيره بمعنى أماله . ويقال صار الرجل اذا صوّت ومنه

عصفور صوّار. وصاره يصيره قطعه وفصله صورا صورا يتعدى بنفسه . وقرىء بتشديد الراء مع كسر الصاد وضمها فأما الكسر فمعناه التصويت أي صوت وصح بهن وأما الضم فمعناه الجمع والضم

(التفسير) هذا مثال ثالث لولاية الله تعالى للمؤمنين واخراجه إياهم من الظلمات الى النور وهو كالذي قبله من آيات البعث وأما المثال الأول وهو محاجة من آتاه الله الملك لابراهيم فهو من الآيات على وجود الله . والحكمة في ذكر مثال واحد في اثبات الربوبية ومثالين في اثبات البعث أن منكري البعث أكثر من منكري الالوهية قال تعالى ﴿وإذا قال ابراهيم﴾ قال الجمهور التقدير واذكر اذ قال ابراهيم وقد صرح بمثل هذا المتعلق في قوله «واذكروا إذ جعلكم خلفاء» وقال بعضهم انه معطوف على قوله « ألم تر الى الذي حاجّ ابراهيم » واختار الاستاذ الإمام أنه معطوف على ماقبله والتقدير أورأيت اذ قال ابراهيم الخ. وقالوا انه صرح هنا بذكر ابراهيم ولم يصرح في المثال الذي قبله بذكر الذي مرّ على القرية لأن في سؤال ابراهيم من الأدب مع الله تعالى والثناء عليه ما ليس في سؤال ذاك فصورة ذلك صورة الانكار وصورة هذا صورة الإقرار مع طلب الزيادة في العلم ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ بدأ السؤال بكلمة ربّ التي تفيد عنايته تعالى بعبيده وتربيته لعقولهم وأرواحهم بالمعارف لتكون ثناء واستعطافا امام الدعاء أي أرني بعيني كيفية احيائك للموتى . وقد ذكروا أسبابا لهذا السؤال لا يقبل مثلها الا بالنقل الصحيح ولا يحتاج الى شيء منها في فهم الكلام ﴿قال﴾ تعالى وهو أعلم بماسأل عنه من المسؤول ﴿أولم تؤمن﴾ حذف مادخلت عليه الهمزة لدلالة العطف عليه وقدروا له ألم تعلم ولم تؤمن وعندي ان الاقرب ان يقدر: ألم يوح اليك ولم تؤمن بذلك ﴿قال بلى﴾ أي قد أوحيت اليّ فآمنت وصدقت بالخَبر ﴿ولكن﴾ تاقت نفسي للخُبر ،والوقوف على كيفية هذا السر ﴿ليطمئن قلبي﴾ بالعيان ، بعد خبر الوحي والبرهان ، وقال الاستاذ الامام مامعناه :في قوله تعالى لابراهيم «أولم تومن» وهو أعلم بإيمانه ويقينه إرشاد الى ماينبغي للانسان أن يقف عنده ويكتفي به في هذا المقام فلا يتعداه الى ماليس من شأنه كأنه يقول

إن الايمان بهذا السر الإلهي والتسليم فيه لخبر الوحي ودلائله وأمثاله هو منتهى مايطلب من البشر فلو كان وراء الايمان والتسليم مطلع لناظر لبينه الله لك وفي هذا الارشاد لخليل الرحمن تأديب للمؤمنين كافة ومنع لهم عن التفكر في كيفية التكوين واشغال نفوسهم بما استأثر الله تعالى به فلا يليق بهم البحث عنه

وقد فهم بعض الناس من هذا السؤال ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان قلقا مضطربا في اعتقاده بالبعث وذلك شك فيه وما أبلد أذهانهم وأبعد أفهامهم عن إصابة المرمى وقد ورد فى حديث الصحيحين «نحن أولى بالشك من ابراهيم» أي اننا نقطع بعدم شكه كما نقطع بعدم شكنا أو أشد قطعا . نعم ليس فى الكلام مايشعر بالشك فانه مامن أحد الاوهو يؤمن بأمور كثيرة إيمانا يقينيا وهو لا يعرف كيفيتها و يودّ لو يعرفها فهذا التلغراف الذي ينقل الخبر من المشرق الى المغرب فى دقيقة واحدة يوقن به كل الناس فى كل بلد يوجد فيه و يقل فيهم العارف بكيفية نقله للخبر بهذا السرعة أفيقال فيمن طلب بيان هذه الكيفية انه شاك بوجود التلغراف ؟

طلب المزيد فى العلم والرغبة فى استكناه الحقائق والتشوف الى الوقوف على اسرار الخليقة مما فطر الله عليه الانسان وأكمل الناس علما وفهما أشدهم للعلم طلبا وللوقوف على المجهولات تشوّقا ولن يصل أحد من الخلق الى الاحاطة بكل شيء علما وفقه كل موجود فقها وفهما . وقد كان طلب الخليل عليه الصلاة والسلام رؤية كيفية إحياء الموتى بعينيه من هذا القبيل فهو طلب للطمأنينة فيما تنزع اليه نفسه القدسية ، من معرفة خفايا أسرار الربوبية ، لا طلب للطمأنينة فى أصل عقد الإيمان ، بالبعث الذي عرفه بالوحي والبرهان ، دون المشاهدة والعيان ،

﴿ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك﴾ قرأ حمزة فصرهن بكسر الصاد والباقون بضمها مع تخفيف الراء فيهما ومعناه أملهن وضمهن اليك وقيل معنى قراءة الكسر فقطعهن ولكنه اذا كان بهذا المعنى لا يتعدى بإلى كما تقدم وقرئ بتشديد الراء وتقدم معناه ومع هذا قالوا أنه قطعهن وقد تكلموا في حكمة اختيار الطير على غيره من الحيوانات فقال الرازي مالا يصح ان يقال وقال غيره: الحكمة في ذلك أن الطير أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من

التقطيع والتجزئة وذكر الاستاذ الامام في الدرس وجها آخر وهو أن الطير أكثر نفورا من الانسان في الغالب فاتيانها بمجرد الدعوة أبلغ في المثل وسيأتي الوجه الوجيه في تفسير أبي مسلم للآية. ثم تكلموا في أنواعها ولا حاجة اليه وتكلموا في كونها أربعة فقالوا أنه الموافق لعدد الطبائع أو لعدد الرياح وليس بشيء وقال بعضهم انما كانت أربعة ليضع في كل جهة من الجهات الاربع بعضها وهو قريب ومال الاستاذ الامام فى ذلك الى التفويض. ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ﴾ قرأ أبو بكر في روايته عن عاصم جزؤا بضم الزاي حيث وقع والباقون بسكونها وهما لغتان. قالوا والمعنى جزئهن واجعل على كل جبل منهن جزءا ورووا انه ذبح الطيور ونتفها وقطعها أجزاء وخلط بعضها ببعض ولا يدل الكلام على ذلك ﴿ ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾ أي ادع الطيور يأتينك مسرعات طيرانا ومشيا ﴿ وأعلم ان الله عزيز حكيم ﴾ فهو بعزته غالب على أمره وبحكمته قد جعل أمر الإعادة موافقا لحكمة التكوين

ملخص معنى الآية عند الجمهور أن ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم طلب من ربه ان يطلعه على كيفية إحياء الموتى فأمره تعالى بأن يأخذ أربعة من الطير فيقطعهن أجزاء يفرقها على عدة جبال هناك ثم يدعوها اليه فتجيئه وقالوا انه فعل ذلك. وخالفهم أبو مسلم المفسر الشهير فقال ليس فى الكلام مايدل على انه فعل ذلك وما كل أمر يقصد به الامتثال فان من الخبر مايأتي بصيغة الامر لاسيما اذا أريد زيادة البيان كما إذا سألك سائل كيف يصنع الحبر مثلا فتقول خذ كذا وكذا وافعل به كذا وكذا يكن حبراً تريد هذه كيفيته ولا تعني تكليفه صنع الحبر بالفعل قال وفي القرآن كثير من الأمر الذى يراد به الخبر والكلام هنا مثل لاحياء الموتى ومعناه خذ أربعة من الطيور فضمها اليك وآنسها بك حتى تأنس وتصير بحيث تجيب دعوتك فان الطيور أشد الحيوان استعدادا لذلك ثم اجعل كل واحد منها على جبل ثم ادعها فإنها تسرع اليك لا يمنعها تفرق أمكنتها وبعدها من ذلك كذلك أمر ربك اذا أراد إحياء الموتى يدعوهم بكلمة التكوين «كونوا أحياء» فيكونوا أحياء كما كان شأنه في بدء الخلق اذ قال للسموات

والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين هذا ما تجلي به تفسير أبي مسلم وقد أورده الرازي مختصرا وقال:

« والغرض منه ذكر مثال محسوس في عود الأرواح الى الاجساد على سبيل السهولة وأنكر (يعني أبا مسلم) القول بأن المراد منه فقطعهن واحتج عليه بوجوه (الأول) ان المشهور في اللغة في قوله « فصرهن » أملهن وأما التقطيع والذبح فليس في الآية مايدل عليه فكان ادراجه في الآية إلحاقا لزيادة بالآية لم يدل الدليل عليها وأنه لايجوز (والثاني) انه لو كان المراد بصرهن قطعهن لم يقل اليك فان ذلك لايتعدى بإلى وانما يتعدى بهذا الحرف اذا كان بمعنى الإمالة . فان قيل لم لايجوز ان يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فخذ اليك أربعة من الطير فصرهن ؟ قلنا التزام التقديم والتأخير من غير دليل ملجىء الى التزامه خلاف الظاهر (والثالث) ان الضمير في قوله « ثم ادعهن » عائد اليها لا إلى أجزائها واذا كانت الاجزاء متفرقة متفاصلة وكان الموضوع على كل جبل بعض تلك الاجزاء يلزم ان يكون الضمير عائداً الى تلك الاجزاء لااليها وهو خلاف الظاهر . وأيضا الضمير في قوله « يأتينك سعيا » عائد اليها لا إلى أجزائها وعلى قولكم اذا سعى بعض الاجزاء الى بعض كان الضمير في يأتينك عائدا الى أجزائها لااليها .

« واحتج القائلون بالقول المشهور بوجوه (الأول) ان كل المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم أجمعوا على أنه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع اجزائها فيكون انكار ذلك انكارا للإجماع (والثاني) ان ماذكره غير مختص بابراهيم صلى الله عليه وسلم فـلا يكون له فيه مزية على الغير (والثالث) ان ابراهيم أراد ان يريه الله كيف يحيي الموتى وظاهر الآية يدل على أنه أجيب الى ذلك وعلى قول أبي مسلم لاتحصل الاجابة في الحقيقة (الرابع) ان قوله « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا » يدل على ان تلك الطيور جعلت جزءا جزءا . قال أبو مسلم في الجواب عن هذا الوجه انه أضاف الجزء الى الاربعة فيجب ان يكون المراد بالجزء هو الواحد من تلك الأربعة . والجواب ان ماذكرته وان كان محتملا الا ان حمل الجزء على ماذكرنا أظهر والتقدير فاجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا أو بعضا » اه كلام الرازي

أقول ماذكره في الرد على أبي مسلم لا ينهض شيء منه حجة وأقواه مسألة الجزء وجزء المتعدد واحد منه وجزء الواحد قطعة منه ولذلك سلم قول أبي مسلم وأما حكاية الإجماع فهي عجيبة من مثل الرازي على علمه بالأصول فان الاجماع الذي يحتج به في الأصول لا يأتي في مثل هذه المسألة مع مثل الذين كتبوا التفسير قبل أبي مسلم وكم من آية فهم الرازي وغيره فيها خلاف مافهمه جميع المفسرين من قبله ولم يقل أحد ان فهم فئة من الناس حجة على فهم الآخرين على أن مافهمه أبومسلم هو المتبادر من عبارة الآية الكريمة وما قالوه مأخوذ من روايات حكموها في الآية ولآيات الله الحكم الأعلى وعلى مافي تلك الرواية هي لا تدل

وأما قوله ان ماذكره أبو مسلم غير مختص بابراهيم فلا يكون فيه مزية : فهو مردود بأن هذا المثال لكيفية احياء الله للموتى أو لكيفية التكوين فيه توضيح لها وتحديد لما يصل اليه علم البشر من أسرار الخليقة ولا دليل على أن العلم بذلك كان عاما في الناس فيقال انه لاخصوصية فيه لابراهيم . على أنه يرد مثل هذا الايراد على حجة ابراهيم على الذي آتاه الله الملك وحجته على عبدة الكواكب في سورة الانعام فان مثل هذه الحجج التي أيد الله تعالى بها ابراهيم مما يحتج به الرازي وغيره فهل ينفي ذلك أن تكون هداية من الله لابراهيم واخراجا من ظلمات الشبه التي كانت محيطة بأهل زمنه الى نور الحق وقد قال تعالى (٦ : ٨٣ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم) الآية

وأما قوله ان اجابة ابراهيم الى ماسأل لاتحصل بقول أبي مسلم وانما تحصل بقول الجمهور فالامر بعكسه وذلك أن إتيان الطيور بعد تقطيعها وتفريق اجزائها في الجبال لا يقتضي رؤية كيفية الاحياء اذ ليس فيها الا رؤية الطيور كما كانت قبل التقطيع لأن الاحياء حصل في الجبال البعيدة . وافرض انك رأيت رجلا قتل وقطع إربا إربا ثم رأيته حياً أفتقول حينئذ انك عرفت كيفية إحيائه ؟ هذا مايدل عليه قولهم وأما قول أبي مسلم فهو الذي يدل على غاية ما يمكن أن يعرف البشر من سر التكوين والإحياء وهو توضيح معنى قوله تعالى للشيء كن فيكون ولولا أن الله تعالى بين لنا ذلك بما حكاه عن خليله لجاز ان يطمع في الوقوف على سر التكوين الطامعون ولو فهم الرازي هذا

لما قال انه لاخصوصية لابراهيم على التفسير . وهذا النوع من الجواب قريب من جواب موسى اذ طلب رؤية الله تعالى ومن جوب السائلين عن الاهلة وليس مثلهما من كل وجه فانه بين وأوضح ما يمكن علمه في المسأله نفسها ونهى عما زاد على ذلك

وجملة القول ان تفسير أبي مسلم الآية هو المتبادر الذي يدل عليه النظم وهو الذي يجلي الحقيقة في المسألة فان كيفية الإحياء هي عين كيفية التكوين في الابتداء وانما تكون بتعلق ارادة الله تعالى بالشيء المعبر عنه بكلمة التكوين (كن) فلا يمكن أن يصل البشر الى كيفية له الا إذا أمكن الوقوف على كنه ارادة الله تعالى وكيفية تعلقها بالاشياء وظاهر القرآن وهو ماعليه المسلمون ان هذا غير ممكن فصفات الله منزهة عن الكيفية والعجز عن الادراك فيها هو الادراك وهو ما أفاده قول أبي مسلم رحمه الله تعالى . ومما يؤيده في النظم المحكم قوله تعالى (ثم اجعل) فانه يدل على التراخي الذي يقتضيه إمالة الطيور وتأنيسها على أن لفظ صرهن يدل على التأنيس ولولا أن هذا هو المراد لقال : فخذ اربعة من الطير فقطعهن واجعل على كل جبل منهن جزءا : ولم يذكر لفظ الإمالة اليه ويعطف جعلها على الجبال بثم . ويدل عليه أيضاً ختم الآية باسم العزيز الحكيم دون اسم القدير والعزيز هو الغالب الذي لاينال . وما صرف جمهور المتقدمين عن هذا المعنى على وضوحه الا الرواية بأنه جاء بأربعة طيور من جنس كذا وكذا وقطعها وفرقها على جبال الدنيا ثم دعاها فطار كل جزء الى مناسبه حتى كانت طيورا تسرع اليه فأرادوا تطبيق الكلام على هذا ولو بالتكلف . وأما المتأخرون فهمهم ان يكون في الكلام خصائص للأنبياء من الخوارق الكونية وان كان المقام مقام العلم والبيان والإخراج من الظلمات الى النور وهو أكبر الآيات . ولكل أهل زمن غرام في شيء من الأشياء يتحكم في عقولهم وأفهامهم والواجب على من يريد فهم كتاب الله تعالى أن يتجرد من التأثر بكل ما هو خارج عنه فانه الحاكم على كل شيء ولا يحكم عليه شيء ولله در أبي مسلم ما أدق فهمه وأشد استقلاله فيه

﴿ غلط في تفسير هذا الجزء ينبغي تصحيحه بالقلم ﴾

في السطر ٣ من ص ١٦١ وهي الاولى من هذا الجزء «ويستعمل في كل خير»

والواو في يستعمل زائدة . وفى س ٥ ص ١٦٢ «وانفصام الانكسار» وصوابه (والانفصام الانكسار) وقد سقطت الالف من أول س ٢ و ١٩ منها وهو مما لا يخفى . وفى س ١١ من ص ١٦٤ «الحياة للبقاء والى الأبدي» وصوابه «الحياة الدنيا وللبقاء الأبدي» وفى س ١١ من ص ١٦٨ «بل يفهم منه» وصوابه (بل قال كلاما يستلزم ذلك ويفهم منه) وفي س ١٧ منها «ظلموا» وصوابه (ظلوا) وفي آخر س ١٩ منها «تؤديها» وصوابه (تؤيدها) وفي س ٢١ منها «يقبلون ثقة» وصوابه (يقبلون تصرفهم ثقة) وفي آخر س ٣ ص ١٦٩ لفظ (عند) زائداً وفي س ١٠ ص ١٧٣ «يريد من لم» والصواب (يريد بمطفيء المصباح من لم) وفي س ١٢ منها «أو اتباعه» والصواب (أو اتباعا) وفي س ١٢ من ص ١٧٤ لفظ (الطعن) زائدا وصحح قبل تمام الطبع وفي س ٩ ص ١٧٧ «وحمارك» وصوابه (وشرابك وحمارك) وفي ص ١٧٨ الاستدراك الآتي وفي س ١٦ منها «ويحكى» وصوابه (ويحكى عنه) والسبب في هذه الاغلاط ان الكراريس التي هي فيها طبعت قبل إعادة النظر فيها لما أصابنا بعد كتابتها من التوعك الذي لازمنا أسبوعا لم نحسن فيه عملا بل قلما عملنا فيه شيئا

﴿ استدراك ﴾

فاتنا ان نذكر في تفسير (أو كالذي مر على قرية) وجه الشبه بين ما تبين لهذا المار من آية البعث وبين إحياء القرية اذ اقتصرنا على كون ذلك دليلا على بعث الموتى فقط وإنما كان خراب القرية بخلوها من السكان وبالخراب المعبر عنه بسقوطها على عروشها وقد تبين وجه الدليل على الاول وأما الثاني فقد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كلمة نستدركها هنا ومحلها بعد السطر الثامن من ص ١٧٨

ثم قال فهذه العظام توجد في أول الخلقة عارية من لباس الحياة بل قال فقيرة من مادتها فالقادر على ان يكسوها لحما يمدها بالحياة ويجعلها أصلا لجسم حي قادر على ان يعيد الخصب والعمران للقرية . كما ان القادر على الاحياء بعد لبث مئة سنة قادر على الاحياء بعد لبث الموتى الوفا من السنين . هكذا يشبه بعض أفعاله بعضا

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لان قلب الشيء عندها لبه ومحضه وخالصه ومن الأول قوله تعالى (٣:١٥٩ ولو كنت فظاً غليظ القلب) ومن الثاني (٥٠:٣٧ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٢٢:٤٦ فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما نجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضادّ فجعلوا العقل خصيما للقلب والعلم عدوّا للدين . ورأى آخرون منهم انها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدو أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضادّ أن القلب موضع الشعور الوهميّ الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يُخاف أولا يخيف ويرجو ما لا يرجى و يتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم، ومعاداة العقل والعلم، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان للقلب وأنفذه حكما على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فعبدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فعبدهم وعدّ نفسه قدارتقى بذلك ارتقاء

مبينا، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولآخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة و يفند أكثر ماوصفته الاديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لاحقيقة له ، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الاوهام التعبدية ، وتمده سائر الوجدانات الدينية ، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأمور المحسوسة و ينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدين في ذاتيهما وفي أثرهما في الناس و يكون من الصواب ان نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان ، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الاديان ، ؟

وأما حجة الذاهبين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره و يخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا وانه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة و يصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأكوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لانه قـد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشقى بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقائهم ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان اللذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبغي والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين

لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كمل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة نقصا وأشدها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي فقوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منهما قد وجد لحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤنهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا للقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم باعفاء أثره ولا نعد خطأ العقل في تلك الاطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالاوهام حتى استعبدوهم ونقول اننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هـذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشـد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ماجاء في كتب الوحي مما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منهما سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان نقول إن بعض مافي تلك الكتب مدرج من النساخ وان ماقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ماعرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أومخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الاكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكان تصديهم له خروجا عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والارواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات ومايتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كماله الروحاني والوسيلة لتهذيب جميع أنواع وجدانه وشعوره وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيدا بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو إخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الانبياء الخاص بهم مستمدا من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايمان بالله و بعالم الغيب

لانه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والرذائل لإنه من باب الإنشا الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وانما يعرف حسن مثله وقبيحه باثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه ومما يدل على أنهم يستمدون هذه الانواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئا من عرفانهم بالكسب والنظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئا مذكورا وفاتهم ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن فى العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أوفي الدين مسائل تعارض شيئا من العلم أوالتاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوّزا لابطال أحدهما للآخر أو مسوّغا لتركه لان صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثا ولا يترك سدى . و بهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينا كبسمارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان فى كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله و يقولون إن هذا نقص فى بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه فهو يغفر ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لا غنى للبشر عنها

وتجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين المتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب الجرمانيـة (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطته يعني ان استفادة موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي الايمان بانه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون النبي الموحى اليه مؤيدا من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيدا به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلبا وأكمل عقلا من عبيد المادة واسرى الحواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب و وجدانه الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، و يعيش حسيا كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لأنها تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثر في متفرنجي المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر ما ليس لهولاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومهما ما ليس في دين هؤلاء ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشغلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقر وجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم يتقنوا علما ولم يحسنوا عملا بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة   لانهم كفروا بالله تقليدا

**

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهاك بيانه: يسعد الانسان بعمله و يشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيمضي فيه و يختلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس، وتسخيرا للحس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة و ينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا إليه فيطيعه تارة و يعصيه أخرى — يطيعه اذا كانت داعية الوجدان ضعيفة و يعصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شِرَّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، و يتراخى في فترته فيُغفل، فلا جرم أنهما في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان مكين، مطاع ثمَّ أمين، يرضيان بحكومته، ويقفان عند نصيحته، مهما ظهرت لهما آيته، ورفعت فوقهما رايته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وان ارتفاع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والعدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، و بذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تعتدل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وانما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ فيجني بخطئه على القلب و ينحرف بالوجدان عن القصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف و يبغض القبح الحسي والمعنوي — يتلذذ بنيل ما يحب و برجاء نيله و يتألم بما يكره — يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فاذا رجا مالا يرجى أوخاف مالا يخاف أو أحب مالا يحب أوكره مالا يكره فانما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضارّ أو نافع وانما الحسّ هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومهما جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى خيره ، وذلك الشيء مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بنصحه ، وقلما يطغى الوجدان فى شيء الا و يكون الفكر هو المدّ له في طغيانه ، فكلما أوغل العقل في التصوّر والتفكر ، يوغل القلب فى الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتعسفه في مجاهيل الاوهام

لو فقد الانسان الوجدان فأمسى لايحب ولايكره ولايخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلك بترك العمل والسعي فى جلب المحبوب ودفع المكروه واتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومؤاخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا . فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لابد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو يغش بجهل فهل يصح أن يقال انهما ضدان ، أو نطلب على حقية الأول منهما البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينيات ،

على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبدإ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاصل في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرفة في العالم . هذا هو مبدأ الدين فى البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكلما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التعبد للاشياء المحدثة بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والاذعان ، يدعوه الى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل مايدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلها لأن العقل يوله ويتحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وانما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وانما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان، لحكمة امتاز بها الانسان، وانما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان، وعن الحلول في كوكب أو انسان، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأحبار والقسيسين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فانه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الا وجدان الدين مع ان فكر الاكثرين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساؤا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدوا للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ومكنهم الدين من ذلك ببنائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الاساس وإبطال تلك الزعامة حتى انه لم يجعل للنبي نفسه شيئا منها (٣:١٢٨ ليس لك من الامر شيء - ٨٨:٢١ فذكر انما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه الى رأي أصحابه ثم انه بين العقائد بالبراهين العقلية، وقرن الآداب والاخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الاحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد الى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده، لتكون جميع قوى الانسان متحدة في إبلاغه غاية كماله، وكان كتابه حجة عقلية على حقيته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان، واعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض، وحفظه من التغيير والضياع، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين ان يقول فيه بنقيض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه، و بين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ،أم يليق به ان يترك هداية هذا الدين ، و يتبع وسوسة الماديين ؟

كلا ان من عرف هذا الدين لا يمكن ان يتركه ولكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد، بما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجبوهم عن محاسن هذا الدين ، وابرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فهم العلة لكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فعسى ان يهيء الله للمسلمين من أهل الاصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه، و يعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم الى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، و يكونون هم الائمة الوارثين، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين ،

(تصحيح) في س ٢٠ ص ١٩٢ « تمتدل» وصوابه (تمتل) فليصحح

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص ونقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة واننا نورد من ذلك ماعدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر انه من كلام شيخ الاسلام :

« والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا أمر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان مالم يكن حتى كانه لم يسمع الآية الاحينئذ و يحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر مالم يكن فيزداد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو لم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بان لايخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أوغيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداه لقلبه زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولايجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيهما لزمه من الايمان المفصل بذلك مالم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله و بالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بماوجب عليه من الايمان وليس ماوجب عليه ولاماوقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وماوقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه مايجب على سائر الأمة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فايمانه اكمل ممن عرف مايجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولاعمل بذلك ولاهو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ماجاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكلما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وماأمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فآمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الالواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن المخبر وان جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلا ظاهرا

﴿ السادس ﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿ السابع ﴾

ذكر الانسان بقلبه ماأمر به واستحضاره بحيث لايكون غافلا عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذاذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿ الثامن ﴾

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لايخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وان أشبه المجمل والمفصل لكن صاحب المجمل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ماجاء به الرسول وهم لايعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولا أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عمل عملا أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ماقاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ماجاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونيــة يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد أجمع أهــل الفقه والحــديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال والايمــان عندهم يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال وأما سائر الفقهاء من أهــل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي وأحمــد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلاّم وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا كل ما يطاع الله به من فريضــة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصي قال وأهــل الذنوب عنــدهم مؤمنون غير مستكملي الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى الى قوله صلى الله عليــه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة وانتحلوا دعوة المسلمين من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال . ثم قال وعلى ان الايمان يزيد و ينقص يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الامصار وهذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارثة وبحديث عبادة بن الصامت «من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا) أي هم المؤمنون حقا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا أمانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيه استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من أصبع أو يد أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الاشعري وغيره ولاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فى ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولا مخالفا للنص

والاجماع القديم حقيقة ويكون معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يثيبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ماعجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فتثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الاذهان لافي الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي والاشتراك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفى التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المعينة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا أنه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبداً وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا اعداداً مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبعدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان

بدافي الاعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة وقال ويزيده ان كل واحد يعلم ان مافي قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرازق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الائمة وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالعصيان وقد ذكرنا من ذلك ما لعله يحصل به المقصود والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هـذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينيـة من الألفاظ من غـير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان رواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين باعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة فى الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ماجاء به النبي حق دون العمل وان المؤمنين فيه سواء قد جرأ الناس على الفسوق والعصيان ، ثم حملهم على التحريف المعنوي للقرآن، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال فى المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لاتحصى الا بجهد وعناء وترى أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وانما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو إجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويجعلونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنته في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عـذاب الله فى الدنيا ماحقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لايتوبون ولا يذكرون وانما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولايعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقون على استقلال ماعرضة للخطر. ثم ان كثيرا من كتابهم يثرثرون فى دائهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبائهم ، وهم يجهلون الداء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اعتصم به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة لعلهم يكونون من الهادين المهتدين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(الانفاق على التعليم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التونتاري المدرس بتونتار (روسيا):

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من العلماء المتبصرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية «زيمسكى صوما» ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار مايجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر ويصرف من هذه النقود مايصرف من وظائف المأمورين الملكيين وسائر مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الانتفاع بهذه النقود - لا لمنع الحكومة بل لعدم سؤالهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها — على اشتراكهم في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس فيها مكاتب دينية لفقر الأهالي وفقد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة الخصوصية للجميع فعم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة أزعجت القلوب المملوءة بالحمية وألجأت الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الاهذه السبيل (أي الاستعانة بمالهم في تلك الخزانة) فسعوا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصله : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الاسلامية التي لاتوجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والنفقة عليها اذ الغرض من وضع تلك الخزانة هو انتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالانتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكى أوپراڤا) أجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدّ عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أيّ فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولايرضي بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني انه لاضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما ومايؤخذ منها لمصالحنا إنما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعلل بأن فيها مال الايتام وهم لاينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال فى الادارة الملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لايردّ الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفاتر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لايضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جُنوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماع هذه المسألة وبكى،و بكل عدوّ للمسلمين قد أغرب لسماعها ضحكا

حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غيرمسلم برضاه لصرفه فى مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز انتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مالك غير هذا الحاكم

أو يحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لان الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فاذا أعطانا شيئا منه لننفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كان وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانعا من الانتفاع به لكان وضع درهم ليتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعا لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بديهي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا تخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهنالك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجح جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضا لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١٤ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التى تنشر في كل بضع سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه تعلمون الحق في ذلك وتعذروننا اذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشاة حلفه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالمأكل والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكلا من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدنيا وانما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتهاء أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلتذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقيا فقلت له ان في القرآن الحكيم مايدل على ذلك نحو قوله تعالى (٤٣ : ٧٢ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقوله تعالى (٥٢ : ١٩ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٥٢ : ٢٠ وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالتنعم في الجنة بالأكل والشرب والنكاح المعلومة لذته لهم تقريبا لأفهامهم وتشبيها اذ لو وصف لهم التنعم بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التنعم . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء: ولقصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملتمسا الاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراكي في المجلد الثامن ولازلتم في عز وجاه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاخلاف بين المسلمين في الانسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من العلل ومتى كان الانسان إنسانا فلا وجه لاستنكار أكله وشربه وغشيان أحد زوجيه للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لاخراجها عن ظاهرها وتحريفها عن معانيها اتباعا للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرقى مما في الدنيا وان حقيقته غيبية مارأت مثلها عين ولاسمعت بمثلها أذن ولاخطرت على قلب بشر ولكن ذلك لايمنع ان تكون حقيقية جامعة بين اللذة البدنية واللذة الروحية لان الانسان بدن وروح . واني لاأعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا توهمهم ان اللذة الجسية نقص في الخلقة لايليق بالعالم الآخر . ولو عقلوا

حققوا العلم وأنه ليس في الفطرة نقص فداعية اللذة والتمتع بها من كمال الخلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتعه وقد يسوقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليتمتع به وكان ذلك ضارا بنفسه و بمن يعيش معهم كان الاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والعدوان من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وانما يناله اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوق سواه

أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجح المختار من القولين في ذلك انها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت مزيد البيان فراجع تفسير الآيات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أواني الفضة وزكاتها﴾

(س١٢ و ١٤) علي أفندي مهيب بتفتيش التلغرافات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعماله هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصابها الكامل ومامقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة النهي عن الاكل والشرب في آنيتها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجماهيرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص٤٢١ و٤٢٢ م٧) والذي أعتقده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وان كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالنقدين والانعام السائمة وغلة الأرض. ولعل الاصل في ذلك ما رووه في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي وأعل البيهقي ماروي في زكاة الحلي بما

لامحل لذكره ولا لما قيل فى الجواب عنه والمعتمد عندي ماقاله الترمذي من انه لم يصح فى هذا الباب شيء

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكنز من الذهب والفضة وهو مايجمع بعضه فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزونا هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة واصطلح اكثر الفقهاء على جعله بمعنى ماوجبت فيه الزكاة فلم تؤدوا والمتبادر ان المراد به النقود المضروبة لأنها هي التي تكنز وتنفق دون الحلي والأواني. وفى حديث علي مرفوعا « قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء فاذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن ضمرة وطريق الحارث الاعور عنه وقال سألت محمدا -- يعني البخاري — عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح . والرقة هي الدراهم المضروبة . وقد أيد القائلون ليس فى الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس. قال فى حاشية المقنع وقد تكلم عن روايتين فى المذهب: ووجه الأولى ماروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «ليس فى الحلي صدقة» ولانه مرصد لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل من البقر وثياب القنية والآحاديث التي احتجوا بها لاتتناول محل النزاع لان الرقة هي الدراهم المضروبة : اه وما ذكره من القياس على العوامل من البقر والثياب ظاهر جدا

وقد علم السائل أن الذي أعتقده في المسألة ان المحظور من استعمال الذهب والفضة هو ماجاء به النص وان ماتجب فيه الزكاة هو ماورد به النص وقال بعض العلماء ان الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية . وهو مايوجبه الاكثرون. وعلم أيضا أن نصاب الفضة مئتا درهم وان فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم

(بيع انقاض المسجد وتجديد بنائه بثمنها)

(س١٥) ا . ب في بيتنزورغ (جاوه)

ماقولكم رضي الله عنكم في أنقاض مسجد موقوف خرب وارادوا بناءه فهل يجوز بيع تلك الانقاض التي لاتصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفتونا مأجورين

(ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الا ببيعه وانما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة اذليس كل ناظر وقف يقف عند حدود الشرع فلو وكل الامر الى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجه الى بيان اننا لا نكلف حفظ هذه الانقاض بغير فائدة تدينا وتعبدا . ومن البديهي ان تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف يتعذر مع وجود تلك الانقاض والأمر دائر بين بيع مالا ينتفع به في بنائه و بين نقله الى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ انما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأي كتاب أم أية سنة تعبدتنا بأن ننفق المال سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف ؟ واننا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف ليستبدلوا بها أعيانا أخرأ كثر ريعا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نسائها بالحور العين)

(س١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي

تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمونها بالاعمال فما بال الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحور العين الحسان يتمتع بهن و ينعم بقربهن فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحور العين هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لا زوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب السؤال هو توهم ان وصف الحور العين خاص بنساء يخلقن في الجنة وان نساء الدنيا لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿أسئلة من سنغافوره﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبده . قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها الى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها ببعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كالصلاة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وانما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة لحديث أبي الدرداء مرفوعا « ماطلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر فمن أبى فقد كفر » قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة الاسانيد لكنها ليست نصا في التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » قاله لعلي وهو فى صحيح مسلم وغيره وفى الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي فى الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا . وخير للمسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطىء أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو عاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطىء له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية تفيد بجملتها وتفصيلها أنه كان طالبا للملك ومحبا للرياسة وإني لأعتقد انه قد وثب على هذا الأمر مفتاتا وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايعه أولو الأمر أهل الحل والعقد وان كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته لشيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لئلا يفرق كلمة المسلمين و يشق عصاهم ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أحرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوضا ثم أنه جعلها وراثة في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطالها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم على المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول على المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوّموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه » وانني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا فى الطعن فى الأشخاص والنبز بالالقاب. واللعن والسباب، وانما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسعوا فى تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسيما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطع واليقين ولا يعرف قبر لنبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



آثار علمية أدبية

وصف الأسد

لأبي زبيد الطائي

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تجيد وصف الأسد فقال له: لقد رأيت منه منظرا، وشهدت منه مخبرا، لايزال ذكره يتجدد على قلبي. قال: هات مامر على رأسك منه. قال: خرجت ياأمير المؤمنين في صيابة من افناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها القزوانيات (٢) ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروّط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت (٦) المياه، واذكت الجوزاء المعزاء (٧) وذاب الصيخد (٨)، وصرّ الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠)، قال قائلنا: أيها الركب غوروا بنا فى

(١) الصيابة بالتشديد من الناس جماعتهم ولبابهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا. (٢) المهارى جمع مهرية الابل المنسوبة الى مهرة وهي تسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد. (٤) حمارة القيظ شدة الحر. (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد بشالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شوّل ذنبها للقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شوّلت القربة والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت. (٧) المعزاء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشعلت الأرض (٨) الصيخد: عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صرّ صوّت والجندب (كدرهم) صغير الجراد يلازم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يصرّ الا عند مايحمي وطيس الحر. (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغلل (١٣) شجراؤه مغنة، وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصـول دوحات كنهبلات (١٤) فأصبنا من فضلات المزاود (١٥) ، واتبعناها بالماء البارد ، فإنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته ، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم مالبث ان جال فحمحم (١٧) ، و بال فهمهم «١٨» ، ثم فعل فعله الذي يليه واحـد بعد واحد فتضعضعت الخيـل ، وتكعكعت (١٩) الابل، وتقهقرت البغال . فمن نافر بشكاله (٢٠) ، وناهض بعقاله (٢١) ، فعلمنا ان قد أتينا وانه السبع لاشك فيه ، ففزع كل امريءٍ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣) فاقبل يتظالع (٢٤) فى مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدره نحيط (٢٦) ،

واذا اشتد الحرلجأت العصافير الى الظل ولو في الأوجرة . (١١) قال فى الاساس أخـذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها : أي حيث الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوج بالجيم وهو موافق لما فى القاموس ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل :الشجر الكثيف الملتف والنبت الكثير المشتبك . (١٣) الغال المـاء الذي يجري بين الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات . وشجر كنهبل كسفرجل عظيم فهووصف مؤكد . (١٥) المزاود أوعية طعام المسافرين . (١٦) صرّ اذنيه نصبهما للسماع . (١٧) حمحم صهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف . «١٩» تكعكعت : أحجمت وتأخرت الى الوراء . «٢٠» الشكال حبل تشـد به قوائم الدابة وهو خاصّ بالدواب . «٢١» العقال : حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه وهو خاص بالأباعر . «٢٢» جربان السيف غمده . «٢٣» زردق كجعفر بزاي فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قال أبو الطيب يصف فتك سيوف جيش ممدوحه بعدوهم

لقد وردوا ورد القطا شـفراتها　　ومروا عليها رزدقا بعد رزدق

«٢٤» يتظالع يتغامز من الظالع وهو عرج قليـل والمجنوب المصاب بذات الجنب «٢٥» الهجار حبل يشد في رسغ البعـير الى حقوه « ٢٦ » النحيط الزفير

ولبلاعيمه (٢٧) غطيط ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه نقيض (٢٩)، كأنما يخبط هشيما (٣٠) ، أو يطأ صريما (٣١) واذا هامة كالمجن ، وخدّ كالمسن ، وعينان سجراوان (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ربلة (٣٤)، ولهزمة رهلة (٣٥)، وكتد مغبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكف شثنة البراثن (٣٨)، الى مخالب كالمحاجن (٣٩)، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠)،وكشر فافرج ، عن أنياب كالمعاول (٤١) ، مصقولة، غير مفلولة ،(٤٢) وفم اشدق، (٤٣) كالغار الاخرق ، ثم تمطى (٤٤) فاسرع بيديه ، وحفز (٤٥) وركيه برجليه، حتى

---

(٢٧) البلاعيم مجاري الطعام في الحلق «٢٨» الوميض لمعان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ كقفل و بضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ومفصل مابين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة . والنقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال ومافي معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهها هنا الارض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط الهشيم وواطىء الصريم والخبط الوطء الشديد والمجن الترس والمسن ما يسن عليه يعني ان وجهه لالحم عليه «٣٢» سجراوان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة كبقرة أصل العنق اذاغلظت. «٣٤» الربلة الكثيرة اللحم «٣٥» اللهزمة (كعكرمة) بالكسر عظم ناتىء في اللحي تحت الاذن أومجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ـ ورهلة مسترخية . «٣٦» الكتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومغبط محبوك أومرتفع «٣٧» الزور وسط الصدر ـ ومفرط ممتلئ وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للغدير ونحوه فيقال غدير مفرط أي ملآن ماء . «٣٨» كف شثنة : غليظة ـ والبراثن جمع برثن كقنفذ هي من السباع كالاصابع من الانسان . «٣٩» مخالب الاسد أظافره ـ والمحاجن جمع محجن كمنبر وهو العصا المنعطفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالع الخ . «٤٠» أرهج : أثار الغبار «٤١» المعاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفلولة مثلمة «٤٣» أشدق عظيم الشدقين. «٤٤» تمطى تمدد وتبختر «٤٥» حفز وركيه برجليه

صار ظله مثليه ، ثم أقعى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فا كفهر ، (٤٧) ثم تجهم فازبأر (٤٨) فلا والذي بيتــه في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهصــه ، (٥٠) ثم أقعصه ، (٥١) فقضقض متنه ، (٥٢) و بقر بطنه ،فجعل يالغ (٥٣) في دمه . فذمرت (٥٤) أصحابي فبعد لأي (٥٥) ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيهما حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أعجر ذاحوايا (٥٩) فنفضه نفضــة فتزايلت أوصاله (٦٠) وانقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) فقرقر ،ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرجر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شماله و يمينه ، فارتعشت الايدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الاسماع ، وحمجت (٦٧)

دفعهما بهما وهما مثنى ورك ككتف هي ما فوق الفخذ . «٤٦» أقعى : جلس على أليتيه ونصب فخذيه واقشعر ارتعد . «٤٧» اكفهر كلح وعبس . «٤٨» الجهم الوجه الغليظ السمج وتجهمه قابله بوجه جهم وازبأر : تنفش وتهيأ للشر . «٤٩» الجزارة كنخالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهصه رماه وضرب به الارض . «٥١» أقعصه قتله مكانه واجهز عليه «٥٢» قضقض متنه كسر ظهره — و بقر بطنه : شقه «٥٣» يالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» ذمره على الشيء حثه عليه لائما أومعنفا ليجد فيه «٥٥» لأي : بطء . «٥٦» مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته «٥٧» الشيهم كبيرق القنفذ العظيم — والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج انتزع واجتذب . «٥٩» الاعجر الممتلىء جدا أو عظيم البطن — والحوايا : الامعاء «٦٠» تزايلت تباينت وانفصلت — وأوصاله جمع وصل كنسر وهي المفاصل أو مجتمع العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نحم أي تنحنح — وقرقر هدر وزأر . «٦٣» زفر اخرج نفسه بمده بصوت — و بربر صوت «٦٤» زأر : صات من صدره وجرجر : ردد صوته في حنجرته «٦٥» اصطكت اضطربت «٦٦» الاطيط صوت الرحل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند الجوع واطت الابل أنت من التعب أو الحنين «٦٧» التحميج هو نظر الفزع المذعور والمتحير المبهوت فالاول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

العيون، وانخزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،

عبوس شموس مصلخد خنابس (٦٩) ... جريء على الارواح للقرن قاهر
منيع ويحمي كل واد يريده ... شديد أصول الماضغين مكابر
برائنه شثن وعيناه في الدجى ... كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر
يدلّ بأنياب حداد كأنها ... اذا قلص الاشداق عنها خناجر (٧٠)

فقال عثمان (رض) : اكفف لا أمَّ لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأني أنظر اليه يريد يواثبني.

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام — تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص٢٣٣) شاكي الجوانح من خلائق ظالم ... شاكي السلاح على المحب الاعزل

(شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر

(ص٢٥٤) رأيتك للسفر المطرد غاية ... يؤمونها حتى كأنك منهل

(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرد الطويل) السفر هنا ليس أصله مفتوح الفاء فسكنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وانما هو بسكون الفاء من الاصل لانه جمع سافر كصحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفر اي مسافرون والمطرَّد اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرَّد وهو نعت لسفر باعتبار لفظه كما أن يؤمون عاد اليه باعتبار معناه . والمطرد انما يكون بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد اي طويل كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» انخزلت المتون أي انكسرت الظهور «٦٩» والمصلخدّ المنتصب قائما الشموس الممتنع لا يمكن منه أحد الخنابس الكريه المنظر والنوي الشديد الثابت وهو من أسماء الاسد «٧٠» يدل بالشيء يجترىء بسببه يقال أدلّ بقوته وسلطانه وأدلت بحسنها وجمالها والاشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكشير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمونك كما يؤم العطاش المناهل.

(ص ٢٥٤) والا تكن تلك الاماني غضة ترف فحسبي ان تصادف ذبلا

(ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذا لم أصادف اماني غضة طرية فاني راض بان تكون ذابلة لا غضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول فى الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨ وتفسير الذبول هنا باليبس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من الفائدة والنفع ولو قليلا وتلك القلة كنى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول اليبس كان كناية عن خيبته وعدم نيله لامانيه وقوله «حسبي» ينافي هذا كما لا يخفى

(ص ٢٦٩) قدعتم فمشيتم مشية أمما كذاك يحسن مشي الخيل باللجم

(قدعتم لجمتم) لعل صوابه ألجمتم لانه يقال ألجمت الفرس لا لجمته. ثم ان تفسير القدع بالالجام لا أراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن: القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كففته بلجامه لتنهنه من حدة جريه فالشاعر يقول ردعتم عن مرامكم وكففتم عن غيكم كما تكف الخيل بلجمها فتمشي مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصردة وأخرى تثجم تلك التي رزقت وأخرى تحرم

(مصردة لاشجر بها) الارض التي لا شجر بها يقال لها مصراد كمفتاح لا مصردة اما المصردة هنا فمن التصريد ومعناه التقليل وصرد له العطاء قلله وصرد السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقلل قال النابغة

وتسقي اذا ماشئت غير مصرد بصهباء في حافاتها المسك كارع

وقرن الأثجام بالتصريد هنا مثل قرن الوابل بالطل في الآية الكريمة.

(ص ٢٩٤) وبالخدلة الساق المخدمة الشوى قلائص يتبعن العبنى المخدما

(المخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ماذكره لا يصلح هنا لا في تفسير الكلمة الاولى «المخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «المخدما» لان ما ذكره من صفات التحجيل وهو للخيل. وكلمة القافية جارية على العبنى وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للغادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلخال كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبدل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الغواني زات الخلاخيل صارت ترتع فيه النياق اللائذة بفحلها المشدود الرسغ بالسير ٠

(ص٣٠٣) قد قلصت شفتاه من حفيظته فخيل من شدة التعنيس مبتسما

(قلصت كمدت) الكمد والكمدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليص في شيء ٠ والتقليص له معان واذا اسند الى الشفة فقيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمرت علوا وهذا ما أراده الشاعر

(ص٣٢٣) ويوم المصدفية حين ساموا أنو شروان خطباغير هين

(ساموا اذاقوا) سام فلانا الأمر كلفه اياه وسامه خسفا أولاه اياه وأراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كما في الاساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بثمن ويريده مشتريها على أقل منه ٠ فقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أنوشروان على التوسط فى خطب اعتدوه له وهو يحاول التفصي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالاطاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا ٠

(ص٣٢٤) تآمرت نكبات الدهر ترشقني بكل صائبة عن قوس غضبان

(تآمرت اتفقت) تآمروا تشاوروا كأتمروا واسناد التآمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف ٠ وتفسير التآمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه واللائق بها هنا٠ واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وانما هو شيء يفهم من المقام

(ص٣٤٤) أميلوا العيس تنفخ في براها الى قمر الندامى والندي

(البرى التراب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعفن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس اذا أوضعت في السير تجعل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في أنوفها لاالتراب الذي على الارض على انه لامعنى لإضافةالتراب الى العيس

(ص٤١٣) كالليل أوكاللوب أوكالنوب منقادة لقادرغر بيب

(اللوب الابل السود) اللابة الابل المجتمعة السود على انه لايمكن ان تراد الابل السود هنا فقط لئلا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لانالشاعر انمايصف الابل ويظهر من تشبيهه لها بالليل والزنج انها كانت سوداء فكيف يشبهها وهي سود بالابل السود. وانما اللوب هنا جمع لو بةوهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لو بي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة ومنه لابتا المدينة .

هـذا ما أردت محادثة الشارح فيه او مؤاخـذته عليه مما سبق الى الخاطر الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لعـثر على أكثر مما عددته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب على ظني تحريفه أوتصحيفه كقول الشاعر ص٢٧

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قودا ركوبا

فقال الشارح « القود البعيرالمسن » والصحيح ان القود باتفاق الخيـل اما البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعرفي ص٤٤٩

قضيب من الريحان فيغير لونه وأم رشا في غير اكراعها الخمش

فقال الشارح (الخمش المخدشة) والصواب انالـكلمة في البيت مصحفة عن الحمش بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضئيلهما وقدحمشت ساقه وهو حمش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة

وساق مخلخلها حمشـة كساق الجرادةأو أحمش

ومثله مافي ص ٣٥

كالاجدل الغطريف لاح لعينه خزز وأنت عليه مثل الاجدل

فقال الشارح (الخزز الحساءالدسم) مع انالاجدل الذي هوالصقرلا يأكل الاطعمةالدسمةولا ينقض عليهاوانماالـكلمة خزز كصرد ولا مهازاي لاراء ومعناهاذكر

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالصقر يعلو صقرا رأى أرنبا فجد فى أثره . ونظيره أيضا مافي ص ٢٥٦

أباجعفر ان الجهالة أمها　ولودٌ وأمُّ العلم جذاء حائل

فقال الشارح (جذاء بلا ثدي) فسرها على كونها من الجذ بالذال المعجمة وهو القطع وانما هي جداء بالدال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لعيب خلقي في ثديها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى .

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (منى) جمع أمنية (جيش أزب) متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (احرج) أجبر (الحديث سرار) سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلائقه) تضطرب (يجم) يترك (الطوَل) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المعرس) المنزل (الاصطلاء) الالتهاب (الوابل) المطر (البنان) الاصابع (لاحب) طريق مزجاة كاسدة (النكال) المصيبة (الهنات) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب القرض (يخترمن) يخترقن - فى نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا فاحشا وجريمة لا تغتفر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره مالم أحدث بها حضرة الشارح وهي أني عددت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرها بمعناها غير المراد للشاعر كتفسيره للبرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما مر آنفا فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشترك بغير المراد منه غير موضع للانتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا لديوان أبي تمام وعدَّ مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد - ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا لكلام الله تعالى — وكنت اذ ذاك جديرا بسحب الكلام وطلب العفو والسلام اه

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح . لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعه النصارى في عصره فعلمنا أن القوم هم الذين كانوا يعتدون في الماضي كما يعتدون في هذا العصر وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وانه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى الجاهلية من العرب (٢) انه أثنى في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣) ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) ان ماهم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلعا عليها أتم الاطلاع وأيد بيان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يعهد في كلامه من البسط والايضاح . وفي هـذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ وإيضاح المشكلات الغامضة في الدين وغيره مالا يوجد في كتاب سواه

ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحـذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك (أي من العلوم الكونية طبيعية وزياضية) هم أحذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم . وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حثالة المسلمين ، أحسن معرفة و بيانا لهذه العلوم من المتقدمين ، »

ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الالهية والاخلاق والسياسة الملكية والمدنية وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم . ولا شك ان المسلمين كانوا الى عهده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا . فماذا عساه يقول لو خرج من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يحاربون فيها العلوم باسم الدين وصارت حثالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه العلوم التي كانت حثالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علمائهم؟ هل انقلبت الحال واستحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك ظهر لهم مالم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم و بمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح

هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القباني بخان الخليلي وفي مكتبة المنار وثمن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما أبقت عليه حوادث الزمان من كتب سلفنا في دارنا وما جذبته مغناطيسية العلم والعمران منها الى ديار أوربا لعلموا ان القوم ما غادروا متردّما فقد أوفوا على الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا لبعضها الاسس لنبني أو بنوا لنتم ونكمل فنقصنا ما كملوا وهدمنا ما بنوا وعفونا تلك الاسس حتى جهلنا مكانها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل فى سبعة أسفار عظيمة عني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لايطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب فى أوربا

وللكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفنـدي سلامه فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة. وفي الابواب فصول. أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول. وأما المقالة الأولى ففي مايحتاج اليه الكاتب وتدعو اليـه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي مايحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها وورياحها وفيه ثلاثة أبواب. ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال انه لم يترك شيئا يشتاقه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسميـة كالاسماء والكنى والالقاب والنعوت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومربعات الجيش والمناشـير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغـير الرسمية كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الـكلام في الورق وأشكاله. وجملة القول انه لايستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواعظ بدرب الجماميز وثمن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره أن نشره بغير جدول للفهرس فوعد بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيرا لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبسا من دروس الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بعلاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئا فثمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تعريفا بالغرض من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتصلية

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وفقنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب ، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية ، مع مراعاة حال العصر والترقي من شرور المدنية الغربية ، تلك المدنية التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت ، ولكنها أفسدت فى البلاد الشرقية وما أصلحت ، إذ فتن الناس بشر ماجاءت به ، وطفقوا يتركون لأجلها خير ما كانوا عليه ،

«لما رأينا كتابنا هـذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار ، وتنقـل في الأقطار ، حتى نفدت نسخ طبعته الاولى ، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى ، رأيت ان أزيد في فوائده ومسائله ، وأضم اليه شيئا من أحاسن الكلام وعقائله ، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية ، مقالات في «الحياة الزوجية» لمنشئها الذي نعترف مع حضرة قاسم بك أمين ، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين ، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب ، لأنهـا في الموضوع لب اللباب ،

ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاما عاليا ، وهـديا سماويا ساميا ، في في تفسـير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان اقتبسه

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وها كه نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكره . فغرض المؤلف أن تربى البنات تربية دينية ويعلمن ماتحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، و يانعم الغرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدى الينا القسم الأول من من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتتح بتمهيد تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلي ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الامويه والعباسيه . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحذق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بجريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصر في القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعة فصول اثنان منهما في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة في بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحريه لان مستقبل أفريقية متعلق بتحريرها ورأي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم ولعل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن الاوربيين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب الى الاخلاص من بعض احداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في ذلك الا و يقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملنر في قوله « ان مصر بلد التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدهش فيصير مضحكا » فيلبق إذن بمن يرقب أمور هذه البلاد و يشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لئلا يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه. وما أظن ان المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه. وقد أحسن مترجم الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويعز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأ فاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديد: اه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس من أقعدهم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى تكون بنية صحيحة قوية فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم لاسيما اذا كان أمة » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينفعنا شيء الا التربية الاستقلالية الملية والعلم والاقتصاد وانه لا حياة لقوم لا همّ للاكثرين منهم الا التمتع باللذات والاهتمام بأشخاصهم دون أمتهم ، أولئك هم الذين اذا أعتقهم مستعبد يسترقهم مستعبد ، فليطلب المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكلترا بقول قائل أو كتابة كاتب يخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري بخطاب ولي عهد انكلترا بالمؤيد، فحسب انكلترا ان تبيح لهم كل عمل ومن لا يعمل لنفسه كان من الحماقة ان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا يمنع وجوب تذكير الجرائد الامة بطلب الاستقلال والاستعداد له . وثمن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعته إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقريظ لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم تجمع حروفه في المطبعة لأن ورقته سقطت من أيدي مرتبي الحروف كما أظن وقد ذكرنا بعد ذلك مذكرنا بأنه أخرج من بين الكتب التي يراد تقريظها أو التعريف بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة. ومما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض الكلمات العربية بمرادفها العامي. وطبع الكتاب متقن وورقة نظيف وشكله لطيف وصفحاته ٦٢٤ ويباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما هو يزيده إتقانا. وقد كنا أول من اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى انه اذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مزيدا في فائدته وفي اقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدتها وأضيف اليها مقالة كاتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي) في حكمة تحريم الخنزير أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير وثمن النسخة منها مع أجرة البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الضرب

من القصص المعروف بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تؤلف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارّة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما اهدي الينا من هذه القصص – أهواء الشبيبة ، عشيقة الملك . مقتل هنري الرابع . الفؤاد الكليم . القاتل المتنكر . شرف الاسم . سرّ ولا سر . والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولا سر وقصة الخنجر التركي الملحقة بها فخيرها نزاهة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كاهن والاخيرة تبين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم . واننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذلين بحال من الاحوال

(خير الدين)

«مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجعايبي مدير جريدة (الصواب) بتونس» وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعا على ورق جيد مؤلفا من ٢٠ صفحة مصدرا بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكر بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب « أقوم المسالك في أحوال الممالك» وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة فى الحث على العلم ، فنبذة في الشعر العصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق، وغير ذلك

فنثني على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، ونتمنى له التوفيق في خدمته، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيو يورك عيد افندي ميخائيل ذيبه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فنتمنى لها التوفيق والنجاح

باب الأخبار والآراء

﴿ مسئلة العقبة ﴾

بينا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا ادارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدته لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكلترا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لان محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإنشاء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكلترا أنفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر و بدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لماحال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران ، وقد قاوم الانكليز ما توهموه من الدولة بإيهام من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر الشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهييج التعصب الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لإيهامهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضبعة يستغلونها وان أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سوريا والحجاز لما بالت ان تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا انها تتوقع هيجان مسلمي مصر أوثورتهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو مايعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفى تلغراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لاتعمل فى شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فعسي ان تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال — وهي في هذه الحال — ان تزحف على مصر أما انكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية فى شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعد اقامتها على أبواب الحجاز أوامتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية— وانما نعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم. وان تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مبينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكرا ولو مصريا فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (مصالحها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فانهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الاتيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند بل لاحرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

فلبريطانيا العظمى ان تعتمد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتتحامى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهده المقدسة آمنة اعتداء الاجنبي عليها ،أو تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدّق المغررين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء ، وانما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿الامير الخادم للفقراء﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)

استدار الزمان،وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء، محصورة في خدمة الدهماء ، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، ومافتىء أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الامة، وان شرفهم ذاتي لطينتهم لا لشرف الملة، فهم يترفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعترف لهم في ذلك بالمزايا الخاصة، حتى في مثل هذه البلاد، التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بمجد الآباء والاجداد، وصارت المعارف والأعمال، هي الميزان لاقدار الرجال ، — حتى قام الامير حسين كامل باشا عمّ عزيز مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمراء في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطمع أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختيار هذا الامير رئيسا لها بعد الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) مايعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه فما تأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ،فاستبشرت نفوس العاملين، واطمأنت قلوب الفقراء والمساكين،وشكرت له ذلك ألسنة المسلمين ، بل ألسنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار لمثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام فى قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقتها للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها و يعهدون أن دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، و ينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم فى كل بضع سنين ، الا واحد أواثنان ممن أضناهم الفقر ، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المتنصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فتمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون فى اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربي في أفرادهم إحساس الشرف الملي والنعرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العجائز والزمنى أو يشفوا غيظهم بذم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا و يفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه. وليعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين بجمع المال وتربي الرجال وتبثهم فى بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كتبرص وأفريقيا للارشاد وفى بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه. والدليل على وجوب هذا قوله تعالى(٣:١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرائدهم ﴾

كتب الينا صديقنا الشيخ محمد نجيب التونتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه: (وتأخر نشرها لتأخر ورود السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المحال المتعددة ذاكروا فيها فى المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فيعد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري — جريدة سياسية علمية ملية تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفى باغچه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم نسوان ـ مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية بلغة أذربيجان والاخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم اتخطر أساميها وفي جايق (أوروالسكي) (١٣) فكر — جريدة (١٤) العصر الجديد — مجلة كلتاهما أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) ألفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالا حسنا لخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الاصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس تيقظوا بعد الرقدة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا نقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الاسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا يدرس غير ماذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا من هذه التكاليف واستثقلوها لاعتيادهم أكل « بلش المحلة » — طعام من الأرز خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم جان البارودي اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من الإصلاح وسموا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في ضلال بعيد ، فيا أهل الغيرة والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، إلا م نكون ضحكة للاجنبيين ، وحتام نعمه في جهالتنا أجمعين ، — فاسيدي هذا حال بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تجيء مصر قد خاضت في هذه المسألة ففي العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغچه سراي — روسيا) ماترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى محمد جان والد عالمجان المشهور) بقزان الى آبائهم

حضرات آبائنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقزان اذ لم تجدوا مدرسةً أحسن منها. وكان مقصدكم من هذا هو ان نتعلم فى المدرسة العلوم النافعة ونتحلى بالاخلاق الفاضلة ونكون رجالاً نعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لاتنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عالة على الناس نتّجر بالدين أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أوأ كثر

وليس امامنا سوى التأذين والامامة . وهذان المنصبان يئول أمرهما شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي نتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئا من الاخلاق والتربية بل نتعلم فيها الاخلاق السافلة كالجبن والطمع وظلم الفقراء والتملق للاغنياء والكسل

نحن لا نكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمغتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكلٌّ متخرج في المدارس .

وأما أساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤس المرة ، مما لا تعلق له بالدين بالمرة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقوينا ولا بالعلوم العصرية تسلحنا . عبيد أوهام جبناء ، خلوٌ من العقول سخفاء ، ترتعد فرائص الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين .

نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بابنائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لن يجاري المتعلمون منا في مضمار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا و بذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربينا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا الينا شزراً ثم سئموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيراً من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جمة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركتها في زوايا الاهمال والنسيان . لا بقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول ونرفع عقيرتنا: ليعلم كل فردٍ من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لا نأسف لخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لأنها كلها على نسق واحد حذو النقطة بالنقطة ونختم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس ! والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام »

(المنار) وسننشر فى الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتنم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعلم ابن سعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيبيته ليلا فزحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد زحف ابن سعود على (حايل) وتلك عاقبة البغي « وما هي من الظالمين ببعيد »

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوربا المسلمين بالغلو في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو ركن التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم لقامت قيامتهم على الشيخ محمد بخيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجد في أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثرثرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغو الكلام لا تعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان فى ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب الیناح .ح أحد المشتركين في الجبل الاسود ما يأتي

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وفقني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم قصير الفهم ولكن نفعني كثيرا ونبهني عن كثير ففي هذه السنين ما أتيتم بالخطاء الاجئتم بعده بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيرا وأجتسر ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلتم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « و يشكو لسيدنا الحسين عليه السلام » وقلتم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن عليّ عليه السلام » وفي ص ٩٠٨ منه أيضاً «من أثر عليّ وفاطمة عليهما السلام» فأظن الفقير ان لا ينال بعد ذكر أحد «عليه السلام» دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلتم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة عليا وآله دون غيره من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح أو الجواب الشافي من غير مؤاخذتي لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما لا يخفى عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقا ومنعها آخرون مطلقا وقال بعضهم تجوز تبعا لا استقلالا . وممن قال بالجواز مطلقا البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صلّ على آل أبي أوفي » وأجيب بأن ما ورد خاص بالله ورسوله و بالدعاء ابتداء وقال ابن القيم ان كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

واما السلام المسؤل عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكره ان يقال « عن عليّ عليه

السلام » وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عن علي عليه السلام وفرق آخرون بينه و بين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي :السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : فعلم الفرق ولله الحمد اهـ

أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري و بعض كبار الصوفية كابن عربي و بعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين وممن تبعهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد على المنار منقولة عن نيل الاوطار لا من كلامنا

﴿ قصة المولد لدبيع ﴾

كتب الينا من سنغافوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهجمون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجما بالغيب وجراءة على الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا و بينه فليكتب الينا رأيه مؤيدا بحجته ونحن ننشره مذعنين له ان ظهر لنا انه الحق أو مبينين مالدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلغنا ان الشيخ بخيتا يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك. وإنه ليسرنا ذلك ونتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مذعنين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ. وكيف لانسر باجابتنا الى ماندعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد على مانراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يعبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا يرد عليها

﴿ فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ﴾



﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب ﴾

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الخميس غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ — ٢٤ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٦١) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٣) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا
أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ
بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا، لَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

أعاد الاستاذ الامام التذكير هنا بأن من سنة القرآن الحكيم مزج آياته

الاحكام بآيات المواعظ والعبر والتوحيد ليقرر أمر الحكم وينصر النفوس على القيام به (ثم قال مامعناه بتصرف) قدقلنا مرارا ان أمر الانفاق في سبيل الله أشق الأمور على النفوس لاسيما اذا اتسعت دائرة المنفعة فيما ينفق فيه، و بعدت نسبة من ينفق عليه عن المنفق، فان كل انسان يسهل عليه الانفاق على نفسه وأهله وولده الا افراد من أهل الشح المطاع وهذا النوع من الانفاق لا يوصف صاحبه بالسخاء ومن كان له نصيب من السخاء سهل عليه الانفاق بقدر هذا النصيب فمن كان له أدنى نصيب فانه يرتاح الى الانفاق على ذوي القربى والجيران فان زاد أنفق على أهل بلده فأمته فالناس كلهم وذلك منتهى الجود والسخاء . وانما يصعب على المرء الانفاق على منفعة من يبعد عنه لأنه فطر على ان لا يعمل عملا لا يتصور لنفسه فائدة منه وأكثر النفوس جاهلة باتصال منافعها ومصالحها بالبعداء عنها فلا تشعر بأن الانفاق في وجوه البر العامة كإزالة الجهل بنشر العلم ومساعدة العجزة والضعفاء وترقية الصنائع وانشاء المستشفيات والملاجئ وخدمة الدين المهذب للنفوس هو الذي تقوم به المصالح العامة حتى تكون كلها سعيدة عزيزة فعلمهم الله تعالى ان ما ينفقونه في المصالح يضاعف لهم أضعافا كثيرة فهو مفيد لهم في دنياهم وحثهم على أن يجعلوا الانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته ليكون مفيدا لهم فى آخرتهم أيضا، فذكر أولا ان الانفاق في سبيل الله بمنزلة اقراضه تعالى ووعد بمضاعفته أضعافا كثيرة ثم ضرب الامثال وذكر قصص الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيله ثم ذكر البعث واحياء الموتى وانتهائهم الى الدار التي يوفون فيها أجورهم في يوم لا تنفع فيه فدية ولا خلة ولا شفاعة وانما تنفعهم أعمالهم التي أهمها الانفاق في سبيله ثم ضرب المثل للمضاعفة. أي بعد ان قرر أمر البعث بالدلائل والامثال إذ كان الايمان به أقوى البواعث على بذل المال

قال ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ وهي ما يوصل الى مرضاته من المصالح العامة لاسيما ما كان نفعه أعم وأثره أبقى ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة﴾ أي كمثل أبرك بزر فى أخصب أرض نما أحسن نمو فجاءت غلته مضاعفة سبع مئة ضعف وذلك منتهى الخصب والنماء . أي ان هذا

المنفق يلقى جزاءه فى الدنيا مضاعفا أضعافا كثيرة كما قال في آية سابقة فالتمثيل للتكثير لا للحصر ولذلك قال ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ فيزيده على ذلك زيادة لا تقدر ولا تحصر فذلك العدد لا مفهوم له وقيل يضاعف تلك المضاعفة التي ضرب لها المثل ﴿والله واسع﴾ لا ينحصر فضله ولا يحدد عطاؤه ﴿ عليم ﴾ بمن يستحق المضاعفة من المخلصين الذين يهديهم اخلاصهم الى وضع النفقات في مواضعها التي يكثر نفعها وتبقى فائدتها زمنا طويلا كالمنفقين في اعلاء شأن الحق وتربية الامم على آداب الدين وفضائله التي تسوقهم الى سعادة المعاش والمعاد حتى اذا ما ظهرت آثار نفقاتهم النافعة في قوة ملتهم وسعة انتشار دينهم وسعادة افراد أمتهم عاد عليهم من بركات ذلك وفوائده ماهو فوق ما انفقوا بدرجات لا يمكن حصرها. وقد قال الاستاذ الامام رحمه الله في الدرس ان المراد بالانفاق هنا الانفاق في خدمة الدين وقال في وقت آخر ان كلمة فى سبيل الله تشتمل جميع المصالح العامة وهو ماجرينا عليه آنفا.

أقول ومن أراد كمال البيان في ذلك فليعتبر بما يراه في الأمم العزيزة التي ينفق أفرادها ماينفقون في اعلاء شأنها بنشر العلوم وتأليف الجمعيات الدينية والخيرية وغير ذلك من الاعمال التي تقوم بها المصالح العامة اذ يرى كل فرد من أفراد أدنى طبقاتها عزيزاً بها محترما باحترامها مكفولا بعنايتها كأن أمته ودولته متمثلتان في شخصه. وليقابل بين هؤلاء الأفراد و بين كبراء الامم التي ضعفت وذلت باهمال الانفاق فى المصالح العامة وإعلاء شأن الملة كيف يراهم أحقر في الوجود من صعاليك غيرهم. ثم ليرجع الى نفسه وليتأمل كيف ان نفقة كل فرد من الافراد فى المصالح العامة يصح ان تعتبر هي المسعدة للامة كلها من حيث ان مجموع النفقات التي بها تقوم المصالح تتكون مما يبذله الافراد فلولا الجزئيات لم توجد الكليات ، ومن حيث ان الناس يقتدي بعضهم ببعض بمقتضى الجبلة والفطرة فكل من بذل شيئا في سبيل الله كان اماما وقدوة لمن يبذل بعده وان لم يقصدوا الاقتداء به لان الناس يتأثر بعضهم بفعل بعض من حيث لا يشعرون. والفضل الاكبر في هذه الامة لمن يبدأ بالانفاق فى عمل نافع لم يُسبق اليه. أولئك واضعو سنن الخير والفائزون بأكبر المضاعفة لان لهم أجورهم ومثل أجور من

اقتدى بسنتهم فقد أخرج مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سنّ في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها » الحديث

ثم قال تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناولا أذى ﴾ الآية فقد قال الاستاذ الامام ان هذه الآية لبيان ثواب الانفاق في الآخرة بعد التنويه بمنفعته في الدنيا . وقد شرط لهذا الثواب ترك المنّ والاذى فأما المن فهو ان يذكر المحسن احسانه لمن أحسن هواليه ، يظهر به تفضله عليه ، واما الاذى فهو أعم ومنه أن يذكر المحسن احسانه لغير من أحسن عليه بما ربما يكون أشد عليه مما لو ذكره له . وقال غيره المنّ أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه انه أوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه قالوا وانما قدم المنّ لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة (لا) للدلالة على شمول النفي بافادة ان كلا من المن والأذى كاف وحده لاحباط العمل وعدم استحقاق الثواب على الانفاق . وقالوا ان العطف بثم لاظهار علو رتبة المعطوف عليه

وقال الاستاذ الامام : قد يشكل على بعض الناس التعبير بثم التي تفيد التراخي مع العلم بأن المنّ أو الأذى العاجل أضرّ ، وأجدر بأن يجعل تركه شرطا لتحصيل الأجر ، وجوابه ان من يقرن النفقة بالمن أو الاذى أو يتبعها أحدهما أو كليهما عاجلا لا يستحق ان يدخل في الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أو يوصف بالسخاء المحمود عند الله . واذا كان من يمن أو يؤذي بعد الانفاق بزمن بعيد لا يعتد الله بانفاقه ولا يؤجره عليه ولا يقيه الخوف والحزن أفلا يكون المتعجل به أجدر بذلك؟ بلى وانما الكلام في السخي الذي ينفق في سبيل الله مخلصا متحريا للمصلحة والمنفعة لا باغيا جزاء ممن ينفق عليه ولا مكافأة ولكنه قد يعرض له بعد ذلك ما يحمله على المن والاذى المحبطين للأجر كأن يرى ممن كان أنفق عليه غمطا لحقه أو إعراضا عنه وتركا لما كان من احترامه اياه فيثير ذلك غضبه حتى يمن أو يؤذي ومثل هذا قد يقع من المخلصين فحذرهم الله تعالى منه

وأنت ترى ان ما قاله الاستاذ الامام هو الظاهر وقد مثل له بالصدقة على

الافراد بما يصنع مثله في الانفاق في المصالح و يشهد لذلك ماقاله ابن جرير في الآية فانه حمل الانفاق فيها على اعانة المجاهدين وصور المن والاذى بالانتقاد عليهم ورميهم بالتقصير في جهادهم وكونهم لم يقوموا بالواجب عليهم ثم قال «وانما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله وأوجب الاجر لمن كان غير مان ولامؤذ من انفق عليه في سبيل الله لان النفقة في سبيل الله مما ابتغي بهوجه الله وطلب به ماعنده فاذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ماوصفنا فلا وجه لمن المنفق على من انفق عليه لانه لايدله قبله ولاصنيعة يستحق بها عليه— ان لم يكافئه عليها— المن والاذى اذا كانت نفقة ما انفق عليه احتسابا وابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من انفق عليه » اه وهو يلتقي مع كلام الاستاذ الامام في أن المن في الآية قد يقع متراخيا عن وقت الانفاق ولكن تخصيصه ذلك بالانفاق على المجاهدين ممالا دليل عليه . وقوله تعالى ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ يشعر بان هذا الاجر عظيم، من رب قادر كريم، فقد أضافهم اليه تشريفا لهم واعلاء لشأنهم ﴿ ولاخوف عليهم ﴾ يوم يخاف الناس وتفزعهم الأهوال ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ يوم يحزن البخلاء الممسكون عن الانفاق في سبيل الله والمبطلون لصدقاتهم بالمن والاذى بل هم أهل الأمن والطمأنينة ، والسرور الدائم والسكينة، وقد تقدم تفسير الخوف والحزن من قبل

ثم قال تعالى ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ قالوا أي كلام جميل تقبله القلوب ولاتنكره يرد به السائل من غير عطاء وستر لما وقع منه من الإلحاف في المسألة وغيره مما يثقل على النفوس أوستر حال الفقير بعدم التشهير به خير له من صدقة يتبعها أذى وقيل ان المراد بالمغفرة المغفرة من الله تعالى لمن يرد السائل ردا جميلا وذلك خير له عند الله تعالى من صدقة يتبعها أذى فهو يستحق عليها العقاب من حيث يرجي الثواب . والجملة مستأنفة لتأكيد النهي عن المن والأذى في الآية السابقة

وقال الاستاذ الامام: القول المعروف يتوجه تارة الى السائل ان كانت الصدقة عليه وتارة يتوجه الى المصلحة العامة كما اذا هاجم البلد عدو وأرادوا جمع المال

الاستعانة على دفعه فمن لم يكن له مال يمكنه أن يساعد بالقول المعروف الذي يحث على العمل وينشط العامل ، ويبعث عزيمة الباذل ، والمغفرة ان تغضي عن نسبة التقصير في الانفاق اليك وأن تظهر في هيأة لا ينفر منها المحتاج ولا يتألم من فقره أمامك . والمعنى ان مقابلة المحتاج بكلام يسر وهيأة ترضي خير من الصدقة مع الايذاء بسوء القول أو سوء المقابلة ، ولا فرق في المحتاج بين أن يكون فردا أو جماعة فان مساعدة الامة ببعض المال مع سوء القول في العمل الذي ساعدها عليه واظهار استهجانه و بيان التقصير فيه أو تشكيك الناس في فائدته لا توازي هذه المساعدة احسان القول في ذلك العمل الذي تطلب له المساعدة والاغضاء عن التقصير الذي ربما يكون من العاملين فيه فكونك مع الامة بقلبك ولسانك خير من شيء من المال ترضخ به مع قول السوء وفعل الاذى . ومعنى هذه الخيرية انه أنفع وأكثر فائدة لانه يقوم مقام البذل ويغني عنه فمن آذى فقد بغض نفسه الى الناس بظهوره في مظهر البغضاء لهم . ولا شك ان السلم والولاء ، خير من العداوة والبغضاء ، وأن أضمن شيء لمصلحة الأمة وأقوى معزز لها هو أن يكون كل واحد من أفرادها في عين الآخر وقلبه في مقام المعين له وان لم يعنه بالفعل

وأقول ان هذه الآية مقررة لقاعدة : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: التي هي من أعظم قواعد الشريعة ، ومبينة ان الخير لا يكون طريقا ووسيلة الى الشر . ومرشدة الى وجوب العناية بجعل العمل الصالح خاليا من الشوائب التي تفسده وتذهب بفائدته كلها أو بعضها والى أنه ينبغي لمن عجز عن احسان عمل من أعمال البر وجعله خالصا نقيا ان يجتهد في احسان عمل آخر يؤدي الى غايته حتى لا يحرم من فائدته بالمرة كمن شق عليه ان يتصدق ولا يمن ولا يؤذي فحث على الصدقة أو جبر قلب الفقير بقول المعروف . ومن البديهي أن أعمال البر والخير لا يغني بعضها عن بعض فكيف يغني ترك الشر واتقاء المفاسد عن عمل الخير والقيام بالمصالح

﴿ والله غني ﴾ بذاته وبما له من ملك السموات والارض عن صدقة عباده فلا يأمر الاغنياء بالبذل في سبيله لحاجة به وانما يريد ان يطهرهم ويزكيهم ويؤلف

بين قلوبهم و يصلح شؤونهم الاجتماعية ليكونوا أعزاء بعضهم لبعض أولياء والمن والاذى ينافيان ذلك فهو غني عن قبول صدقة يتبعها أذى لانه لايقبل الا الطيبات ﴿ حليم ﴾ لا يعجل بعقوبة من يمن ويؤذي. قال الاستاذ الامام: يطلق الحلم ويراد به هذا اللازم من لوازمه أي الامهال وعدم المعاجلة بالمؤاخذة وقد يراد به لازم آخر وهو الاغضاء والعفو وليس بمراد هنا لانه لو أريد لكان تحريضا على الاذى ولكل مقال مقام يعينه فالاول يطلق في مقابل العجول الطائش والثاني في مقابل الغضوب المنتقم وفي الاسمين الكريمين تنفيس لكرب الفقراء وتعزية لهم وتعليق لقلوبهم بحبل الرجاء بالله الغني المغني وتهديد للأغنياء وانذار لهم أن يغتروا بحلم الله وامهاله اياهم وعدم معاجلتهم بالعقاب على كفرهم بنعمته عليهم بالمال فانه يوشك ان يسلبها منهم في يوم من الايام

ثم انه لما كانت النفوس مولعة بذكر ما يصدر عنها من الاحسان للتمدح والفخر وكان ذلك مطية الرياء، وطريق المن والايذاء، لاسيما اذا آنس المصَّدق تقصيرا في شكره على صدقته أو احتقارا لها فانه لا يكاد يملك حينئذ نفسه ويكفها عن المن أو الاذى كما تقدم عن الاستاذ الامام كان من الهدي القويم ومقتضى البلاغة ان يؤتى في النهي عن المن والاذى والرياء بعبارات مختلفة لأجل التأثير في التنفير عن ذلك والحمل على تركه ولذلك قال

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ أقول بين سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين ان ترك المن والأذى شرط لحصول الأجر على الانفاق في سبيله وان العدول عن الصدقة التي يتبعها الاذى الى قول وعمل آخر يكرم به الفقير أو تؤيد به المصلحة العامة خير من نفس تلك الصدقة في الغاية التي شرعت لها. ثم اقبل تعالى على خطاب المؤمنين ونهاهم نهيا صريحا أن يبطلوا صدقاتهم بالمن والاذى وفي ذلك من المبالغة في التنفير عن هاتين الرذيلتين ما يقتضيه ولوع الناس بهما (قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى) واستدلت المعتزلة بالآية على احباط الكبائر للاعمال الصالحة حتى كأنها لم تعمل وأجيب عن الآية بأن المراد بها لا تبطلوا ثواب صدقاتكم وبغير ذلك من التكلف الذي لا يحتاج اليه لان الكلام في احباط المن والاذى للفائدة

المقصودة من الصدقة وهي تخفيف بؤس المحتاجين وكشف أذى الفقر عنهم اذا كانت الصدقة على الافراد وتنشيط القائمين بخدمة الامة ومساعدتهم اذا كانت الصدقة فى مصلحة عامة . فاذا اتبعت الصدقة بالمن والاذى كان ذلك هدما لما بنته وابطالا لما عملته وكل عمل لا يؤدي الى الغاية المقصودة منه فقد حبط و بطل كأنه لم يكن فكيف اذا اتبع بضد الغاية ونقيضها كذلك تكون صلاة المرائي باطلة لان الغرض منها لم يحصل وهو توجه القلب الى الله تعالى واستشعار سلطانه والاذعان لعظمته والشكر لاحسانه وقلب المرائي انما يتوجه الى من يرائيه . هذا هو معنى ابطال المن والاذى للصدقة والذي يزعمه المعتزلة هو ان ارتكاب أي كبيرة من الكبائر يبطل جميع الاعمال الصالحة السابقة ويوجب الخلود في النار فاستدلالهم بالآية على هذا انما يدل على انهم لم يفهموا هدي الله تعالى في كتابه ولم يعرفوا فطرة البشر التي جاء الدين لتأديبها وقد رأيت كلا من أيد مذهبه بهدم مذهبهم . هكذا يتجاذب القرآن أهل المذاهب كل يجذبه الى مذهبه الذي رضيه لنفسه فتراهم عندما يشاغب بعضهم بعضا يتعلقون بالكلمة المفردة اذا كانت تحتمل ما قالوا ويجعلونها حجة للمذهب و يأولون ما عداها ولو بالتمحل وأهل الخلاف ليسوا من أهل القرآن فلا يعول على أقوالهم في بيان معانيه

ثم شبه تعالى أصحاب المن والاذى بالمرائي أو ابطال عملهم للصدقة بابطال ريائه لها فقال ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾ أي لأجل ريائهم أو مرائيا لهم أي لاجل ان يروه فيحمدوه لا بتغاء مرضاة الله تعالى بتحري ماحث عليه من رحمة عباده الضعفاء والمعوزين وترقية شأن الملة بالقيام بمصالح الامة فهو انما يحاول ارضاء الناس ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيتقرب اليه تعالى بالانفاق خشية عقابه ورجاء ثوابه في ذلك اليوم ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ﴾ أي ان صفته وحاله في عدم انتفاعه بما ينفق كالحجر الاملس اذا كان عليه شيء من التراب ثم أصابه مطر غزير عظيم القطر أزال عنه ما أصابه حتى عاد أملس ليس عليه شيء من ذلك التراب . ووجه الشبه بين المانّ والمؤذي بصدقته و بين المرائي بنفقته أن كلا منهما غش نفسه فألبسها ثوب زور يوهم رائيه مالا حقيقة له كمن يلبس لبوس العلماء أو الجند وليس منهم فلا يلبث أن يظهر أمره و يفتضح سره

فيكون ما تلبس به كالتراب على الصفوان يذهب به الوابل . كذلك تكشف الحوادث وما يبتلى به المؤمنون والمنافقون حقيقة هؤلاء وتفضح سرائرهم فهم ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ أي لا ينتفعون بشيء من صدقاتهم ونفقاتهم ولا يجنون ثمراتها في الدنيا ولا في الآخرة اما في الدنيا فلأن المن والأذى مما ينافي غاية الصدقة كما تقدم ومن فعلهما كان أبغض الى الناس من البخيل الممسك والرياء لا يخفى على الناس فهو كما قال الشاعر

ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا اكتسيت به فانك عار

فلا تكاد تجد منانا ولا مرائيا غير مذموم ممقوت . واما في الآخرة فلأن المن أو الأذى كالرياء في منافاة الاخلاص ولا ثواب في الآخرة الا للمخلصين في أعمالهم الذين يتحرون بها سنن الله تعالى في تزكية نفوسهم واصلاح حال الناس ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ أي مضت سنته بأن الايمان هو الذي يهدي قلب صاحبه الى الاخلاص ووضع النفقات في مواضعها، والاحتراس من الاتيان بما يذهب بفائدتها بعد وجودها، فكان الكافر بمقتضى هذه السنة محروما من هذه الهداية التي تجمع لصاحبها بين صلاح القلب والعمل وسعادة الدنيا والآخرة

بعد هذا ضرب الله المثل للمخلصين في الانفاق لاجل المقابلة بينهم و بين أولئك المرائين والمؤذين وعقبه بمثل آخر يتبين به حال الفريقين فقال

(٢٦٥) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٦) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ؟ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ *

يقول ذاك الذي تقدم هو مثل أهل الرياء، وأصحاب المنّ والايذاء، ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم﴾ أي لطاب رضوان الله ولتثبيت أنفسهم وتمكينها في منازل الايمان والاحسان حتى تكون مطمئنة في بذلها لا ينازعها فيه زلزال البخل ولا اضطراب الحرص لإيثارها حب الخير عن أمر الله على حب المال عن هوى النفس ووسوسة الشيطان . وانما يكون هذا التثبيت بتعويد النفس على البذل حيث يفيد البذل حتى يصير الجود لها طبعا وخلقا وانما قال من أنفسهم ولم يقل لأنفسهم لأن إنفاق المال في سبيل الله يفيد بعض التثبيت والطمأنينة وانما كمال ذلك ببذل الروح والمال جميعا في سبيله كما قال تعالى في سورة الحجرات (٤٩:١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقد هدانا تعليل الانفاق بهاتين العلتين الى أن نقصد بأعمالنا أمرين أولهما ابتغاء رضوانه لذاته تعبداله وثانيهما تزكية أنفسنا وتطهيرها من الشوائب التي تعوقها عن الكمال كالبخل والمبالغة في حب المال. على أن هذا وسيلة لذاك وفائدة كل من الامرين عائدة علينا والله غني عن العالمين فاذا صدقنا في القصدين صدق علينا هذا المثل وكنا في نفع إنفاقنا ﴿كمثل جنة بربوة﴾ أي بستان بمكان مرتفع من الأرض — قرأ ابن عامر وعاصم بفتح راء ربوة والباقون بضمها — قالوا وما كان كذلك من الجنات كان عمل الشمس والهواء فيه أكمل فيكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا اما الاماكن المنخفضة التي لا تصيبها الشمس في الغالب الا قليلا فلا تكون كذلك وقال بعضهم واختاره الامام الرازي ان المراد بالربوة الارض المستوية الجيدة التربة بحيث تربو بنزول المطر عليها وتنمو كما قال (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت) الآية ويؤيده كون المثل مقابلا لمثل الصفوان الذي لا يؤثر فيه المطر ﴿أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين﴾ أي فكان ثمرها مثلي ما كانت تثمر في العادة أو أربعة أمثاله على القول بأن ضعف الشيء مثله مرتين. والأكل كل ما يؤكل وهو بضمتين وتسكن الكاف تخفيفا وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿فان لم يصبها وابل فطل﴾ أي فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لجودة تربتها وكرم منبتها وحسن موقعها

والطل المطر الخفيف المستدق القطر. أقول وقد عرف بالاختبار ان الارض الجيدة في المواقع المعتدلة يكفيها القليل من الري لرطوبة ثراها وجودة هوائها فان الشجر يتغذى من الهواء كما يتغذى من الارض والمعنى أن هذه الجنة أكلها دائم وظلها كثر مايصيبها من المطر أو قلّ فإن لم يكن ثمرها مضاعفا لم يكن معدوما فإذاً لايكون طالبه قط محروما

ووجه الشبه عندي ان المنفق ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفسه هو في اخلاصه وسخاء نفسه واخلاص قلبه كالجنة الجيدة التربة الملتفة الشجر العظيمة الخصب في في كثرة بره وحسنه فهو يجود بقدر سعته فان أصابه خير كثير أغدق ووسع في الانفاق وان أصابه خير قليل انفق منه بقدره فخيره دائم وبره لاينقطع لان الباعث عليه ذاتي لاعرضي كأهل الرياء وأصحاب المن والايذاء . هذا ماسبق الى فهمي عند الكتابة فالوابل والطل على هذا عبارة عن سعة الرزق ومادون السعة. ثم رجعت الى ما كتبت في مذكرتي عن الاستاذ الامام فاذا هو قد قال في الدرس ان النية الصالحة في الانفاق كالوابل للجنة فبها تكون النفقة نافعة للناس لان أصحابها يتحرون فيضعون نفقتهم موضع الحاجة لا يبذرون بغير روّية. ثم قال عند ذكر الطل: أي ان امثال هؤلاء المخلصين لا يخيب قاصدهم لان رحمة قلوبهم لا يغور معينها فان لم تصبه بوابل من عطائهم لم يفته طله فهم كالجنة التي لا يخشى عليها اليبس والزوال. وقد ختم الآية بقوله عز وجل ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ليذكرنا بأنه لا يخفى عليه المخلص من المرائي تحذيرا لنا من الرياء الذي يتوهم صاحبه انه يغش الناس باظهاره خلاف ما يضمر فكأنه يقول ان الله لا يخفى عليه ماتنطوي عليه سريرتك أيها المنفق فعليك ان تخلص له

وأما المثل الثاني فقوله ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾

(المفردات) ودّ الشيء أحبه مع تمنيه والاعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم الطري واحدته عنبة والنخيل جمع نخل أو اسم جمع وهو شجر التمر يذكر ويؤنث وواحدته نخلة والقرآن يذكر الكرم بثمره والنخل بشجره لا بثمره وقالوا في تعليل

ذلك ان كل شيء في النخيل نافع للناس في ارتفاقهم ورقه وجذوعه وأليافه وعثا كيله فمنه يتخذون القفف والزنابيل والحبال والعروش والسقوف وغير ذلك . والاعصار ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس عنها الى السماء حاملة للغبار فتكون كهيأة العمود جمعه أعاصر وأعاصير . والمراد بالنار السموم الشديد اوالبرد الشديد روايتان عن السلف ذكرهما ابن جرير بأسانيده وهو دليل على أن النار تطلق على كل مايحرق الشيء ولو بتجفيف رطوبته والصرّ أي البرد الشديد كالحر الشديد في ذلك كلاهما يحرق الشجر والنبات

(التفسير) الاستفهام لانكار وقوع ان يود الانسان لو تكون له جنة معظم شجرها الكرم والنخل اللذان هما أجمل الشجر وأنفعه كثيرة المياه حاوية لانواع من الثمرات الكثيرة قد نيطت بها آماله، ورجا ان ينتفع بها عياله، ويصيبه الكبر الذي يقعده عن الكسب في حال كثرة ذريته وضعفهم عن أن يقوموا بشأنه وشأنهم حتى لايبقى له ولا لهم مورد للرزق غير هذه الجنة و بيناهو كذلك اذا بالجنة قد أصابها الاعصار، فأحرقها بما فيه من سموم النار، وقد اختلف في تفسير « له فيها من كل الثمرات » مع كون الجنة من نخيل وأعناب فقال بعضهم ان المراد بالثمرات هنا المنافع أي هو متمتع بجميع فوائدها وقيل المعنى له فيها رزق من كل الثمرات على حد (ومامنا الاله مقام معلوم) أي مامنا أحد الاله الخ وقيل ان من بمعنى بعض وهي مبتدأ وقال الاستاذ الامام مامعناه . اذا التفتنا عن قواعد النحو الوضعية، ولم نلتزم تعليلاتها وتدقيقاتها الفلسفية، وكسرنا قيود سيبويه والخليل، أمكننا ان نفهم العبارة من من غير تقدير ولا تأويل، فان العربي الصريح، الذي طبع على القول الفصيح، لايفهم من قولك عندي من كل شيء أو لي في بستاني من كل ثمر الا انك تريد ان لك حظا من كل شي وسهما من كل ثمر لايحتاج في ذلك الى تقدير قول محذوف، ونظم غير مألوف، وهذا هو الصواب، فطبق عليه ولا تطبقه على قواعد الاعراب،

أما وجه التمثيل فقد خصوه بالمرائي وقالوا ان المعنى أنه سيكون في يوم القيامة عند شدة الحاجة الى ثواب نفقته التي راءى بها كذلك الشيخ الكبير الذي احترقت جنته التي لامعاش له سواها عند ما كثر عياله الضعفاء وعجز عن العمل فلا يملك

من ثوابها شيئا ولا يقدر ان يكسب ما يغنيه عنه . وأقول ان المثل ينطبق أيضا على من أبطل صدقته بالمن والاذى وانه ليس خاصا بالآخرة فان باذل المال للفقراء وفى المصالح العامة يكون له من الجاه والمكانة عند الناس ما يشبه تلك الجنة التي وصفها المثل في رونقها ومنافعها و يوشك ان يذهب مال هذا المنفق وتشتد حاجته وتقصر يده حتى لا يكون له مرتزق الا ما غرسته يده من جنته تلك فيحاول أن يجني منها فيحول دون ذلك اعصار من المن والأذى أو من ظهور الرياء فيحرقها حتى تكون كالصريم لا تؤتي ثمرتها، ولا تسر رؤيتها، كذلك تكون عاقبة أهل الرياء وذوي المنّ والايذاء، ينبذهم الناس، عند شد حاجتهم الى الناس، ولذلك أرشدنا تعالى بعد المثل، الى التفكر في عاقبة هذا العمل، فقال ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ أي أنه تعالى يبين لكم الآيات الدالة على حقائق الأمور وغاياتها وفوائدها وغوائلها مثل هذا البيان البارز في أبهى معارض التمثيل ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾ في العواقب فتضعون نفقاتكم في المواضع التي يرضاها مع الاخلاص وقصد تثبيت النفس حتى لا يستخفها الطيش والاعجاب فيدفعها الى المن والاذى . ثم قال تعالى

(٢٦٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ *

أقول حثت الآيات السابقة على الصدقه والانفاق في في سبيل أبلغ حث وآكده وأرشدت الى ما يجب ان يتصف به المنفق عند البذل من الاخلاص وقصد تثبيت النفس وما يجب أن يتقيه بعد البذل وهو المن والاذى فكان ذلك إرشادا يتعلق بالبذل والباذل ثم أراد تعالى ان يبين لنا ما ينبغي مراعاته في المبذول ليكمل الارشاد في هذا المقام فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ﴾ فبين نوع ما يبذل وينفق ووصفه . أما الوصف فهو ان يكون من الطيبات والطيب هو الجيد المستطاب وضده الخبيث المستكره ولذلك قال في مقابل

هذا الامر ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ أصل تيمموا تتيمموا . ومن العجيب ان يختلف المفسرون في تفسير الطيب هل يراد به ما ذكر أم هو بمعنى الحلال وأن يرجح بعض المعروفين بالتدقيق منهم الثاني وبعضهم أنه ورد هنا بالمعنيين على أن بعضهم عزا الاول الى الجمهور . نعم ان كل جيد وحسن يوصف بالطيب وإن كان حسنه معنويا فيقال البلد الطيب والكلم الطيب ولكن أسلوب الآية يأبى ان يراد بالطيبات هنا أنواع الحلال وبالخبيث المحرم وقواعد الشرع لا ترضاه وما ورد في سبب نزول الآية يويد أسلوبها وهو ان بعض المسلمين كانوا يأتون بصدقتهم من حشف التمر وهورديئه رواه ابن جرير عن البراء بن عازب وفي رواية عن الحسن كانوا يتصدقون من رذالة مالهم وفي أخرى عن علي كرم الله وجهه نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد الى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية فاذا جاء صاحب الصدقة اعطاه من الردىء . وقد أورد ابن جرير في ذلك عدة روايات . والمعنى أنفقوا من جياد أموالكم ولا تيمموا أي تقصدوا الخبيث فتجعلوا صدقتكم منه خاصة دون الجيد فهو نهي عن تعمد حصر الصدقة فى الخبيث ولا يدل على منع التصدق به من غير تعمد ولا حصر. ولو أريد بالخبيث الحرام لنهى عن الانفاق منه ألبتة لا عن قصد التخصيص فقط . أما وقد جاءت الآية بالامر بالانفاق من الطيبات من غير حصر للنفقة فيها وبالنهي عن تحري الانفاق من الخبيث خاصة دون الطيب لا عن مطلق الانفاق من الخبيث فلا يجوز مع هذا ان يراد بالطيبات الحلال وبالخبيث المحرم . على ان الاصل في مال المؤمنين أن يكون حلالا وانما خوطبوا بالانفاق مما فى أيديهم فلو أريد بالطيبات والخبيث ما ذكر لكان الخطاب مبنيا على أن أموال المؤمنين فيها الحلال والحرام وكان منطوق الآية أنفقوا من الحلال ولا تتحروا جعل صدقاتكم من الحرام وحده ومفهومها جواز التصدق بالحرام أيضا وهذا ما يأباه النظم الكريم، والشرع القويم، ثم ان ما اخترناه مؤيد بقوله تعالى (٣ : ٩٢ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وبوصف الرزق بالحلال والطيب معا في آيات كثيرة وبمثل قوله تعالى (٥ : ٥ اليوم أحل لكم الطيبات) وقوله (٧ : ١٥٧ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) والآيات في هذا المعنى كثيرة فهل تقول ان المعنى يحل لهم الحلال ويحرم عليهم الحرام وهو من

تحصيل الحاصل؟ واعلم ان الخبيث الذي حرم أخص من الخبيث الذي ينهى عن تحري النفقة فيه فان المحرم ما كانت رداءته ضارة كالدم ولحم الخنزير

وأما قوله تعالى ﴿ ولستم بآخذيه ألا ان تغمضوا فيه ﴾ فهو حجة على من ينفق الخبيث في سبيل الله تشعر بالتوبيخ والتقريع أي كيف تقصدون الخبيث منه تتصدقون ولستم ترضون مثله لأنفسكم الا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم ير العيب فيه ولن يرضى ذلك لنفسه أحد الا وهو يرى أنه مغبون مغموص الحق . وقد صوروه فيمن له حق عند امرىء فرد عليه بدلا عنه مما هو دونه جودة وهو يكون في غير الحقوق أيضا فالرديء لا يقبل هدية الا باغماض فيه وتساهل مع المهدي لأن اهداء الرديء يشعر بقلة احترام المهدى اليه . وما يبذل في سبيل الله وابتغاء مرضاته هو كالمعطى له فيجب على المؤمن ان يجعله من أجود ما عنده وأحسنه ليكون جديرا بالقبول فان الذي يقبل الرديء مغمضا فيه انما يقبله لحاجته الى قبوله والله تعالى لا يحتاج فيغمض ولذلك قال ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ فلا يصح ان يتقرب اليه بما لا يقبله لرداءته الا فقير اليد أو فقير النفس الذي لا يبالي ان يرضي بما ينافي الحمد كقبول الرديء الذي يدل على عدم التعظيم والاحترام

وأما نوع ما ينفق فهو بعض ما يجنيه المرء بعمله ككسب الفعلة والتجار والصناع وبعض ما يخرج من الارض من غلات الحبوب وثمرات الشجر والمعادن والركاز وهو ما كان دفن في الارض قبل الاسلام . وقد أسند اليه تعالى ما يخرج من الارض مع أن للانسان فيه كسبا لأن العمدة فيه فضل الله تعالى لا مجرد حرث الانسان وبزره على أن منه ما ليس للناس فيه عمل ما أو ما لهم فيه الاعمل قليل لا يكاد يذكر . قال بعضهم ان تقديم الكسب على ما يخرج الله من الارض يدل على تفضيله ويعضده حديث البخاري مرفوعا « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » واختلفوا في الانفاق هنا فقيل هو خاص بالزكاة المفروضة وقيل خاص بالتطوع وقيل يعمهما وهو الصواب اذ لا دليل على التخصيص . واختلف الذين قالوا ان الآية فى الزكاة المفروضة هل تجب الزكاة في كل ما يخرجه الله للناس من الارض عملا بعموم اللفظ أم يخص ببعض ذلك واختلف القائلون

بالتخصيص فقال بعضهم انه خاص بما يقتات به دون نحو الفاكهة والبقول وقال بعضهم غير ذلك . والآية في نفسها جلية واضحة لامثار للخلاف فيها وانما جاء الخلاف من حملها على زكاة الفريضة مع اضافة ماورد من الروايات القولية في زكاة ماتخرج الارض اليها . ومن جردها عن الآراء والروايات فهم منها ان الله تعالى يأمرنا بأن ننفق من كل ماينعم به علينا من الرزق سواء كان سببه كسب أيدينا أو مايخرجه لنا من نبات الارض ومعادنها كل ذلك فضل منه يجب شكره له بنفقة بعض الجيد منه في سبيله وابتغاء مرضاته . والآية لم تخصص ولم تعين مقدار ماينفق بل وكلته الى رغبة المؤمن في شكر الله تعالى فإن ورد دليل آخر يعين بعض النفقات فله حكمه

أقول لم يبق بعد هذا الترغيب والترهيب، والتعليم الكامل والتأديب ، الا ان يكون المؤمن بهذا الهدي أشد الناس رغبة في الصدقة والانفاق في سبيل الله بحسب سعته وحاله وأن يكون في بذله مخلصا متحريا مواقع الفائدة مبتعدا بعد البذل عما يذهب بثمرته من المن والاذى ولكنك تجد كثيرا من اللابسين لباس الايمان يتقلبون في النعم وهم أشد الناس لها كفرا ، اذ كانوا أشد الناس امساكا وبخلا ، وقد يعد هذا من مواطن العجب ، ولكن الكتاب الحكيم قد جاءنا بما له من العلة والسبب ، وأرشدنا الى طريق التفصي منه والهرب ، فقال :

(٢٦٨) الشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٩) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَٰبِ *

فقوله تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ معناه أنه يخيل اليكم بوسوسته أن الانفاق يذهب بالمال ، ويفضي الى سوء الحال ، فلا بد من امساكه والحرص عليه استعدادا لما يولده الزمن من الحاجات وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ فان الأمر هنا عبارة عما تولده الوسوسة من الاغراء . والفحشاء البخل وهي في الاصل كل مافحش أي اشتد قبحه وكان البخل عند العرب من أفحش الفحش قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد (١)

﴿ والله يعدكم ﴾ بما أنزله من الوحي و بما أودعه فى النفوس الزكية من الالهام الصحيح ، والعقل الرجيح ، وفي الفطر السليمة من حب الخير ،والرغبة في البر ، ﴿ مغفرة منه وفضلا ﴾ فانه جعل الانفاق كفارة لكثير من الخطايا وسببا يفضل به المرء قومه ويسودهم أو يسود فيهم بما يجذب اليه من قلوب من يكون سببا في رزقهم وهذا الفضل من الجاه بالحق هكذا قال الاستاذ الامام والمأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفضل هو ما يخلفه الله تعالى على المنفق من الرزق . ويؤيده قوله تعالى (٣٤: ٣٩ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وفي حديث الصحيحين «ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » أي تلفا لماله بأن يذهب حيث لا يفيده ومعنى هذا الدعاء عندي أن من سنة الله ان يخلف على المنفق بما يسهل له من أسباب الرزق ويرفع من شأنه في القلوب، وأن يحرم البخيل من مثل ذلك . وعلى هذا يكون وعد الله تعالى بشيئين أحدهما لخير الاخرة وهو المغفرة والثاني لخير الدنيا وهو الخلف الذي يعطيه وأقول ان من هذا الخلف الرزق المعنوي وهو الجاه الذي هو عبارة عن ملك القلوب فيدخل فيه ما قاله الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ﴿ والله واسع عليم ﴾ فهو اذا وعد أنجز لسعة فضله ثم انه يعلم أين يضع مغفرته وفضله . بمثل هذا يفسرون هذه الاسماء في هذه المواضع وأقول ان اسم (عليم) يفيد هنا انه سبحانه يعلم غيب العبد ومستقبله والشيطان لا يعلم ذلك فوعده تغرير، لا يعبأ به العاقل النحرير،

ومن مباحث اللفظ في الآية استعمال الوعد فى الخير والشر وهو شائع لغة ثم جرى عرف الناس ان يخصوا الوعد بالخير والايعاد بالشر فاذا ذكروا الوعد مع الشر أرادوا به التهكم . على ان ما يعد به الشيطان من الفقر هو على

---

(١) اعتام الشيء اختار عيمته والعيمة بالكسر خيار المال وكذلك العقيلة خيار الشيء والفاحش البخيل جدا والمعنى ان الموت يختار أفاضل الكرام ويصطفي خيار اموال البخلاء المتشددين في الامساك والحرص من اصطفى الشيء أخذ صفوه أي خياره أي يتحرى ما تشتد اليه حاجة أهله

تقدير الانفاق و يلزمه الوعد بالغنى مع البخل الذي يأمر به

ثم قال ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ فبين لنا بعد ذكر مايعد هو جل شأنه به ومايعد به الشيطان مانحن في أشد الحاجة اليه للتمييز بين مايقع في النفس من الالهام الالهي والوسواس الشيطاني وتلك هي الحكمة . فسر الاستاذ الامام الحكمة هنا بالعلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس حاكمة على الارادة توجهها الى العمل ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدي الى السعادة. وكم من محصل لصور كثير من المعلومات خازن لها في دماغه ليعرضها في أوقات معلومة لا تفيده هذه الصور التي تسمى علما في التمييز بين الحقائق والاوهام، ولا في التزييل بين الوسوسة والالهام، لأنها لم تتمكن في النفس تمكنا يجعل له سلطانا على الارادة وانما هي تصورات وخيالات تغيب عند العمل، وتحضر عند المراء والجدل، قال الاستاذ الامام مامعناه والمراد بايتائه الحكمة من يشاء اعطاؤه آلتها — العقل — كاملة مع توفيقه لحسن استعمال هذه الآلة في تحصيل العلوم الصحيحة فالعقل هو الميزان القسط الذي توزن به الخواطر والمدركات، ويميز بين أنواع التصورات والتصديقات ، فمتى رجحت فيه كفة الحقائق طاشت كفة الأوهام ، وسهل التمييز بين الوسوسة والالهام ، أقول وهذا القول يتفق مع ماروي عن ابن عباس من ان الحكمة هي الفقه في القرآن أي معرفة ما فيه من الهدى والاحكام بعللها وحكمها لأن هذا الفقه هو أجل الحقائق المؤثرة في النفس الماحية لما يعرض لها من الوساوس حتى لاتكون مانعة من العمل الصالح ولا شك من ان من فقه ماورد فى الانفاق وفوائده وآدابه من الآيات لايكون وعد الشيطان له بالفقر وأمره اياه بالبخل مانعا له منه. ولكن الفقه في القرآن لايكون الا بكمال العقل وحسن استعماله فى الفهم والبحث عن فوائد الاحكام وعللها، ودلائل المسائل وبراهينها، فالخبر فسر الحكمة بالاخص رعاية للمقام، والاستاذ الامام فسرها بالاعم بيانا لشمول هداية القرآن، فالآية باطلاقها رافعة لشأن الحكمة بأوسع معانيها، هادية الى استعمال العقل في أشرف ماخلق له. ومن رزىء بالتقليد كان محروما من ثمرة العقل وهي الحكمة ومحروما من الخير الكثير الذي أوجبه الله لصاحب الحكمة بقوله ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ فيكون

كالكرة تتقاذفه وسوسة شياطين الجن وجها له شياطين الانس يتوهم أنه قد يستغني بعقول الناس عن عقله و بفقه الناس عن فقه القرآن بدعوى أنه جمع كل ما أوجبه القرآن ، مع زيادة في البيان، وقد يجد في فقه الناس ان الله لم يوجب عليه غير الزكاة التي لاتجب الا بعد ان يحول الحول وهو مالك للنصاب وانه إذا هو وهب امرأته ماله قبل انقضاء الحول بيوم أو يومين ثم استوهبها أياه بعد دخول الحول الجديد بيوم أو يومين لم تجب عليه الزكاة ويمكن على هذا ان يملك ألوف الألوف من الدنانير وتمر عليه السنون والأحوال لا ينفق منها شيئا في سبيل الله و يكون مؤمنا عاملا بفقه الناس ولكنه اذا عرض نفسه على القرآن وفقه ما أنزله الله فيه من غير تقليد ولا غرور بعظمة شهرة المحتالين المحرفين فانه يعلم انه يكون بهذا المنع عدوا لله تعالى ولكتابه محروما من الخير الكثير الذي آتاه تعالى لأهله

قرأنا واطلعنا على كثير من كتب الفقه التي هي عمدة المقلدين المنسوبين الى المذاهب الاربعة فلم نر في شيء منها عشر معشار ماجاء في القرآن الكريم من الترغيب في انفاق المال في سبيل الله وبيان فوائده ومنافعه وكونه من أكبر آيات الايمان والتنفير من الامساك والبخل وبيان كونه من آيات الكفر، ولكنها تطيل فيما لم يعن به كتاب الله من بيان النصاب في كل ماتجب به الزكاة والحول وغير ذلك من المسائل التي تستقصي كل شيء الا ماينفذ الى القلب، فيجذبه الى الرب، بعد أن ينقذه وساوس الشياطين ،ويزج به في وجدان الدين، وهذا ماعابه الامام الغزالي على هذا العلم الذي سموه فقها وقال انه ليس من فقه القرآن في شيء .

فهل يصح مع هذا أن يقال انه يمكن الاستغناء به عن فهم القرآن وفقه حكمه واسراره؟ألم تر أن أوسع الناس معرفة به هم في الغالب أشدهم بخلا وحرصا حتى لا نكاد نرى أحدا منهم مشتركا في جمعية خيرية أو منفقا في مصلحة عامة أو خاصة بل منهم الذين يحتالون ويعلمون الناس الحيل لمنع الزكاة المعينة التي أجمعوا على انها من أركان الاسلام . ومنهم من يصف الجمعيات الخيرية بالبدعة و يلمز أهلها في عملهم يعتذر بذلك عن نفسه أنه لم يقبض يده عن مساعدتهم الا تمسكا بالشرع ومحافظة على أحكامه فاذا قيل لهؤلاء ان صح ماتزعمون فلم لاتنشئون جمعيات خيرية لخدمة الامة وإعلاء

شأن الملة شكوا من كل أحد الا من أنفسهم على انهم لو فعلوا لأسرع الجماهير الى تلبيتهم لان السواد الاعظم من المسلمين ، لا يزال يعتقد بأنهم هم المحافظون على على الدين ، أفرأيت من لا يعمل الخير ولا يأمر به بل يصد عنه يكون قد أوتي الحكمة التي قال الله فيمن أوتيها انه أوتي خيراً كثيرا ، أو يكون قد أوتي فقه القرآن الذي هو أخص ما فسرت به الحكمة ؟ لا نعني بما تقدم ان علم الاحكام المعروف بالفقه لا حاجة اليه بالمرة وانما نعني انه لا يستغنى به عن فهم القرآن حتى في الاحكام .

ثم أقول ايضاحا للمقام ان الله جعل الخير الكثير مع الحكمة في قرن فهما لا يفترقان كما لا يفترق المعلول عن علته التامة فالحكمة هي العلم الصحيح المحرك للارادة الى العمل النافع الذي هو الخير وآلة الحكمة هي العقل السليم المستقل بالحكم في مسائل العلم فهو لا يحكم الا بالدليل فمتى حكم جزم فأمضى وأبرم فكل حكيم عليم عامل مصدر للخير الكثير ولذلك قال تعالى ﴿ وما يذكر الا أولو الالباب ﴾ أي وقد جرت سنته تعالى بانه لا يتعظ بالعلم ويتأثر به تأثرا يبعث على العمل الا أصحاب العقول الخالصة من الشوائب ، والقلوب السليمة من المعايب ، وهو تذييل يؤيد ما تقدم في تفسير الحكمة فنسأله تعالى ان يجعلنا من أولي الالباب ، المؤيدين بالحكمة وفصل الخطاب ، ثم قال تعالى

(٢٧٠) وما أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ *

أرشدنا عز وجل في هذه الآية الى انه يجازي على كل صدقة وكل التزام لصدقة وبر لان علمه محيط بكل عمل وكل قصد لنتذكر ذلك فنختار لانفسنا أفضل ما نحب أن يعلمه عنا فقوله ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ يشتمل قليلها وكثيرها سرها وعلانيتها ما كان منها في حق ، وما كان منها في شر ، ما كان عن إخلاص ، وما كان رئاء الناس ، ما أتبع منها بالمن والاذى ، وما لم يتبع بشيء منهما ، وقوله ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ يأتي فيه مثل ذلك ويشمل ما كان نذر قربة وتبرر ونذر لجاج وغضب فالاول ما قصد به التزام الطاعة قربة لله تعالى بلا شرط ولا قيد لئلا يتهاون فيها كأن ينذر

نفقة معينة أو صلاة نافلة أو بشرط حصول نعمة أو رفع نقمة كقوله ان شفى الله فلانا فعلي أو لله علي ان أتصدق بكذا أو أقف على الجمعية الخيرية كذا . والثاني ما يقصد به حث النفس على شيء أو منعها عنه كقوله ان كلمت فلانا فعلي كذا . واتفقوا على انه يجب الوفاء بالأول وفي الثاني أقوال منها أنه يجب فيه كفارة يمين بشرطه ومنها انه يخير بين الوفاء بما التزمه و بين كفارة يمين ولا محل هنا لتفصيل القول فيما ورد وما قيل في النذر وانما نقول انه التزام فعل الشيء بلفظ يدل عليه كقول الناذر لله علي كذا أو علي كذا أو نذرت لله كذا و ينبغي ان يكون في طاعة لأنه لا يتقرب اليه تعالى الا بالطاعة فان نذر فعل معصية حرم عليه ان يفعلها وان نذر مباحا فعله لان فسخ العزائم من النقص ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم من نذرت أن تضرب بالدف وتغني يوم قدومه بالوفاء وقد يقال ان هذا مستحب لا مباح .

وقوله تعالى ﴿فان الله يعلمه﴾ جواب الشرط أي فانه تعالى يعلم ما ذكر من النفقة أو النذر ويجازي عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فالجملة وعد ووعيد وترغيب وترهيب ثم أكد ما فيها من الوعيد بقوله ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينصرونهم يوم الجزاء فيدفعون عنهم العذاب بجاههم أو يفتدونهم منه بمالهم كقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أقول والظالمون في مقام الانفاق هم الذين ظلموا أنفسهم اذ لم يزكوها و يطهروها من هذه الفحشاء (البخل) أو من رذائل الرياء والمن والاذى وظلموا الفقراء والمساكين بمنع ما أوجبه الله لهم وظلموا الملة والامة بترك الانفاق في المصالح العامة و بما كانوا قدوة سيئة لغيرهم فظلمهم عام شامل . فهل يعتبر بهذا أغنياء المسلمين يرون أمتهم قد صارت ببخلهم أبعد الامم عن الخير بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس ؟ أما انهم لا يجهلون أن المال هو القطب الذي تدور عليه جميع مصالح الامم في هذا العصر وانهم لو شاءوا لانتاشوا هذه الامة من وهدتها، وعادوا بها الى عزتها، ولكنهم قوم ظالمون، قساة لا يتوبون ولا يتذكرون ،

---

(٢٧١) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *

هذا حكم آخر من أحكام الصدقات يشعر بالحاجة اليه المخلصون الذين يتحامون الرياء والفخر في الانفاق وما كل مظهر للعمل الصالح مرائيا به ولكن كل مخف له بعيد عن الرياء ولذلك قال تعالى ﴿ ان تبدو الصدقات فنعما هي ﴾ أي فنعم شيئا ابداؤها وأصلها نعم ماهي قرأ ابن كثير وورش وحفص (نعما) بكسر النون والعين وهي لغة هذيل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ أبو عمرو وقالون وأبو بكر بكسر النون واخفاء حركة العين (اختلاسها) في رواية واسكانها في أخري والاولى أقيس وحكيت الثانية لغة - قال ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ أي ان إعطاءها للفقراء في الخفية والسر أفضل من الإبداء لما في الإخفاء من البعد عن شبهة الرياء ومثاره ومن اكرام الفقير وتحامي إظهار فقره وحاجته وقيل خير لكم من الخيور وليس بمعنى التفضيل. ويؤيد الاول زيادة الجزاء بقوله ﴿ ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ أي ويمحو عنكم بعض سيئاتكم - قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص (ويكفرُ) بالياء أي الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب (ونُكفرُ) بالنون مرفوعا أي ونحن نكفر وقرأ حمزة والكسائي ﴿ ونكفرْ ﴾ بالنون مجزوما بالعطف على محل الفاء - ثم قال ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي لا تخفى عليه نياتكم في الابداء والإخفاء فان الخبير هو العالم بدقائق الامور

بقي في الآية مبحثان (أحدهما) أن بعض المفسرين قال ان الصدقات في الآية عامة تشمل الزكاة المفروضة والتطوع فإخفاء كل فريضة خير من إبدائها وقال الاكثرون انها خاصة بالتطوع لأن الفرائض لا رياء فيها وهي شعائر لا ينبغي اخفاؤها وهو الذي اختاره الاستاذ الامام قال ان إبداء الفريضة إشهار لشعيرة من شعائر الاسلام لو أخفيت لتوهم منعها وذلك يؤثر في المتوهم فيسهل عليه المنع لما للقدوة وحال البيئة من التأثير ولا محل للرياء في الفرائض والشعائر لأن من شأنها ان تكون عامة ولأن المرائي بها لا يكون مصدقا بفرضيتها ومن كان كذلك فهو كافر: أقول فاذا انقلبت الحال فصار المؤدي للفريضة نادرا لا يكاد يعرف فاذا عرف أشير اليه بالبنان فهل يصير الافضل له اخفاؤها ؟ الظاهر أن الاظهار في هذه الحالة يكون

آكد لأن ظهور الاسلام وقوته باظهار شعائره وفرائضه ولمكان القدوة بل قال بعض العلماء ان الاظهار أفضل لمن يرجو اقتداء الناس به في صدقته وان كانت تطوعا لأن نفعها حينئذ يكون متعديا وهو أفضل من النفع القاصر بلا نزاع. فعلى هذا تكون الخيرية في الآية خاصة بصدقتين متساويتين في الفائدة إحداهما خفية والاخرى جلية فلا شك ان الخفية تكون حينئذ أفضل. ولك ان تقول ان الخيرية فيها عامة الا انها مقيدة بقيد الحيثية كما يقولون أي ان كل صدقة خفية خير من كل صدقة جلية من حيث هي ستر لحال الفقير وتكريم له ومجنبة لنزغات الرياء. ولا يلزم من ذلك ان تكون خيرا من كل جهة فاذا وجد في الجلية فائدة ليست في الخفية كالاقتداء تكون خيرا من هذه الجهة أو الحيثية ولك أن توازن بعد ذلك بين الفضيلتين المختلفتي الجهة أيتهما أرجح وذلك يختلف باختلاف حال المعطي والمعطى والقدوة فرب معط لا يقتدي به أحد ومعط يقتدي به الواحد والاثنان ومعط يتبعه الجماهير ورب معطًى يرى من العار ان يأخذ من كل أحد يفضل ان يعطيه زيد وحده في السرّ ولا يحب ان يأخذ من غيره ولو في السر. وان من المنفقين من لا يخاف على نفسه الرياء اذا هو تصدق فى الملأ ومنهم من لا يأمن عليها الرياء ولو أنفق في الخلوة الا ان يجتهد في ضبط نفسه لتواظب على الكتمان على ان المخلص لا يعسر عليه ان يجمع بين اخفاء الصدقة الذي يسلم به من منازعة الرياء، وبين إبدائها الذى يكون مدعاة للاسوة والاقتداء، ويسهل هذا الجمع في التعاون على المصالح العامة كأن يرسل المتصدق ورقة مالية لجمعية خيرية ولا يذكر لها اسمه أو يذكره لمن يبذل له المال كرئيسها أو أمينها فقط ومن دأب الجمعيات ان تشيد بمثل هذه الصدقة بألسنة أعضائها وبألسنة الجرائد التي هي أوسع طرق الشهرة فى عصرنا وأبعدها مدى

ولا يبعد عن هدي الآية من يقول ان الانفاق فى المصالح العامة كانشاء المدارس للتربية الملية والتعليم النافع وانشاء المستشفيات والدعوة الى الدين والجهاد ونحو ذلك يشبه إيتاء الزكاة فلا ينبغي اخفاؤه وان أخفى المنفق اسمه وان تفضيل الاخفاء خاص بالصدقة على الفقراء كما هو صريح قوله ﴿ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء ﴾ الخ ولم تقل:

وان تخفوها وتجعلوها في سبيل الله فهو خير لكم :وذلك ان الصدقة على الفقير سدّ لخلة فلا يحتاج فيها الى المباراة في الاستكثار كما يحتاج في اقامة المصالح العامة ثم ان فيها من ستر حاله وحفظ كرامته مالا يجيء مثله في المصالح

وقد ورد في حديث البخاري ان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ومن الناس من يظن ان اخفاء كل أعمال الخير أفضل من إظهارها وانه خير للانسان ان يكون مغمولا من ان يكون معروفا بالخير مقتدى به فأين من هذا الظن قوله تعالى (٢٨: ٥ ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقوله عزوجل (٣٢: ٢٤ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) الآية وقوله في بيان دعاء عباده (٢٥: ٧٤ واجعلنا للمتقين إماما) فهل يكون الامام الذي يقتدي به في الخير مغمولا مجهولا

(المبحث الثاني) انه أطلق في الآية لفظ الفقراء ولم يقل فقراءكم فدل ذلك على أن الصدقة تستحب على كل فقير وان كان كافرا فكما وسعت رحمته الكافر فلم يحرمه الكفره من الرزق بسعيه كذلك لم يحرم عليه الصدقة عنه عجزه عن الكسب الذي يكفيه . وقد ذهب بعض المفسرين الى ان الآية نزلت في الصدقة على أهل الكتابين أورد ذلك ابن جرير وحكاه عن يزيد ابن أبي حبيب . والفقهاء لم يمنعوا صدقة التطوع عن غير المسلم وانما قالوا ان الزكاة التي هي احدى أركان الاسلام خاصة بالمسلمين وكذلك زكاة الفطر . ولم يمنعوا صدقة التطوع عن مسلم ولا كافر ،ولا برّ ولا فاجر ، بل قالوا اذا اضطر الذمي أو المعاهد الى القوت وجب على المسلمين سدّ رمقه كما يجب عليهم سد رمق المسلم المضطر الامن أهدر الشرع دمه . وعموم نصوص القرآن والأحاديث تدل على أن الله كتب الرحمة والاحسان في كل شيء . ومن ذلك حديث الصحيحين « في كل كبد رطبة أجر » وفي رواية لغيرهما في كل كبد حرى أجر يعني في جميع الأحياء

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرهما في العدد ٤٩ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جمادالاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى ــ التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمي الدواوين وبحضر هؤلاء وأولئك شنف المسامع بمقال جليل في شأن تربية الامة ومايلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره فى الجرائد الوطنية تعميما للفوائد وبيانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي مايسمى بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على سائرها واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ماسواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزيه والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضروريه المنتهي الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله تعالى في بقاء الأنواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لابد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها و يقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته و يرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طبيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات ليعلم خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها ومايلائم كل واحد على حسبه وخبيرا بعلل الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئا كان فقده خيرا من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجهله يستعمل من الأدوية ماعساه يهيج المرض و يعين من الاغذية مايساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالما بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شفيقا رحيما صادقا أمينا لا يكون قصارى عمله ماينالهُ من جُعل المعالجة فإنه ان كان قسيا عديم الرأفة أو كان خائنا فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقائه السم في الادوية مثلا أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من العرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكترث بحال المريض مادام يوفَّى أجر عمله فإن هلك فقد نال مايزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه أيضا خير من وجوده

وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع أصول متضاربة ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل و بغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبيت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة وبات شقيا سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحَين والهلاك . ألا ترى ان النفس الانسانية

لابد لهـا من خلق الجرأة وخلق المخافة وهما متضادان ومن مقاومتهما على وجه معتدل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تتحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المخافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يتهدده في جميع أوقاته ولوان الجرأة تغلبت على المخافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهالك لحق ولغير حق بدون تبصر ولامراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الهلكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه. وكذلك لابد من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ولوان الامساك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضر ببدنه ولم يوف بحقوق مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لاتنحصر ولو تغلب البذل لأنفق جميع ما بيده فى المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لايجد ما ينفقه في ألزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين متضادين لابد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة و بغلبة أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا يسعنا المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المغذية للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقلدها بعاداتهم أو باستماع إغواء ذوي الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللنفوس علل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولوازمه لحفظ صحة البدن كما بينا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طبيب النفوس والأرواح اذا رقي منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيها ودركات تدنيها في جميع الازمان وان يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أوقديم قويّ في النفوس أوضعيف وماهو العلاج اللائق بكل صنف. وكما انه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق مافي نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أمينا لا ينظر الى الدنايا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزئت بمطببين لا أطباء، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء، والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الاخلاق باسم أنها فضائل ويغرس فيها جراثيم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الاخيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبعده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نقع الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الابعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائنا أودنيئا ينحط الى سفاسف الامور أوعدم

الشفقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلما للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلايبالي أوقع الافراد في خير أوشر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أواعتلت ، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والعشيرة لقضاء أوطارهم

الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون فى قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أرباب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلدتهم وإلا استحقوا الرفض والطرد والإبعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقذفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يتعداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية ـ الصناعة

قد عاد حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة فابتدأ حفظه الله يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولا جليلة غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها فى المغرب واجتنيت ثمارها لغير غارسيها ولم تزل في بلادنا على كليتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها بانياً جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القويمة ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم رأيت من الواجب قياما بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها وانشر طيب وفدها فى صحف الجرنالات لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق

بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من انهم من أبناء السماء فليتذكر من له فطنة) وانه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأتها ويسير في عيشه سيرتها يتفيأ ظلال الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكار، ليس له شعار ولا دثار، (ولكن خفيف أشعار) يقتات بنباتات وثمرات تحضرها له القدرة الالهية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كن يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاره الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، ويقيمه متحكما في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومنتهى سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفا عاجزا جاهلا حافيا عاريا يزعجه كل حادث، وتستفزه كل نبأة، ويتهيب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية فى جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة فى قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرهم الحاجات ولم تسقهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فإنهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطابا، ولا يحسنون جواباً، الا ما كان متعلقا بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومدافعة عادٍ من الحيوانات وجميع ما يعده الانسان المتمدن كمالا وانسانية فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكونجات قدرته لما اختص هذا النوع من بين الانواع الحيوانية بخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، ووكل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حق الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها، واهتدى بآثارها والتقط درر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئا فشيأ تارة يخطئ وتارة يصيب، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطرارا للوقوف عليها ،حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة ،وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتقلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات، منقادا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأتمر أمره، ويتبع سيره، تارة يتدرج الى الكمال فيقعده مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من التفنن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويغل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على مايصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في تبيانه بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة المعهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياكة مثلا قائمة مقام القوة الماسكة للجلود الغليظة المفرزة للأشعار والاوبار الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة الحديد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبراثن والانياب للسباع والضباع وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يقم منها مقام ضروري أو حاجي قام مقام كمالي على مايتضح لك بعد

واذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وعليها مدار بقائه في أي مرتبة كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الاولية على

ماقرره الحكماء الاقدمون،وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، ليتبين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات فالقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالمعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثر والقبول لا تعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية مالم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالافعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبديهيات العلوم أوكان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل ايا كان حقا أو باطلا فليس له حد يقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم علم اليقين انه وان وقع كثير من صوره وكمالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجثمان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل مالم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تنمية بدنه أوجاب ما يلائم ذائقته أو نهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وانحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر إلى كلية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو متمماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الأنسان لايحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده انما يكون بالاجتماع والالتئام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في موادّ الأغذية التي لاتحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرّاً وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوهما ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لايكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوما بيوم بل ساعة بساعة فلابد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بثمرة عمل الآخر فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص —مع انه لابقاء له الا في ضمن المجموع— فقد طلب فقد نفسه من حيث لايشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضوا حقيقيا وركنا ثابتا يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولا من طريق كليتهم و يعود الى شخصيته ثانيا ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الأنساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعضو الأشل لافائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لايعمل و يسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالاباحية الذين يعتقدون أنه لاملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاءوا أكلوا أو شبعوا واقعوا ويبثون أفكارهم بين افراد النوع ليقتدوا بأعمالهم و يسيروا بمثل سيرهم فيتر كون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون

فأولئك كالأمراض السارية مثل الجذام والزهري لابد من قطع العضو المؤف «المصاب» بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا إباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا و يؤدبوا ويحال بينهم و بين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كان بالتعذيب حتى يستقيموا أولا يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلابد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفاؤهم فراراً من ألم القلب عند اختزالهم واقتطاعهم لما لهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبغوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضا اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه خسيس منحط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاوه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتؤيد العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكلوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبتلا وانقطاعا عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلعهم لجلباب التعفف فهم بمنزلة شعر الابط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير و يستحب ازالتهم وتنقية الهيئة الاجتماعية من درنهم فان بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمرا يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم سبح المكر والحيلة ويسربلونهم بسرابيل التمويه والتزوير ويغرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبة وطلب الدنيء من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس (الغير المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الاستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بثمرات اكتسابهم باسم انهم وانهم وانهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالاباحيين وتحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجملة حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فعليها ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلته أو متممة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كقصر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي متقننة القوانين وموضحة السبل وواضعة جميع النظامات ومعينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والرذائل وبالجملة فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لها غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على اتمام وظائفها والثامن كالصباغة والنقش والتلوين وغير ذلك

ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بعموم موضوعه وشمول غايته وان أعم الاقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذه في أعماله وأفكاره واخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزله الخادم المنقاد من السيد الحاكم الآمر اه

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأحببت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الإسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالاً على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشهير الذي انشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاما . والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير ان يزعزعوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائما لسهام نقد النافدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسوية فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوّة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ماذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

ولعلهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولا لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفا والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ماوصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أوخمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير انهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضا ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضا فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهدا في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايتها العظمى البحث عن وجود الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به . فاتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديما أضحى ضربا من المحال . ورأوا على مابهم من الاكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقي قومهم الى درجة تلائم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وفاستها فكانت هذه السنة منهم فى العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادىء لاتخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسرها بها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لانتظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحين وثباتهم . ثم أيدهم رجال خطير و الشأن مثل المرحوم السر سلار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلقين بأخلاق تجلهم وتنزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا ألدّ خصومهم الى أشد الأنصار غيرة عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون انها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه» انتهى اه

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان و بلاد العرب وأوغندة وموريتيوس ومستعمرة الرأس ويقيني انه لو قصدها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(١) هذا كتب منذ اعوام

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص١٣٢) ما نصه:

« هـذا واني أوافق السر ملكولم مكاريث على ما قاله عن الضربة الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لاتخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته» اه

أما ماأشار اليه من كلام السر ملكوم مكاريث المستشار القضائي في تقريره عن المحاكم فها هو بنصه

ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد اسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت هـذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشـد لنا في كل مايتعلق بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لاتقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ماأحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ماخسرناه بموته نظرا لسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوربا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فانه يتعذر وجود أحد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته

فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلا تشعر بخسارتها بفقده اه كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروبا من العبرة والحكم تدل على ان هذ الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — مالم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلا عن أوساطهم ودهمائهم، فرأينا أن نبين ذلك مع شيء من الشرح والرأي

العبرة الاولى بيانه لحال المسلمين

ذلك أنه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتنطعون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ونقول انه قد بلغ من تنطعهم في جمودهم على ما ألفوا أن كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراكش لأشد تنطعا وجمودا على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أو في التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كؤدا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التى تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع فى صلاحه وفساده لشيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقيض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفرنجون الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه ولله درّه ما أدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لا قيمة لهم فى أنفسهم ، ولا صوت لهم فى أمتهم ، وسنعود الى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلمهم ان كل فساد طرأ عليهم فمنعهم عن مجاراة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتنطعين في جمودهم والمتهتكين في تفرنجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكده الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذى كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الاصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالتين من المقالات الاصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بارشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الاصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم تمكنه من عمل يذكر فى غيرها سوى ما كان يكتبه فى أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسالمة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الاصلاح كما بينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر الى الاشتغال بالاصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي اسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس فى مصر مدرسة خيرا منها لكن المنية عاجلته قبل ذلك فقدمات قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم فى عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسيها كانوا من عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين للظن بها فكانوا خيرا الملتهم ممن جعلهم سوء الظن والكره بين معاد لعلوم الافرنج النافعة وبين خائف من كل عمل نافع لملته، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي انه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا فى ذلك ولا يمنعوننا ما ينفعنا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارّتهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضرّ على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى فى كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة فى موضع آخر

اما ما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وانما كان المتنطعون من أهل الجمود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير فى الأزهر زال ذلك الظن بتمادي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولا لقائل . فانحصرت بعد ذلك معارضة الإصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخترعونه للطعن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا ينافي هذا قول اللوردان مريدي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن فى طريقتهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون . فعسى أن يوفقهم الله للمضي في العمل الذي كان إمامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيما اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أوغير ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المنابر واستفتى بعض علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا المبلغ . ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة ابنه منهم وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبرة الثانية ثناؤه على الامام

صفوة العبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم وعلماؤهم فيعتد بقوله فيهم . واما العبرة الثانية فنريد بها مافي ثنائه على الرجل وحزبه من الانصاف وعرفان الفضل لأهله ومافى تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجي اسمه(غورفيل) وطبعه باللغتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه معزوّ الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين يدبرون أمرها و يديرون دفتها وقد ترجمته أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال ، لا يصدها عن مقاصدها قيل وقال ، واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي يعتقده في كل مايخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم الشرعية و بمناقشته لناظر المعارف فى مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس الحكومة . وقد كان اللورد العظيم يضع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كرأيه في ضرورة إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه

فهل يعتبر بهذا رجالنا الذين يمنعهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستاذ الامام بما أثنيا به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهانا على أن القوم رجال جدّ يجلّون من يقول الحق فى السر والجهر و يعمل بالاخلاص

فى الخفيـة والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه مالم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الإيجاز فى هذا المقام

هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجـل أ كثر مما يجب أو ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا فى مناقب العلماء والحكماء وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهما العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية انه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام ، أو ما في معنى هذا الكلام ، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحثه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه

وإنني رأيت مريدي الاستاذ الامام شاكرين للورد ما كتبه قادرين إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

العبرة الثالثة حثه الاروبيين على تنشيط هذا الحزب

اني لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتباع الشـيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين » و بعضهم يضعه موضع الظنة لاعتقاد المسلمين أن الاوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا ما وانما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أوربا كافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا ينفعهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الاوربي وقد سبق لنا فيه قول ونقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض الاوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمران فهم يحبون عمران البلاد التي يتبوءونها ومن ثم سموا ذلك استعمارا . وعمران كل بلاد انما ينمو ويعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين للآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف اذا كان الأعلم هو الأقوى. ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم. ومتى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وانحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فان كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر

ثم ان الاوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدنيتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوامّ المسلمين من الاستعداد للتهييج باسم الدين ورب هيجة شؤمى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة — لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محبّ للاصلاح الذي يعرّف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزلزل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرهم الغارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضر بهم كثيرا. فالاجانب العقلاء العارفون بكنه الشرق كاللورد كرومر واضرابه من ساسة الانكليز يحبون هذا النوع من الاصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا لأنهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطمأنينة كما قال المنار غير مرة ولكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قائمة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر اللورد كرومر بذلك

مثل هذا الاصلاح لا يأتي من جانب المتفرنجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرنجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الخرافات التي هي مثار الفتن والآفات. ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لا غرض له الا إزالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا. ومن أركان الاصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يعارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها. اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجمعيات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور . و يعتقد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الاصلاح الا باتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مداره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها . ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاحتلال وقد سألت الاستاذ الامام عن رأيه فيه عند مازار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال انها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وانما الشأن فيها لدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فاذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان ، وهو مالا دليل عليه الآن ، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق ابريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشتغل بما يعنينا وهو في استطاعتنا من ترقية أمتنا بالتربية والتعليم ونترك مالا طاقة لنا به ولا يأتي منه الا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الامة عما فيه خيرها وفلاحها فى دينها ودنياها وضغط أوربا عليها

ههنا يقول المعترض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثلى في إصلاح حال المسلمين ، وان منتهى الحكمة فيها مسالمة الاوربيين ، لكن مثل اللورد كرومر فى بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه ان المسلمين اذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب ، أو يكون حاديا لهذا لركب هذا الحزب ، والجواب عن هذا سهل وهو ان طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في الاستقبال ، فان الامة اذا سارت في طريق الترقي مع المسالة وحسن التفاهم بينها وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في ابان ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم فى طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها و يمكنهم ان يربحوا منها في طور القوة والاستقلال ، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكليز هم القوم الذين لا يعاندون الطبيعة وانما يسايرونها و يستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه . ولعلى لا أكون واهما اذا قلت ان فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين ، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لأ باحت له العمل ان لم تنشطه وتساعده . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح فى مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحببنا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرنا ولا يضرهم ومن الغباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، و يرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها تحل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين انه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين و يرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الراغب انه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجلان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقيهم ويرفع شأنهم

العبرة الرابعة رأيه في المتفرنجين

يظن هؤلاء المتفرنجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ماهو شر منه عن كثير من كبراء الاوربيين — علمنا انهم يحتقرون هؤلاء المتفرنجين وفي ذلك من العبرة مالا محل لشرحه في هذا المقام واللبيب من تكفيه الاشارة وأين اللبيب فيهم وقد أفسدت الخمور ألبابهم، وأضاع القمار صوابهم ، فمعسرهم في حسرة على المال الذي يمتع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفني ثروته ، ومنتهى الفخر عندهم كلب غريب يساير في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وفتاة أوربية تخاصر فى المتنزهات ، و تقبيح ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وصرف العمر في التفنن في اللذات ، وان أذاقت الامة ضعف الحياة وضعف الممات ،



فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(طريقة ابراهيم الرشيدي — من اسئلة سنغافوره)

(س ٢٠) من أحد المشتركين في سنغافوره

نبعث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغرّ لازال منار الدين به مشيدا وهو

انه نجم في هـذه الاطراف طائفة تزعم أنها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدي ويقيمون في المساجد اذكاراً بلفظ الجلالة برفع صوت جدّا ويشوشون على من هناك من المصلين ويلقبون أنفسهم بمجاذيب وينشدون خلال ذلك اشعارا من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة فى اثناء صلاتها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) ويجيب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقون بهـذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن فى المسجد فى وقت صلاتهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم وبأنهم انما يزعقون فى حالة الغيبة مستندين الى ما فى كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاقت انفاسه منه ربما خرج على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا للذكر ليلا وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم مغشيا عليه ذكرا كان أو أنثى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة فى يديه ويقول لهم (أشّ) ثم يخرّ أحدهم مغشياً عليه فيفيق بعد ذلك ويقول شاهدت فى غيبتي أحمد بن ادريس وشاهدت . . . . الى ما لا نطيل بذكره فهل هـذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة الممدوحة أو هو مما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاة الامور المنع من مثل هـذا

اذ وليّ الامر هنا لم يقدم على منعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فوليّ الامر لايتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ فى المنار من المنع أو الامرار فأدركونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازلتم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق فى هـذا العصر كقولهم الله الله . . . حي حي . . . أو بالضمير كقولهم هُو هُو . . . وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالة العبودية مانصه بعد أن أورد ماورد في الحديث من أن أفضل الذكر لااله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أو لااله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٦: ٩١ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أبين غلط هؤلاء فان الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وانما يعطيه قصورا مطلقا لايحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله مايفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشريعة انما تشرع من الاذكار مايفيد بنفسه لاما تكون الفائدة حاصلة بغيره . وقد وقع من واظب على هذا الذكر فى فنون من الالحاد، وأنواع من الاتحاد، كما قد بسط في غير هذا الموضع . وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف ان أموت بين النفي والاثبات: حال لايقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالا خفاء فيه اذ لو مات العبد فى هذه الحال لم يمت الا على ماقصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا اله الا الله وقال «من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة» ولو كان ماذكره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال ياهو ياهو أوهوهو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا الا الى مايصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم ان قوله (٣:٧ وما يعلم تأويله الا الله) معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الا الله وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا مايذكره بعض الشيوخ انه يحتج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله (قل الله) معناه: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى: وهذا جواب لقوله (٦:٩١ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم، قل الله) أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (*) فقال من انزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله انزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«ومايبين ماتقدم ماذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به الا كلام تام جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمر

(*) أول الآية «وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسولَ الله: بالنصب فقال ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام ؟

« ومافي القرآن من قوله (٧٣:٨ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وقوله (٥٦:١ سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (٨٧:١٤ قد أفلح من تزكى ١٥ وذكر اسم ربه فصلى) وقوله (٥٦:٩٦ فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلي وهذا معنى اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين » — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محظور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو بغير ذلك فان المساجد انما تبنى للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وان كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منعه لذاته وان لم يشوش على مصلّ . ولا أراني محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد النقول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومنه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في تقريظ كتاب اصابة السهام (٦:٣٤)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا انها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والعرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على الانسان

(١) الحديث رواه أحمد وابو داود وابن ماجه والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه ايضا احمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهومتوجه الى الله بالذكروالفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالبا اذا كان من يأتيها مستعدا له وهي الخلوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعا يجيء نوبة بعد نوبة ويكون مطبقا ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذا عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجب ان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا – وفي رواية مساجدكم – صبيانكم ومجانينكم» الخ رواه ابن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره . واذا كان التشويش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه العاقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعقات) هذه الزعقات والصيحات عند الذكر أوالتلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يهم نفسه فاذا كان عابدا وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أوعبرة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقا وسمع غناء أو شعراً بليغا يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الاغبياء الجهلاء باسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق، الذي يتأثر بالمعنى الدقيق، جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف وغيرهما من متصوفة القرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الغزالي في بيان أصناف المغترين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيأتهم وفي ألفاظهم وفي

آدابهم ومراسهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليـة وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة و يتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضـه وهؤلاء غرورهم ظاهر » ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجعان وتبرز الى الميـدان ثم ذكر فرقـة المتشبهين بهم فى الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته و يلازمهم أياما معدودة و يتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار و يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم أجراء متعبون ، و يقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ، و يدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعنـد أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين ، ولم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حـد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلالـ

واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها (فمنهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لايخلو عن مقارفة مايكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولوخلا لماتركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب : الخ ماذكره في ذلك

أقول اذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدى هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . وليعلم ان الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس انما يكون بعد الحب والحب لايكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لاتكون الا بالعلم بما جاء في كتابه ومامضت به سنة نبيه مع الاذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لايدعيها ولايدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الامور وجربناها وكنا نذكر الذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعق وكدت أقلدهم ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لايزعقوا لمازعقوا وكم من تائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق

(المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الارواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رؤية الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلانعيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون مراؤن باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لاتكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولاسنة ومن أكثر من تذكر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكره تابعا لإشارة من الخليفة يبديها أو كلمة يقولها

وجملة القول ان ماحكيتم عن هذه الفرقة مما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى التصوف فعليهم ان يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وان أبوا كان على المستطيع ان يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبة العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنغافوره)

مايقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسعة اطلاعه وجودة مداركه ونحو ذاك فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . — الى ان استشهد ببيت ابن رسلان :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن

فقال له المطري مهلا فانك تعلم ان الغيبة حرام فالبيت يصدق عليك فانك لم تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المغتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبة العلماء أشد الغيبة ضررا لأنها تفضي الى تنفير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء جراءة أخرى وهي انه يحكم في أمر من علم الغيب ببيت من الشعر وذلك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر تحريمه مقرونا بتحريم الشرك بالله . وقد قيل ان لمعنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لاحتج به لا بقول من لا حجة في كلامه . روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا «ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار — ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار — ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتي به فعرفه نعمه نعرفها فقال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي فى النار » فمن هذا الحديث أخذوا ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويعذب ولكن ما يدرينا ان الاولية بالنسبة الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أوأن افعل ليس على بابه . ثم ان الحديث فى العالم المرائي لافي تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان اشتهر وتلقاه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يغتاب العالم الذي يتهم بالرياء ويخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يغتاب الشهيد والمحسن المنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم المعلم فما معنى تحريم الغيبة اذا جازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لايجوز أن نحكم به على عالم ولاجاهل نعم ان مؤاخذة العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مؤاخذة من يفعل الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤاخذ على الذنب وعلى الجهل معا فان الجهل ليس بعذر الا مايكون في دقائق الشبهات وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكها ألسنة كثير من العامة فتجرئهم على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جبلة مرسلا « ويل لمن لايعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل » وهو على ارساله لايصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لايعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن علم ثم لايعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(س٣٢) ع٠ع بسنغافوره

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في سائر الايام مهجورا لايصلي فيه الا خدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والتراويح وجعل

لكل من واظب على ذلك مدة الشهر كله ستة ريالات وللإمام ثلاثين ريالا فأجاب طلبه جمٌّ غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال انها غير صحيحة ولم يجوز أخذ الدراهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والحقير من جملة الذين حضروا هذه الصلاة ولم آخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فاحكم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجعل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى بالمرة فلاشك أن صلاته غير صحيحة وأخذه للمال عليها غير جائز ومن سمى ذلك شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها إذ لا شيء فيها لله في الحقيقة وانما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأمرين معا – الثواب والمال – فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وانما صلى في ذلك المسجد بعد نداء الوزير بالجعل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أيثاب على قصد الثواب بقدره ويعاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الغزالي بالأول محتجا بقوله تعالى (٩٩ : ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه — اذا كان يوم القيامة أتي بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبلوا هذا وانفوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أقبل الا ما ابتغي به وجهي » أقول وما ابتغي به غير وجهه تعالى قسمان ما ابتغي به المال وما ابتغي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٧٦ : ٩ انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المسئول عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لا على الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولو لم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه يختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله و ينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذيب الفاسق واذهاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنغافوره

ملخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي انه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتنزه المنار عن نشره وقال اذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣:٣٢ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

(ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فزعموا أن المراد بآل البيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وان ارادة الله تعالى هي مشيئته المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم ان معاصيهم صورية لا حقيقية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية. وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفر دون المعاصي وقال انه يكاد يقطع بذلك. وقال بعضهم انها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات و بعضهم انها تشمل معهم بقية الائمة الاثني عشر فهم المعصومون

والحق الذي لا محيد عنه الا الى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد باهله هو ونساؤه وذكر ضمير الجمع المذكر تغليبا للاشرف ايذانا بأن العناية به ثم بهن تبعا له أو رعاية للفظ الاهل والعرب تستعمله ومنه (٧:٢٧ اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بقبس) وقوله (٢٩:٢٨ قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (١١:٧٣ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت) والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويتبرأ من كل ما يخالفه فان العبارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فيهن بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الاحكام الخاصة بهن لا إرادة الخلق والتكوين ابتداء فقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) ألخ هو كقوله عزوجل في آخر آية الوضوء والغسل والتيمم من سورة المائدة (٥:٦ مايريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته لعلكم تشكرون) وقوله بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (٢:١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الاحكام ، وما فيها من الفائدة للأنام اذا هم عملوا بها لا يفهم منها ارادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنه أحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله ان الله تعالى نفى ارادة العسر بنا واثبت ارادة اليسر وما يريده الله تعالى لا بد من وقوعه وما لا يريده يستحيل ان يقع واننا نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبته على البداهة بمثل ما تقدم آنفا ولم أكن رأيته لأحد وانما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا تحمل الآية سواه الا بتحريفها عن موضعها علم ان ما ورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية اذ يصير معنى الآيات يانساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكن كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يانساء النبي أفعلن كذا وكذا ان الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي الا إذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي الى اللائمة تطهيرا كاملا . وان رواية تفضي الى هذا ما يقطع ببطلانها وان صحح بعض المحدثين سندها بل أقول انه لا معنى لإدخالهم فى عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزيه في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الاحكام التي شرعت لاجل اذهاب الرجس بالعمل بها وانما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الاخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وانا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بأنها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فهن بها ممتازات على بناته وعلى جميع النساء أو الناس وان فضلهن بعض الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الاول وان كانت مخالفة لصريح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم و بني المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الاول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم ولله در عكرمة اذ كان يقول من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر. وروي ابن جرير ان عكرمة كان ينادي في السوق ان قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج الى شيء من الروايات في فهم الآية فانها في سياقها لا تحتمل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارىء له معرفة باللغة. وقد علمت ان الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وانما معناها ان الله تعالى شرع لهن تلك الاحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً اذا هن امتثلن وأطعن الله ورسوله ولا معنى لوعيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فاذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك ان يستحيل عليهم الفسق فاذاً هم كغيرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فان لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والاول جنون والثاني حرام

﴿ العمل بالبيع والشراء وغيرهما بالعمولة العرفية ﴾

(س ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنغافوره:

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين — يبعث أحدهم الى آخر بعروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم ليشتري له بها عروض

تجارة. وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله غلة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو اكثر فهل ما يأخذونه جائز لهم شرعا؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بارك الله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (٥:١ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض و يشتري له بثمنه أو بمال آخر عروضا معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف و يأخذ على المبيع والمشترى أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمسة في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة و يشترط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري لغيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون أجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول إن ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وانما يعلل بالمصلحة يمكن ان تختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعلل الفقهاء ليست دينا يتعبد باتباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نسابق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدار قطني والبيهقي لا نهى عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان » وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لايجوز ان تكون الاجرة بعض المعمول بعد العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحمد، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه اخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة معلومة خلافا لمالك وأحمد فانهما حكما العرف في ذلك فما تقول في الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول ففي اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لايعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مغلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم إن ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قال بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائدا على الاجرة وهذا هو المتبادر وهو المعهود في بلادنا فنهي عنه لانه من الباطل الذي لامقابل له في العمل وإنما هو من قبيل مايسمى الآن بالبخشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم النخعي روايه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد وذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض ألفاظه « من استأجرته » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لاينافي ان يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءا من كذا جزءا مما يبيعه أو يشتريه أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الغبن والغش . ولانعرف حديثا غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المئة مما يباع أو يشترى أو يحصل أجرة أو عمولة وهما لايدلان على ذلك . وللوصي حكمه فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجرا أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف يجيزه له فانه لايجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقا . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا » أم يريد انه يجب أن تكون هذه الاعمال مجانا وقد علمت ما نعتقد في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل ايدي الشرفاء وغيرهم)

(س٢٧) مستفيد من سنغافوره

مايقول المنار المنير في تقبيل اليد فاني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين الى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم و يزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفا للسنة ومرتكبا محرما أو مكروها فقد زادوا في شريعة الله ماليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون انه قد استحسن فى الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصار ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لايخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل. والسنة فى التحية السلام والمصافحة أقول هذا وانا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول و بنقل ذلك ولا يكتفى فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به و يبقى مجهولا لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة مانصه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان المقبل يده عالما أو صالحا أو هما معا فأنكره مالك فى المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون المقبل يده ظالما أو بدعيا أو ممن يريد تقبيل يده و يختاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به و بمن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد نعوذ بالله من المخالفة وترك الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جدا لا ىعدها بدعة دينية وله الحق في التشديد في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعا أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين والظالمين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما يفعل بمقتضى العادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضرموت

باب التربية والتعليم

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئا في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضاق ذلك الجزء عن نشرها فرأينا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسئلة اصلاح المدارس . مسئلة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الا خطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعنى بها لان حياة الامم و بقاءها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سعادتها وارتقائها فى العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء فى العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضعت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى و بنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا فخلفتها ثالثة ونظرت فى ماتركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقيّ والكمال !

ووظيفة كل أمة فى كل عصر هي ان تكمل ماورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغتفر على اخلافها بل على النوع البشري باسره

واذا أجلنا الطرف في مدارسنا نرى الفوضى سائدة فى أكنافها : لا نظام،

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كامتعة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق ! ومن أراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يبتدىء منها . فليس اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة ولكن الامة اذا تصدت لهذا الامر بجد واخلاص ذللته مهما كان صعبا اذ لا يوجد في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتئمة اعضاؤها . ومامن غاية قاصية الا وادركتها الامة المتحدة ومامن مسلك وعر الا وعبرته الامة المتحدة

والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لا نهاية له . فلا خير فى التحير فى اختيار نقطة الكلام فأقول:

هل تفتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مسئلة اصلاح المدارس مسئلة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نعثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الامة لم يكن له أثر بالمرة . ولكن الفرق عظيم بين ذلك الزمان و بين اليوم فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرّم تنظيم الدروس و يدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسيما يرجع الى الامة بالخسار فهؤلاء المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق الا بعد نزاع وجدال و بحث وتنقيب والبحث يجلوا الحقيقة و يطلع الكثيرين على مواضع خطأهم و ينقذهم من التيه في غمرات الضلال .

اننا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجر فيها ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نحتذيها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآننا ، وحروف مطابعنا وغيرها أفلا تكون ديار التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يتربى فيها رجال المستقبل وقادة الامة مفتقرة الى الإصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إماما مدرسا في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيبا في مسجد أو عالماً ذا نفوذ عظيم في الأمة أو رئيسا لبيت من البيوت ؟
ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجمة وتخلقهم بالاخلاق الفاضلة يحتاج في اثباته الى دليل !

واذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعاً . وليست وظائف من يكون زوجاً لامرأة أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته

كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية» وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية ولا تدري ما هي الفلسفة الدينية معمورة غير مفتقرة الى الاصلاح؟ وكيف ترجى الخدمة للمسلمين من طلبة هذه المدارس؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح و بضعة كتب من علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس فى هذا الزمان ؟

اذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلاسم والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطيرا بحيوان مخصوص: ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح تفيض وستفيض بعد الآن . والقارئون منا أكثر من قارئي الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة وعند الروس لا يزيدعن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فما الذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا؟ قلنا لهم:

كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك بالقرى وما كان المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء المواليد في سجل النفوس اذا كان القارىء اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الايام وتغيرت

الازمان وكثرت الحاجات ونجمت بين الامم «المنافسة في الحياة» أو «تنازع البقاء» وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالمام بشيء من الدين وتعلم الكتابة . اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تتخرج فيها هداة الامة وقادتها . وهؤلاء القادة يقودون أقوامهم الى ما فيه صلاحهم ويسوقونهم الى مستقبل عظيم:

اذا بقي هداتنا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسرنا خسرانا مبينا!

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة . وان كان هذا الامر مما كان يعد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جلية كالشمس في وسط السماء .

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضعون نظاما في حاجاتهم الدينية والدنيوية ويرفعونه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأتمرون في شؤونهم المختلفة كما رأينا اليوم باعيننا؟ فلا غرو اذا رأينا بعد هذا وكلاء المسلمين يجلسون متكاتفين مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية . وبالجملة اننا نضطر بعد اليوم الى ان نعيش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح . واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين .

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية كما قلنا سابقا هو ان يتخرج فيها رجال يكونون أئمة للامة .

المتعلمون من الروس أكثرهم يعملون أعمالا تحار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني . أيها الاخوان! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهيء لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزعازع، والامواج والزوابع، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبته البرهان والعيان.

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيرا بمسلمي روسيا لا يزلزله ما نسمعه عن جمود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الاصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان فان طلاب الاصلاح كثيرون وهم الغالبون حتما ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى الموضوع ونذكر مايصل الينا عن موءتمر التلاميذ الذي عقدوه في قزان وبعض مانراه واجبا في اصلاح تلك المدارس

آثار علمية ادبية

التقريظ

﴿الحقيقة الباهرة، في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الايمان الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما اطلعنا عليه من كتبه فقد تصفحنا منه أوراقا متفرقة فرأينا كلاما معتدلا ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة منه شيئا ضارا يعد منفردا به فإثباته روءية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيرا من المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة و يعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك . واما ماينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أر فيه مايضر القارى. مثاله قوله

«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية — فعلم الامر هو علم الفرائض والسنن والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وصيانة الجد وحفظ حقوق المقادير وأبهة الهيأة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى اكتساب . وبعد هـذا فالهدي هو العلم لايستغني القلب عن العلم طرفة عين والعقل أيضا محتاج الى العلم النبوي لايستغني عنه بنفسه آنا أبدا وكل علم مد شراعه في الاكوان انفتق رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجا»

فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لايقول

ان فيه شيئا ضارًّا بعقيدة القارىء أو آدابه وانما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان للأقسام — ينكر على المؤلف أنه قال إن الاقسام ثلاثة وسرد اكثر من ثلاثة معطوفا بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة الجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه فى خلقه وانما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علما بالله إلا بتأويل . فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنن — وهو مالا يتبادر من لفظها — يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فاننا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يعد منه الا بتكلف من التأويل

— و ينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لاحاجة الى ان تتعلم المباحات تعلما ولا تتوقف معرفتها على السمع فانها هي الاصل وانما يتعلم من الشرع القسمان الاولان — الاوامر والنواهي — فيعلم ان ماسواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أنتم أعلم بأمور دينا كم» — و ينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولاحاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة . ومما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخلط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض . ان اريد الابيان ان ما ينكر على هذا الكتاب لايكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضارا بعقائد القارئين أو آدابهم كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبني ماذكره في شعبة الزكاة وهو «واذا تدبر اللبيب يرى أن الوجود كله يتعبد لله بالزكاة عملا بشريعة الإسلام — هذه الارض التى هي أقرب الاشياء الينا تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسماوات والافلاك والشمس والقمر والنجوم السكل لا يدخر شيئا من منافع جوهريته

وفوائد مادته متعاون بعضه مع البعض في طاعة الله فمانع الزكاة مخالف لجميع الموجودات بل وللأرضين والسموات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سرّ هذا الحكم وحكمته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ» اه وهو كلام ظاهره شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة ويا ليت المؤلف توسل الى السلطان بإلزام المسلمين باداء الزكاة لعله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هنديه

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تغذي ايمانه به وتنمي حبه فى قلبه وترغبه فى التأسي به فقد قال تعالى في كتابه (٣٣:٢١ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تتأسى به في أخلاقه وشمائله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذلم يكن ألف فيها الا الكتب المطولة التى تعسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا العصر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة العقادين الاميرية . كتاب لاتبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، وللمخص سيرة الخلفاء الراشدين . فأنصح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجعلوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتمنى لو يعم نشر هذين الكتابين ويقرآن للعامة في المدن والقرى . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادركنا بعض ما نتمنى من مثل ذلك . هذا ما نرى التنويه به نافعا بالاجمال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . بعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

للشيخ أحمد المايجي الكتبي مناظرات مع دعاة النصرانية بمصر وردود

عليهم منظومة ومنثورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًّا عليه فعاد الشيخ أحمد الى ردّ الرد في كتاب منظوم منثور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًّا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا بأنهم لا يعتدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقي الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقلّ فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرّف به المنكَر ، أو يحرّر ماليس بمحرّر ، أو يحيي به فنًّا مات ، أو يقيم به رسما درس ، وقد أهدي الينا في هذه الايام كتاب (الموسيقي الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلعي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتطاولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الابعد أن أخذ له أهبته ، وأعدّ له عدته ، بممارسة الفن علما وعملا على أيدي اساتذة العصر فيه كالمرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذه الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرهما ثم بمراجعة أدريس بك راغب الشهير . فجاء سفرا حافل الريّ ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديرا بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنغم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الغناء وآلات الطرب والسماع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلا خاصا فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلا للنغمات ففصلا لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيهما من الرسوم والجداول ما يجلي ماشتملا عليه من المسائل ، وجاء بعدهما بفصول في آلات الطرب — العود والقانون والكمنجة الافرنجية والعربية والناي والصونومتر والمترونوم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق العزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان او الأصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالاشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كآداب المغني والسامع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المغني واسماء ملاح الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك ببدائع الموشحات ثم تراجم اساتذة الفن وتلاحينهم المختارة . وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على العلامات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو مالم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيما نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين هي ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويجه وثمن النسخة منه عشرون قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزاء المادي لمادة الكتاب ، ويبقى لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من التربية والآداب ،

﴿ أبدع مانظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الغني سنو الحسيني البيروتي صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطيع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والاواخر ومزجها بمنظومات له أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لاول مرة يذكر ماعرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهاك هذه القصيدة مما اختاره لاحد الجاهليين قال

﴿ ومن قصيدة لعدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بليل تلومني — فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدي
أعاذل ان اللوم في غير كنهه — عليَّ ثنى من غيرك المتردد
أعاذل ان الجهل من لذة الفتى — وان المنايا للرجال بمرصد

أعاذل ماأدنى الرشاد من الفتى ... وأبعده منـه اذا لم يسـدّد
أعاذل من تكتب له النار يلقها ... كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد
أعاذل قد لاقيت ما بزع الفتى ... وطابقت في الحجلين مشي المقيـد
أعاذل مايدريك أن منيتي ... الى ساعة في اليوم أوفي ضحى الغدِ
ذريني فاني انمـا ليَ مامضى ... امامِيَ من مالي اذا خف عودي
وحُمَّت لميقاتي اليَّ منيتي ... وغودرت ان وسدت أولم أوسد
وللوارث الباقي من المال فاتركي ... عتابي فاني مصلح غير مفسد
أعاذل من لايصلح النفس خالياً ... عن الحي لايرشد لقول المفند
كفى زاجراً للمرء أيَّام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدي
بليت وأبليت الرجال وأصبحت ... سنون طوال قد أتت قبل مولدي
فلا أنا بدع من حوادث تعتري ... رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد
فنفسك فاحفظها عن الغي والردي ... متى تغوها يغو الذي بك يقتدي
وان كانت النعماء عندك لامرىء ... فمثلا بها فاجز المطالب وازدد
اذا ماأمرؤلم يرج منـك هوادة ... فلا ترجها منـه ولا دفع مشهد
وعد سواه القول واعلم بأنه ... متى لايبن فى اليوم يصرمك في الغد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينـه ... فكل قرين بالمقارن يقتـدي
اذا أنت فاكهت الرجال بمجلس ... فقل مثل ماقالوا ولا تتزيد
اذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعفّ ولا تأتي بجهد فتجهد
ستدرك من ذي الفحش حقك كله ... بحلمك في رفق ولما تشـدد
وسائس أمر لم يسسه أب له ... ورائم أسباب الذي لم يعود
وراجي أمور جمة لن ينالها ... ستشعبه عنها شعوب لملحد
ووارث مجد لم ينله وماجـدٍ ... أصاب بمجد طارف غير متـلد
فلا تقصرن عن سعي ماقد ورثته ... وما اسطعت من خير لنفسك فازدد
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم ... وذا الذمّ فاذممه وذا الحمد فاحمد
ولاتلحُ الامن ألام ولاتلم ... وبالبذل من شكوى صديقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة ان منعته من اليوم سؤلاً ان ييسر في غد
وللخلق اذلال لمن كان باخلا ضنينا ومن يبخل يذلّ ويُزهد
وأبدت لي الايام والدهر أنه ولو حب من لا يصلح المال يفسد
ولاقيت لذات الغنى وأصابني قوارع من يصبر عليها يجلد
اذا ما تكرهت الخليقة لامرىء فلا تغشها واخلد سواها بمخلد
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه يغلب عليه ذو النصير ويضهد
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر اذا حضرت أيدي الرجال بمشهد
وللأمر ذو الميسور خير مغبة من الأمر ذي المعسورة المتردد
سأكسب مجدا أو تقوم نوائحا عليّ بليل نادباتي وعوّدي
ينحن على ميت وأعلنّ رنة تورّق عيني كل باكٍ ومسعد

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لنذكر الناسي ونعرّف الجاهل بما أوتوه في جاهليتهم من الحكمة التي أعدّتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به لعلهم يتذكرون فيوازنون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهليتنا قبيل الاسلام وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليروا أيّ الفريقين أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي ؟ هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ملته وأمته من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل ما يملك ولو لمحتاج واحد؟ هل يوجد في دهمائهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من الذل وحمايتهم من الظلم . . . . والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديقة الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباظه نجل ابراهيم بك أباظه وهو الآن تلميذ في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة باقتراح المعلمين وما نظمه من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض الجمعيات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب. وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ أشده ويتم تعليمه جدير بأن يبعث همته في كل سنة الى الارتقاء عما عرف الناس

منه ارتقاء يعرفه الناس ومن كانت حديقة الادب له بداية يرجى ان يكون نيل الارب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجدية لابن زيدون)

رسالتا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من يحفظ الرسالة الجديه عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحاسن والنكات والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، واطلاع واسع، لا يفهمها على سلاسة عبارتها الا من ضرب فى تلك المسائل بسهم، وكان له مما تومىء اليه نصيب من العلم، ومن ثم كان الطلاب وكثير ممن يوصفون بالتحصيل والاستاذيه في قصور عن فهمها بغير معونة الشرح أو تكرار المراجعة لذلك اقترح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى العناني أحد مساعدي التفتيش بنظارة المعارف ان يشرحها «شرحا وجيزا يتكفل بحل المفردات، و يبين مقاصد الكاتب من العبارات، ويذكر مضارب الامثال» ، قائلا انه لم يسبق لها شرح على هذا المنوال ، فأجابه إلى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها وطبعها على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش

﴿نتيجة الاملاء﴾

رسالة وجيزة فى قواعد الاملاء للشيخ مصطفى العناني وهي على ايجازها مفيدة جدا في هذا الفن حتى تكاد تكون محصية للضروري من قواعده وقد طبعت في القطع الصغير وثمن النسخة منها نصف قرش

﴿ حبيب الامة ﴾ جريدة جديدة أنشأها فى تونس أحد كتابها البارعين (عبد الرزاق الفيطاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسداء النصيحة من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ماهذا معناه فيما تذكر — وقد اختزل العدد الاول دوننا — ولعمري إن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى وفقنا الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لاخير فى سواها

باب الأخبار والآراء

﴿ مؤتمر الاديان في اليابان ﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها نبذا أخرى فى ذلك (راجع ص٧٠٥ و ٧٩٦ و٩٨٧ م٨ وص٧٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ماكان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقيها وغربيها حتى ان بعض أهل الغيرة وعد ببذل المال في هذه السبيل عند ماتظهر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل الينا حوالة مالية للإعانة على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من الموسرين اذا نحن شرعنا في العمل. وقد أشرنا في بعض ماكتبنا الى ان مثل هذا العمل لايأتي الا من جمعية تقوم به لان مايأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسعى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة مايعدهم لاقامة هذه الفريضة المحتمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والغيرة في ذلك بمذاكرة الحاضر ومكاتبة الغائب فأجمعت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لايثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا فى اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تعضيده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ماكتبنا في ذلك لاجل تحريك الهمم وتوجيه النفوس الى العمل

وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بحره وتفرقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف

وكان من اقتراح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والمدارسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس كلهم به خبر المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني منذ سنين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرون فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حتما مفيدا للبشر والعمران ، ويقال ان أولي الامر في الامة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الاديان ، وأعونها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت «الجرائد المحلية» وهذا الخبر فشغل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم — عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفعلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الامة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ماتسمح له سعته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون للإرسال أهلا لبيان مايمتاز به دين الاسلام على جميع الاديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكمته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الاديان الشهيرة الاخرى كالبوذية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى العارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الازهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الازهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيرته وغيرة من يحب

ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تتنازعه الاهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلهم يقتنعون ،

أما الدولة العلية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالاسلام، وان في ذلك لعبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

رجونا ان تحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا مارجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالمذاكرة بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتجيب الى تعيين لجنة تحدد الحدود على اوجه المطلوب وتنذرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكلترا الى ماطلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كسابقه في مكدونية وغير مكدونية اذ تنال أوربا منا كل ماتريد في تركيا ومراكش وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) لاملوكنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولا أمتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهالتها . والعجب الذي لاينقضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون انه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهمون الامة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنبين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجربي ﴾

رغب شيخ الجامع الازهر الى الامير أن يجعل الشيخ عليا الجربي مدرسا واعظا في المساجد المصرية ويعين له راتبا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي

(بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر قد سمحت المكارم السنية بترتيب ستة جنيهات شهريا لحضرة الشيخ علي أبي النور الجربي محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ و بث العلم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقتضى تحريره اسعادتكم تبليغا للامر أفندم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجعله واعظا في جميع المساجد له ان يلم ويعظ حيث وجد وانما يعين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوّال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . ومامبز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الازهري من أصحاب الدرجات الرسمية إذ وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجربي — وهو ليس بصاحب درجة رسمية — يعظ فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظ فى كتاب يقرأ ويعرب كلماته ويبين للعامة مافيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شيء من معاني الكلام قلوبهم وترى الجربي يعظ بغير كتاب فيفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الازهر يقرأ درسا للعامة فى مسجد عينته فيه جمعية مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث «العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة» فمكثت في المسجد ساعة لم يُعد بكلامه فيها البحث في المصابيح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير للتفنن أم هي أخص منها ... وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصابيح . فانظر ماذا يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجربي لا يفعل مثل ذلك وانما يتكلم على الناس بما يعتقد أنه يفيدهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وفقنا الله واياه الى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية ينبيء بنجاحها وثباتها وفيه أنها انفقت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنيها منها ٤٣٤١ جنيها وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فنشكر لأعضائها الغيورين سعيهم زادهم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كمفحوص القطاة» وصوابه « كأدحية النعامة » وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الذهن الى الأفحوص ما ورد فى الحديث من تشبيه المسجد الصغير به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي بيته في السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند طيء بمعنى الذي

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ — ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ }

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٧٢) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰيهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٣) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتصدقوا الا على أهل دينكم : فأنزل الله تعالى { ليس عليك هداهم } وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن

لا نتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية . وأخرج ابن جرير عنه انه قال كان أناس من الانصار لهم أنسباء وقرابة وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت . والمعنى أن هذه الوقائع تقدمت نزولها فلما نزلت كانت فصلا فيها والا فهي مرتبطة بما قبلها وما قبلها نزل في الفقراء عامة . قال الاستاذ الامام : إن الآية السابقة قد أطلقت إيتاء الفقراء وجعلته على عمومه الشامل للمؤمن والكافر وقد ارشد الله المسلمين في هذه الآية الى عدم التحرج من الانفاق على المشركين لأنهم غير مهديين فان الرحمة بالفقير وسدخلته لا ينبغي ان يتوقف على ايمانه بل من شأن المؤمن ان يكون خيره عاما وان يكون سابقا لسائر الناس بالكرم والفضل

أقول والخطاب على ماورد في حديث سعيد وحديث ابن عباس الاول خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لنهيه عن الانفاق وعلى هذا التوجيه عامٌّ موجه الى المؤمنين كافة وان جاء بضمير المخاطب المفرد ويؤيده كونه في سائر الآية بضمائر جمع المخاطبين . واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف هداية الكافرين بالفعل وانما كلف البلاغ فقط وأعلم أن أمر الناس في الاهتداء مفوض الى ربهم وما وضعه لسير عقولهم وقلوبهم من السنن فغيره أولى بأن لا يكلف ذلك . فليس علينا اذا ان نمنع الخير عن الكافر عقوبة له على كفره اوجذبا له الى الايمان واضطرارا له الى الهداية فان الهداية ليست علينا ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ بتوفيقه الى النظر الصحيح المؤدي الى الاعتقاد الجازم الذي يثمر العمل . وأما الباعث على الانفاق فيجب ان يكون ماأرشدنا اليه سبحانه في قوله ﴿ وماتنفقوا من خير فلانفسكم ﴾ الخ قالوا معنى هذا ان نفع الانفاق في الآخرة خاص بكم هكذا صرح بعضهم بتقييد النفع بالآخرة وقال الاستاذ الامام هنا أي لأن نفعه عائد عليكم في الدنيا والآخرة وسيأتي انه يجعله خاصا بالدنيا ومعنى كونه خيرا في الدنيا أنه يكف شرّ الفقراء ويدفع عنهم أذى الفقراء فان الفقراء اذا ضاق بهم الامر واشتدت بهم الحاجة يندفعون الى الاعتداء على أهل الثروة بالسرقة والنهب والايذاء بحسب استطاعتهم ثم يسري شرهم الى غيرهم وربما صار فسادا عاما بسوء القدوة ، فذهب بالامن والراحة من الامة ، وقد

تقدم لهذا الكلام نظير في موضع آخر . (قال) وقوله تعالى ﴿ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ﴾ قد يكون خبرا على ظاهره أي لا تنفقون لاجل جاه أو مكانة عند المنفق عليه وانما تنفقون لوجه الله فلا فرق بين معطًى ومعطى اذا كان الفقير مستحقا يتقرب بإزالة ضرورته الى الرزاق الرحيم الذي لم يحرم أحدا من رزقه لاعتقاده . أقول ويؤيده قوله (كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) (قال) وفي كون الانفاق لا يكون الا لوجه الله إشارة الى أن الانفاق على الكافرين اذا كان إعانة لهم على إيذاء المسلمين لا يكون جائزا لانه لا يكون مرضيا لله تعالى يبتغي به وجهه . وأكثر المفسرين على انه خبر بمعنى النهي أي لا تنفقوا الا لوجهه وابتغاء مرضاته عز وجل

ثم قال في قوله تعالى ﴿ وما تنفقوا من خير يوفَّ اليكم ﴾ أي في الآخرة لا ينقصكم منه شيء وعد أولا بأن خير الانفاق عائد على المنفقين فى الدنيا بقوله (فلانفسكم) ثم وعد بالجزاء عليه في الآخرة موفًّى تاما وقال ﴿ وأنتم لا تظلمون ﴾ أي لا تنقصون من الجزاء عليه شيئا ولو نقيرا أو فتيلا : أقول وقد رأيت انه جعل هنا قوله تعالى « فلأنفسكم » خاصا بالدنيا وما نقلناه عنه أولا من انه عام قد قاله في الدرس فهل كان سبق لسان أم رجع عنه عند تمام تفسير الآية . وكيف فاتنا أن نسأله عن ذلك ؟ هذا ما وجدته في مذكرتي لا أذكر شيئا غير ذلك

أقول والذي كان تبادر الى فهمي من قوله تعالى (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أنه بمعنى (والذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم) أي ان أي نفقة من الخير أنفقتم فهي تفيدكم في تثبيت أنفسكم في مقامات الاسلام والايمان والاحسان والحال انكم ما تنفقون ذلك الا ابتغاء وجه الله وارادة رضوانه ومتى كان الانفاق كذلك كان مزكيا ومثبتا للنفس معدًّا لها ومؤهلا لرضوان الله لا يمنع من ذلك كون المنفق عليه مؤمنا أو كافرا اذ الانفاق ليس لأجل التقرب اليه وابتغاء الأجر منه . وبعد ان ذكر الفائدة الذاتية للانفاق في نفس المنفق ذكر الجزاء عليه بقوله (وما تنفقوا من خير) الخ أي وانكم على استفادتكم من الانفاق فى أنفسكم بترقيتها وجعلها مستحقة لقرب

الله ورضوانه لا يضيع عليكم ماتنفقونه بل توفونه لا تظلمون منه شيئا— و يدخل في ذلك الأجر عليه في الدنيا والآخرة . والكلام على هذا التفسير أشد التئاما، وأحسن نظاما، فالجملتان الشرطيتان فيه متعاطفتان وقوله (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) جملة حالية قيد في الشرطية الأولى وللانفاق على هذا فائدتان أولاهما وهي المقصودة بالذات تثبيت نفس المنفق وترقيتها بالاخلاص لله وابتغاء وجهه والاخرى الثواب عليه في الدنيا والآخرة وهي دون الأولى عند العارفين

وابتغاء وجه الله بالعمل هو ان يعمل له دون سواه تقربا اليه وارضاء له لذاته لا للتشوّف الى شيء آخر كأن المراد بذلك عرضه عليه ومقابلته به فقط ولا يفهم هذا حق فهمه الا من عرف مراتب الناس ومقاصدهم في خدمة الملوك ذلك ان منهم من يعمل للملك خوفا من العقوبة على ترك ما فرضه عليه قانونه أو التقصير فيه ومنهم من يعمل لأجل اقتضاء الاجر الذي فرض للعمل فهو لا يفكر في غيره ومنهم من يعمل فيجيد العمل لاجل الارتقاء من جزاء الى أكبر منه . ومنهم— وهو أعلاهم مرتبة— من يعمل العمل الحسن المرضي للملك لاجل ان يكون في نظره محسنا عارفا قيمة العمل الذي أمر به وما وراءه من الحكمة التي كانت علة الأمر فمثل هذا يصح أن يقال فيه انه مبتغ وجه الملك أي ان يكون في الجهة التي يراه فيها محسنا فان من يتعرض لان يرى فإنما يأتي من تلقاء الوجه . ومن الناس من يعمل العمل لا يبتغي به الا أن يواجه الناس— لا الملوك خاصة — بما يعتقدون أنه كمال لا يبتغي غير ذلك جلب نفع أو دفع ضر . فأرشد الله الانسان ان يكون في عمله الصالح مع الله تعالى كذلك أي ان يكمل نفسه بالعمل و يبتغي ان يراه الله تعالى كاملا يعمل العمل لأنه حسن تتحقق به حكمته تعالى وتقوم به سننه في صلاح البشر . ولك أن تقول إن معنى ابتغاء وجه الله تعالى هو طلب اقباله ومحبته للعامل قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف (١٢:٩ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخلُ لكم وجه أبيكم) فمعنى خلو وجهه لهم ان لا يشاركهم في اقباله عليهم ومحبته لهم مشارك . ولبعض الصوفية منزع دقيق في معنى وجه الله وهو أن لكل شيء وجهين وجها الى هذا العالم الحادث وهو مايكون عليه فيه ولا بقاء له لأن جميع المحدثات عرضة

للزوال ووجها الى الدوام والبقاء وهو وجه الله تعالى . فمعنى ابتغاء وجه الله بالانفاق على هذا المنزع ان يقصد به ثمرته الدائمة في الآخرة وهي انما تكون بارتقاء النفس في الكمال الذي يؤهلها للبقاء في مقعد صدق عند مليك مقتدر

اذا فهمت هذا علمت أنه لاحاجة هنا الى ايراد طريقتي السلف والخلف في المتشابهات وآيات الصفات ، كأن نقول ان الوجه صفة لله تعالى أو انها كناية عن الذات ، حتى يكون المعنى على الاول وماتنفقون الا ابتغاء صفة الله التي سماها وجها وآمنا بها مع تنزيهه تعالى عن صفات المحدثين — وعلى الثاني وما تنفقون الا ابتغاء ذات الله تعالى . هذا مالا يظهر معه للآية معنى ، وكل ماذكرناه في تفسيرها اظهر منه وأجلى ، وقد رأيت أن الاستاذ اكتفى كالمفسرين بجمله معنى مرضاة الله تعالى وهو صحيح

ثم قال تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ الآية قال الاستاذ الإمام: بعدما أمر الله تعالى بالانفاق في سبيله و بابناء الفقراء عامة نبه الى أمرين أحدهما عدم التحرج من الصدقة على غير المسلم وهو مابينته الآية السابقة وثانيهما بيان أحق الناس بالصدقة وهم الفقراء الذين ذكرت صفاتهم في هذه الآية وهي خمس صفات من أفضل الصفات وأعلاها . وقد ورد أنها نزلت في أهل الصفة وهم اربع مئة أرصدوا أنفسهم لحفظ القرآن والخروج مع السرايا — ولعل ماذكره كغيره هو أكثر ماانتهى اليه عددهم والمشهور ان متوسط عددهم كان ثلاث مئة والذين عرفت اسماؤهم منهم لا يبلغون مئة وهم من فقراء المهاجرين لم يكن لأكثرهم مأوى لذلك كانوا يقيمون في صفة المسجد وهي موضع مظلل منه فالصفة بالضم كالظلة لفظا ومعنى —(قال) أولئك الذين نزلت فيهم الآية كانوا من الذين هاجروا بدينهم وتركوا أموالهم فحيل بينهم و بينها فهم محصرون في سبيل الله بهذه الهجرة ومحصرون بحبس أنفسهم على حفظ القرآن وقد كان حفظه أفضل العبادات على الاطلاق لأنه حفظ للدين كله وأنتم تعرفون أنهم ما كانوا يحفظونه لاجل تلاوته امام الجنائز ولا في الأعراس والمآتم ولا لاستجداء الناس به ولا لمجرد التعبد بتلاوة ألفاظه وانما كانوا يحفظونه للفهم والاهتداء والعمل به ولحفظ أصل الدين بحفظه . وكانوا أيضا يحفظون مايبينه به

النبي صلى الله عليه وسلم من سنته

(قال) ويحتج بأهل الصفة أكلة أموال الناس بالباطل من أهل التكايا الذين ينقطعون اليها تاركين للاعمال النافعة فلا يتعلمون العلم ولا يجاهدون في سبيل الله وليس فيهم صفة من الصفات الخمس التي وصف الله بها أهل الصفة . وانما قصارى أمرهم أنهم يأكلون بدينهم يأكلون الصدقات والأوقاف لا لاجل أن يعبدوا الله تعالى في هذه المواضع خاصة فهي لهم كالأديار للنصارى وهم فيها كالرهبان وان كان بعضهم يتزوج — وقد يخرج الذي يتزوج من التكية لأنه قد يكون من شروط المقيم فيها ان لا يتزوج — ومنهم من لا يلتزم الإقامة في التكية وإنما يجمعه بأصحابها اسم الطريقة كاصحاب السيارات الذين ينزل شيخ الطريقة منهم بزعنفة من جماعته بلداً بعد آخر فيكلفون من يستضيفونه الذبائح والطعام الكثير، ثم لا يخرجون الا مثقلين، يسألون فيلحفون، بل يسلبون و ينهبون ، فاذا منعوا ما أرادوا انتقموا لانفسهم بكل ما قدروا عليه من أنواع الانتقام، أقول ان الناس يحفظون عنهم شيئا كثيرا من ضروب الايذاء ومنه ما يبرزونه في معرض الكرامات والخوارق حدثني غير واحد ان من الفلاحين من قصر في اجابة مطالب بعض الشيوخ عند ما نزل وزعنفته به فأحرقوا له جرن (بيدر) الحنطة وزعموا ان الله أحرقه بغير فعل فاعل كرامة لشيخهم . وحدثت أن بعضهم اتخذ في رأس العلم الذي يحمل فوق رأسه عدسية من الزجاج كان يوجهها من ناحية الشمس الى الجرن الذي يريد احراقه من حيث لا يشعر الفلاحون و يقول انه يريد التصرف فيه فيقع الحريق فيه ولم يدن أحد منه فلا يشك الفلاحون الجاهلون في أن الحريق كان كرامة للشيخ الذي لا حرفة له الا أكل أموال الناس بالكذب على الله تعالى وادعاء الولاية له والقرب منه . وهؤلاء الاشرار الضالون هم الذين يشبهون أنفسهم بأهل الصفة، و يزعمون أن لأكلهم أموال الناس بالباطل أصلا في الكتاب والسنة، وحاش لكتاب الله وسنة رسوله من ذلك

ما ذكره الاستاذ الامام من نزول الآية في أهل الصفة هو المروي عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي . وعن سعيد بن جبير انها نزلت في قوم اصابتهم الجراحات

في سبيل الله تعالى فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المسلمين حقا . والقاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من اتصف بهذه الصفات من الفقراء كان له حكم من نزلت فيهم الآية من استحقاق الصدقة وقد رأيت المفسرين أوجزوا في تفسير هذه الصفات فأحببت أن أبسط القول فيها فأقول

(الصفة الاولى) الاحصار في سبيل الله فقوله تعالى (أحصروا في سبيل الله) بالبناء للمفعول يدل على أن المراد بالإحصار المانع من الكسب ما كان ترك الكسب فيه بسبب اضطراري و يفهم منه أن حبس النفس في سبيل الله أي في الاعمال المشروعة التي تقوم بها المصالح كالجهاد والعلم لا ينبغي ان يمنع الانسان عن الكسب الذي يستطيعه القيام بأوده بل يطلب منه أن يعمل للمصلحة العامة في أوقات الفراغ من العمل الذي به قوام معيشته فان ترك الكسب مختارا لم يحل له ان يأخذ الصدقة . أما السبب الاضطراري للاحصار عن الكسب فمنه ما هو طبيعي كالعجز وما هو شرعي كالعلم بتعطيل المصلحة العامة التي أحصر فيها اذا هو تركها لاجل الكسب فاذا تعين بعض الناس لذلك بأن كان غيرهم يعجز عن القيام بالمصلحة وكان جمعهم بينه و بين الكسب متعذرا وجب عليهم ترك الكسب وحبس أنفسهم في سبيل الله وكانوا بذلك محصرين بالاضطرار الشرعي ووجبت نفقتهم في بيت المال والا فعلى أغنياء الامة . وان لم يتعين لذلك أناس مخصوصون كان الامر من فروض الكفاية كما هو ظاهر ومنه الاحصار لتعلم الفنون العسكرية

(الصفة الثانية) قوله تعالى ﴿لا يستطيعون ضربا في الارض﴾ أي انهم عاجزون عن الكسب والضرب في الارض هو السفر لنحو التجارة و بذلك فسره المفسرون هنا . وهذا يؤيد ما قلناه آنفا من اشتراط الاضطرار فيما يحصر عنه وان كان ما يحصر فيه اختياريا وان القادر على الكسب ولو بالسفر لا يحل له ان يأكل الصدقة

(الصفة الثالثة) قوله ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ أي اذا رآهم الجاهل بحقيقة حالهم يظنهم أغنياء لما هم عليه من التعفف وهو المبالغة في التنزه عن الطمع فيما في أيدي الناس وكل ما لا يليق كالقبيح والمحرم وقد فسر أهل اللغة التعفف بالعفة و بالصبر والنزاهة عن الشيء وجعله المفسرون هنا للتكلف ولكن صيغة تفعّل

تأتي لتكلف الشيء وللمبالغة فيه والثاني أظهر هنا لأن من يتكلف العفة قلما يخفى حاله على رائيه واما المبالغ في العفة فهو الذي لا يكاد يظهر عليه أثر الحاجة فهو المتبادر هنا والمقام مقام المدح والمبالغ في الفضيلة أحق به من متكلفها

(الصفة الرابعة) قوله تعالى ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ أي بعلامتهم الخاصة بهم قيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي الرثاثة في الثياب أو الحال وليسا بشيء وقيل بآثار الجوع والحاجة في الوجه وهذا قريب والصواب أن هذه السيما لا تتعين بهيأة خاصة لاختلافها باختلاف الاشخاص والاصول وانما تترك الى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالانفاق أهل الاستحقاق فصاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تستر وتعفف فكم من سائل يأتيك رث الثياب خاشع الطرف والصوت تعرف من سيماه انه يسأل تكثرا وهو غني وكم من رجل يقابلك بطلاقة وجه وحسن بزة فتحكم بالفراسة في لحن قوله ومعارف وجهه انه مسكين عزيز النفس

(الصفة الخامسة) قوله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ أي لا يسألون الناس شيئا مما في ايديهم سؤال إلحاح كما هو شأن الشحاذين، وأهل الكدية المعروفين، فالالحاف هو الالحاح في السؤال . وظاهر العبارة نفي سؤال الالحاف لا مطلق السؤال وأما ظاهر السياق فهو ان القيد لبيان حال السائلين في العادة وأن النفي للسؤال مطلقا والمعنى أنهم لا يسألون أحداً شيئا لا سؤال الحاف، ولا سؤال رفق واستعطاف، وعليه المحققون وهذا الذي اخترناه هو ما تؤيده الاخبار . ففي حديث أبي هريرة في الصحيحين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرأوا ان شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) » - وفي لفظ - ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس »

والسؤال محرم في الاسلام لغير ضرورة . روى أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « المسألة لا تحل الا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع » فالفقر

المدقع هو الشديد الذي يلصق صاحبه بالدقعاء وهي الارض التي لا نبات فيها والغرم بالضم ما يلزم أداؤه تكلفا لا في مقابلة عوض ومنه ما يحمله الانسان من النفقة لاصلاح ذات البين ولنحو ذلك من أعمال البر كدفع مظلمة وحفظ مصلحة فله ان يسأل الناس مساعدته على ما يحمله من المغارم . وقد اشترط في الحديث ان يكون الغرم الذي تسئل الاعانة عليه مفظعا أي شديدا فظيعا فاذا تحمل غرما خفيفا يسهل عليه اداؤه فليس له ان يسأل لأجله ويختلف ذلك باختلاف حال المتحملين . واما ذو الدم الموجع فهو الذي يتحمل الدية عن الجاني من قريب أو حميم أو نسيب لئلا يقتل فيتوجع لقتله

وروى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأحمد من حديثهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي » وقد حسنه الترمذي ولبعضهم مقال في بعض رجاله . وروى أحمد وأبو داود والنسائي والدارقطني عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه انهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين فقال « ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب » قال أحمد في هذا الحديث هو أجودها اسنادا قاله في المنتقى وروي عنه أنه قال ما أجوده من حديث . والمرة في الحديث الاول بكسر الميم القوة والسوي الخلق السليم الاعضاء والمراد به القادر على الكسب . وروى أحمد وأبو داود وابن حبان عن سهل بن الحنظلية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم » قالوا يارسول الله وما يغنيه قال « ما يغديه أو يعشيه » وعند أبي داود « يغديه ويعشيه » وقد احتج الامام أحمد بهذا الحديث وصححه ابن حبان . وروى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » وروى أحمد ومسلم وابن ماجه من حديثه أيضا « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر »

وأما الحديث المشهور « للسائل حق وان جاء على فرس » فقد رواه أحمد وأبو داود من حديث الحسين بن علي والروايات عنه كلها مراسيل وفي اسناد الحديث يعلى ابن أبي يحيى قال أبو حاتم الرازي مجهول . وقد حملوه على تحسين الظن بالمسلم وانه لم يسأل الا لحاجة تبيح له السؤال المحرم . قال في نيل الاوطار: فيه أي الحديث الامر بحسن الظن بالمسلم الذي امتهن نفسه بذل السؤال فلا يقابله بسوء الظن واحتقاره بل يكرمه باظهاره السرور له ويقدر أن الفرس التي تحته عارية أو انه ممن يجوز له أخذ الزكاة مع الغني كمن تحمل حمالة أو غرم غرما لاصلاح البين: وما قالوه في الحديث يقال في تفسير السائلين في الآية ١٧٧ من هذه السورة وتفسير (٥:١٩ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وآية (٧٠:٢٤ والذين في أموالهم حق معلوم ٢٥ للسائل والمحروم) أي أن السائل المؤمن يحمل على الصدق في انه لم يسأل الا لحاجة تبيح له السؤال المحرم كتحمل غرم أو دية أو ضرورة عارضة فما كل سائل يسأل لفقره هو فالاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يسأل بعض اصدقائه الموسرين أي يطلب منهم المال للجمعية الخيرية ولغيرها من أعمال البر وما كل من يسأل لنفسه يسأل تكثرا ويجعل السؤال حرفة والاصل في المؤمن ان يكون عزيز النفس متنزها عن الحرام فلا يسأل الا لضرورة تبيح له السؤال فينبغي ان يجعل الغني قدراً معينا من ماله الذي يعده للصدقات لما يعرض من امثال هذه الحاجات أو الضرورات . ومن يعلم انه يسأل لنفسه تكثرا كالشحاذين الذي جعلوا السؤال حرفة وهم قادرون على العمل فلا يعطون اذ لا حق لهم في هذا المال كما علم من الاحاديث السابقة وقد رأى عمر رضي الله عنه سائلا يحمل جرابا فأمر ان ينظر ما فيه فاذا هو خبز فأمر بأن يؤخذ منه و يلقى الى ابل الصدقة

ثم قال تعالى بعد بيان أحق الناس بالصدقة ﴿ وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ﴾ لا يخفى عليه حسن النية فيه وتحري النفع به ووضعه في موضعه وايتائه أحق الناس فأحقهم به فهو يجازي عليه بحسب ذلك . فالجملة تذييل مرغب في الانفاق على الوجه الذي سبقت الهداية اليه

(٢٧٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

كل ما تقدم من الآيات في الانفاق كان في الترغيب فيه وبيان فوائده في أنفس المنفقين وفي المنفق عليهم وفي الامة التي يكفل أقوياؤها ضعفاءها وأغنياؤها فقراءها و تقوم فيها القادرون بالمصالح العامة وفي آداب النفقة وفي المستحق لها وأحق الناس بها ونحو ذلك من الاحوال الا مايتعلق بالزمان فقد ذكره الله تعالى في قوله ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ وفيه بيان عموم الاوقات مع عموم الاحوال من الاظهار والاخفاء وفي تقديم الليل على النهار والسر على العلانية ايذان بتفضيل صدقة السر ولكن الجمع بين السر والعلانية يقتضي أن لكل منهما موضعا تقتضيه الحال وتفضله المصلحة لا يحل غيره محله وتقدم وجه كل في تفسير «٢٧١ إن تبدوا الصدقات» وهؤلاء الذين ينفقون أموالهم في كل وقت وكل حال لا يقبضون أيديهم مهما لاح لهم طريق للانفاق هم الذين بلغوا نهاية الكمال في الجود والسخاء وطلب مرضاة الله تعالى. وقد ورد أن الآية نزلت في الصديق الاكبر عليه الرضوان اذ أنفق أربعين ألف دينار قيل انفق ان كان عشرة منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية ونقل الالوسي عن السيوطي أن خبر تصدقه بأربعين ألفا رواه ابن عساكر في تاريخه عن عائشة ولكن ليس فيه أن الآية نزلت في ذلك. وأخرج عبدالرزاق وابن جرير وغيرهما بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في علي كرم الله وجهه كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهما و بالنهار درهما وسرا درهما وعلانيــة درهما وفي رواية الكلبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا قال حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا ان ذلك لك » والعبارة تدل على أنه أنفق ذلك بعد نزول الآية . وأخرج ابن المنذر عن سعيد ابن المسيب انها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اذ أنفقا في جيش العسرة. وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم انها نزلت في أصحاب الخيل وفي اسناد هذه الرواية مجهولان.

فلم يصح في سبب نزولها شيء، ومعناها عام أي الذين ينفقون أموالهم في كل وقت وكل حال، لا يحصرون الصدقة في الايام الفاضلة أو رءوس الاعوام ولا يمتنعون عن الصدقة في العلانية اذا اقتضت الحال العلانية وإنما يجعلون لكل وقت حكمه ولكل حال حكمها اذ الاوقات والاحوال لا تقصد لذاتها. وقوله ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ يشعر بأن هذا الاجر عظيم، وفي اضافتهم الى الرب ما فيها من التكريم، ﴿ولا خوف عليهم﴾ يوم يخاف البخلاء الممسكون من تبعة بخلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذا الوعد الكريم

(٢٧٥) ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَٰوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَٰوا، وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَٰوا، فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٦) يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَٰوا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ (*) لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٩) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ، وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٨٠) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨١) وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

(*) هذه الآية لم تعد في المصحف الذي طبعه فلوجل في المانيا فهي تابعة للتي قبلها عنده وهي ٢٧٧ في عده وفي الآية التي بعد هذه يتفق مع المصحف المطبوع في الاستانة ويتفقان مع المدني الاول كلهم يعدونها ٢٧٨

إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُم لَا يُظْلَمُونَ *

نزلت هذه الآيات في تحريم الربا الذي كان معروفا في الجاهلية يأتيه اليهود والمشركون وهي من آخر القرآن نزولا كما سيأتي وذكرت في النظم بعد آيات الصدقة التي كان آخرها آية الكاملين في السخاء والجود الذين ينفقون في عامة الاوقات والاحوال لما بينها من التناسب بالتضادّ فالمتصدق يعطي المال بغير عوض يقابله والمرابي يأخذ المال بغير عوض يقابله . وانما نذكر تفسير الآيات ثم نفيض الكلام في مسألة الربا وحكمة تحريمه لان لهذه المسألة شأنا كبيرا في حياة الامم السياسية والاجتماعية في هذا العصر ويزعم بعض المتفرنجين من المسلمين أن تحريم الربا هو العقبة الكؤد في طريق مجاراة المسلمين للامم الغربية في الثروة التي هي مناط العزة والقوة

قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ تنفير من الربا وتبشيع لحال آكله . والمراد بالاكل الاخذ لاجل التصرف وأكثر مكاسب الناس تنفق في الأكل ومن تصرف في شيء من مال غيره يقال أكله وهضمه أي انه تصرف فيه تمام التصرف حتى لا مطمع في رده والربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد على ما كان عليه ومنه الرابية لما علا من الارض فزاد على ماحوله . وتعريف الربا للعهد أي لا تأكلوا الربا الذي عهدتم في الجاهلية وذكر ابن جرير فى تفسير الآية و تفسير آية آل عمران كيفية ذلك قال: وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم ان الرجل كان يكون له على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذي عليه المال أخرعني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه: اه وذكر وقائع للجاهلية في ذلك سننقلها عنه في موضعها .

واما قيام آكلي الربا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فقد قال ابن عطية في تفسيره المراد تشبيه المرابي في الدنيا بالمتخبط المصروع كما يقال لمن يسرع

بحركات مختلفة قد جُنّ . أقول وهذا هو المتبادر ولكن ذهب الجمهور الى خلافه وقالوا ان المراد بالقيام القيام من القبر عند البعث وان الله تعالى جعل من علامة المرابين يوم القيامة انهم يبعثون كالمصروعين . ورووا ذلك عن ابن عباس وابن مسعود بل روى الطبراني من حديث عوف ابن مالك مرفوعا «اياك الذنوب التي لاتغفر – الغلول فمن غلّ شيئا أتى به يوم القيامة والربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط» أقول والمتبادر الى جميع الافهام ماقال ابن عطية لانه اذا ذكر القيام انصرف الى النهوض المعهود في الاعمال ولا قرينة تدل على ان المراد به البعث وهذه الروايات لا يسلم منها شيء من قول في سنده وهي لم تنزل مع القرآن ولاجاء المرفوع منها مفسرا للآية . ولولاها لما قال أحد بغير المتبادر الذي قاله ابن عطية الا من لم يظهر له صحته في الواقع وكان الوضاعون الذين يختلقون الروايات يتحرون في بعضها ماأشكل عليهم ظاهره من القرآن فيضعون له رواية يفسرونه بها وقلما يصح في التفسير شيء كما قال الامام أحمد

اما ماقاله ابن عطية فهو ظاهر في نفسه فان أولئك الذين فتنهم المال واستعبدهم حتى ضريت نفوسهم بجمعه وجعلوه مقصودا لذاته وتركوا لاجل الكسب به جميع موارد الكسب الطبيعي تخرج نفوسهم عن الاعتدال الذي عليه أكثر الناس ويظهر ذلك في حركاتهم وتقلبهم في أعمالهم كما تراه في حركات المولعين بأعمال البورصة والمغرمين بالقمار يزيد فيهم النشاط والانهماك في أعمالهم حتى يكون خفة تعقبها حركات غير منتظمة وهذا هو وجه الشبه بين حركاتهم وبين تخبط الممسوس فان التخبط من الخبط وهو ضرب غير منتظم وكخبط العشواء . وبهذا يمكن الجمع بين ما قاله ابن عطية وما قاله الجمهور ذلك بأنه اذا كان ماشنع به على المرابين من خروج حركاتهم عن النظام المألوف هو أثر اضطراب نفوسهم وتغير أخلاقهم كان لا بد ان يبعثوا عليه فان المرء يبعث على مامات عليه لانه يموت على ماعاش عليه وهناك تظهر صفات النفس الخسيسة في أقبح مظاهرها كما تتجلى صفات النفس الزكية في أبهى مجاليها

ثم ان التشبيه مبني على أن المصروع الذي يعبر عنه بالممسوس يتخبطه الشيطان أي أنه يصرع بمس الشيطان له وهو ما كان معروفا عند العرب وجاريا في

كلامهم مجرى المثل قال البيضاوي في التشبيه «وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء» اهو تبعه أبو السعود كعادته فذكر عبارته بنصها . فالآية على هذا لا تثبت ان الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقة ولا تنفي ذلك . وفي المسألة خلاف بين العلماء أنكر المعتزلة و بعض أهل السنة ان يكون للشيطان فى الانسان غير ما يعبر عنه بالوسوسة وقال بعضهم ان سبب الصرع مس الشيطان كما هو ظاهر التشبيه وان لم يكن نصا فيه - وقد ثبت عند أطباء هذا العصر ان الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وغيرها من طرق العلاج الحديثة وقد يعالج بعضها بالأوهام وهذا ليس برهانا قطعيا على أن هذه المخلوقات الخفية التي يعبر عنها بالجن يستحيل أن يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع فتكون من أسبابه في بعض الاحوال . والمتكلمون يقولون ان الجن أجسام حية خفية لا ترى وقد قلنا في (المنار) غير مرة انه يصح ان يقال إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الامراض . قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن . على اننا نحن المسلمين لسنا في حاجة الى النزاع فيما اثبته العلم وقرره الاطباء أو اضافة شيء اليه مما لا دليل في العلم عليه لاجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم

قال تعالى ﴿ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا﴾ أي ذلك الاكل للربا مسبب عن استحلالهم له وجعله كالبيع وما هو كالبيع فإن البيع معاوضة بين شيئين واما الربا الذي كانوا يأكلونه فهو زيادة عن دينهم يزيدونها عند تأخير الاجل لا يقابلها شيء وما يؤخذ بغير مقابل فهو من الباطل لذلك حرم الله الربا دون البيع فقال ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ ولو كانا متساويين لما اختلف حكمهما عند احكم الحاكمين فكل ما فيه معاوضة صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل الذي لا يقابله عوض فهي بيع حلال وانما تحرم الزيادة التي يأخذها صاحب المال لاجل التأخير في الاجل وهي لا معاوضة فيها ولا مقابل لها فهي ظلم . وسيأتي في آية أخرى تعليل تحريم الربا

بكونه ظلما . هذا مايظهر لنا في معنى هذه العبارة وترى مفسرينا قد بنوا كلامهم فيها على تسليم كون البيع مثل الربا اذ جعلوا تحريم الربا بمعنى الامر التعبدي وقالوا ان معناه ان الله تعالى رد عليهم بأن أحل هذا وحرم هذا فيجب ان يطاع ·

ويظهر من عبارة ابن جرير ان هذا القول الذي أسند اليهم على ظاهره قال: «هذا الذي ذكرنا انه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ماحل بهم من أجل انهم كانوا فى الدين يكذبون و يفترون و يقولون انما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا وذلك ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدني في الأجل وأزيدك في مالك فكان يقال لهما اذا فعلا ذلك هذا ربا لايحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله تعالى في قيلهم فقال (وأحل الله البيع):

– ثم قال في تفسير هذا مانصه – يعني جل ثناؤه وأحل الله الارباح في التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعني الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل وتأخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل سواء وذلك اني حرمت احدى الزيادتين وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل واحللت الاخرى منهما وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لاني أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمري والخلق خلقي أقضي فيهم بما أشاء واستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض في حكمي » اه

أقول اما ما قاله في بيان الفرق بين الزيادتين فهو الصواب وماذكره في معنى الربا هو الذي كان معهودا عندهم وهو مايسميه الفقهاء ربا النسيئة كما تقدم واما قوله انهم كان يقال لهم هذا ربا محرم وكانوا يجيبون بما حكى الله عنهم فليست الآية نصا فيه اذ الحكاية عن الاحوال بالاقوال من الاساليب المعروفة عند العرب ويتوقف جعل القول على حقيقته على اثبات اعتقاد العرب بتحريم الربا أو على

جعل الآية خاصة باليهود فان الربا محرم في شريعتهم وهم أشد الخلق مراباة وكانوا يستحلون أكل أموال العرب بكل نوع من أنواع الباطل (٣: ٧٥ و يقولون ليس علينا في الاميين سبيل) وانما حرم عليهم أكل أموال اخوتنا الاسرائيليين: ولا دليل على التخصيص بل الآيات نزلت في وقائع لغيرهم كما سيأتي. ثم ان ما علل به كون احدى الزيادتين ليست كالأخرى وهو أن الله حرمها يقال فيه انها ليست مثلها في الواقع ونفس الامر كما بين هو ولا في النفع والضر كما سنبين ولذلك حرمها الله تعالى فما حرم الله تعالى شيئا الا لانه ضار في نفسه ولا أحل شيئا الا وهو نافع في نفسه.

ثم قال تعالى ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف﴾ تقدم الكلام في معنى الوعظ وكون أحكام القرآن مقرونة بالمواعظ في تفسير آية ٢٣٢ أي فمن بلغه تحريم الله تعالى للربا ونهيه عنه فترك الربا فورا بلا تراخ ولا تردد انتهاء عما نهى الله عنه فله ما كان أخذه فيما سلف من الربا لا يكلف ردّه الى من أخذه منهم بل يكتفي منه بأن لا يضاعف عليهم بعد البلاغ شيئا ﴿وأمره الى الله﴾ يحكم فيه بعدله ومن العدل أن لا يؤاخذ الا بما أكل من الربا قبل التحريم و بلوغه الموعظة من ربه ولكن العبارة تشعر بأن إباحة أكل ما سلف رخصة للضرورة وتومىء الى أن ردّ ما أخذ من قبل النهي الى أربابه الذين أخذ منهم من أفضل العزائم ألم تر أنه عبر عن اباحة ما سلف باللام ولم يقل كما قال بعد ذكر كفارة صيد المحرم (٥: ٩٥ عفا الله عما سلف) وأنه عقب هذه الاباحة بابهام الجزاء وجعله الى الله والمعهود في أسلوبه ان يصل مثل ذلك بذكر المغفرة والرحمة كما قال في آخر آية محرمات النساء (٤: ٢٣ وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما). أباح أكل ما سلف قبل التحريم وأبهم جزاء آكله لعله يغصّ بأكل ما في يده منه فيرده الى صاحبه ولكنه صرح بأشد الوعيد على من أكل شيئا بعد النهي فقال ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أي ومن عاد الى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه فأولئك البعداء عن الاتعاظ بموعظة ربهم الذي لا ينهاهم الا عما يضر بهم في أفرادهم أو جميعهم هم أهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه فيكونون خالدين فيها.

وقد أوّل الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار فقال أكثرهم أن المراد: ومن عاد الى تحليل الربا واستباحته اعتقادا: ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا وماذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل التحريم فهو ليس بمعنى استباحة المحرم فاذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحله لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل . والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء يجب ارجاع كل قول فى الدين اليه ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس . وما الوعيد بالخلود هنا الا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد وليس هناك شبهة فى اللفظ على ارادة الاستحلال . ومن العجيب ان يجعل الرازي الآية هنا حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة فى النار انتصارا لأصحابه الاشاعرة وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث . أما نحن فنقول ما كل مايسمّى ايمانا يعصم صاحبه من الخلود في النار ، الايمان ايمانان — ايمان لا يعدو التسليم الاجمالي بالدين الذي نشأ فيه المرء أو نسب اليه ، ومجاراة أهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه، وايمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالايمان، متمكنة في العقل بالبرهان، مؤثرة في النفس بمقتضى الاذعان ، حاكمة على الارادة المصرّفة للجوارح في الاعمال، بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها في كل حال ، الا مالا يخلو عنه الانسان ، من غلبة جهالة أو نسيان ، وليس الربا من المعاصي التي تنسى أو تغلب النفس عليها خفة الجهالة والطيش كالحدة وثورة الشهوة، أو يقع صاحبها منها في غمرة النسيان كالغيبة والنظرة، فهذا هو الايمان الذي يعصم صاحبه باذن الله ، من الخلود في سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الاقدام على كبائر الاثم والفواحش عمداً إيثارا لحب المال واللذة على دين الله وما فيه من الحكم والمصالح . واما الايمان الأول فهو صوري فقط فلا قيمة له عند الله تعالى لانه تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال، ولكن ينظر الى القلوب والاعمال ، كما ورد في الحديث . والشواهد هذا الذي قررناه في كتاب الله تعالى كثيرة جدا وهو مذهب السلف الصالح وان جهله كثير ممن يدعون اتباع السنة حتى جرءوا الناس على هدم الدين بناء على ان مدار السعادة على الاعتراف بالدين وان لم يعمل به

حتى صار الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات مع الاعتراف بأنها من كبائر ماحرم كما بلغنا عن بعض كبرائنا انه قال اني لا انكر اني آكل الربا ولكنني مسلم أعترف بأنه حرام . وقد فاته انه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من أهل هذا الوعيد وبأنه يرضى ان يكون محاربا لله ولرسوله وظالما لنفسه وللناس كما سيأتي في آية أخرى فهل يعترف بالمزوم أم ينكر الوعيد المنصوص فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان

ثم بين تعالى الفرق بين الربا والصدقة اذ جاء الكلام عنه بعد الكلام عنها ببيان أثرهما فقال ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ فسروا محق الله الربا بإذهاب بركته واهلاكه أو اهلاك المال الذي يدخل فيه وقد اشتهر هذا حتى عرفه العامة فهم يذكرون دائما ما يحفظون من أخبار آكلي الربا الذين ذهبت أموالهم وخربت بيوتهم . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وابن ماجه والحاكم وأخرجه ابن جرير في التفسير « ان الربا وان أكثر فعاقبته تصير الى قل » وقال الضحاك ان هذا المحق فى الآخرة بأن يبطل مايكون منه مما يتوقع نفعه فلا يبقى لأهله منه شيء . وقال الاستاذ الامام ليس المراد بهذا المحق محق الزيادة في المال فان هذا مكابرة للمشاهدة والاختبار وانما المراد به مايلاقي المرابي من عداوة الناس وما يصاب به في نفسه من الوساوس وغيرها أما عداوة الناس فمن حيث هو عدو المحتاجين وبغيض المعوزين وقد تفضي العداوة والبغضاء الى مفاسد ومضرات ، واعتداء على الأموال والأنفس والثمرات ، وقد ظهر أثر ذلك في الامم التي فشا فيها الربا اذ قام الفقراء فيها يعادون الاغنياء ويتألب العمال عليهم حتى صارت هذه المسألة أعقد المسائل عندهم . وأما ما يصاب به في نفسه من الوساوس والأوهام فهو مالا يعرفه الا من راقب هؤلاء العابدين للمال وبلا أخبارهم : ولا أذكر عنه مثالا على ذلك وما الأمثال فيه بقليلة فمنهم من يشغله المال عن طعامه وشرابه وعن أهله وولده حتى يقصر في حق نفسه وحقوقهم تقصيرا يفضي الى الخسر أو المهانة والذل ، ومنهم من يركب لذلك الصعب ويقتحم الخطر حتى يكون من الهالكين . وأقول المحق في اللغة محو الشيء والذهاب به كمحاق القمر وكل ما لا يحسن المرء عمله

فقد محقه كما في الاساس فلعل المراد بمحق الربا محو ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة وزيادة الربا تذهب بذلك لاشتغال المرابي غالبا عن اللذة وخفض المعيشة بولهه في ماله ولمقت الناس اياه وكراهتهم له كما علم مما تقدم فهو لم يحسن التصرف في التوصل الى ثمرة المال . وأما ارباء الصدقات فهو زيادة فائدتها وثمرتها في الدنيا وأجرها في الآخرة كما تقدم في تفسير آيات الصدقة ومضاعفة الله اياها فمعنى يمحق الله الربا ويربي الصدقات أن سنته قضت في عابد المال الذي لا يرحم معوزا ولا ينظر معسرا الا بمال يأخذه ربا بدون مقابل أن يكون محروما من الثمرة الشريفة للثروة وهي كون صاحبها ناعما عزيزاً شريفا عند الناس لكونه مصدرا لخيرهم والتفضل عليهم واعانتهم على زمنهم كما يكون محروما في الآخرة من ثواب المال فهو في عدم انتفاعه بماله هذا الضرب من الانتفاع كمن محق ماله وهلك . وقضت سنته فى المتصدق ان يكون انتفاعه بماله أكبر من ماله (وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده) وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والحديث من باب التمثيل كما هو ظاهر

قال تعالى ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ قالوا لا يحب لا يرضى والكفار المستحل للربا والاثيم المقيم على الاثم . وأقول إن حب الله للعبد شأن من شؤونه يعرف باستعمال العبد تمام حكم الله في صلاح عباده ونفي هذا الحب يعرف بضد ذلك . والكفار هنا هو المتمادي على كفر انعام الله عليه بالمال اذ لا ينفق منه في سبيله ولا يواسي به المحتاجين من عباده والاثيم هو الذي جعل المال آلة لجذب ما في ايدي الناس الى يده فافترص إعسارهم ، لاستغلال اضطرارهم ،

ثم قال تعالى ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا تصديق اذعان بما جاء من عند الله في هذه المسألة كغيرها ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي الاعمال التي تصلح بها نفوسهم وشأن من يعيش معهم ومنها مواساة المحتاجين ، والرحمة بالبائسين ، وإنظار المعسرين ، ومن سنة القرآن أن يقرن الايمان بالعمل الصالح فى مقام الوعد

لأن الايمان الحقيقي المقرون بالاذعان يتبعه العمل الصالح حتما لا يتخلف عنه وهذا برهان على ماقلناه في تفسير الآية السابقة ﴿وأقاموا الصلاة﴾ التي تذكر المؤمن بالله تعالى فتزيد في ايمانه وحبه له ومراقبته له حتى تسهل عليه طاعته في كل شيء ﴿وآتوا الزكاة﴾ التي تزكي النفس من رذيلة البخل والحرص وتمرنها على أعمال البر حتى تسهل عليها ويكون ترك أكل اموال الناس بالربا أسهل . وذكر الصلاة والزكاة بعد الأعمال الصالحة التي تشملهما لانهما أعظم أركان العبادة النفسية والمالية فمن أتى بهما كاملتين سهل عليه كل عمل صالح ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ تقدم نظير هذا الجزاء قريبا فلا حاجة لإعادة التذكير بمعناه وجملة الآية تعريض بآكل الربا كأنه يقول لو كان من هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ لكف عنه ولكنه كفار أثيم - وتمهيد لما بعدها وهو

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ . وصفهم بالايمان وذكرهم بالتقوى ثم انتقل الى الأمر بترك مابقي من الربا الذي كانوا يرابون منهم عند غرمائهم ثم وصل ذلك بقوله ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ قال الاستاذ الامام أي إن كان ايمانكم تاما شاملا لجميع ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الاحكام فذروا بقايا الربا . وقد عهد في الاسلوب العربي أن يقال: ان كنت متصفا بهذا الشيء ففعل كذا: ويذكر أمر من شأنه ان يكون أثرا لذلك الوصف . أقول ويؤخذ من هذا ان من لم يترك مابقي من الربا بعد نهي الله تعالى عنه وتوعده عليه فلا يعد من أهل هذا الايمان التام الشامل ، الذي له السلطان الاعلى على ارادة العامل ، وهذا يؤيد ماقلناه في مسألة خلود من عاد الى الربا بعد تحريمه في النار . ومن الناس من يؤمن ببعض الكتاب إيمانا يبعث على العمل ويكفر ببعض فلا يذعن له ويعمل به فهو يجحده بفعله وان أقر به بلسانه ولا يعتد الله بايمانه الا اذا صدق قلبه وعمله لسانه «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»

﴿فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي فان لم تتركوا مابقي لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا واستيقنوا بأنكم على حرب من الله ورسوله إذ نبذتم ماجاءكم به رسوله عنه . فقوله فأذنوا كقوله فاعلموا وزنا ومعنى وهي

قراءة الجمهور وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش (فآذنوا) بمد الألف من الايذان بمعنى الاعلام أي فأعلموا أنفسكم - أي ليعلم بعضكم بعضا - أو المسلمين بأنكم محاربون لله ورسوله بالخروج عن الشريعة وعدم الخضوع للحكم وهذا يستلزم ان يكونوا عالمين بذلك كأنه يقول أن عدم الخضوع للأمر خروج عن الشريعة فهو اعلام للمسلمين بأنكم خارجون عن حكم الله ورسوله محاربون لهما . فسر الاستاذ الامام حرب الله لهم بغضبه وانتقامه قال ونحن ان لم نر أثر هذا في الماضين فاننا نراه في الحاضرين ممن أصبحوا بعد الغني يتكففون ومن يأتوا والمسأله الاجتماعية (مناصبة العمال لارباب الاموال) تهددهم بالويل والثبور . وأما الحرب من رسوله لهم فهي مقاومتهم بالفعل في زمنـه ، واعتبارهم أعداء له في هذا الزمن الذي لا يخلفه فيه أحد يقيم شرعه ﴿ وان تبتم ﴾ ورجعتم عن الربا امتثالا وخضوعا ﴿ فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ﴾ غرماءكم بأخذ الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بنقص شيء من رأس المال بل تأخذونه كاملا

روى ابن جرير عن السدي أن الآيتين نزلتا في العباس بن عبد المطلب - عمّ النبي صلى الله عليه وسلم - ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية سـلفا في الربا الى اناس من ثقيف من بني عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسـلام ولهما أموال عظيمـة في الربا فأنزل الله ذروا ما بقي من فضـل كان في الجاهلية من الربا . وأخرج عن ابن جريج قال كانت ثقيف قـد صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان فتح مكة استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخـذون الربا من المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كبير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبا بنو المغيرة ان يعطوهم في الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت . . فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فآذنهم بحرب . وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس نحوه.

وفي الآية أن الربا حرّم لأنه ظلم ولكن بعض ما يعده الفقهاء منه لاظلم فيه بل ربما كان فيه فائدة للآخذ والمعطي ﴿ وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ﴾ أي وان وجد غريم معسر من غرمائكم فأنظروه وأمهلوه الى وقت يسار يتمكن فيه من الأداء . وقرأ حمزة ونافع (ميسرة) بضم السين وهي لغة كالفتح الذي قرأ به الباقون . روي أن بني المغيرة قالوا لبني عمر وبن عمير — في القصة السابقة — نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا الى ان تدرك الثمرة فأبوا فنزلت الآية في قصتهم كالآيتين قبلها ﴿ وأن تصدقوا خير لكم ﴾ أصل تصدقوا تتصدقوا قرأ عاصم بتخفيف الصاد بحذف احدى التائين والباقون بتشديدها للادغام أي وتصدقكم على المعسر بوضع الدين عنه وابرائه منه خير لكم من إنظاره فهو ندب الى الصدقة والسماح للمدين المعسر لما فيه من التعاطف والتراحم بين الناس وبرّ بعضهم ببعض وذلك من أعظم أسباب هناء المعيشة وحسن حال الامة ولذلك نبه الى العلم بذلك فقال ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ لان من لايعلم وجه الخيرية في شيء لايعمله ومن علم عمل حتما . أي ان كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتم به وعاملتم اخوانكم بالمسامحة فعليكم بالعلم الذي يهديكم الى خير العمل الذي يقرب بعضكم من بعض ويجعلكم متحابين متوادين . وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب انظار المعسر مطلقا وبعضهم على وجوب ذلك في دين الربا خاصة وقالوا إن هذا الواجب يفضله شيء مندوب وهو الابراء والتصدق على المعسر فانه ليس بواجب اتفاقا . وقيل إن المراد بالتصدق هنا الانظار كأنه يقول وهذا الانظار الذي أمرتم به خير لكم وهو خلاف المتبادر

ثم ختم جل ثناؤه آيات الربا بهذه الموعظة العامة التي تسهل على المؤمن اذا وعاها السماح بالمال بل و بالنفس رجاء أن يلقى الله تعالى على أحسن حال من الفضل والكمال فقال ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب (ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم من رجع والباقون (ترجعون) بضم التاء وفتح الجيم من أرجع بالبناء للمفعول . أي واحذروا يوما عظيما ترجعون فيه من غفلاتكم وشواغل الحياة الجسدية التي تشغلكم عن مراقبة الله فتصيرون الى

الله أي الى الاستغراق في العلم والشعور بأنه لا سلطان الا سلطانه ولا ملك الا له
ذكر معنى ذلك الاستاذ الامام وقال مامعناه مبسوطا (*) أما حقيقة الرجوع
فلا تصح هنا لاننا ماغبنا عن الله طرفة عين ولا يمكن ان نغيب عنه فنرجع اليه
ولكن الانسان في غفلته وشغله بشؤونه الحيوانية يتوهم أن له استقلالا تاما بنفسه
وأن له رؤساء وامراء يخافهم ويرجوهم ويرى أنه تعرض له حاجات وضرورات
يجب عليه ان يستعد لها بتكثير المال وجمعه من حرام وحلال . فأمثال هذه الخواطر
تكون له شغلا شاغلا ربما يستغرق وقته فيصرفه عن التفكر في منافع التسامح في
معاملة الناس والتصدق على المحتاج منهم فكان أنفع دواء لمرض انصراف النفس
عن التفكر في سلطان الله وقدرته ، والتقرب اليه بما فيه تمام حكمته ، التذكير بيوم
القيامة الذي تبطل فيه هذه الشواغل ، وتتلاشى هذه الصوارف، حتى لا يشغل الانسان
فيه شيء مّا عن الله تعالى وما أعده من الجزاء للعباد على قدر أعمالهم . ولذلك
قال بعد التذكير بالرجوع اليه ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ أي تجازى على ما عملت
في الدنيا جزاء وافيا ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي ولا ينقصون من أجورهم شيئا بل
قد يزاد المحسنون منهم فيعطون أكثر مما يستحقون على احسانهم كما ثبت في آيات أخرى

أخرج البخاري عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا . وأخرج البيهقي عن
عمر مثله . قال في الاتقان والمراد بها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربا) وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر مانزل آية الربا : وعند ابن
مردويه عن أبي سعيد الخدري قال خطبنا عمر فقال ان من آخر القرآن نزولا
آية الربا . وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال آخر شيء نزل
من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه) الآية . واخرج ابن مردويه نحوه من
طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس بلفظ آخر آية نزلت واخرجه ابن جرير من
طريق العوفي والضحاك عن ابن عباس . وقال الفريابي في تفسيره حدثنا سفيان
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون

(*) إن ما في مذكرتي عنه لا يبلغ خمسة أسطر معناها بالاجمال انه اذا كان يوم
القيامة زالت الشواغل التي كانت تصرف الانسان عن ربه في الدنيا، وبالتفصيل ماذكرنا

فيه الى الله) الآية وكان بين نزولها و بين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون يوما. ثم ذكر في الاتقان مثله عن سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم الا انه قال عاش بعد نزول هذه الآية تسع ليال ومثله عن ابن جريج عند ابن جرير. وعن ابن شهاب عند أبي عبيد ان آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين. وعن سعيد بن المسيب عند ابن جرير مثل هذا اللفظ في آية الدين فقط. قال السيوطي بعد ذلك ولا منافاة عندي بين هذه الروايات فى آية الربا وآية (واتقوا يوما) وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف ولأنها فى قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح اه أي ان كل مخبر ذكر ذلك في سياق يقتضيه. وقيل غير ما ذكر في آخر القرآن نزولا وفي مدة بقائه صلى الله عليه وسلم بعد نزول (واتقوا يوما) الآية. وورد انه قال « اجعلوها بين آية الربا وآية الدين» وفى رواية « جاءني جبرائيل فقال اجعلوها علي رأس مئتين وثمانين آية من البقرة » وهكذا كان شأنه (ص) فى ترتيب الآيات.

فصل في حكمة تحريم الربا

قال الاستاذ الامام في الدرس مامثاله : يقول كثير من الناس الذين تعلموا وتربوا تربية عصرية وأخذوا الشهادات من المدارس بل ومن هم أكبر من هؤلاء ان المسلمين منوا بالفقر وذهبت أموالهم الى أيدي الأجانب وفقدوا الثروة والقوة بسبب تحريم الربا فإنهم لاحتياجهم للأموال يأخذونها بالربا من الاجانب ومن كان غنيا منهم لا يعطي بالربا فمال الفقير يذهب ومال الغني لا ينمو. و يجعلون هذه المسألة أهم المسائل الاجتماعية والعمرانية عند المسلمين يعنون انه ماجنى على المسلمين الا دينهم. (قال) وهذه أوهام لم تقل عن اختبار فان المسلمين في هذه الأيام لا يحكمون الدين في شيء من أعمالهم ومكاسبهم ولو حكموه في هذه المسألة لما استدانوا بالربا وجعلوا أموالهم غنائم لغيرهم. فإن سلمنا انهم تركوا أكل الربا لاجل الدين فهل يقول المشتبهون انهم تركوا الصناعة والتجارة والزراعة لاجل الدين؟ ألم تسبقنا جميع الامم الى إتقان ذلك فلماذا لم نتقن سائر أعمال الكسب لنعوّض منها على أنفسنا مافاتنا من كسب الربا المحرَّم علينا وديننا يدعونا الى ان نسبق الامم في اتقان كل

شيء ؟ الحق ان المسلمين فى الاغلب قد نبذوا الدين ظهريا فلم يبق عندهم منه الا تقاليد وعادات أخذوها بالوراثة عن آبائهم ومعاشريهم فمن يدعي ان الدين عائق لهم عن الترقي فقد عكس القضية وأضاف الى جهالاتهم جهالة شراً منها وانما يجيء هذا من عدم البصيرة والتأمل فى حال الامة من بدايتها الى ماانتهت اليه ولو عرفت الامة نفسها لعرفت ماضيها كما تعرف حاضرها ولكن جهلها بنفسها وعدم قراءة ماضيها هو الذي أوقعها فيما هي فيه من البلاء العظيم فهي لاتدري من أين أخذت ولا كيف سقطت بعد ماارتفعت . أقول يعني انها ارتفعت بالدين وسقطت بتركه مع الجهل بالسبب وأفضى بها الجهل الى أن صارت تجعل علة الرقي والارتفاع ، هي عين العلة للسقوط الانحطاط ، ومن ذلك استدانة افرادنا وحكوماتنا من الاجانب بالربا فانها أضاعت ثروتنا وملكنا وكان الدين لو اتبعناه عاصما منها فنحن ننسى مثل هذه الفائدة الكبرى للدين في الموضوع نفسه ونذكر من سيئات الدين أنه حرم الربا ولو لم يحرمه لجاز ان يكسب بعض أغنيائنا أكثر مما يكسبون الآن . وقد أشار الاستاذ الى هذا المعنى فقال ان أثر الربا فينا لايمكننا ان نزيله بمئات من السنين ولو أننا حافظنا على أمر الدين فيه لكنا بقينا لأنفسنا : فتأمل قوله بقينا لأنفسنا

وقال فى تفسير (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) الخ مامثاله: مسألة الربا مسألة كبيرة اتفقت فيها الاديان ولكن اختلفت فيها الامم فاليهود كانوا يرابون مع غيرهم والنصارى يرابي بعضهم بعضا ويرابون سائر الناس وقد كان المسلمون حفظوا أنفسهم من هذه الرذيلة زمنا طويلا ثم قلدوا غيرهم ومنذ نصف قرن فشت المراباة بينهم في أكثر الاقطار وكانوا قبل ذلك يأكلون الربا بالحيلة التي يسمونها شرعية وقد أباحها بعض الفقهاء في استثمار مال اليتيم وطالب العلم المنقطع ومنها مسألة السبحة المشهورة وهي أن يتفق الدائن مع المدين على ان يعطيه مئة الى سنة بمئة وعشرة مثلا فيعطيه المئة نقدا ويبيعه سبحة بعشرة فى الذمة فيشتريها ثم يهديها اليه· على أن الذين يأكلون الربا من المسلمين لا يزالون قليلين جدا ولكن الذين يوكلونه غيرهم كثيرون جدا حتى لا تكاد تجد متمولا في هذه البلاد سالما

من الاستدانة بالربا الا قليلا والسبب في ذلك تقليد حكامهم في هذه السنة بل كثيرا ما كان حكام هذه البلاد يلزمون الرعية بها إلزاما لاداء ما يفرضونه عليهم من الضرائب والمصادرات ومن هنا نرى أن الاديان لم يمكنها أن تقاوم ميل جماهير الناس الى أكل الربا حتى كانه ضرورة يضطرون اليها. ومن حجتهم عليها ان البيع مثل الربا فكما يجوز ان يبيع الانسان السلعة التي ثمنها عشرة دراهم نقدا بعشرين درهما نسيئة يجوز له أن يعطي المحتاج العشرة الدراهم على أن يردّ اليه بعد سنة عشرين درهما لان السبب في كل من الزيادتين الأجل. هكذا يحتج الناس في أنفسهم كما تحتج الحكومات بأنها لولم تأخذ المال بالربا لاضطرت الى تعطيل مصالحها أوخراب أرضها.

والله تعالى قد أجاب عن دعوى مماثلة البيع للربا بجواب ليس على طريقة أجوبة الخطباء المؤثرين، ولا على طريقة اقيسة الفلاسفة والمنطقيين، ولكنه على سنة هداية الدين، وهو ان الله أحل البيع وحرّم الربا. وقد جعل أكثر المفسرين هذا الجواب من قبيل ابطال القياس بالنص أي انكم تقيسون في الدين والله تعالي لايجيز هذا القياس ولكن المعهود في القرآن مقارعة الحجة بالحجة وقد كان الناس في زمن التنزيل يفهمون معنى الحجة فى رد القرآن لذلك القول اذ لم يكن عندهم من الاصطلاحات الفقهية المسلمة ماهو أصل عندهم في المسائل لايفهمون الآيات الابه ولاينظرون اليها الالتحويلها اليه وتطبيقها على آرائهم ومذاهبهم فيه. والمعنى الصحيح ان زعمهم مساواة الربا للبيع فى مصلحة التعامل بين الناس انما يصح اذا أبيح للناس ان يكونوا في تعاملهم كالذئاب كل واحد ينتظر الفرصة التي تمكنه من افتراس الآخر وأكله ولكن ههنا إله رحيم يضع لعباده من الاحكام مايربيهم على التراحم والتعاطف وان يكون كل منهم عونا للآخر لاسيما عند شدة الحاجة اليه ولذلك حرم عليهم الربا الذي هو استغلال ضرورة اخوانهم وأحل البيع الذي لايختص الربح فيه بأكل الغني الواجد مال الفقير الفاقد. فهذا وجه للتباين بين الربا والبيع يقتضي فساد القياس.

وهناك وجه آخر وهو أن الله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معايشهم أن يكون استفادة كل واحد من الآخر بعمل ولم يجعل لاحد منهم حقا على آخر

ير عمل لأنه باطل لامقابل له و بهذه السنة أحل البيع لان فيه عوضا يقابل عوضا وحرم الربا لأنه زيادة لامقابل لها . والمعنى ان قياسكم فاسد لأن في البيع من الفائدة مايقتضي حله وفي الربا من المفسدة مايقتضي تحريمه ذلك أن البيع يلاحظ فيه دائما انتفاع المشتري بالسلعة انتفاعا حقيقيا لان من يشتري قمحاً مثلا فانما يشتريه ليأكله أوليبذره أو ليبيعه وهو في كل ذلك ينتفع به انتفاعا حقيقيا (وأقول والثمن في هذا مقابل للمبيع مقابلة مرضية للبائع والمشتري باختيارهما) واما الربا وهو عبارة عن اعطاء الدراهم والمثليات وأخذها مضاعفة في وقت آخر فما يؤخذ منه زيادة رأس المال لامقابل له من عين ولاعمل (أقول وهي لاتعطي بالرضى والاختيار بل بالكره والاضطرار)

وثم وجه ثالث لتحريم الربا من دون البيع وهو أن النقدين انما وضعا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الاشياء التي ينتفع بها الناس في معايشهم فاذا تحول هذا وصار النقد مقصودا بالاستغلال فان هذا يؤدي الى انتزاع الثروة من أيدي أكثر الناس وحصرها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال فينمو المال ويربو عندهم ويخزن في الصناديق والبيوت المالية المعروفة بالبنوك و يبخس العاملون قيم أعمالهم لأن الربح يكون معظمه من المال نفسه وبذلك يهلك الفقراء . ولووقف الناس في استغلال المال عند حد الضرورة لما كان فيه مثل هذه المضرات ولكن أهواء الناس ليس لها حد تقف عنده بنفسها (أي فلا بدلها من الوازع الذي يوقفها بالاقناع أوالإلزام) لذلك حرم الله الربا وهولايشرع للناس الأحكام بحسب أهوائهم وشهواتهم كأصحاب القوانين ولكن بحسب المصلحة الحقيقية العامة الشاملة . واما واضعو القوانين فانهم يضعون للناس الاحكام بحسب حالهم الحاضرة التي يرونها موافقة لما يسمونه الرأي العام من غير نظر في عواقبها ولا في أثرها في تربية الفضائل والبعد عن الرذائل واننا نرى البلاد التي أحلت قوانينها الربا قد عفت فيها رسوم الدين وقلّ فيها التعاطف والتراحم وحلت القسوة محل الرحمة حتى أن الفقير فيها ليموت جوعا ولا يجد من يجود عليه بما يسد رمقه فمنيت من جراء ذلك بمصائب أعظمها ما يسمونه

المسألة الاجتماعية وهي مسألة تألب الفعلة والعمال على أصحاب الاموال واعتصابهم المرة بعد المرة لترك العمل وتعطيل المعامل والمصانع لأن أصحابها لايقدرون عملهم قدره بل يعطونهم أقل مما يستحقون وهم يتوقعون من عاقبة ذلك انقلابا كبيرا فى العالم ولذلك قام كثير من فلاسفتهم وعلمائهم يكتبون الرسائل والأسفار في تلافي شرهذه المسألة وقد صرح كثير منهم بأنه لاعلاج لهذا الداء الارجوع الناس الى مادعاهم اليه الدين . وقد ألف تولستوي الفيلسوف الروسي كتابا سماه (ما العمل) وفيه أمور يضطرب لفظاعتها القارىء وقد قال في آخره ان أوربا نجحت في تحرير الناس من الرق ولكنها غفلت عن رفع نير الدينار (الجنيه) عن أعناق الناس الذين ربما استعبدهم المال يوماما

قال رحمه الله تعالى وهذه بلادنا قد ضعف فيها التعاطف والتراحم وقل الإسعاد والتعاون منذ فشافيها الربا وانني لأعي وأدرك مامر بي منذ أربعين سنة . كنت أرى الرجل يطلب من الآخر قرضا فيأخذه صاحب المال الى بيته ويوصد الباب عليه معه ويعطيه ماطلب بعد ان يستوثق منه باليمين انه لايحدث الناس بأنه اقترض منه لأنه يستحي ان يكون في نظرهم متفضلا عليه (قال) رأيت هذا من كثيرين في بلاد متعددة ورأيت من وفاء من يقترض انه يغني المقرض عن المطالبة بله المحاكمة . ثم بعد خمس وعشرين سنة رأيت بعض هؤلاء المحسنين لايعطي ولده قرضاً طلبه الا بسند وشهود فسألته أماأنت الذي كنت تعطى الغرباء مايطلبون والباب مقفل وتقسم عليهم أوتحلفهم ان لايذكروا ذلك ؟ قال نعم قلت فما بالك تستوثق من ولدك ولا تأمنه على مالك الا بسند وشهود وماعلمت عليه من سوء ؟ قال لاأعرف سبب ذلك الا أنني لاأجد الثقة التى كنت أعرفها فى نفسي : قلت وقد أخبرني ان هذا الذي سأل منه عن ذلك هو والده رحمهما الله تعالى

هذا ماقاله الاستاذ الامام في حكمة تحريم الربا وما قاله في مضرة استغلال النقد مأخوذ من كلام للامام الغزالي ومطبق على حال العصر وانني أورد عبارة الغزالي فيه من كتاب الشكر من الاحياء لما فيها من الحسن والفوائد قال رحمه الله تعالى

«من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مئة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مئة فهما من حيث انهما متساويان بشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر فاذاً خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما الى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية. وفيهما أيضا حكم

يطول ذكرها. فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أوفضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تبدد وانما الأواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الآلهية وقيل له «من شرب في آنية من ذهب أوفضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم» (١)

وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان

(١) هذا حديث رواه مسلم في صحيحه وغيره

الى الغير لاغرض في أعيانهما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله لبقي النقد متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم» اه المراد من كلام الغزالي ويليه حكم تحريم أنواع الربا كلها

من تدبر ماقاله الامامان علم أن تحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة ، الموافق لمصلحة البشر المنطبق على قواعد الفلسفة ، وان إباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشؤون الاجتماع زادت في أطماع الناس وجعلتهم ماديين لاهمّ لهم الا الاستكثار من المال وكادت تحصر ثروة البشر في افراد منهم وتجعل بقية الناس عالة عليهم . فاذا كان المفتونون من المسلمين بهذه المدنية ينكرون من دينهم تحريم الربا بغير فهم ولا عقل فسيجيء يوم يقر فيه المفتونون بأن ماجاء به الاسلام هو النظام الذي لاتتم سعادة البشر في دنياهم فضلا عن آخرتهم الابه ، يوم يفوز الاشتراكيون في الممالك الأوربية ويهدمون أكثر دعائم هذه الاثرة المادية ، ويرغمون أنوف المحتكرين للأموال ، ويلزمونهم برعاية حقوق المساكين والعمال ،

﴿ الربا المحرم بنص القرآن والربا المحرم بأحاديث الآحاد والقياس ﴾

التفرقة بين ما ثبت بنص القرآن من الاحكام وماثبت بروايات الآحاد وأقيسة الفقهاء ضرورية فان من يجحد ماجاء في القرآن يحكم بكفره ، ومن جحد غيره ينظر في عذره ، فمامن إمام مجتهد الا وقد قال أقوالا مخالفة لبعض الاحاديث الصحيحة لاسباب يعذر بها وتبعه الناس على ذلك ولا يعد ذلك أحد عليهم خروجا من الدين حتى من لاعذر له في التقليد فما بالك بمخالفة بعضهم بعضا في الاقوال الاجتهادية التي تختلف فيها أقيستهم .

وقد فشا بين المسلمين أكل الربا مع ذلك الوعيد الذي نطق به القرآن وأكثرهم يعتقدون ان لفظ الربا فيه يتناول جميع ماقال فقهاء مذاهبهم انه منه حتى بيع الحلي من الذهب بجنيهات يزيد وزنها على وزنه لمكان الصنعة في الحلي وبعض

العقود التي يعدّها الفقهاء فاسدة أو باطلة . وانا نعلم انه لا يكاد يوجد فى عشرات الالوف من المسلمين رجل واحد يتحامى كل ماعده الفقهاء من الربا ولعله يندر في الفقهاء أنفسهم من يطبق شراء الحلي للنساء على قواعد الفقه كأن يشتري ما كان من الذهب بفضة وما كان من الفضة بذهب أو يتخذ لذلك حيلة فقهية . فالناس في أشد الحاجة الى التمييز بين الربا القطعي المتوعد عليه في القرآن بالخلود في النار و بين غيره مما اختلف فيه أو كان وعيده دون وعيده لان ضرره دون ضرره واليك البيان

قد علم مما تقدم في تفسير الآيات أنها نزلت في وقائع كان للمرابين من المسلمين قبل التحريم فالمراد بالربا فيها ماكان معروفا في الجاهلية من ربا النسيئة أي ما يؤخذ من المال لاجل الانساء أي التأخير في أجل الدين . فكان يكون للرجل على آخر دين مؤجل يختلف سببه بين أن يكون ثمن شيء اشتراه منه أو قرضا اقترضه فاذا جاء الأجل ولم يكن للمدين مال يفي به طلب من صاحب المال ان ينسيء له فى الاجل و يزيد فى المال وكان يتكرر ذلك حتى يكون أضعافا مضاعفة فهذا ماورد القرآن بتحريمه لم يحرم فيه سواه وقد وصفه في آية آل عمران التي جاءت دون غيرها بصيغة النهي وهي قوله عز وجل (٣ : ١٣٠ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) وهذه أول آية نزلت في تحريم الربا فهو تحريم لربا مخصوص بهذا القيد وهو المشهور عندهم

فقوله تعالى (الذين يأكلون الربا) الآيات يحمل الربا فيها على ماسبق ذكره في النهي الاول عملا بقاعدة اعادة المعرفة ووفاقا لقاعدة حمل المطلق على المقيد . ويدعم ذلك مقابلته بالصدقة حيث ذكر وتسميته ظلما وقد أورد ابن جرير وهو امام المفسرين واعلمهم بالرواية روايات كثيرة في ذلك أشرنا اليها في تفسير الآيات . وهذا النوع من الربا هو أشدها ضررا وهو مذموم عند كل عاقل بل هو ممنوع في قوانين الامم التي تبيح غيره من أنواع الربا

قال ابن القيم في (اعلام الموقعين) الربا نوعان جلي وخفي فالجليّ حرم لما فيه من الضرر العظيم والخفي حرم لأنه ذريعة الى الجليّ فتحريم الأول قصدا وتحريم الثاني وسيلة . فأما الجليّ فربا النسيئة وهو الذي كانوا يفعلونه في

الجاهلية مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المئة عنده آلافا مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك الا معدم محتاج فاذا رأى المستحق يؤخر مطالبته ويصبر عليه بزيادة يبذلها له تكلف بذلها ليفتدي من أسر المطالبة والحبس ويدافع من وقت الى وقت فيشتد ضرره وتعظم مصيبته ويعلوه الدين حتى يستغرق جميع موجوده فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ويزيد مال المرابي من غير نفع يحصل منه لاخيه فيأكل مال أخيه بالباطل ويحصل أخوه على غاية الضرر . فمن رحمة أرحم الراحمين وحكمته وإحسانه الى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره ولهذا كان أكبر الكبائر وسئل الامام أحمد عن الربا الذي لايشك فيه فقال هو ان يكون له دين فيقول له أتقضي أم تربي ؟ فان لم يقضه زاده في المال وزاده هذا في الاجل : وقد جعل الله سبحانه الربا ضد الصدقة فالمرابي ضد المتصدق قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال (٣٩:٣٠ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقال (١٣٠:٣ ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ١٣١ واتقوا النار التي أعدت للكافرين) ثم ذكر الجنة التي أعدت للمتقين (الذين ينفقون في السراء والضراء) وهؤلاء ضد المرابين . فنهى سبحانه عن الربا الذي هو ظلم الناس وأمر بالصدقة التي هي إحسان اليهم . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنما الربا في النسيئة» ومثل هذا يراد به حصر الكمال وان الربا الكامل انما هو فى النسيئة كما قال (٢:٨ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) وكقول ابن مسعود : وانما العالم الذي يخشى الله : » اه كلام ابن القيم في الربا الجلي الذي لاشك فيه واورد بعد ذلك فصلا في ربا الفضل الذي حرم من باب سد الذرائع وهو ان يبيع الدرهم بالدرهمين وذكر خلاف الفقهاء فيه

أقول فهذا الربا الذي سماه العلامة ابن القيم بالربا الجلي وقال الامام أحمد انه الربا الذي لا يشك فيه المحرم بنص القرآن وحده هو هو ربا النسيئة الذي كانوا يضاعفونه على الفقير الذي لا يجد وفاء بتوالي الايام والسنين ، هو هو مخرّب البيوت ، ومزيل الرحمة من القلوب ، ومولّد العداوة بين الاغنياء والفقراء ، وماسوى حصر النبي صلى الله عليه وسلم الربا فيه الا بيان ماأراد الله تعالى من الربا الذي توعد عليه بأشد الوعيد الذي توعد به على الكفر: فهل يسمح لعاقل عقله أن يقول ان تحريم هذا الربا ضارّ بالناس أوعائق لهم عن إنماء ثروتهم؟اذا كانت الثروة لاتنمو الا بتخريب بيوت المعوزين لارضاء نهمة الطامعين ، فلا كان بشر يستحسن انماء هذه الثروة .

وقد علمت انه لا يدخل في هذا الربا الذي لايشك فيه كما قال الامام أحمد شراء أسورة من الذهب بجنيهات تزيد عليها وزنا لأن هذه الزيادة في مقابلة صنعة الصانع وقد تكون قيمة الصنعة أعظم من قيمة مادة المصنوع فانه لانسيئة في هذا البيع بل ولاربا لامقابل له ليكون باطلا ولاضرر فيه على المشتري ولاظلم . ولا يدخل فيه أيضا من يعطي آخر مالا يستغله و يجعل له من كسبه حظا معينا لان مخالفة قواعد الفقهاء في جعل الحظ معينا قل الربح أو كثر لا يدخل في ذلك في الربا الجلي المركب المخرب للبيوت لان هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معا وذلك الربا ضار بواحد بلاذنب غير الاضطرار ونافع لآخر بلا عمل سوى القسوة والطمع . فلا يمكن ان يكون حكمهما في عدل الله واحدا بل لا يقول عادل ولا عاقل من البشر ان النافع يقاس على الضار و يكون حكمهما واحدا .

إن كان شراء ذلك الحليّ وهذا التعامل من الربا الخفي الذي يمكن إدخاله في عموم روايات الآحاد في بيع أحد النقدين بالآخر ونحو ذلك فهو محرم لسدّ الذرائع كما قال ابن القيم لا لذاته وهو من الربا المشكوك فيه لا من المنصوص عليه في القرآن الذي لا شك فيه فليس لنا ان نكفر منكر حرمته ونحكم بفسخ نكاحه ونحرم دفنه بين المسلمين.ليتأمل الذين لا يفرقون بين الربا المحرم في القرآن و بين غيره مقدار الحرج اذا حكموا بأن كل من اشترى حلية من

الذهب بنقد منه وحلية من الفضة بنقد منها وكان النقد غير مساو للحلي في الوزن فهو كافر ان استحل ذلك ومرتكب أكبر الكبائر محارب لله ولرسوله ان كان يفعله مع اعتقاد حرمته

ولو كان مثل ذلك من المنصوص الذي لاشك فيه لما وقع فيه خلاف وقد اختلف الصحابة والأئمة ومن بعدهم من الفقهاء في كثير من مسائل الربا ومن ذلك بيع الحلية فقد أوضح ابن القيم الحجة على جواز بيعها بجنسها من غير اشتراط المساواة في الوزن . ومما قال في ذلك ان ربا الفضل انما حرمه الله لسد الذريعة لا لذاته وما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة (راجع ص٢٠٣ من الجزء الأول من أعلام الموقعين)

وممن جوز من الصحابة والتابعين ربا الفضل مطلقا عبدالله بن عمر ولكن رووا عنه انه رجع عن ذلك وابن عباس واختلف في رجوعه وأسامة ابن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير واستدلوا بحديث الصحيحين المتقدم « إنما الربا في النسيئة » فلوكان ربا الفضل كربا النسيئة لم يقع هذا الخلاف بين الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين

والغرض مما تقدم كله ان نفهم فى تفسير القرآن ماحرم القرآن من الربا وتوعد عليه بأشد الوعيد وأن نفهم حكمته وانطباقه على مصلحة البشر وموافقته لرحمة الله تعالى بهم وكونه لاحرج فيه ولاضرر . وأماماورد في روايات الآحاد وماقاله العلماء والفقهاء مما ليس في القرآن فليس التفسير بموضع لبيانه وقد تقدم في كلام الاستاذ الامام وكلام حجة الاسلام وكلام العلامة ابن القيم نتف تشعر بحكمة بعضه وليطلب تعليل باقيه من كلام الاخيرين من شاء والله أعلم وأحكم



حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نصيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما يتنزل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ماتعرفه الشمس ان كانت ترى الاشياء كما تريها للناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفضي به الى من في سائر الارجاء . فالبرق الخافق مابين الخافقين، يفضي الى المغربين بأخبار المشرقين ، وينبيء المشرقين بأعمال المغربين ، فطرق العبرة معبّدة، ورواحل الهجرة مذللة ، وجنى العلوم والعرفان دان، تتناوله الأيدي من كل مكان ،

هذا التواصل في المكان، والتقارب في الزمان، لم يدع عذرا لشعب أو جنس من الناس، اذا لم يجار ويبار سائر الشعوب والأجناس، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان يقلدوا كباره الذين ينشؤن بينهم في كل مايرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أعوام معدودة، وعهدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمور تكون لهم مزايا مشهودة، فالتقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس الطبيعية، بهما يحفظ الانسان أحسن ماوجد، وبهما يبتدع مالم يجد، فهما الجناحان اللذان يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال، حتى يصلوا الى مااستعدوا له من الكمال

ارجع الطرف الى مارأيت من أحوال شعوب هذا العصر، وأصخ الاذن الى ماتسمع من أخبارهم في كل يوم، تعلم أن جميع الشعوب والاجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية التي أومأنا اليها آنفا ماعدا المسلمين فانهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير طبيعة البشر لكنها دونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين

ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد انقدّ من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب الا وهو الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

والمدنية، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع، ولك ان تستغني عن ذلك كله بأن تقول انهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا ومالا وحقوقا في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكلترا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الأوربية قرنا كاملا ؟ انه لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محررون لشيء من العلوم بل لم تسم هممهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف ألف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق حاكما. ولا يخافون فيه لائما، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقبتها تكاد تخرج أيضا بما يملك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم. ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنينا عن ذلك بما تسهب فيه آنا بعد آن، فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثنيي اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا فى العلم والحكم قد أمسوا وراء هذه الشعوب كلها فى العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسم هممهم لمسابقة من هم أكثر منهم عددا كالهندوس، ولم يخجلوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالمجوس،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لانفسهم والجميع من يعيش معهم · رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين، سمعت خطيبا منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه و بين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحدق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى انه اذا اختطف غراب عظما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فان الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعته يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه وملخصها ان مريدا له مات فحمل أهله الشيخ على احيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المريد فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله . فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجرأ على ذكر ما قيل في شكوى ملك لربه وما أجيب به

السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الاقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكثرون كل دعوة الى الاصلاح بالعلم الصحيح والتربية القويمة كما هاج أرباب العمائم في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «اخواننا الشيعة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وانهم ليبذلون في مولد الشيخ من النفقات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لوفى به

في الهند حركة اسلامية جديدة يرجى خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الاخرى في سعيهم وجدهم فماذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بينا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فمثار غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جهلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس الفرو مقلوبا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤساؤهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على رأسه ، أو ناسفة له من أساسه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤساؤهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين
قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لاتجد في الالوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد
من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي الحكمة دون مايعتقد
البرهان، أو يعترف به لانه منصوص في القرآن ،

لا نطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لها بما فعل المسلمون بأساسيها
الديني والدنيوي أو الروحاني والجثماني — أساس الاسلام الروحاني توحيد الله
تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت للتذكير بهذا الاصل
والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلتمس الانسان شيئاما الامن الله
تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن
يطلب الانسان شيئاً ما من غير سببه العام ، المبذول من مقام الرحمة والاحسان
لجميع الانام ، فان جهل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده لعله يهديه الى
سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذلل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين
قد صاروا أبعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى فى خلقه والاعتماد عليها دون
الاسباب الوهمية ، وما نحلوه لبعض الناس من السلطة الآلهية الغيبية ، وبهذا صار
غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل، وإن كانوا
هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الدنيوي جعل أمر المسلمين في حكومتهم شورى بينهم
لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع
الصحابه على ان الاسلام لاملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان
أحكامه شورى بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأي الذين
تحترمهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه
في الشؤون الدنيوية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان
خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الاساس في القسم الدنيوي من الاسلام
كالتوحيد فى القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد
وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفوض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لتدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لان نزعات الوثنية التى زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قد رضي به جميع المسلمين في بلاد لهم فيها سلطة الا ما لا يخلو عنه الزمان من أفراد ينكرون هذه السلطة بألسنتهم دون أن يؤلفوا جمعيات تقوضها . على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الايمان ،

للاسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاؤه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرة غير معدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمتى يرجو النجاة فى دينه من ترك الاصل الأول فجهل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن فى شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يرجو النجاة في دنياه من رضي بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدسا غير مسؤل أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢١:٢٣ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أورضي بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضروورة فهو كافر خالد فى النار كعباد الاصنام

طال الزمان على اهمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لسائر المسلمين في الاحكام الشرعيـة ومما امتاز به عند بعضهم انه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فانها تحرم على زوجها وتحل له !! وهذا كفر صريح

وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين فى الاناطول يعتقدون أن السلطان مخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحيته أخضر

أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فاذا نطقوا بالحق عمل سيف الباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى – دعوى أضعف الايمان – من يمدح المستبدين و يدهن لهم و يدافع عنهم ؟ هل يصدق بها من يعمل لهم و يقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟

هل يصدق بها من لم يبذل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً لتأليف جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهرا، وتقسرهم عليه بقوة الأمة قسرا ، فان الله تعالى ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكوّن من الامة الا لتكون بمأمن من المستبدين، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فماذا فعل هؤلاء العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) و بقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»

اذا ادَّعى هؤلاء العجز عن ذلك فماذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فماذا يمنعهم ان يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين باقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن (٤٢: ٣٨ وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم فى الجرائد فهل يخشون ان يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أيحسبون ان كتابتهم لا تفيد ولا تنفع ؟ كيف وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرابيش الذين لا قيمة لاقوالهم عند السواد الاعظم من المسلمين؟: ادعوه فأرضوه، أو خذوه فغلوه!!

لاشك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الاصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يتمنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أنهار الدماء طلبا للاصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة فى مصالح المسلمين ما تعوده علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدءوا بهذه النصيحة وعليهم ان يعجلوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بجعل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي جرين عليها فى كريت ومكدونية واذا تحقق ذلك — والعياذ بالله — فقد زالت سلطة المسلمين اذ لا يعقل أن يقضين على تركيا و يبقين على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم — وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم الا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين — وكان طول الامد على هذا الافساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي — وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال — وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة — وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض بإكراه حكامهم على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحية واحدا بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكما نشاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا — وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق — وكان الحق المجمع عليه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — إذا كان ما ذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك مادام فى القوس منزع — أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بعد أن يبينوا للعامة فى الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة فى الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

امل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تتهافت عليه الدولة العثمانية لان أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساويها — على انها لا تعرف الا النزر اليسير — وتحليها بالفضائل والفواضل المنتحلة التي ترى انها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به اليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الاخيرا

والحق الذي عرفناه بعد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجح بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونعوذ بالله من أواخره (والثانية داخلية) وهي مناصبة الدولة للعلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟ ما أظن ان الجاهل الغبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها

أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم كل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام): الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولأئمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فإلى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها فاننا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل انقاذ هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بارشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بخيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بخيت رسالة سماها (إزاحة الوهم والاشتباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما انتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار وردعليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهافت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال انه قد دافع عن نفسه وفند كلام المعترض عليه ولما أوغلنا في القراءة ترجح عندنا أنه هو نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرّم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوبا اليها واننا نبين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بخيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص٢٩) من رسالتيه « وانما نقلنا عبارة المعترض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها برودا من نسيج خيوطها » اه بنصه البليغ !!

أقول انني أعترف بأن في عبارة نقد المنار لرسالتيه يبوسة وأشرت الى السبب العامّ لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متألم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافرا واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذر ولم أجد في قاله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير » كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من النبز بالالقاب، ومجاوزة حدود الآداب، والتشدق بالفخر والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة الحقد (١) والحسد (٢) وملؤه نفثات النفثات (كذا) في العقد (٣) نستعيذ منه برب الفلق (٤) كما نستعيذ برب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بذي القوة والحول ، ونفوض أمرنا اليه ، ونتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعهما أو يسلبهما عمن يشاء (٦) ويبتليه ببغض العلم والعلماء (٧) فيختلق ما شاء ان يختلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا فيّ (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أجيب عما جاء في الخطاب، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بنصه النزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والنبز واللمز والعجب والفخر وانه ليس فيها وراء الشتائم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ، والترفع عن مجاراة المعترض عليه بالسباب ، «هذا وما فكيف لو »

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص٢٦) إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل ببيت (وكم من عائب) الخ ونقص منه لفظ (صحيحا) و(السقيم) نزاهة وتفننا في البديع ولا يتنزه عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص٢٩) : جرت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الغيظ حسدا على أن يخترعوا علينا الأباطيل: ثم ادعى انه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جنانه ، ولا يجري ذكره على لسانه ، قال : ولكن الحسد يعمي ويصم . وقال في (ص٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله : فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمنافق واستنبط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية ويا ليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال اللغويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بأن المسألة خلافية بين .... تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جرأة على الاحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص(٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراء انعامه ليسا مظنة (الخلافة) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ولم يذق للكلام طعما : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من النزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في انتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم　　قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم　　ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم　　لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فاننا نسامحه فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند رد ما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فياليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والنزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للعفو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ولو لم يلذ بالتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئين نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ الاختلاف في عد آي القرآن ﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهند في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ماترجمته

سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعيرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو باحاطتي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وانه عند مراجعة مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثلا لذلك في (را كواز) (*) فانهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها

أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا ومراكش و بلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي على توضيح أفكاري باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني رجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا بالصحة والعافية

صديقك المخلص

م . كريم بكاش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكماليات والتحسينيات من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبينا كان اخونا الهندي يفكر في مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيء رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

البرهان القويم
في
الحاجة الى عد آي القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (و بعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما ارغمت لفصاحتـه أنوف الفصحاء وخرت لمعانيـه سجدا أر باب المعاني وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصابيح الهـدى علماء الأمة الاسلامية فى كل عصر ان تلبس بخدمتـه تاج الشرف فأمضوا فى ذلك اعواما من آجالهم وانضوا في تحر ير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على التمام ثم اختفت تلك الاشـباح وعليها ذلك التاج الفاخر و بقيت تلك الكنوز الثمينة تذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ماقام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراآته وعدّ آياته وحصرها وعمل المعجات المتنوعة للاهتـداء به . ثم تلاهم فى الوجود ذلك الخلف فبرهن بجملته على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتهاج مسالك الآباء وتغذية النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلّت قيمة ماورثوه فى انظارهم ومقتوا المذاكرة في شأنه مقتا إلاّ بقية لا تزيد على عدّ الاصابع في هذا المجمع الحافل أردت أن أمدّ يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زمرتهم بعمل خدمة للقرآن الكريم وهي (دليل للاهتداء به) فأعددت للعمل عدتي وشمرت عن ساعد

الجد فسرت بالعمل شوطا بعيدا قاربت معه الوصول الى ماأرتضيه من الغاية ثم وقفت مفكرا في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدّ آيات السور في جميع المصاحف والتفاسير التى تتبادلها الايدي عدّا خاليا من المباينة والخلاف ولاجل تنبيه فكرة اخوانى من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها الى ماشاء الله ان أصل من الثقة بالنتيجة وعلى أثر الفراغ من ذلك دعتنى عوامل الاخلاص الى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدى بها لاصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقلام نموذجا من عملى فى تحقيق عدّ الآيات وبيان ماهو الأولى بالاختيار لتعميم العد بموجبه مؤملا من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده وتنقيحه بما تمس الحاجة اليه ثم المساعدة فى تنفيذ المقترح بالاشارة الى وجوب عد آيات المصاحف والتفاسير بالعدّ الذي يقر عليه الرأي ويشار اليه بالاختيار طلبا لتوحيده ومنعا من تعدد العدود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب الله الكريم في مشارق الارض ومغاربها والله الهادي الى سواء السبيل

***

-١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الاولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقره والاخيرة سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية رأس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة

-٢- كانت الحفظة من الصحابة تجيد مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد آيات كل سورة من سوره وعدد كل آية من سورتها وبذلك كان اذا قرأ القارئ منهم بعضا من سورة قدّر ماقرأه بما فيه من الآيات . وكان اذا أراد أحد ان يستفيد منهم مانزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا الى أول تلك الآيات بعددها الخاص بها والى الأخيرة منها كذلك ومما يشهد لهم بهذا أولا ماجاء فى الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الاشعر يين) وهو حديث عن علقمة قال فيه (كنا جلوسا مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال ياأبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشبان ان يقرؤا كما تقرأ؟ قال أما إنك لوشئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال أجل. قال اقرأ ياعلقمة. فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة وليس باقرئنا أما إنك ان شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ) والشاهد فيه تقدير علقمة ماقرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانيا ماجاء في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان.. الخ) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته ميمونة وقد كرره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا الموضع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن... الخ) وفيه الاشارة الى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الاخيرة. ومن قبيله ماينقله المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت أوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران... الخ) وكذلك ماذكره صاحب لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

**

-٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ماأسمعناك به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف وارسالها الى الامصار الاسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين تبث معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سوره وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم جُمع ماقيل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا فى مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان اثنين من تلك الاقوال الستة نقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح و يعرف أولهما بالمدني الاول وجملة الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . و يعرف الثاني بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة و يعرف بالمكي وفيه روايتان احداهما عن أبيّ بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير أبيّ بلا تعيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان و يعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦ وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن على كرم الله وجهه و يعرف بالكوفى وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري و يعرف بالبصري وجملة الآيات فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائليه فى ستة مواضع
المدني الاخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكى	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبيّ ممن عد الايات بمكة ولم يعين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجحة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصرى	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

-٤- مضت أجيال وأعوام وتلك المؤلفات في زوايا الاهمال كما أهملت أساليب

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالاشارة الى آياته بعددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم -٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع الى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فعدّت آيات السور أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عده باوروبا مستشرق الماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار الى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآننا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية مالم يحصل عليه أكثر المتعلمين من ابناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عد ٣٤ سورة ويختلفان في عد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبينت ان جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الالماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الاعداد المنقولة عن السلف ولاجل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتحقق أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف فى جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سوره وبعد الفراغ من ذلك راجعت ماوثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب امام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفى توحيد عد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت اليها

-٥- جاء اختلاف عد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي ان بعضهم اعتمد في عده من الفواصل مالم يعتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم مالم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الاول بالفواصل المتفق عليها والتي من

الصنف الثاني بالفواصل الخلافية وهذه الفواصل الخلافية نوعان نوع لم يرد عده الا في قول واحد من الستة والثانى جاء عده في قولين فأكثر وأسمي فواصل النوع الاول بالفواصل الافرادية وفواصل النوع الثاني بالفواصل المشتركه

-٦- في القرآن الكريم من الفواصل المتفق عليها ٦١٠١ ومن الفواصل الخلافية ٢٤٨ منها ٨١ فاصلة افرادية واليك جدولا فى تقسيم السور الى طوائف بحسب ما فيها من الفواصل الخلافية وجملة ما في كل طائفة من الفواصل المتفق عليها والمختلف فيها

جملة المتفق عليه	جملة المختلف فيه	عدد السور	نمره مسلسله	جنس الطائفة من السور
عدد	عدد	عدد	للطوائف	
١١٧٦	٠٠	٣٩	١	سور لاخلاف في فواصلها بين العادين
٨١٨	٢٢	٢٢	٢	« الخلاف فى فواصل كل منها في موضع واحد
١١٣٧	٤٠	٢٠	٣	« « « « « « « موضعين
٨٤٩	٣٦	١٢	٤	« « « « « « « ثلاثة مواضع
٥٧٤	٢٨	٧	٥	« « « « « « « أربعة مواضع
٣٩٤	٢٠	٤	٦	« « « « « « « خمسة «
٤٧٥	٣٥	٥	٧	« « « « « « « سبعة «
٠٨٠	٠٩	١	٨	« « « « « « « تسعة «
١٠١	١١	١	٩	« « « « « « « احدعشر موضعا
٢٨١	١٢	١	١٠	« « « « « « « اثنى عشر «
٩٠	١٤	١	١١	« « « « « « « أربعة عشر «
١٢٦	٢١	١	١٢	« « « « « « « احدوعشرين«
٦١٠١	٢٤٨	١١٤		

ولأجل معرفة جملة الآيات في كل قول من أقوال السلف ينبغي فرز الفواصل الخلافية التي جاء عدها في كل قول من تلك الأقوال على حدتها واضافة

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول · وباجراء الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

مدنى أول	مدنى أخير	مكى	شامي	كوفي	بصري	
عــدد	عــدد	عــدد	عــدد	عــدد	عــدد	
٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	فواصل متفق عليها
٣	٤	٠٥	١٨	٤٣	٨	جملة الفواصل الافرادية في كل قول من الخلافات
١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥	جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافيات
٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤	جملة الآيات فى كل قول
٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤	الوارد بالرواية في كتب الفواصل
٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ماحققناه وماجاءت به النقول عن المدنى الاول والمكى ومنشأ ذلك وجود خـلاف للمدنى الاول في ستة مواضع وورود اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأما في المكى فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهمال الراوين نسبة الاضطراب في المواضع المضطربة الى احدى الراويتين · (انظر الى قول الثالث من رقم —٣—

—٨— توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم —٧— بعمل تفصيلي مثله لكل سورة من السور التي جاء خـلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل و بعض التفاسير ولنأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها الخلافية سـبع) وقـد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها «(الم) عده الكوفي (الإنجيل) الأولى عده ماعدا الشامي ... الخ» ثم سردت الفواصل المتفق عليها · فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عملنا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول -ا-

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافيه	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	الۤمۤ	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الاولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تتبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى اثر مطابقة مايعطيه هذا البيان من جملة الآيات للمذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول -ب-

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المعدود فيه من الفواصل الخلافية الى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثقة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وثمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عده (فلوجل) فكانت النتيجة ماسأذكره والله المعين

-٩- قد علمنا مما ذكر برقم -٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ وبالتامل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة ووافقهم في عد ٦٠٩٤ فاصله ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم -٦) ١٤٥ موضعا وانفرد بعدّ خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عده (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا ووافقهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحدٌ من السلف وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨

واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المصحف العثماني	المصحف عد فلوجل	
عدد	عدد	
٦١٠١	٦١٠١	الفواصل المتفق عليها بين السلف
٧	٨٩	ماأهمله كل منهما من الفواصل المتفق عليها عند العد
٦٠٩٤	٦٠١٢	الباقي الذي عد في كل منهما من الفواصل المتفق عليها
١٤٥	١٠٨	ماعده كل منهما من الفواصل الخلافية
٥	١١٨	ماانفرد بعدّه كلاهما ولم يكن من الفواصل بل عد خطأ
٦٢٤٤	٦٢٣٨	جملة آيات القرآن في كل منهما

والنتائج المذكورة انما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة ممافيها خلاف على النسق الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب —٣— سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف العثماني عدد	المصحف عد فلوجل عدد	
١٩٧	١٩٧	الفواصل المتفق عليها بين السلف في السورة
١	١٢	ما أهمله كل منهما من تلك الفواصل عند العد خطأ
١٩٦	١٨٥	الباقي الذي عده كل منهما من الفواصل المتفق عليها
٣	١	ما عـــده » » » » المختلف فيها
١	١٤	ما انفرد كل منهما بعده ولم يكن من الفواصل بل عده خطأ
٢٠٠	٢٠٠	جملة آيات السورة في كل منهما

تفصيل لهذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنين) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي الم * الفرقان * الانجيل * —الثانية— أواخر الآيات ١ و٣ و٤٨ وأما ما انفرد بعده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للايمان)

وأما المصحف الذي عده فلوجل فالمواضع الاثنى عشر التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيعون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاد * وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رءوسها الارقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و٢٩ و٣٠ و ٣١ و٣٣ و٤٤ و١٢٢ و١٢٦ و١٤١ و١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان * آخر آية ٢ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الارقام الآتية وهي ١٨ و٣٣ و٦٨ و ٩١ و ٩٨ و١٤٥ و١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب . ومن اتبعني . المحراب . قائما . سبيلا . اخوانا . مما تحبون . للايمان . الطيب . شر لهم . النار . فآمنا . من بعض . الأنهار . قليلا

فانظر أعانني الله واياك وراجع هـذا التحري ان استطعت وسمحت لك الفرص ونبهني على ما تتبينه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخوى

* * *

—١٠— رأيتني أيها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ. ووجدتني بينت لك فيما تقدم (برقم —٣—) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبني بما أجيب به اذا سئلت عن تعيين ذلك العد وتحديده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن رأيي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عد من عدود السلف الستة للغرض الذي نتكلم في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي فى تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول — ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي نزل الوحي بها على غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والملقنين منهم في غيرها من البقاع

الثاني — ترجيح ما لم تضطرب الروايات فى عد مواضعه على غيره لان الاضطراب في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث — ترجيح ما قلّت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره لان الموضع الذي يأتي عده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجيء عده الا فى قول واحد

الرابع — ترجيح العد الذي يجزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بيّن

الخامس — ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب للشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف فى موضع معين من قول معين هو انقسام عادّى ذلك القول فى عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعدّه والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادّين أنفسهم وأما الاضطراب فانه يقع من الرواة فتأمل)

و بعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدنى الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تدبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أُجيب به ولك أيها القارىء الكريم الشأن فيما تتبين فيه الاولوية والارجحية لاني ماقلت الا ماوصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم البقعة التى نقل القول عن اهلها	عدد المواضع المضطربة	معدوداته الافرادية	جنس الرواية	مواضع الخلف	اعداد مسلسلة	اسم القول
المدينة المنورة	١	٣	١ مجزوم بها	٦	١	المدني الاول
« «	٠٠	٤	١ « «	٠٠	٢	« الاخير
مكة المكرمة	٤	٥	٢ لم يجزم بواحدة منهما	لم تتحدد	٣	المكي
بلاد الشام	١	١٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٤	الشامي
الكوفة	٠٠	٤٣	١ مجزوم بها	٠٠	٥	الكوفى
البصرة	٠٠	٠٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٦	البصري

ولست تجد في هذا الجدول عدا أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافرادية عن غيره مع التثبت فى روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم



-١١- ﴿ بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالارقام ﴾
﴿ ومن ألف في ذلك ﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة فى المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وان كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التى دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الحيران فى الكشف عن آيات القرآن)*(١) و (نجوم الفرقان فى أطراف القرآن)*(٢) و (مفتاح كنوز القرآن)*(٣) و (مرآة القرآن)*(٤) و (تحليل القرآن)*(٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها ولبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران — هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات فى سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها معدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان — يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات فى السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الارقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

---

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بألمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة بترسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشر يفاتي وهو خط بالكتبخانة الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانسا

غير معـدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالارقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالعثور على مطلوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن — وضع هذا المؤلف على شكل منتزع إما من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل بذكر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث بذكر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٦٢ - بقره - الله لا آله الا هو (الحي) القيوم» معناه ان كلمة (الحي) التي يسبقها (الله لا آله الا هو) و يلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا بغيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطته

تنبيه — اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعد موحد بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف. لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي و يزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا .. الخ

(٤) مرآة القرآن — يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعدد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة و يقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الالف) للاشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للاشارة الى وسطه وحرف (الراء) للاشارة الى آخره. وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان قصور تعميم الانتفاع به للكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية — أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فمنفعته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عـد (فلوجل) المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الثناء على واضعه الاجنبي عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأيناه في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستنيرين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا فى أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني وإلى معجم لغوى ينقسم إلى قسمين يذكر في الاول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الاغراض قبل زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آنفا أن أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عد موحد تعد به الآيات في المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الايدى أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم عد الآيات فى المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قبلنا ونُقل عنهم فى ذلك ستة أقوال ذكرناها برقم — ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهذيب دليلي لتبييضه ودعاني الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم وفى الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضع بالمطالعة من القراء الكرام ويشاركني في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيُمعن فيه نظره ويسرح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له ويشير بما يتراءى له قاصدا فى ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات ، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بعددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم فى التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفى الاتقان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآي للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قليل وليس بضارنا شيئا . وأيّ عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه فى هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانني لأراجع الآية بمفتاح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب فى عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف فى العدد والعمل بما يظهر انه أقرب للصواب هو استعداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تتقن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأيناه أول من ألف فى عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عد الآي وضبطها وعد أحاديث البخاري وعمل جدول لابوابه ولا غرو فقد كان والده ميالا لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلازال موفقا

﴿ المدرسة المحمدية بقزان (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني فى المدرسة المحمدية بقزان الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى

سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتي بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من تشرفي بمجالسكم لعذر يطول بيانه والعذر عند كرام الناس مقبول

أما بعد فياسيدي ! انّا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قزان مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير إخراج انتصاراً على من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، وترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقايسة اليه كذبهم وافتراءهم

المدرسة المحمدية أقسام ! الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والعالية .

ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفى الرشدية أربع ، وفي الاعدادية أربع أيضا ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضا

فالملتزم فى القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان -- وصحيح الاملاء -- وحسن الخط -- وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد -- والضروريات الدينية من الاعتقاديات والعبادات والمعاملات والاخلاق -- وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلاتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمرين القراءة العربية العثمانية ، ومن الحساب تمرين القواعد (الأربع) بعمليانها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقراءتها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضا . وتحسين الخط . وتخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظري والعملي (الطريقة

الحمدية) ، والادبيات العربية والعثمانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي، والتفسير (للجلالين) والحديث (للامام البخاري)، والهداية (في الفقه الحنفية)، ومن الطبيعيات الكيمياء. ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها

و يلتزم في القسم العالي: التفسير—والحديث—وفقه أبي حنيفة – والادبيات العربية. والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الحاضرة (كذا)، والتاريخ مع النقيد ، والجغرافيا مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداجوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)

هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لايدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والتفتازاني . وقولهم: ولا يدرس فيها غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالجان اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وابقوا (أو بقي) من لايهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقين مع ان طريق التعليم فيها وخيم (كما قالوا). وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق والتربية . وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الا عصبية للعوام وعلماء السوء . وقولهم : اما اساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، و يشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات، و يسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم .

فنرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام فى المنار وان لا تدنسوا وجه المنار بمثل هذه الاقوال السافلة والمختلقات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرعاع على الباطل ؟

والجواب : ان ناساً من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقروا بألسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقي والتمدن الحقيقي (كما يظنه أمثالهم من أهل الغرب) و يرون جل المسلمين فى روسيا متمسكين على

الدين ومعتمدين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء وتشتيت المدارس الحاضرة أيدي سبا ثم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والتشتيت واسطة كل ما يتيسر لهم من الاقوال والافعال . منها اغواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لا من جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والعلوم الدينية تبعاً وليحوَّل المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لانهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كا كثر أهل فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تندرس وتفنى بنفسها بعد ما تأسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة.

ونحن نقول : لاتمسوا مدارسنا الحاضرة ولنصلحها بالتدريج ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأسسوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها وليندرس المدارس بعدها بنفسها (على ما تزعمون)، ونحن لاننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس اليها ومع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الروسية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساسا لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من التأني ولا يستتم بالعجلة ولا نصدق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غايته

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنوف العالية فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدوهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فرقتين

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فعجزوا .

ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون للعلوم الدينية كما نهتم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس ما نسميها علوما دينية بل غيرها وهكذا . اه بنصه وفيه غلط قليل أشرنا الى بعضه ولعله لم يراجعه

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي روسيا في التعليم والتربية يهمنا جدا لما فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا الاستاذ كاتب الرسالة أدرى بتلك الحال . وماذكره من ترتيب التعليم في المدرسة المحمدية لا ينطبق على ما كتب الينا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد وحاجة الى الاصلاح و ياليته يتفضل فيرسل الينا نسخة من البروغرام لنبدي رأينا في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضاء الدين أفندي الشهير في إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء وإلقاء دلونا مع دلوه لولا أن مباحث هذه الرسالة حالت دون ذلك وفتحت لنا بابا جديدا من التروي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة انهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهر لنا انها اللغة التترية و يتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة الى اللغة الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية وهذا عبء ثقيل فاذا صديقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة الى تعلم لغة الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة الى اللغة الفارسية والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا انهم يقرأون معاملات الفقه فى كل قسم من الابتدائي الى العالي ولم يذكر مصطلح الحديث . وذكر من المنطق الشمسية فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ماذكره فى سبب انتقاد المدارس الاسلامية فإلصاقه ببعض المبتدئين من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ويهمنا ان نعرف مثار هذه الأفكار ، وكيف السبيل الى تلافيها ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود الى البحث فى ذلك

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عقب الايجاب، وعدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل الينا أحد العلماء في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم

وقعت عندنا مسئلة يظهر لفضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي الذي نقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب الامام الشافعي والله يديمكم و يتولاكم

رجل وقف وقفا مؤبدا على أولاده وهم أبناؤه الثلاثة و بنته وعلى زوجته وأخته بأنه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط لهذا الوقف شروطا منها ان يكون النظر لنفسه مادام حيا ثم من بعد موته يكون النظر لولده فلان ثم لاكبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو وجد ولكن فقد فيه الرشد فالنظر لمن شرط له بعده فان لم يبق أحد من المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي لم يشرط له النظر موجودا مثلا) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة الوقف كل شهر قدرا معينا في مقابلة نظره مادام حيا . ومنها ان يصرف من غلة الوقف على ما لابد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدرا معلوما لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي الغلة على الموقوف عليهم المذكورين للذكر مثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا ماتت أخت الواقف أوزوجته فسهم كل منهما يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الواقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائما وأبدا في ابناء أولاده ماتناسلوا للذكر مثل حظ الانثيين وليس لاولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكر مثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا كان ولد الابن فى درجة لايرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم فى الوقف وانما يتبرع له الناظر بجزء يسير ومقدار معين قليل لايزاد عليه . ومنها أنه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولدا صلبيا فانه ينتقل سهمه الى اخوته للذكر مثل حظ الانثيين فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصباته وهلم جرا حتى اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة فى جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون النظر لناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضا شروطا أخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فانه يسلم الكرى كل شهر قدر مايعين عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فإن لم يستوف الكرى من سهمه يطالبه به وان للناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها انه ليس لاحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ماحصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لاحاجة الى ذكرها الا شرطا واحدا هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء سماوي من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانيا فللناظر أن يقترض لأجل البناء فإن لم يقرض بضمانه فليبع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عوضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الواقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضائهم في ورقة التسليم ليستلموا مايستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول و بطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم المعينين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعلى هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يعيده وقفا واكراهنا على الامضاء مما لا فائدة فيه. فلم يسمع قول هذا القائل. وجرى الناظر الواقف بشروط الوقف وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر ويأخذ منهم امضاءهم على ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا فى البيت المعتد للسكنى وجعل يقطع من سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهمهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف فجعل يعطي سهم الاول لاخوته الموجودين للذكر مثل حظ الانثيين وجعل سهم الاخت فى أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان المذكور فجعل يحذو حذو والده فى اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقا لكون الوقف قد بطل بردهم كما علم فابى هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كلهم وليس لاحد في عين الموقوف حق ما

فأقام بعض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عند حاكم البلد الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقا بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر وباقي الموقوف عليهم كذلك تبعوا الاول فى الدعوى على الناظر المذكور

ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يقتضيه قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد ابطلوا حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم

هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب الامام الشافعي

أولا— هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا به من غير تراخ

ثانياً — هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود

ثالثاً — هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلتم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم

رابعاً — ان قلتم ببطلان الوقف بالرد فهل بطل كله أو بعضه فان قلتم بالثاني فماذا يبقى وقفاً

خامساً — ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم المنفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلى هذا فما معنى بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً — هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على المعينين فيحكم ببطلان هذا الوقف باسره ويجعله من تركة الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا اثم عليهم لان الناظر الموجود أبى ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقم الدعوى من أقامها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة في ملكه قهرا بغير الارث بعيد كما هو ظاهر وذكره الرملي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج أفتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة وهو تفويض بيع الموقوف الى الناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه لشمس الرملي ما نصه : (ولو وقف) شيئا (بشرط الخيار) له في الرجوع عنه أو في بيعه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل الوقف (على الصحيح) اه ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيعه بحال . واذا كان الوقف باطلا من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرملي في شرحه باشتراط القبول عقب الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فان تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر انه يصح مع النية اذا لم يترتب عليه التراخي كأن يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فورا انه قبله وأما الامضاء على أوراق تقسيم الغلة فهو ليس من القبول على الفور وان استلزم الرضا بالوقف مع القرينة

واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فان رد الأول بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمنهاج (التحفة) انه لا تأثير للرد بعد القبول كعكسه، فلو رجع الراد وقبل لم يستحق شيئا ولكنه قيده بحكم الحاكم على وجه وتعقبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم يعد له وقول الروياني يعود له ان رجع قبل حكم الحاكم به لغيره مردود كما بينه الاذرعي اه

واما جواب الرابع فهو انه اذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبراملسي على النهاية «فلو وقف على جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملا بتفريق الصفقة» أقول وفي القول بتفريق الصفقة مقال سيأتي على ان الاصل فيه ان يكون في البيع أو ماهو بمعناه كالصلح والوقف ليس كذلك اذ لا معاوضة فيه. ويترتب على تفريق الصفقة هنا ان يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر. فاذا قيل ببطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب والعدل معا

واما جواب الخامس فهو ان ما بطل وقفه يكون ملكا للواقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو ان من أقام الدعوى لابطال الوقف لاعتقاده انه باطل في نفسه لاشتماله على الشرط الفاسد فلا إثم عليه لانه توسل بذلك الى إعطاء كل ذي حق حقه وكذلك اذا اعتقد بطلانه برد البعض ترجيحا للقول الثاني في تفريق الصفقة فالأصل في المذهب أن صحة الوقف تتوقف على الايجاب والقبول على الفور وان رد جميع الموقوف عليهم يبطله لانه يكون منقطع الاول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفقة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المنهاج انه الاظهر أي من قولي الشافعي ولكن قال الرملي في شرحه «ومقابل الاظهر البطلان في الجميع تغليبا للحرام على الحلال قال

الربيع واليه رجع الشافعي آخرا» ثم رد الرملي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لا في الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في تفريق الصفقة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل

وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة و بعضها وقف على من قبل فنى لا قدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظر وترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال ان لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما يؤول اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود له وانما يجيء بالتبع وهو الاقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر الدائمة لاجل منفعته العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستفتى فيها القلب والله أعلم

﴿ التقريظ من باب الآثار العلمية الادبية ﴾

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأدواء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يغتال في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجماع الاطباء ينتقل بالعدوى ولا أعون لعدواه وفتكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك سعادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأنواعه وكيفيات معالجته بالهواء والرياضة والعقاقير والادوية وختمه بالكلام في زواج المسلولين . وعندي انه ينبغي لكل قارئ وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارئ وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بالفجالة ومن مكتبة المنار وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ١٥ مليما

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لمؤلفه وهي قصة تاريخية عصريه تمثل للقارئ كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القسوة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية مايرغب كل قارئ في الاطلاع عليه ولكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما تراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، وثمنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى سن الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لانها ركن من أركان الصحة وركن من أركان اللذة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم مايهم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون انه يمكن وقايتها فهل للقارئين منهم ان يقرءوا كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بنصيحته

﴿نيل المراد . في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد﴾ هذه القصائد أشهر مامدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكا لناظميها في المدح وبيان السيرة النبوية والشمائل القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة نجله الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

﴿ المجلة العثمانية ﴾ مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي كل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

﴿الأقلام﴾ مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طنوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد العصرية



باب الأخبار والآراء

نادي المدارس العليا — مثال لطفولية الامة

نبهنا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الامة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة، وهي لاتزال في طور الطفولية، بما تقلد فيه الشواب والكهول من الامم الحية ، ومما تلحزت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فما قام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكاتبون، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المال الى أربابه ، قبل ان يخرج الامر من اهابه، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم ، والداعون أنهض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الا أمثالهم بالفعل أو بالقوة.

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر. وقد دارت المناظرة في هذا الاخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم ! !

قرأنا وسمعنا كثيرا من المقالات التي كتبت والمباحثات التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عاما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي : قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لانارأينا التيار مندفعا الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من موادّ قانون النادي حظر الخمر والميسر على أهله فيه وإن قرن ذلك بحظر المباحثات الدينية والسياسية . ولكننا لم نلبث أن رأينا ان مجلس ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصرّ على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا اذ صار النادي شراً من بيوت اللهو المعروفة بالقهاوي والبير (البير كهالل والبارات مواضع شرب البيرا وغيرها من الخمور) لأن هذه البيوت لايحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها. ومما زاد في أسفنا وغمنا تعليلهم إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لايصبرون عنها وما نتوقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يعدونهم أرقى الامة علما وأدبا يأتون في ناديهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعا فما كان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بينا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملا لنا على كتابة هذا الفصل، وانه لقول فصل وماهو بالهزل ،

قالت مجلة المجلات في فاتحة كلامها : «اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأننا نذكرها بهجين جذلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ماعتم أن بات أخيراً نار هدى ونعني بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منذ اعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدرا كاملا يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء فتسرّ به النواظر ،وتقرله الخواطر ،وانا لانريد اليوم ان نشرح للقارئين تفاصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيدا لماسنورده من الكلام عن الناشئة العصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر

«لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ،أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سويداء وادي النيل رجالاً أكفاء لكل عمل مجيد وان سماء مصر يستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقال انها «إحدى كبريات المسائل» وذكر

ناديا أنشىء وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل «وقد أيدت الناشئة العصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يعده الكثيرون حجة مسلمة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكسال لاحياة أدبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد اتفقوا على ان لايتفقوا واتحدوا على ان لا يتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شباننا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جعلته هباء منثورا وأثرا بعد عين

«ولقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شباننا حتى صح ان يقال فيهم ما قلناه اليوم . سؤال لانرى جوابا عليه أبلغ من القول ليقصد كل امرىء نادي المدارس العليا ليشاهد بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ القلوب غبطة وسرورا . ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق (سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة عنه غالب صفحات هذا العدد . ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شبان في مقتبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لايقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشئتنا برهنت على أنها قوة عظمى تحطم فى سبيل ارادتها كل عقبة كؤود ، وتدوس بقدمها الشوك الذي يعترض وصولها الى زاهي الورود ،»

ثم أفاض فى الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكر ما كان من مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الامير له اذ جعل ولي عهده مشتركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

« ومسك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامغة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا ينقصنا للقيام بكبير الأعمال الا الارادة وطرح الضعف جانبا فمتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله مانشتهيه من طيب الآمال بمنه وكرمه » اه

الله أكبر . ماهذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير ، وفخمته

هذا التفخيم ، وجملته البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذللت بهما نابتتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فعرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سمتها ، فان لم تكن سمتها فقد ساوتها ، أكان هذا النادي فتحا مبينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه الهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذلا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فما ملأ منشئوها مواضغهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقدرا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد نتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيد لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب يوجه كاتبه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشيء بعدا كتتاب المكتتبين واشتراك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يعرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم ببعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارته . والبعض الآخر بوجود أصحاب معهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أستلفت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلافي ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتكم نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مماتقدم اننانتقد من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله

(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار العلوم) كمدرسة المعلمين الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمص للعلوم العربية ومامن متخرج فى مدرسة من المدارس العليا الاهو تلميذ للاساتذة المتخرجين فى دار العلوم وان قوما يغمصون لغتهم وأساتذتها لا يرجى للامة خير فى اجتماعهم بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد الاجتماع فى الاندية تقريب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية المحترمة وعلماء الازهر فى مقدمتهم ولا محال هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد فى مجموعهم عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب من مجموع المتخرجين فى المدارس العليا فوجودهم فى النادي مزيد كمال فى آدابه

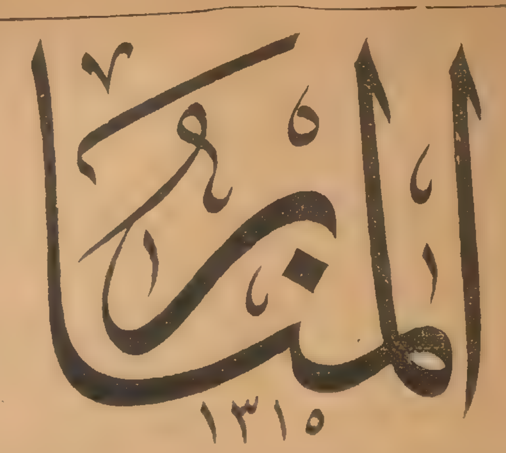
(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في الطعن بالأديان وكل ما يلقي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أومقاومة المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) اباحة الخمر بعدمنعها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات المؤذن بقلة الثبات ، — فهذه الامور كلها من دلائل طفو ليتنا فى الحياة الاجتماعية ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا نحترم مزاياهم الفاضلة ونرجى ثباتهم ومن هؤلاء نرجو تلافي كل خلل والاستعانة على ذلك بنقد الناقدين ، وإطراء المادحين ، وانا لانريد بهذا الا النصح والاصلاح والله الموفق والمعين

(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التى نوهت بها الجرائد فى وقتها وقد ضاق هذا الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى منها مقالة من أميل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتقاريظ متعددة وموعدنا الجزء السادس



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كنار الطريق

﴿ مصر — جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ — أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٨٢) يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب، وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل، واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله؛ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح

الا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ،ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ،واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم (٢٨٢) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهن مقبوضة ،فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ،ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، والله بما تعملون عليم *

ذكر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في وجوه الاتصال بين هاتين الآيتين وماقبلهما صفوة ماقال المفسرون موضحا ونذكر صفوة ماقاله كذلك : الكلام فى الأموال بدأ بالترغيب في الصدقات والانفاق في سبيل الله وذلك محض الرحمة وثنى بالنهي عن الربا الذي هو محض القساوة ثم جاء بأحكام الدين والتجارة والرهن: أقول وهي محض العدالة فقد أمرنا ببذل المال حيث ينبغي البذل وهو الصدقة والانفاق في سبيله و بتركه حيث ينبغي الترك وهو الربا و بتأخيره حيث ينبغي التأخير وهو إنظار المعسر وبحفظه حيث ينبغي الحفظ وهو كتابة الدين والاشهاد عليه وعلى غيره من المعاوضات وأخذ الرهن اذا لم يتيسر الاستيثاق بالكتابة والاشهاد. ذلك بأن من يضيع ماله باهمال المحافظة عليه لا يكون محمودا عند الناس ولا مأجورا عند الله كما قال الحسن عليه الرضوان في المغبون بالبيع.

قال الاستاذ الامام ولما كانت سلطة صاحب الربا قد زالت بتحريمه ولم يبق له الا رأس المال وقد أمر بإنظار المعسر فيه وكان لا بد لحفظه من كتابته اذ ربما يخشى ضياعه بالإنظار الى الاجل — جاء بعد أحكام الربا بأحكام الدين ويقول بعض المفسرين وله الحق انه تقدم في الآيات طلب الانفاق والتصدق ثم حكم الربا الذي يناقض الصدقة ثم جاء هنا بما يحفظ المال الحلال لأن الذي يؤمر بالانفاق والصدقة وبترك الربا لابد له من كسب ينمي ماله ويحفظه من الضياع ليتسنى له القيام بالانفاق في سبيل الله ولا يضطر بالفاقة الى الوقوع فيما حرم الله. وهذا يدل على أن المال ليس مذموما لذاته في دين الله ولا مبغضا عنده تعالى على الاطلاق

كيف وقد شرع لنا الكسب الحلال وهدانا الى حفظ المال وعدم تضييعه والى اختيار الطرق النافعة فى انفاقه بأن نستعمل عقولنا في تعرفها ونوجه ارادتنا الى العمل بخير ما نعرفه منها . ففي آية الدين بعد ما تقدم احتراس أو استدراك يزيل ماعساه يتوهم من الكلام السابق وهو ان المبالغة في الترغيب فى الانفاق في سبيل الله والتشديد في تحريم الربا يدلان على ان جمع المال وحفظه مذموم على الاطلاق كما هو ظاهر نصوص بعض الأديان السابقة. فكأنه يقول إنا لا نأمركم باضاعة المال وإهماله ، ولا بترك استثماره واستغلاله ، انما نأمركم بأن تكسبوه من طرق الحل ، وتنفقوا منه في طرق الخير والبر ، أقول، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى فى سورة النساء (٤:٥ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الذي جعل الله لكم قياما) أي تقوم وتثبت بها منافعكم ومصالحكم وحديث « نعما المال الصالح للمرء الصالح » رواه أحمد والطبراني في الكبير والاوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح وإنما المذموم في الشرع ان يكون الانسان عبدا للمال ، يبخل به ويجمعه من الحرام والحلال ، كما ورد فى حديث أبي هريرة عند البخاري « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم » الحديث ولولا ان إزالة هذا الوهم مقصود لما جاءت آية الدين بما جاءت به من المبالغة والتأكيد في كتابة الدين والاشهاد عليه مع ما يعهد في أسلوب القرآن من الايجاز لاسيما فى الأحكام العملية وقد عد القفال هذه التأكيدات في الآية فبلغت تسعة أقول وفي الآية الاولى خمسة عشر أمرا ونهيا

وذكر الرازي وجها آخر للاتصال في النظم عزاه الى قوم من المفسرين « قالوا ان المراد بالمداينة السلم فالله سبحانه لما منع الربا في الآية المتقدمة اذن فى السلم في جميع هذه الآية مع ان جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلم ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يوصل اليها بالطريق الحرام الاوضع الله سبحانه وتعالى لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا مشروعا » اه وأقول إن الفرق بين الربا القطعي المحرم فى القرآن و بين السلم ان الربح في السلم ليس من شأنه ان يكون أضعافا مضاعفة كربا النسيئة ولولا ذلك لم يظهر لتحريم الربا مع إباحة السلم فائدة إذ ليس في أمور المكاسب والمعايش تعبد لا يعقل . وإذ قد

فهمت وجه اتصال الآيتين بما قبلهما فهاك تفسيرهما وفيهما عدة أحكام

١ - ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه﴾ تداينتم داين بعضكم بعضا وهو يأتي بمعنى تعاملتم بالدين وبمعنى تجازيتم ولما قال بدين تعين المعنى بالنص القطعي والمراد بالدين المال الذي يكون في الذمة لا المصدر. وقد حمل المداينة بعضهم على السلف (السلم) وروي عن ابن عباس فقد أخرج البخاري وغيره عنه انه قال أشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى ان الله قد أحله وقرأ هذه الآية. وبعضهم على القرض وضعفه الرازي بأن القرض لا يمكن أن يشترط فيه الاجل ومافي الآية قد اشترط فيه الأجل وقوله هذا هو الضعيف وقال الجهور ان الدين عام يشمل القرض والسلم وبيع الأعيان الى أجل وهو الصواب والأجل الوقت المضروب لانتهاء شيء والمسمى المعين بالتسمية كشهر وسنة مثلا. بعد ان أمر بالكتابة اجمالا بين كيفيتها ومن يتولاها فقال

٢ - ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ أي ليكن فيكم كاتب للديون عادل في كتابته يساوي بين المتعاملين لا يميل الى أحدهما فيجعل له من الحق ماليس له ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه شيئا وقال الاستاذ الامام ان قوله تعالى (فاكتبوه) أمر عام للمتعاملين وفيهم الامي الذي لا يكتب ولذلك احتيج الى هذه الجملة: وقد ذكروا ان العدل في الكاتب يستلزم العلم بشروط المعاملات التي تحفظ الحقوق لان الكاتب الجاهل قد يترك بعض الشروط أو يزيد فيها أو يبهم في الكتابة بجهله فيلتبس بذلك الحق بالباطل ويضيع حق أحد المتعاملين كما يضيع بتعمد الترك أو الزيادة أو الابهام اذا لم يكن عادلا وافقهم الاستاذ الامام على ذلك أقول وقد يغني عن أخذ ذلك بطريق اللزوم قوله

٣ - ﴿ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله﴾ فان تعليم الله اياه ليس خاصا بصناعة الكتابة بل هو يعم ماوفقه له من علم الاحكام والفقه فيها. فالكتابة لا تكون ضمانا تاما الا اذا كان الكاتب عالما بما يجب علمه في ذلك من الاحكام الشرعية والشروط المرعية والاصطلاحات العرفية، وكان عادلا مستقيما لا غرض له الا بيان الحق كما هو من غير محاباة ولا مراعاة. وانما قدم صفة العدالة على صفة العلم بذلك لأن من كان

عدلا يسهل عليه ان يتعلم ما ينبغي لكتابة الوثائق لان العدالة تهديه الى ذلك ومن كان عالما غير عدل فان العلم بذلك لا يهديه الى العدالة. قلما يقع فساد من عدل ناقص العلم وانما أكثر الفساد من العلماء الفاقدين لملكة العدالة.

وقال الاستاذ الامام ان كاتب العقود والوثائق بمنزلة المحكمة الفاصلة بين الناس وليس كل من يخط بالقلم اهلا لذلك وانما أهله من يصح ان يكون قاضي العدل والانصاف. وقال ان ما ذكر في وصف الكاتب ارشاد من الله تعالى لتلك الأمة الأمية الى نظام معروف وهو ان يكون كاتب الديون عادلا عارفا بالحقوق والاحكام فيها حتى لا يقع التنازع بعد ذلك فيما يكتبه، وارشاد للمسلمين الى انه ينبغي ان يكون فيهم هذا الصنف من الكتاب فهذه قاعدة شرعية لايجاد المقتدرين على كتابة العقود وهو ما يسمونه اليوم العقود الرسمية و يتحتم ذلك على القول بأن الكتابة واجبة. قال وفيه أيضا أن الكاتب ينبغي ان يكون غير المتعاقدين وان كان يحسنان الكتابة لئلا يغالط أحدهما الآخر او يغشه وكأن هذا أمر حتم وعليه العمل الآن فان للعقود الرسمية كتابا يختصون بها. أقول وفي قوله (ولا يأب كاتب) الخ دليل على ان العالم بما فيه مصلحة الناس يجب عليه اذا دعي الى القيام بها ان يجيب الدعوة ولذلك لم يكتف بالنهي عن الاباء عن الكتابة بل أمر بها أمرا صريحا فقال ﴿ فليكتب ﴾ وهذا ظاهر لا سيما على قول من قال من أهل الاصول ان النهي عن الشيء ليس أمرا بضده. وقال الاستاذ الامام انه تأكيد لان الموضوع غريب في نظر الأميين الذين خوطبوا به أولا

٤ - ﴿ وليملل الذي عليه الحق ﴾ أي وليلق على الكاتب ما يكتبه من عليه الحق من المتعاملين ليكون إملاله حجة عليه تبينها الكتابة وتحفظها. والإملال والاملاء واحد يقال أملّ على الكاتب وأملى عليه اذا ألقى عليه ما يكتبه والأصل فيه اللام. ﴿ وليتق الله ربه ﴾ في إملاله بأن يبين الحق الذي عليه كاملا ﴿ ولا يبخس منه شيئا ﴾ أي لا ينقص منه شيئا مّا وان قلّ. أمر الذي عليه الحق بتقوى الله في املاله على الكاتب وذكر بأن الله ربه الذي غذاه بنعمه وسخر له قلب الدائن فبذل له ماله ليحمله بالتذكير بجلال الذات الالهية وهو

من قبيل الترهيب وبجمال نعم الربوبية وهو من قبيل الترغيب على شكر الله بالاستقامة وشكر الدائن بالاعتراف بحقه على وجه الكمال لأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس كما ورد في الحديث ثم نهاه بعد هذا الأمر المؤكد ان يبخس من الحق شيئا لان الانسان عرضة للطمع فربما يستخفه طمعه الى نقص شيء من الحق أو الابهام في الاقرار الذي يملى على الكاتب تمهيدا للمحاولة والمماطلة ونحو ذلك . فهذا التأكيد بالنهي بعد الامر لمقاومة هذا الأمر

٥ — ﴿ فان كان الذي عليه الحق سفيها أوضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ﴾ ذكر الذي عليه الحق مظهراً في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان كما قالوا وفسر السفيه بضعيف الرأي أي من لا يحسن التصرف في المال لضعف عقله واختاره الاستاذ الامام وقيل هو العاجز الاحمق وقيل الجاهل بالاملال وقال الامام الشافعي هو المبذر لماله المفسد لدينه وهو بمعنى الاول . والضعيف الصبي والشيخ الهرم . ومن لا يستطيع الاملال هو الجاهل والالكن والأخرس. وولي الانسان من يتولى أموره ويقوم بها عنه وقد اكتفي في أمر الولي بالعدل كالكاتب ولم يؤمر وليه بمثل ما أمر ونهي به من عليه الحق لان من يبيع دينه بدنيا غيره قليل بالنسبة الى من يبيع دينه بدنيا نفسه

٦ — ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ أي اطلبوا أن يشهد على ذلك رجلان ممن حضر ذلك منكم أو أشهدوهما على ذلك فالشهيد من شهد الشيء وحضره بامعان كما يؤخذ من صيغة المبالغة واستشهده سأله ان يشهد أي ان يكون شاهدا بذلك عند الحاجة اليه . و يطلق الشهيد على الأمين فى الشهادة كما في القاموس ولعل الوصف منتزع من صيغة المبالغة ولكن حمل هذا التفسير على الشهيد اسما لله تعالى ولادليل على التخصيص . والسياق يدل مع الصيغة على أن وصف الكمال معتبر فيمن يستشهد كما اعتبر مثله في الكاتب والولي . ومابيناه فى معنى الشهيد يرد قول القائلين ان المراد بالشهيدين من سيكونان شاهدين بذلك الحق من باب مجاز الأول . وقوله من رجالكم والخطاب للمؤمنين يدل على انهم لا يستشهدون من لم يكن منهم . وكون استشهاد غيرهم ليس مشروعا لهم أوليس جائزا عملا

بمفهوم الصفة لا يعدّ نصا على ان شهادته اذا هو شهد لا تصح أولا تدل على شيء
ولكن العلماء اتفقوا على شروط في الشهادة الشرعية منها الاسلام والعدالة لهذه الآية
ولقوله (٢:٦٥ واشهدوا ذوي عدل منكم) وجعلوا قوله تعالى في آية الوصية
(١٠٦:٥ اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) خاصا بمثل تلك الواقعة .
وأولها بعضهم بغير ذلك كما يأتي في محله . ولا أحفظ عن الاستاذ الامام شيئا في
المسألة . وقد حقق العلامة ابن القيم ان البينة في الشرع أعم من الشهادة فكل ما
يتبين به الحق بينة كالقرائن القطعية ويمكن ان تدخل شهادة غير المسلم في البينة
بهذا المعنى الذي استدل عليه بالكتاب والسنة واللغة اذا تبين الحاكم بها الحق

٧و٨ – ﴿ فان لم يكونا ﴾ أي من تستشهدونهما (رجلين) وجعل المفسرون الضمير
للشاهدين بحسب الارادة والقصد ﴿ فرجل وامرأتان ﴾ يستشهدان أو فليستشهد
رجل وامرأتان . وتقديرنا أولى من تقدير الجمهور الاشهاد وانما وافقوا اصطلاح
الفقهاء واتبعنا نظم القرآن ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ قالوا أي ممن ترضون
دينهم وعدالتهم حال كونهم من الشهداء . وانما وصف الرجل مع المرأتين بهذ
الوصف لضعف شهادة النساء وقلة ثقة الناس بها ولذلك وكل الامر فيه الى رض
المستشهدين ثم بين علة جعل المرأتين بمنزلة رجل واحد بقوله عزوجل ﴿ أن تضلّ
احداهما فتذكر احداهما الاخرى ﴾ أي حذران تضلّ احداهما أي تخطىء لعدم
ضبطها وقلة عنايتها فتذكر كل منهما الأخرى بما كان فتكون شهادتها متممة
لشهادتها . أي ان كلا منهما عرضة للخطاء والضلال أي الضياع وعدم الاهتداء
الى ما كان وقع بالضبط فاحتيج الى اقامة الثنتين مقام الرجل الواحد لأنهما
بتذكير كل منهما للاخرى تقومان مقام الرجل . ولهذا أعاد لفظ احداهما مظهرا
وليس المعنى لئلا تنسى واحدة فتذكرها الثانية كما فهم كثير من المفسرين . وقال
بعضهم (وهو الحسين بن علي المغربي) معناه أن تضل احدى الشهادتين عن
احدى المرأتين فتذكرها بها المرأة الاخرى فجعل احدى الاولى للشهادة والثانية
للمرأة وأيده الطبرسي بأن نسيان الشهادة لا يسمى ضلالا لان الضلال معناه الضياع
والمرأة لا تضيع واستدل على التفرقة بين الضلال والنسيان بقوله تعالى (ضلوا عنا)

ومثله (لا يضل ربي ولا ينسى) وكأن الاستاذ الامام أقره عند ما ذكره ورده بعضهم بما فيه من التفكيك و بأن تفسير الضلال بالنسيان مروي عن سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما ونقله ابن الاثير لغة . أقول وما ذكرته يغني عن هذا. وذكر الالوسي في وجه العدول عن قوله (فتذكرها) الى قوله (فتذكر احداهما الاخرى) أنه رأى في طراز المجالس ان الخفاجي سأل قاضي القضاة شهاب الدين الغزنوي عن سر تكرار احدى معرضا بما ذكره المغربي فقال

يارأس أهل العلوم السادة البرره ومن نداه على كل الورى نشره
ماسرّ تكرار (احدى) دون (تذكرها) في آية لذوي الاشهاد في البقره
وظاهر الحال ايجاز الضمير على تكرار (احداهما) لوانه ذكره
وحمل الاحدى على نفس الشهادة في أولاهما ليس مرضيا لدى المهره
فغص بفكرك لاستخراج جوهره من بحر علمك ثم ابعث لنا درره

فأجاب القاضي

يامن فوائده بالعلم منتشره ومن فضائله بالكون مشتهره
يامن تفرد في كشف العلوم لقد وافى سؤالك والأسرار مستتره
«تضل احداهما» فالقول محتمل كليهما فهي للاظهار مفتقره
ولو أتى بضمير كان مقتضيا تعيين واحدة للحكم معتبره
ومن رددتم عليه الحلّ فهو كما أشرتم ليس مرضيا لمن سبره
هذا الذي سمح الذهن الكليل به والله أعلم في الفحوى بما ذكره

وقد علل بعضهم كون النساء عرضة للضلال أو النسيان بأنهن ناقصات عقل ودين وعلله بعضهم بكثرة الرطوبة في أمزجتهن وقال الاستاذ الامام تكلم المفسرون في هذا وجعلوا سببه المزاج فقالوا ان مزاج المرأة يعتريه البرد فيتبعه النسيان وهذا غير متحقق والسبب الصحيح أن المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات فلذلك تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل يعني ان من طبع البشر ذكرانا واناثا ان يقوى تذكرهم للأمور التي

نهيهم ويكثر اشتغالهم بها . ولا ينافي ذلك اشتغال بعض نساء الاجانب في هذا العصر بالاعمال المالية فانه قليل لا يعول عليه والاحكام العامة انما تناط بالاكثر في الاشياء وبالاصل فيها

وقال الاستاذ الامام: ان الله تعالى جعل شهادة المرأتين شهادة واحدة فاذا تركت احداهما شيئا من الشهادة كأن نسيته أوضل عنها تذكرها الاخرى وتتم شهادتها وللقاضي بل عليه ان يسأل احداهما بحضور الأخرى ويعتمد بجزء الشهادة من احداهما وباقيها من الاخرى قال هذا هو الواجب وان كان القضاة لا يعملون به جهلا منهم . واما الرجال فلا يجوز له ان يعاملهم بذلك بل عليه أن يفرق بينهم فان قصر أحد الشاهدين أو نسي فليس للآخر أن يذكره واذا ترك شيئا تكون الشهادة باطلة يعني اذا ترك شيئا مما يبين الحق فكانت شهادته وحده غير كافية لبيانه فانها لا يعتد بها ولا بشهادة الآخر وحدها وان بينت

٩ - ﴿ ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ﴾ الى تحمل الشهادة كما روي عن الربيع انها نزلت حين كان الرجل يطوف في القوم الكثير فيدعوهم الى الشهادة فلا يجيبه أحد فالشهداء على هذا مجاز وربما قواه ما يأتي من النهي عن كتمان الشهادة ، أو الى أداء الشهادة وهو الظاهر الذي لا تجوز فيه وقال بعضهم بالاطلاق الشامل للتحمل والاداء وعزاه الاستاذ الامام الى الجمهور واختاره . وظاهر النهي ان الامتناع عن الشهادة تحملا وأداء محرم وأن الاجابة واجبة وقد صرح من قال بذلك بأنه فرض كفاية لا يجب على من دعي اليه الا اذا لم يوجد غيره يقوم به

١٠ - ﴿ ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ﴾ أي لا تملوا وتضجروا أو لا تكسلوا من كتابة الدين أو الحق سواء كان صغيرا أو كبيرا مبينا ثبوته في الذمة الى أجله المسمى . قال الاستاذ الامام وهذا دليل على أن الكتابة يعمل بها وانها من الأدلة التي تعتبر عند استيفاء شرطها : أقول وهو دليل أيضاً على أن الكتابة واجبة في القليل والكثير ولذلك قدم ذكر الصغير الذي يتهاون فيه الناس لعدم مبالاتهم بضياعه ومن لا يحرص على الصغير والقليل ان يضيع فقلما يتقن حفظ الكبير والكثير ففي الآية ارشاد الى عدم التهاون بشيء من الحقوق ان يذهب

سدى وهي قاعدة عظيمة من قواعد الاقتصاد والعمل بها آية الكياسة والعقل
وكم من حريص على الدرهم والدانق يجود بالدنانير والبدر

ثم قال تعالى ﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا ﴾ الخطاب للمؤمنين والاشارة الى جميع ما ذكر من الاحكام لا لواحد منها وتلك سنة القرآن في بيان حكمة الحكم وعلة الامر والنهي بعد ذكرهما . وقيل ان الاشارة للاشهاد وقيل للكتاب أي الكتابة لانه الاقرب في الذكر وعزاه الاستاذ الامام الى الجمهور وقال انه من دلائل العمل بالكتابة . ومعنى كونه أقسط عند الله أنه أعدل في حكمه أي أحرى باقامة العدل بين المتعاملين . ومعنى كونه أقوم للشهادة أنه أعون على اقامتها على وجهها قال الاستاذ الامام: وفي هذا دليل على ان للشاهد ان يطلب وثيقة العقد المكتوب ليتذكر ما كان على وجهه: وقد يقال ان كون المشار اليه أقوم للشهادة دليل على ان المراد به الكتابة التي تعين على الشهادة فتكون الاشارة الى الكتابة حتما . ويجاب عنه بأن ماذكر من أحكام الشهادة مما يعين على اقامتها على وجهها أيضاً وكذلك ما ذكر من أحكام الاملاء فالمختار عندي ان الاشارة الى جميع ما ذكر كما تقدم . وقوله (وأدنى أن لا ترتابوا) معناه وأقرب الى انتفاء ارتياب بعضكم ببعض فان هذا الاحتياط في كتابة الحقوق والاشهاد عليها وتقوى الله والعدل من المتعاملين والكتاب والشهداء يمنع كل ريبة وكل مايترتب على الارتياب من المفاسد والعداوات والمخاصمات . وقال ابن جرير المراد انتفاء الريب في الشهادة وقال غيره في جنس الدين وقدره وأجله ونحو ذلك والاول هو ماتبادر الى فهمنا ولعله الصواب ان شاء الله . قال الاستاذ الامام وهذه مزية ثالثة للكتابة تؤكد القول بالاخذ بها والاعتماد عليها وجعلها مذكرة للشهود والاحتجاج بها اذا استوفيت شروطها

١١ — ﴿ الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها ﴾ قرأ عاصم (تجارة) بالنصب والباقون بالضم والاعراب ظاهر على الحالين والاستثناء من الكتابة وهو المختار وقيل الاشهاد وقيلهما والمعنى ان ذلك مطلوب أو واجب الا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة أو الا ان توجد تجارة

حاضرة تدار بين المتعاملين بالتعاطي بأن يأخذ المشتري المبيع والبائع الثمن فلا حرج في ترك كتابتها ولا أثم اذ لا يترتب عليه شيء من الارتياب الذي يجر الى التنازع والتخاصم وما وراء ذلك من المفاسد. أقول وفي نفي الجناح اشارة الى أن كتابة ذلك أولى وهو ارشاد الى استحباب ضبط الانسان لماله وإحصائه لما يرد عليه وما يصدر عنه وذلك من الكمال المدني ومن أسباب ارتقاء أمور الكسب ولم يجعل هذا حتما لانه مما يشق على غير المرتقين في المدنية والترخيص فيه دليل على وجوب كتابة الديون المؤجلة كما هو ظاهر ما تقدم

١٢ - ﴿ وأشهدوا اذا تبايعتم ﴾ قيل معناه هذا التبايع المذكور هنا وهو التجارة الحاضرة وقيل مطلقا واختار الاستاذ الامام الأول قال لأن البيع بالكالئ يستلزم الدين وهو الذي أمر بكتابته والاستشهاد عليه والاشهاد لازم لما يحصل من المجاحدين في بعض العقود الحاضرة بعد العقد من التنازع والخلاف: وكأنه يعني ان من شأن هذه المجاحدة ان تحصل عن قريب ولذلك اكتفي بالاشهاد لتلافي ما عساه يقع منها واما الديون المؤجلة فربما يقع التنازع فيها بعد موت الشهود لانها مما يطول زمنها لاسيما اذا كان الاجل بعيدا فلهذا وجبت كتابتها وشرع الاحتجاج عليها بالكتابة

١٣ — ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ لفظ يضار يحتمل البناء للفاعل وللمفعول ويروى ان بعض الصحابة قد قرأوا بفك الادغام فعمر وابن عباس على الاول وابن مسعود على الثاني ولعل ذلك كان تفسيراً لا قراءة والمعنى على الاول نهي الكاتب والشهيد أن يضرا أحد المتعاملين بعدم الاجابة أو بالتحريف والتغيير ونحو ذلك . ومعنى الثاني نهي المتعاملين عن ضر الكاتب أو الشهيد بأن يدعيا الى ذلك وهما مشغولان بمهم لهما فيكلفان تركه . وروى ابن جرير ما يؤيد هذا وهو أن الرجل كان يجيء الكاتب فيقول اكتب لي فيعتذر بعذره ويدل على غيره فلا يقبل منه ويقال له انك قد أمرت ان تكتب فيلزم بذلك ويضار فنزلت وهذه الرواية لا تصلح سببا الا اذا كان نزول هذا النهي متراخيا عن نزول الامر بالكتابة وهما في آية واحدة نزلت دفعة واحدة . وأقوى منها في تأييده ما قد اشترط في

الكاتب والشهداء من الشروط التي تستلزم نفي المضارة فبقي أن يؤمر المتعاملون بعدم مضارة الكتاب والشهداء بإلزامهم بترك منافعهم لاجل الكتابة والشهادة أو بتحميلهم المشقة في ذلك بلاعوض . فالمتبادر من النهي انه عن مضارة المتعاملين للكاتب والشهيد ، واذا قيل بأنها ترشد الى اعطائهما أجرة مايحملان من الكلفة لم يكن ببعيد ، ومقتضى مذهب الشافعية في جواز استعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه انه يجوز أن يراد بيضارّ البناء للفاعل وللمفعول معاً لانه من قبيل الأول . واستعمل يضار الدال على المشاركة للاشارة الى أن ضرر الانسان لغيره ضرر لنفسه والله أعلم . ﴿ وان تفعلوا ﴾ ما نهيتم عنه من ضرار الكاتب والشهيد ﴿ فانه فسوق بكم ﴾ أي فان هذا الفعل خروج بكم عن حدود طاعة الله تعالى الى معصيته وأشير بقوله « وان » الى أن مثل هذا الفعل الذي يتحقق به الفسق لايكاد يقع من المخاطبين وهم الذين آمنوا لان من شأن الايمان أن يمنع منه .

ثم ختم الآية بالموعظة العامة التي تعين النفس على الامتثال في جميع الاعمال وذلك قوله عزوجل ﴿ واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم فانكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك وهو سبحانه العليم بكل شيء فاذا شرع شيئا فانما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن اتبع شرعه . وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير ، وقوة التأثير ، وقال البيضاوي : كرر لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه أدخل في التعظيم من الكناية : وهذا مبني على أن الثانية جملة مستأنفة وقيل هي جملة حالية

قال الاستاذ الامام : اشتهر على ألسنة المدعين للتصوف في معنى هاتين الجملتين (واتقوا الله و يعلمكم الله) أن التقوى تكون سببا للعلم وبنوا على ذلك أن سلوك طريقتهم وما يأتونه فيها من الرياضة وتلاوة الاوراد والاحزاب تثمر لهم العلوم الالهية وعلم النفس وغير ذلك من العلوم بدون تعلم . وهذا الزعم فتح للجاهلين

الذين يلبسون لباس الصلاح دعوى العلم بالله وفهم القرآن والحديث ومعرفة أسرار الشريعة من غير ان يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئا والعامة تسلم لهم بهذه الدعوى وتصدق قولهم ان الله هو الذي تولى تعليمهم ويسمون علمهم هذا بالعلم اللدني . ورد استدلالهم بالآية على ذلك من وجهين أحدهما انه لا يرضى به سيبويه وله الحق فى ذلك لأن عطف (يعلمكم) على (اتقوا الله) ينافي ان يكون جزاء له ومرتبا عليه لأن العطف يقتضي المغايرة ولو قال (يعلمكم) بالجزم لكان مفيدا لما قالوه وكذلك لو كان العطف بالفاء أو اتصل بالفعل لام التعليل . والثاني أن قولهم هذا عبارة عن جعل المسبب سببا والفرع أصلا والنتيجة مقدمة فان المعروف المعقول أن العلم هو الذي يثمر التقوى فلا تقوى بلا علم فالعلم هو الاصل الاول، وعليه المعول . و بعد أن اطال بعض الاطالة في بيان تأثير العلم في الارادة بتوجيهها الى العمل الصالح وصرفها عن العمل القبيح — وتلك هي التقوى — قال انا لا ننكر العلم الذي يسمونه لدنيًّا وانما ننكر أن يكون غاية لذلك الطريق الجائر الذي يشترط فيه الجهل ونقول إن العلم بالله تعالى والعلم بالشرع والعمل به مع الاخلاص قد يصرف العالم العامل المخلص الى الله تعالى حتى يكون كالمنفصل بقلبه وروحه عن العالم الطبيعي وقد يحصل له عند ذلك اشراف على مالا يشرف عليه غيره يعني من أسرار الحكمة الالهية والتحقق ببعض المعارف الغيبية فيعلم مما قصه الله علينا من خبر الآخرة والملائكة مالا يعلمه كل ناظر في معاني الالفاظ والاساليب في الكتاب وأين هذا مما يدعيه أعوان الجهل وأعداء العلم

وأقول إنهم يستدلون على زعمهم ذلك بآية أخرى توهم بعض من كتب فى التفسير انها بمعنى ماقالوه هنا وهي قوله تعالى (٨:٢٩ ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم) الآية وهو غلط . فسر بعض أهل الأثر الفرقان هنا بالمخرج فالشرطية عنده كالشرطية فى قوله تعالى في سورة الطلاق (٦٥:٢ ومن يتق الله يجعل له مخرجا) و بعضهم بالنجاة و بعضهم بالنصر قال ابن جرير وكل ذلك متقارب المعنى وان اختلفت العبارات: وهو كما قال فان الآية فى سورة الانفال ومعظمها يتعلق بحال المسلمين قبل وقعة بدر وكانوا في ضيق شديد كان الخروج منه بانجائهم من عدوهم ونصرهم عليه

وما نصروا على قلتهم الا بتقوى الله التي جمعت كلمتهم وقوت عزيمتهم . والتقوى تكون سبب الفرقان والمخرج في كل شيء بحسبه لانها عبارة عن اتقاء أسباب الضرر والخذلان في النفس وفي الخارج ولذلك يفسر المخرج في آية سورة الطلاق وهي في مقام الانفاق على النساء بما لا يفسر به في سورة الانفال وهي في مقام المدافعة والقتال لحماية الدعوة وأهلها .

هذا وان الفرقان في اللغة هو الصبح الذي يفرق بين الليل والنهار ويسمى القرآن فرقاناً لأنه كالصبح يفرق بين الحق والباطل وتقوى الله تعالى في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس فهي تفيده علماً خاصاً لم يكن ليهتدي اليه لولاها . وهذا العلم هو غير العلم الذي يتوقف على التلقين كالشرع أصوله وفروعه وهو مالا تتحقق التقوى بدونه لأنها عبارة عن العمل فعلا وتركا بعلم فالعلم الذي هو أصل التقوى وسببها لا يكون الا بالتعلم كما ورد في الحديث العلم بالتعلم (١)

والعلم الذي هو فرعها وثمرتها هو ما تفطن له النفس من الرسوخ في العلم الأول بالعمل به فان العلم يكون في النفس مجملا مبهما حتى يعمل به فاذا عمل به صار مفصلا جلياً راسخاً تتبين به الدقائق والخفايا و بذلك تفطن نفس العامل الى مسائل أخرى تطلبها بالتجربة والبحث حتى تصل اليها كما يعرف كل واقف على ترقي العلوم الطبيعية في الأنفس والاشياء وهو المشار اليه بحديث «ومن تعلم فعمل علمه الله مالم يعلم» رواه أبو الشيخ عن ابن عباس وحديث «من عمل بما عمل ورثه الله علم مالم يعلم» رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس . واذا علمت

(١) جزم البخاري بتعليقه وروي عن غير واحد من الصحابة من عدة طرق رواه الدارقطني في الافراد والعلل والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة . والعسكري من حديث أنس والطبراني في الكبير من حديث معاوية قال الحافظ ابن حجر اسناد حديث معاوية حسن لأن فيه مبهما اعتضد بمجيئه من وجه آخر . والبيهقي في المدخل والعسكري في الامثال من حديث ابن مسعود والطبراني والدارقطني من حديث أبي الدرداء .

أن التقوى عمل يتوقف على العلم وأن هذا العلم لا بد أن يؤخذ بالتعليم والتلقي وأن العمل بالعلم من أسباب المزيد فيه وخروجه من مضيق الابهام والاجمال الى فضاء الجلاء والتفصيل فهمت بالمراد بالفرقان على عمومه وعلمت أن أدعياء التصوف الجاهلين لاحظ لهم من ذلك العلم الاول ولا من هذه التقوى التي هي أثره ولا من هذا العلم الاخير الذي هو أثر العلم والتقوى جميعاً فبينهم و بين العلم اللدني مرحلتان بعيدتان العلم الذي يؤخذ بالتلقي والتقوى بالعمل به

١٤ — ﴿ وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف (بضمتين) والباقون فرهان كحبال وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون . وليس تعليق مشروعية أخذ الرهن بالسفر وعدم وجود كاتب يكتب وثيقة بالدين لاشتراطهما معا وانما المراد بيان الرخصة في ترك الكتابة لعذر وكون الرهن يقوم مقام الكتابة في الاستيثاق عند عدم تيسرها كما يكون في حال السفر والا فقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه في المدينة ليهودي رواه الشيخان وقد خالف الجمهور في هذا مجاهد والضحاك . وأقول ان في جعل عدم وجدان الكاتب مقيدا بحال السفر اشارة الى أنه ليس من شأن مواطن الاقامة ان تكون خلوا من الكتاب والكتابة مفروضة على المؤمنين والايمان لا يتحقق الا بالاذعان والعمل وناهيك بالفريضة اذا أكدت كالكتابة حينئذ يقطع بأن المؤمنين لا بد أن يأتوها ، بل لا يفرض أن يخالفوها وأن لا يوجد الكتاب عندهم الا حيث يمكن أن يكونوا معذورين كما يكون في السفر . وهذا مفهوم من العبارة بالاشارة وهو من أدق أساليب البلاغة .

١٥ — ﴿ فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وليتق الله ربه ﴾ قيد الضحاك جواز الائتمان بالسفر ومنعه في الاقامة حيث يجب الاستيثاق بالكتاب والاشهاد وهو ضعيف ، وزعم بعضهم ان هذا ناسخ لما ذكر في الآية السابقة من الامر بهما وهو ضعيف أيضاً فان الآيتين نزلتا معا في أحكام الاموال فلا يعقل نسخ حكم فيهما قد أكد بأشد المؤكدات بحكم آخر ذكر معلقا بأداة الشرط التي لا تقتضي الوقوع وهي (ان) وعندي ان المؤتمن عليه ههنا عام يشمل الوديعة وغيرها فالمعنى ان اتفق أن أحدا منكم ائتمن آخر على شيء فعلى المؤتمن ان

يؤدي الامانة الى من ائتمنه وليتق الله ربه فلا يتخون من الامانة شيئاً به لاحجة عليه بها ولا شهيد فان الله ربه خير الشاهدين فهو أولى بأن يتقى ويطاع

١٦ - ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴾ النهي عن كتمان الشهادة بعد النهي عن إباء تحملها على أحد الوجوه في قوله « ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا » تأكيد كتأكيد أمر الكاتب بأن يكتب بعد نهيه عن الاباء فقد أمر الله الكتاب والشهود بأن يعينوا الناس على حفظ أموالهم وحرم عليهم ان يقصروا فى ذلك كما حرم على أرباب الاموال أن يضاروهم فلا بد من الجمع بين مصلحة الجميع ولما كان الذي يدرك الوقائع التي شهد بها ويعيها هو القلب وهو لب الانسان وآلة عقله وشعوره كان كتمان الشهادة عبارة عن حبس ذلك فيه ولذلك جعله هو الآثم أي هو موضع الاثم في هذا الكتمان وحده والا فهو مصدر كل اثم. وهذا يدفع مايزعمه الجاهلون من ان الاثم لا يكون الا بعمل الجوارح وحركات الاعضاء الظاهرة. وما قال تعالى (١٧:٣٦ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) الالان للفؤاد أي القلب أو النفس أعمالا خاصة به وأعمالا يزعج الجوارح اليها فأضيف اليه ماهو خاص به وأسند الباقي الى مظهره من السمع والبصر فى هذه الآية ومن الايدي والارجل في نصوص أخرى . ومن آثام القلب سوء القصد وفساد النية وهي شر الذنوب والآثام . ودلت الآية على ان الانسان يؤاخذ على ترك المعروف كما يؤاخذ على فعل المنكر لان الترك في الحقيقة فعل للنفس يعبر عنه بالكتم والكتمان فى مثل الشهادة و بالكف في غيرها ولكل مقام مقال فكل ذلك يعد فى الحقيقة فعلا وعملا ولذلك قال ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ وفي هذا من الوعيد مامر بيان مثله

هذا وان الاحكام في الآيتين على كونها أظهر من الشمس معنى وعلة وحكمة قد وقع فيهما خلاف أشرنا الى بعضه وقد بسط الاستاذ الامام القول في مسألة وجوب كتابة الدين ولم يكد يزد على ماقال المفسرون في غير ذلك من مواقع الخلاف شيئاً فلا بد من بيان ما اختلف وتحقيق الحق فيه على النسق الذي أورده في الدرس مع بيان رأيه رحمه الله تعالى

ذهب الجمهور الى أن الأمر بكتابة الدين للندب واستدلوا بثلاثة أمور أحدها قوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته » فانه أجاز ذلك باقرارهم عليه وهو يستلزم عدم الكتابة والاستشهاد . والثاني كون المسلمين لم يلتزموا الكتابة والاستشهاد في العصر الأول ولا فيما بعده بل كانوا يأتونه تارة ويتركونه تارة ولو فهموا انه واجب لالتزموه أقول : وجعل الرازي هذا الترك من المسلمين في جميع ديار الاسلام إجماعا وما هو من الاجماع في شيء : والثالث ان في الكتابة حرجا وهو منفي بالنص

وذهب أقوام الى أن الأمر للوجوب وبه قال عطاء والشعبي وابن جرير في تفسيره وهو الاصل في الأمر وقد تتابعت الأوامر في الآية وتأكدت حتى في حال السفه والضعف والعجز فقد أمر وليّ من عليه الحق من هؤلاء بأن يملي عنه للكاتب ولم يعفهم من الكتابة ومثل هذا التأكيد لا يكون في غير الواجب ويؤيده التعليل بكون ذلك أقسط عند الله الخ قالوا أما قوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا » الخ فهو محمول على حال الضرورة كالاوقات التي لا يوجد فيها كاتب ولا شهود فاذا احتاج امرؤ الى الاقتراض من أخيه في مثل هذه الحال فان الله تعالى لا يحرم عليه قضاء حاجته وسد خلته اذا هو ائتمنه أقول وتقدم لنا ان الآية في الأمانة على الإطلاق فاذا دخل في عمومها ما ذكر من الائتمان على الثمن عند فقد الكاتب فلا يجعل دليلا على ترك الواجب — وهو الكتابة — في كل حال وقال ابن جرير بعد أن بين الرخصة في اقامة الرهن مقام الكتابة عند فقد الكاتب: لو وجب ان يكون قوله « وان كنتم على سفر » الخ ناسخا قوله « اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الخ . لوجب ان يكون قوله « وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » ناسخا للوضوء بالماء في الحضر والسفر : الخ

قالوا وما دعوى تعامل أهل الصدر الأول وغيرهم من المسلمين بغير كتابة ولا اشهاد فهي على إطلاقها باطلة فانه لم يؤثر عن الصحابة الذين يحتج بمعاملاتهم ولا عن التابعين شيء صحيح يؤيد هذه الدعوى، وإنما اغتر هؤلاء القائلون من الفقهاء بعدم وجوب

الكتابة والاشهاد بمعاملات أهل عصرهم فجملوا ذلك عاما ولم يرووا عن الصحابة فيه شيئا صحيحا واقعا بالفعل . واما قولهم ان في ذلك ضيقا وحرجا فجوابه ان هذا الضيق والحرج في بادي الرأي هو عين السهولة والسعة واليسر في حقيقة الأمر فان التعامل الذي لا يكتب ولا يستشهد عليه يترتب عليه مفاسد كثيرة منها ما يكون عن عمد اذا كان أحد المتداينين ضعيف الامانة فيدعي بعد طول الزمن خلاف الواقع ومنها ما يكون عن خطإ ونسيان فاذا ارتاب المتعاملان واختلفا ولا شيء يرجع اليه في إزلة الريبة ورفع الخلاف من كتابة أو شهود أساء كل منهما الظن بالآخر ولم يسهل عليه الرجوع عن اعتقاده الى قول خصمه فلج في خصامه وعدائه وكان وراء ذلك من شرور المنازعات ما يرهقهما عسرا و يرميها بأشد الحرج وربما ارتكبا في ذلك محارم كثيرة

هكذا أوضح الاستاذ الامام رأي القائلين بأن هذا الأوامر للوجوب وهو المختار عنده ومما قال في رد قولهم ان هذا من الحرج المرفوع : كيف يكون هذا حرجا وهو مما لا يقع الا قليلا لبعض المكلفين ولا يكون الوضوء حرجا وهو مما يجب على كل مكلف كل يوم يصلي فيه خمس مرات فما كل ما يتكرر يكون حرجا: يعني انه لا حرج في هذا ولا ذاك كما سيأتي عنه وأقول ليس المراد بالحرج والعسر المنفيين بالنص أنه لا مشقة ولا كلفة في شيء من التكاليف الشرعية بل المراد أنه لا شيء منها للإعنات وتجشيم المشاق والايقاع في العسر والحرج وانما لكل حكم منها فائدة أو فوائد ترفع الحرج والعسر و يصلح بها أمر الناس في أنفسهم وفي شؤونهم الاجتماعية فهي كسائر الاعمال التي عرف الناس فوائدها بالضرورة أو الاختبار والاستدلال فهم يعملونها وإن كان فيها مشقة ما طلبا لفوائدها التي هي أرجح وأجدر بالايثار ثم ان وراء هذه المصلحة الخاصة في كتابة الدين مصلحة عامة وهي جعل المسلمين أمة كتاب ونظام والاسلام بدأ بالعرب وهي أمة أمية وقد امتن عليها بالرسول الذي علمها الكتاب والحكمة ففرض كتابة الدين عليهم هو من وسائل اخراجهم من الأمية

وقال الاستاذ الامام هبوا أن هذه الأوامر المؤكدة للندب فهل ينبغي ان

يترك المسلمون جملة ماندب اليه كتاب الله بحجة أن فيه حرجا أو بغير ذلك من الحجج حتى صار من تراه من المسلمين يعنى بكتابة ديونه ، فإنما يفعل ذلك لضعف ثقته بمدينه ، لاعملا بهداية دينه ، ألاان الحرج في هذا كالحرج في تحريم جميع أنواع الشرك والمعاصى فكما لا يجوز ان تكون مشركا بنوع مامن أنواع الشرك ، لايجوز أن تفرط في شيء من الحق . والحق الذي لامراء فيه انه لاشيء من الحرج في الكتابة فان البلد قديكفيه كاتب واحدللديون المؤجلة وقدرخص الله لنا في ترك كتابة التجارة الحاضرة . والحاصل ان ظاهر الآية وأسلوبها وطريقة تأديتها تدل على أن الأمر فيها للوجوب وان كان الجمهور على خلافه

(قال) وقد اختلف الفقهاء بعدهذا بالعمل بالخط ونحمدالله ان كان المفتى به هو العمل بالخط إذ لو كان المفتى هو خلاف ما أمر به القرآن لكان المصاب عظيما واستدل القائلون بعدم العمل بالخط بأنه يحتمل فيه التزوير وزعموا ان فائدة الكتابة التذكار فقط كما أن الأمر بالاشهاد لأجل التذكار ومنشأ الشبهة في هذا قوله تعالى في المرأتين «ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى» والصواب ان كلا من الكتابة والاستشهاد قدشرع للاستيثاق بين الدائن والمدين لالأجل التذكر بعدالنسيان والكتابة أقوى من الشهادة فيه وهي عون للشهادة فهي آلة الاستيثاق للمتعاملين فالدائن يستوثق بماله فيأمن من إنكاره كله أو بعضه والمدين يستوثق بما عليه فلا يخاف ان يزاد فيه والشاهد يستوثق بشهادته فاذا شك أو نسي رجع الى الكتاب فتذكر واطمأن قلبه ولذلك قال تعالى « ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ان لاترتابوا » ونفع الكتابة الاكبر يكون بعد موت الشهيدين أو أحدهما فلا يصح في هذه الحال ان تضيع الحقوق ولا حافظ لها حينئذ الا الكتابة يرجع اليها فيعمل بها

قال واحتجاجهم على ان الشهادة هي الاصل فى إثبات الحقوق وأن الكتابة ليست الا مذكرة بها بأن الخط يحتمل فيه التزوير منقوض بأن احتمال وقوع التزوير في الشهادة أشد بل حصوله فيها بالفعل أكثر حتى ان النسبة بينهما تكاد تكون كنسبة الخمسة الى الالف . ثم ان في الشهادة احتمالات أخرى تسقطها عن مرتبة

الكتابة كالنسيان والذهول . ومن محاسن الاجوبة في هذا المقام ماوقع لاحد القضاة في الوجه القبلي (الصعيد) اذ جاءه مدع يطالب آخر بدين له كتب في صك وختم بخاتم المدعى عليه فقال القاضي للمدعي ان هذا الصك لايعمل به لأن الختم ليس ببينة فلا بد من الشهود . قال المدعي من قال بهذا ؟ قال القاضي الامام أبو حنيفة . قال المدعي هل عندك شهود سمعت منه ذلك؟ فبهت القاضي قال الاستاذ فالاشياء البديهية يلهم حكمها كل الناس: أقول يعني بالناس أصحاب الفطرة السليمة ولا غرو فالاسلام دين الفطرة ولا يفسد الفطرة شيء كالتقليد

أقول ومما اختلفوا فيه من أحكام الآية شهادة الارقاء فالظاهر دخولهم في عموم « رجالكم » وبذلك قال شريح وعثمان البتي وأحمد وإسحق بن راهويه وأبو ثور وذهب الجمهور الى عدم جواز شهادتهم لما يلحقهم من نقص الرق ولأن الخطاب في الآية للمتعاملين بالاموال وهم ليسوا من أربابها . وأنت ترى ان الدليلين ضعيفان أما الاول فان الله تعالى اشترط في الشاهدين العدالة لا الحرية والرق لاينافي العدالة . وأما الثاني فالخطاب للمؤمنين عامة يقول من يتداين منكم فعليهم كذا من الكتابة والاشهاد . والكتاب والشهداء لا يلزم أن يكونوا من أرباب الاموال . ولو صح هذا لوجب أن يشترط في الكاتب لوثيقة الدين أن يكون حراً ولم يقل بذلك أحد منهم . وقال الشعبي والنخعي تصح شهادة العبد فى القليل دون الكثير وهو تحكم لايقوم عليه دليل

واختلفوا أيضا فى الاشهاد على البيع هل هو واجب أم مندوب . ظاهر الامر به أنه واجب كما تقدم وروي ذلك عن أبي موسى الاشعري وعمر وبه قال الضحاك وعطاء وسعيد بن المسيب وجابر بن زيد ومجاهد وداود بن علي الظاهري واختاره ابن جرير .

هدي السلف الصالحين • في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكرهم في هذا الجزء ببعض مايروى عن علماء السلف في ذلك

جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيهم وقال في أوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وان أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع بالقهر فليس لآحاد الرعية مع السلاطين فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المحذور أكثر. وأما التخشين في القول كقوله: ياظالم يامن لايخاف الله: وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لايخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لاتأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٢)

ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الاحياء روايات أخرى

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله. وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام » اه ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله انه ليس لآحاد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالقهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الامة أشدّ بالاتحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة. وسنعود في فرصة أخرى الى التفصيل في هذه المسألة. فاننا انما نقصد الآن الى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الامراء والسلاطين تذكيرا للعلماء وكشفا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الامة عزيزة قوية والدين راسخا معمولا به

ندع مما أورده الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لئلا يقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وان من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آمنا عقوبته ليقينه بعدله ودينه ونذكر شيئا مما أورده عن بعدهم قال

« وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ماحاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

بابك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف »

أقول هذا نصح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معلن للاستبداد في الاسلام حتى قال على المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : واين ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته ألا انهم احق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون ؛ قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل الى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك ياوليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت الي رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه . فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له ياعمر ان الامر جد فجد . ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي

« ويروى عن ابن أبي عائشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد اليَّ اليَّ ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضٌّ على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكتا قال ماعسيت أن أقول قل اخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم) فعليّ ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول ابن عم رسول الله وختنه على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس ان يحظرها عليه ولا ان يحول بينه و بينها وأقول ان كانت لعلي هناة فالله حسيبه ، والله ماأجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني ياعامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانًا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت أن سئلت فصدقت أو سكتّ فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم مافيها . قال الحسن فذاك اعظم فى الحجة عليك وأشدّ في التبعة .

« قال و بعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قال ماحملك على هذا ؟ قال ماأخذ الله على العلماء من المواثيق « ليبيننه للناس ولا يكتمونه » قال ياحسن أمسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في العبرة والفرق بين علماء الدين الذين لايخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون الى الامراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال «روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسًا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني و بين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني و بينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قال سعيد فقلت في نفسي لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد فى كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينتقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ و برّ فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ماحملناه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افترّ الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عبادَ الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرساً و بغلا وأكلف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدوّ الله غزا في الفساطيط الهبابة (أي العالية المشرعة) وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاوياً راجلا : فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالساً

(١) لعل المسجد كان لايزال مفروشاً بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم أنه يتكلم بمثله في الوعظ و بيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالامانة (٢) كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك وقولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوماً يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد

قال الغزالي بعد ايراد هذا الاثر : فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك ياأرحم الراحمين . اه

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فان المسلمين اليوم على خطر وأمراؤهم وملوكهم لايذكرون مع ملوك بني أمية وامرائهم حتى الحجاج فأولئك قد فتحوا الممالك وهؤلاء أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ماعدا جعل أمر المسلمين شورى بينهم فانهم جعلوه ملكا قوامه العصبية وهؤلاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من جهلهم وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يوشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل مافعلا ليعلم هل تدفع مجاملته للحسن شيئاً من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث رواه العسكري وابن المبارك والخرائطي بهذا اللفظ عن ابن عباس ورواه غيرهم بألفاظ أخرى .

كانوا يعدلون فى الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطتهم وهؤلاء يظلمون فى كل شيء ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يغلظ لهم وينفر الناس من أصل سلطتهم ويغيظ أشدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أحوج لآن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فريضة النصيحة مادام فى القوس منزع وفي السلطة الاسلامية رمق . 　　(للآثار بقية)

التعصب وأوربا والاسلام

للكلام دول تحالف دول الحقائق تارة وتخالفها تارة ، ورب خلاف يجر الى حلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قد يتهم الخلي بالعشق حتى تجعله التهمة عاشقا، وقد ينكر الكذوب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، ومنبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الغلو فى التعصب عشر معشار ماوقع من أهل أوربا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادة المسلمين أو ماوقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ماوقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربا مثار بركان التعصب الديني فى الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت فى أعداد السنة الاولى

لما رجعت دول أوربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ماحدده لها تعصبها عالمة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار ، مالم نستفد من الانتصار ، ومازالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفرق والانفصام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبطت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والدنيوي وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا . وان انكلترا وهي أحسنهن استعماراً وأقربهن الى اللين والعدل لم تبلغ بعض شأو الخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الامويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمن شرهم أن يقع على المخالف لهم الا بغل أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماعهم والغشاوة على أبصارهم ولكن انزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يعد تعصباً !! لماذا ؟ لأنها تقول: انهم متعصبون للدين وإننا غير متعصبين له ، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين ، الغربيون غير متعصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية ، المسلمون متعصبون النصارى غير متعصبين ، التعصب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية ، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فالإنسانية على خطر ، ما يأخذه الصليب من الهلال لا يعود اليه وما يأخذه الهلال من الصليب يجب ان يسترد منه ، :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطلعين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فاعتقدوا ان أوربا متعصبة عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم الملي من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وربما كانت تجابهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة و يدعون الى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو ما سنبينه في هذا المقال

يخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حيناً من الدهر ثم لا تلبث السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قال في هذه الايام وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهدة على ترجمة الجرائد - ان روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قال كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أتته السياسة الانكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير ان يبين عذر الحكومة في ارتكاب

ذلك المنكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها الركبان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء

عهدي بصوت المعتذر في مقام الدفاع ان يكون خافتا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع، قد كان أشد من دوي المدافع، خشعت له في المجلس الابصار، وخفتت له الاصوات، ولم يلبث ان حمله البرق الى الارجاء، فكان مع البرق رعداً قاصفاً في جميع الجواء، رددت صداه الاقطار، وكان الشغل الشاغل لصحف الاخبار، فأما الجرائد الاوربية فقد صدقت الوزير في قوله، ووافقته على ما يريد به، جارية في ذلك على نهجها المعبد، وتقاليدها المتبعة، وتبعها من الجرائد الافرنجية والمتفرنجة في مصر من يرى أصحابها لهم فائدة من تغيظ انكلترا من المسلمين . وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف ينكر.

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لعاقبته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بمنتهى ما يتولد بين الغيرة والوجل، من فنون الحجاج والجدل، وربما كان في دفاعهم، ما يعده المتهمون لهم مثبتا للتهمة عليهم، ولم أر منهم من شرح ما يريده الوزير من التعصب كما اعتقده ثم احتج على بطلانه بما يرجى ان يكون مقنعاً للمنصف، بل رأيت كثيرا من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كروم وهو أيضاً لا يعتقد ما قال. أما أنا فإنني أقول انهما يعنيان بالتعصب غير ما فسره به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها.

هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والمعنوي فنقول لهم انكم تشاهدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحادا وتناصرا . وأشدها تفرقا وتنافرا ، ! هل يعنون به بغضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذاً كيف اصابت هذه الثروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاصة الخديوية وكثير من مستخدميها ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا ؟ بل كيف عاش بيننا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكتابنا ونبينا؟ هل يعنون به محافظتنا على شريعتنا من جهة الاحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الاهلية والمختلطة ومدرسة الحقوق ونظارة الحقانية نفسها حجة عليكم فاننا تركنا معظم شريعتنا الالهية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خموركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبغاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام، أضعاف الذين يزورون بيت الله الحرام، ولماذا ولماذا ولماذا ... هل يعنون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية، بالاتحاد على الامنية التي يعبر عنها بالجامعة الدينية، فنقول أخبرونا عن قطرين إسلاميين اتحدت حكومتاهما وتحالفت على دولة غير إسلامية كما تفعل دولكم في تعاطفها وتحالفها. ما كانت حكومتان لنا متحالفتين لإعلاء كلمة الله لاسيما في هذه الازمان، إنهم الا متخالفون لوجه الشيطان، بالأمس قامت دولكم على دولة مراكش الاسلامية فاتحدت على ما شاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لهما معكم سهم ولا قالت واحدة منهما كلمة تشعر بالغيرة عليها أو المساعدة لها بل هما الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحدتان على إفناء ما بقي للمسلمين من قوة واستقلال بفتك كل منهما بالأخرى. على أن الحكومات هي التي تعقد المحالفات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي، بل ليس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهي، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية. وإنما يعملون بما أرشدتموهم اليه من العصبية الوطنية، فقد وجد فيهم كثيرون يعدون المسلم غير المصري فيهم دخيلا ويأبون الاشتراك معه في أي عمل ويفتخرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

اذاً ماذا يريدون بهذا التعصب المصمئل، المتحفز لمواثبة الدول، المخرنبق لينباع، المجرمز ليمد الباع، المتربص ليغتال اثروة الأوربية، المتوثب ليمحو آية المدنية،
ألا انهم يعنون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكامهم منهم وأشد ما ينكرون من ذلك أن الاسلام قد جعل من حقوق الخليفة على المسلمين، أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخالفين لهم في الدين، و يعتقدون أن السلطان عبد الحميد ماأحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليمتع نفسه بهذه القوة المعنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ماتحدث له من الشواغل والعراقيل في كل وقت وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهاءه وقد أعطي هذه السلطة الدينية المخيفة . هذا ما يعتقد الاوربيون فى التعصب الاسلامي وهذا ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر فيها بمظهر الشدة والحزم أولا ورأى ثرثرة بعض جرائد المسلمين فيها بحقوق الخليفة والخضوع للخليفة واستنادها في بعض ماتكتب على مختار باشا الذي أنيطت به هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تجرأ بايعاز امبراطور ألمانيا المتهور على استعمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية فى ذلك إذ لامصدر له في المسائل المصرية سواه . فهل يفتأ الكثيرون يقولون ان اللورد قال مالا يعتقد وكذلك الوزير ؟ وهل تظن الجرائد بما أكثرت من الكتابة في التعصب انها فتلت في الذروة والغارب، وأقامت الحجة على اللورد والوزير وسائر الاجانب،

الحجة الناهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي القرآن، الناطقة بتحريم العدوان، و بأن القتال الديني خاص بمن يقاتلوننا في الدين أي يقاتلوننا لأجل منعنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره. وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب المنصف

منها قوله تعالى (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وقوله عز وجل (٦٠: ٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لو فقه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بانه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بها لكانت كافية فى تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتداوا به ـ الآية الأولى تأذن للمسلمين بقتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يكونوا هم المعتدين ومن فروع هـذا التحريم ماجرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعباد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا ممن يحارب. وأما الدمي والمعاهد والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز الفتك بمن تجب حمايته من عدوه ؟ أما الآيتان الاخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين المنافي الدين الذين نهانا عن موالاتهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (٦٠: ١ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هـذا النفي والاخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم و يبسطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكتفوا بعد الاخراج والنفي عن عداوتهم . بعد هذ قال سبحانه (٦ عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لاينهاكم الله) الى آخر الآيتين . فهو بعد اطماع المؤمنين فى تحويل العداوة بينهم و بين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لايعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لاجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجوهم من ديارهم او ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن ولايتهم ومحالفتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين للمسلمين.

هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أوحكيم اوأديب أمر بمعاملة اعدائه واعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكمل وجه؟ أليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال في دين جاء بهذا الكمال الاعلى انه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن كانوا مسالمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال المسلمين وغوغائهم أو الذين ينتحلون السياسة ويجعلون الدين آلة لها وهم به جاهلون

اذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون ويسمونها تعصبا فانني لا أبرئ كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين وان كانت الامة الاسلامية قد أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على غير المعتدي. وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استفتى شيخ الاسلام ابا السعود في إلزام نصارى الروملي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاءهم متمتعين بحريتهم في الدين واللغة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم لابد ان ينتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم يفته ابو السعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة اوأقوال المجتهدين أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين فهي غرس الاوربيين الذين اثاروا تلك الحرب بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس و ينمونه بزعمهم انه من أصول الإسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأيين أضل ، وأية السياستين شر ، أرأي مسلم يظن ان اعتقاد الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تهييج المسلمين على النصارى متى شاء من عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان نمدهم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ عسي ان يخف ضغطهم عمن تحت سلطتهم من المسلمين و يقل تحاملهم على الدولة العثمانية ، ام رأي أوربي أو نصراني شرقي يتهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص للايقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة و يظن ان هذا من السياسة المثلى التي تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيبلغوا ما أرادوا من سيادة وكسب ، ألا يجوز ان أتي كل من السياستين بنقيض مايراد بها فيكون ايهام المسلمين للاوربيين بأنهم مستعدون للفتك بهم عند ما تحركهم ارادة السلطان جامعا لكلمة أوروبا على ابتسار الثمرة قبل ارطابها . أواجتثاث الشجرة قبل أن تستوي على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة المغربي منهم بالمشرقي ، والعربي بالعجمي ، و يؤلف منهم عصبية تجعل الظن يقينا ، والاماني منونا ، ولو بعد حين ، ؟

أليس مما يذعن له كل منصف محب لخير البشر أن انامة الفتن خير من إيقاظها ، وأن إزالة الاحن خير من إثارتها ، فمن أظلم ممن علم هذا فأعرض عنه واستبدل التفريق بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن قوته الذاتية ، وحمله على معاداة حكومته الحقيقية ، أولئك المفرقون فريقان — هذا يقول لاوربا ان المسلمين متعصبون ، فخذيهم بالعذاب لعلهم يرجعون ، وهذا يشغل من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، و يعلق أمانيهم بالدولة العثمانية ، ونحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من النصارى كافة كما يوجد في الجرائد الافرنجية والمتفرنجة من ينفر النصارى من المسلمين كافة بدعوى ان المسلمين متعصبون عليهم ، اذا وقعت الواقعة ، فكانت خافضة رافعة

أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل بمجرده من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دولتهم باعتراف انكلترا وسائر دول أوربا على أنهم لا يرضون بترك استقلالهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضع العقبة من جزيرة العرب وكونه سيكون ابا الحرمين الشريفين بجعله محطا لسكة الحديد الحجازية واعتقادهم الديني في الحرمين معروف فاذا كانوا لا يرضون أن يكون الحرمان وما هو حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة بمنزلة المساجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معابده ومعاهده المقدسة تحت سلطة المخالف له في دينه؟ اوليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثل «رمتني بدائها وانسلت» ؟

ان أكثر الذين يرمون المسلمين بالتعصب ينطقون بلسان السياسة وللسياسة سريرة لا نعلم، ولغة لا نكاد نفهم، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق او تنطبق عليه الا بعد وقوعه، فاذا كانت السياسة تريد عملا يتوقف على رمي المسلمين بالتعصب فهي ترميهم به تمهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لاننا لسنا من أهل الشورى في سياستهم فنقول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه الحال يشكون من التعصب ظاهرا و يبغون في الباطن ايجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ندع للمستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم . وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتبرمين منه فاننا نقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لا ننكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما انحطوا ولا نراكم تعيبوننا وتعاقبوننا على كوننا من البشر، ان تريدون بتسمية هذا تعصبا الا اننا نتربص الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لنثور عليه وهؤلاء مسلمو روسيا حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفعلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا تنسون ما فعل بعض نصارى البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكدونية ، ان نحن ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقتنا على اننا أصفى أهل الملل تلو باوأسلم عقبة ان كنتم تودون الوفق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم . وان كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا وتعدون عدم الرضى بذلك سرا وجهرا من التعصب فاعلموا انا متعصبون لان طبيعة البشر قد جبلت على النفرة من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وان كان متفقا معهم في الجنس والامة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذاً لا علاج لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وبهذه المزايا ساد الاسلام اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا التي تحكمها الملة بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب على انه كان يساوي أخس رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كعلي بن أبي طالب، وانا متعصبون لاننا لا نرقص طربا بالامتياز كم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى الله رؤساءنا الذين أذلونا بظلمهم وجهلهم واستبدادهم وأضعفوا حجتنا كما أضعفوا سلطتنا حتى صار بعض الاجانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الادلال)

وجملة القول — ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم المعتقد له سياسة ومنهم المقلد للقسوس والسياسيين فيه — وان المسلمين اذا كانوا لا يسلمون من التعصب فهم أقل تعصبا لاسيما في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم — وان الافرنج والمتفرنجين هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى العارفين بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في الازهر — وان هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم — وان السلطان نفسه لا يقدر على الامر بالنفير العام في غير هذه الحالة اذ لا يفتيه شيخ الاسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا يخالف

لنص القرآن — وان وزير الانكليز قد عنى بالتعصب ماذكرنا تبعا للورد كرومر وهما يعتقدان أنه قد تهيج في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة — وانا نعتقد انه لم يكن هناك خطر على الاوربيين — وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احتماء مجردا من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم — وانها خسرت بهذه القسوة معظم مار بحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بحكمها الا انها خسارة تزول وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها — وان المصريين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم للمخالف في الدين مودة

هذا وإن المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الذمي والمعاهد وهو من بيننا وبين دولته عهد سلمي كأهل أوربا الآن والمستأمن وهو من دخل من الحربيين بلادنا بتأمين منا — وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين — يحرم الاعتداء عليهم وايذاؤهم بل تجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ، ومنتهى ماعندهم للاضرار بما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانبساط مع المخالف لعدم العادة . وأما العوام وهم الصنف الثالث فانهم كما قلنا يعتقدون ان السلطان اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لايخشى ضرره وجعله مثارا للفتن الا في الحالة التى أشرنا اليها وهي قيام النصارى كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان كان فالمتعصب هو المعتدي والعوام يتبعون علماء الدين فاذا حدثت أمور يخشى معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشّرة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افعل من كثرة الشرط والجنود

وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاوربية فأكثرهم لا يمتازون عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على السلطة من غيرهم ولاشيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع الاوربيين، وسماعهم لاقوالهم في المسلمين، فهم يميلون الى التعصب سياسة لاتدينا ولكن روح تساهل الاسلام غالب عليهم حتى لايسلم منه المارق منهم، واني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومتوسطيهم يقولون: انهم يتهموننا بالتعصب ياليته كان صحيحا: فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من الدين، وأدنانا منه أجهلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيتهم لاسيما من ذاق حفظها منا فمثار التعصب أوربا لا الاسلام نفسه واذا ظلت أوربا على اتهامنا والافتيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يجيء يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما نسأل الله أن يقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون و يعقلون، و يسرّون و يألمون، ولله في خلقه شؤون، وهو يعلم مالا نعلم ولا يعلمون،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بخيت ﴾

(٢—وصفه الفونغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قولنا بأنه وصفه بالمقدار الذي يتعلق به ماكان بصدده قال (كما في ص ٢٦): وقد أخذنا وصفنا عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف بالجزء التاسع من السنة الثانية: اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ و يعني بمطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفاقهما على ان الفونغراف آلة ناطقة!!

ألا هل من قارئ فيفهم ! الاهل من متفكر فيعجب ! ألا هل من عاقل منصف، فيفقه كنه هذا المصنف ،: اننا انتقدنا عليه وصفه الفونغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعني ان الوصف غير مطابق للموصوف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لافي تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المقتطف وصفه وصفا آخر نتيجته انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف واننا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للاثقال فذكرا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للاثقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من ينتقد وصف المخطئ بأنه — أي المخطئ — موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمقتطف في كون الفونغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بانه مخالف له في وصفها وانا مصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المقتطف وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفونغراف آلة ناطقة الى ايرادها اذ لانزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اصرارا على دعوى الاصابة في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يورد ما هو حجة عليه على انه حجة له ، هل يسلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد النقول ، وقال ونقول ، وان لم يتصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، ؟ سيعلم القارئ مما يأتي ما يدل مع ما علمه هنا على أنه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظانها (أي من المواضع التي يظن انها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه النقول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفونغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الروملي الشرقي بولاية سلانيك لتنبيه على ان العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فاذا كان الفقيه يجهل ذلك تعذر أو تعسر عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون الى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصنفه للاحتقار والازدراء . ولم نبين هـذا الغرض اعتمادا على اكتفاء اللبيب بالاشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يرمينا بقلة الادب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما افترصنا خطأ أحد المشهورين من علماء الازهر بمعارضة الاصلاح وذم العلوم التي يسمونها العصرية لتنبيه جميع من على شاكلته الى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . واننا والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة الابعد ان سمعنا الناس في بعض سمارهم يضحكون من تينك المسألتين و يقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لاحاجـة الى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة المقتطف التي قال انها موافقة لها في النتيجة و بيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد قراء المنار فدعـه يعتقد أن الفونغراف صندوق وانه له مخارج كمخارج الحروف وشيء يشبه حنجرة الانسان وان الغرض من ادارة الزنبلك ادخال الهواء في الصندوق لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة و يكون الصوت وان «ذلك الصندوق في مجموع اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام » وان الفرق بينه و بين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام ... ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لان يتوارد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها المتكلم: وثانيهما ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فانه لا بدع في خطإه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكمل في المسائل التي من شأن مثله ان يكون عارفا بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخيت في أول رسالة السكورتاه : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية يتضمن: كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبينا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الروملي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوربا دخلت في امارة البلغار وان سلانيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، وتمنينا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نبهنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينه فقال مانصه وفيه عبرتان احداهما في العبارة والثانية في البراعة :

«ان ماجاء في الرساله الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجه ماذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جارى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه مالفظه (محل الحادثة ببلدة دراما بولاية سلانيك في روملي الشرقي) » اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا

أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جرأه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايهام القارىء أن مثل هذه المسألة لا تخفى عليه والايهام دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك أنه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بخيت عن بلده فقال خانيه فسأله أين خانية قال في كريت سأله ألست من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخيت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخيت وصدقه حسن بك صبري وكان

محاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بخيت قوله وعده غير معقول وكانه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كريت اذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته. ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اختصاصيا بعلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خبير في مسألة تتعلق بالبلاد ومواقعها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه: فقال الشيخ بخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين!!.

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لانهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا فى المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذون ولعله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم مبتذلا لاغضاضة على الجاهل به كانه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الازهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الا من تعلمها فى هذه السنين

ـ (ثانيا) قوله «وقد جارى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكر» فانه ليس له وجه وجيه

ـ (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في روماللي الشرقي» فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروماللي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية» فن مثل هذا الابدال والقلب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ماطبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم «وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعدمه ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ فى الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظننا أنه لاسؤال ولاسائل اذ لا يمكن ان يوجد سائل مقيما في أمكنة مختلفة فما هذه المراوغات والمغالطات

ثم قال «واما دعواه اننا ممن يذم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة عاطلة» الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بامضاء (ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف العقل؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن صاحب المؤيد لم ينسه فحسبنا مايسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم من الكمالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النقائص لهم لانها تضعف عقولهم عن ادراك علوم الشرع، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت لامر ما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر؟؟

أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسده فجوابنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يبتلينا بمثل علمه وتأليفه وأن يعافيه هو من الابتلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ماذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول ان من له ذوق يدرك به مرامي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا « انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيما لاعلاقة له بالبلاد والمواقع ، وانما يفهم صاحب الذوق أنها من باب الكناية أو التعريض . على ان الاجتهاد المطلق الذى يكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لاسيما في هذا الزمان الذي صارت مسائل الحدود فيه بين الممالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلم . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بخيت وغيره من علماء الازهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار)

ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافرا من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاذ منها و بالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبر أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت ومؤلف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان ننقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثا الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكيات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا معا . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلا يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من أكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعملها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من أكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضييق هاته الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الخطة التي أخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها له حتى في الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي فى الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إلجام العوام فترجح لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاسوا عليه لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى قياسهم هذا لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او نقلا و بيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ فيحق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم واستغووا بها العامة و بعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام للرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقديس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف (٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم أفاض الامام فى هذا الموضوع بما هو غاية فى بابه وحري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين و بكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليه فانه مما تتطاول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالى في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فعمموا الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن وفى بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محظور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالغرابة وبالفهم والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الا انهم يتأبون كل لفظ قاسته العامة أو استعملته على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابروا فانهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نابأ في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبإ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون انها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . و بعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . و بعضهم يشدد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله للعامة مع انها (كعاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأنهم أو من عال الشيء فلانا أهمه ومفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهمونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ماستهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألمعنا اليه . فيالله متى نعدل عن هذا التحرج الذي يقضي العقل والنقل بتركه

« ولا يسعني المقام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه — ولكن الرجل الفني المطموع فيه يتناتشه الناس من كل جهة — فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحا كانت لفظة — يتناتشه — فيها شيء من العامية وعندي ان هذه العامية هي في منتهى الفصاحة ويا ليت الكاتب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيب حتى عن العامة» اه

(المنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالتثنية والجمع الصحيح وما هو غير قياسي وهو ما يعبرون عنه بالسماعي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن أبنية الأفعال سماعية لا يصح ان نأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة أخرى فإذا علمنا أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير وتحير واستحار فقط ، كتفينا بها ولم نزد عليها أحار احارة وحاير محايرة واحتار احتيارا وتحاير تحايرا وحير حيرة وتحير تحيرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف للمنتقد الا أن يكون في المسألة خلاف في كونها مقيسة أو غير مقيسة فيذهب كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والدخيل ما يستحسنه بلا قيد ولا شرط الا مراعاة أفهام القارئين . ولو جرى الناس على هذا الرأي في جميع الاقطار العربية لاصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية المدونة في الكتب ولاحتجنا الى معجمات جديدة والى نحو وصرف وبيان أيضاً لكل قطر

رأيت المنتصرين لهذا الرأي ثلاثة أصناف — الاول قوم قليلو البضاعة في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا انفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول) والثاني أناس يودون افساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر الالفاظ لتعظيم شأن المعاني وهم على سعة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر افندي حتى ضيقوا ابواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يقول في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الغزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلا يمتنع تثنيته وجمعه كلفظ عين فقد ورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عينين الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المنتقد احدا ممن يصفهم بالجمود يقول لا يجوز تثنية شيء من ألفاظ العربية ولا جمعه الا بنقل عن العرب؟ انني أجزم جزما بأن رأي الغزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هولاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لاسيما البصريين منهم وانه ينبغي لنا ان نسلك في اللغة مسلك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والتعريب والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجدد فيها الا ما نحتاج اليه ولا نجده في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يثقل علينا احتماله بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلا لاحاجة اليها لانه ورد بمعناها حار وتحير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطلق العنان فيه للافراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك و يجعلون له نظاما و ينشرون ما يرونه صوابا في الصحف ليعم الاستعمال، و يؤمن الاختلال، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والمذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلما يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمالي لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الامم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من ينتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجحه بذلك. وسنذكر في الجزء الآتي شيئا مما خالف فيه القياس لتساهله



« حال المسلمين في تونس والاصلاح »

لعالم مدرس بجامع الزيتونه

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أحييك أيها المصلح المخلص النصوح الغيور منشئ مجلة المنار الغراء الاستاذ السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، تحية تعرب عما في الضمير من الشوق الى سدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك حق قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين وتحملوا فى الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من همج رعاع مع كل ريح يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . ولكن — والمنة لله — لم يثبط ذلك عزائمهم فما وهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوزحده اتباع لغير سبيل المؤمنين

ولولا ان من الله على الامة التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الاستاذ . . . لم تبرح في أدوية الضلال تهيم حتى تخرجت من جامعنا (الزيتونة) نشأة هذب الاستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة الارسان تركض في ميادين الحرية واني لمقصر في أداء مايجب من شكره على ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن استقصائها ، ويكل اليراع اذا كلف باحصائها ، وحسبي ما أثقل به عاتقي من منة التعريف بذلك الاستاذ الامام قدس الله روحه فلست والحمد لله من قوم زعموا ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . . بل أقول « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العقل ، لم

بذوق مذاقك من الفضل ، ولعمر الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الغراء في ترجمة هـذا الفقيد علم مصيبة رزئه على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . . . لا برح منارك يبعث من أشعته مايهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفيء منهـا ما يغيظه من مساعيك المشكورة ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، اهـ

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا و بين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتم اسمه دون اسم استاذه المصلح الذي أرشده الى الحقيقة، وأقامه على الطريقة ، ولا ندري أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جهل الجاهلين ، ولا يبالي عـذل العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسـأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حال المسلمين في حضرموت والاصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرموت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرموت يدعو بها الى الخير) فرأينا ان ننشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماك اقدامه ، والروح الى وسيم طلعته شيقه ، والعبرة لما منيت به من البين مترقرقة ، والقلب مطبوع على الود له وانقة ، وقـد اكتظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ؛ ولم ازل اكاتمه وانا منه في عناء حتى احتج عليّ بقول أبي الطيب * والذشكوى عاشق ما اتلنا * و بقول الآخر * فصرح بمن تهوى ودعني من الكنى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كمه، و بعثت هذه البطاقة منهية اليكم مالدي من الشوق المبرّح ، والبين المطوّح ، فإني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة، وتخيلت منادماتكم الرائقة، استخفني الطرب، وهزتني اريحية الادب، ولولا ان جناحي كسير، لأوشكت ان أطير، لاقضي حق قرابته التي لاتجحد، ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادباء يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كلفا، ويحشو حشاي شغفا، عدم أنيس أتسلى به، واتنزه بملحه وأدبه، لاأجد الا من يسخن العين منظره، ويكلم القلب مخبره، ويتعب الروح مقامه، ويدلك السمع كلامه، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خاف تخطىء اذا جئت في استفهامها بمن. وعلى كل حال فالحر حيثما كان مصاب بيليه، كالمصحف في حانة خمار أو بيت بغيه، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أثنيتم فيه على الايام، وشكوتم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام،

واذا تأملت البلاد رأيتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد وقفت على رسالتك التي رقمتها، و بوشي البديع نمنمتها، فوجدتها بارعة المبنى، رائعة المعنى،

اذا سمع الناس ألفاظها خلقن لها في القلوب الحسد

غانية غنية عن الاطراء والمدح، معرضة عما يرميها به الناقصون من القدح، ولابد للحسناء من ذام، وانما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولقد نثلت الكنانة، ونفضت الجعبة، ولكن شكوت الى غير ماجدة، وجلبت بضاعة كاسدة، وجلوت الحسناء لعنين، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا، ومنتهم أنفسهم غرورا، فلو دعوتهم ليلا ونهارا، لم يزدهم دعاؤك الا فرارا، نعم لوغيرك قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد، وتعارجوا لشنشنة عرفوها عن أبي زيد، لعثرت ظاهرا بطائل من القول، ولكن ماشأن أولئك الا الاحالة

على الاماني الخائبة ، والمخرقة بالقصص والاباطيل الكاذبة، وقد استنسر بأرضنا بغاثهم ، وكثر لافترائهم ترائهم ، فالله للناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضاق الحزام عن الطبيين .

اما ماطلبته من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القتاد ، كيف وقد أدرجوه في لفائف الاغراض ، وبرقعوا محياه بنقاب المداهنة، وجعلوه ذريعة لاستجلاب الأبيض والاحمر ؛ هيهات هيهات لذلك أعز من مخ البعوض فلا تبح صوتك بنداء الجماد ، ولا تضع نفخك في رماد ، فانما شمت خلبا ، ورأيت سرابا ، واستمطرت جهاما ، فارجع البصر ، لاتغرنك الشيات والصور ، انما كل من ترى بعر ، ودونك فالتمس لنصحك أناسا غيرهم ، اما هم فما أمهروا نحلتك الا بالاعراض، ولا قرضوها الا بلساني المقراض، وبالجملة فالمعروف بينهم زمن ، وجدير بان يتمثل له ببيت اخي خزاعة، وقمن وقد اخلولق ان يدفن في الرمس ، وينهار في الطمس ، ويصير كأن لم يغن بالأمس ، غيراني لااقنط من رحمة الله ولا أيأس ، وأترجى من الدهر ان يبتسم ويتنفس ،

فللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللبدر من بعد المغيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رساله في تزييف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء واظهار السرور فيه، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لايقبلها الا سفيه، وهي واصلتكم في طي هذا . فانظروها بعين الرضا الكايلة ، وما وجدتم من خطأ فاجعلوا الصواب بديله ،واعرضوها على السيد الجليل، الشهم النبيل، محمد بن عقيل، وان رأيتم حذف شيء منها أوزيادة فلكم الرأي الأعلى والمأمول منكم طبعها ليحصل الانزجار بها أو إرسالها للاستاذ الحكيم منشيء مجلة المنار لنشرها في مجلته وقد ارتضاها من رآها وما للمعاند حجة الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاهلا بانه يفضي الى الهلاك ساحلها، ودمتم والسلام م

عبد الرحمن بن عبيد الله
بن محسن السقاف

﴿ رسائل سنغافوره ﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافوره تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا تألم له النفس و يضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوئام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿ رسالة احد أعضاء الجمعية الخيرية ﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا نافعا لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافوره وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقيهم و يرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزين) بقوله «ان مسلمي سنغافوره عموما وعربها خصوصا اشتهروا اشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسير على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أيد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) « توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه و يجب القيام به في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عزمت على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيرا) – وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافوره من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية – وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في ائتلافهم – وانها أنشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات – وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح و بفتح مدرسة كبيرة

هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لاظل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما فى تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة

نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير ما عملت ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التى ذكرت هو اصلاح ذات البين ولكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أيجوز ان يهجرهما سائر أعضاء الجمعية لانتقادهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقيهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأمراء المسلمين وأمثاله ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) لترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ اين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي ينير العقل ؟ أين العلوم العصرية التى هى اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل اعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم و يعودون الى الاعتصام، والتعاون على المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل فى هذه الواقعة التى سبق لنا القول فيها فرأيناها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه و يفند رأي الآخر عن اعتقاد أو تحيز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة فى شيء منها كنا ظالمين لقراء المنار . فان قال قائل إنك أفتيت فى المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها او بيان مايظهر بعد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لا حسب الواقع الذي لم نطلع

عليه . ونكتفي بان نقول لقراء المنار هناك اننا لا نرجح قول أحد في هذه المسألة فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي اذن واعية

ملخص هذه الرسالة ان شيخا معمما يمقت المنار لان تعليمه يقلل من كسبه واكله بدينه جمع زعنفة لمقاومة محبيه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عقد اجتماعا دعا اليه بعض هؤلاء المحبين للمنار و بعد ان أسمعهم من الطعن ما ظن انه أظفره بهم قام عالم منهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان كنتم تحبون شأن المؤمنين فقد قال رب العالمين (انما كان قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك لايؤمنون) الآية فهلموا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فالمحاكم الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب» : فبهتوا وعلموا انهم عاجزون عن حزب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن بهؤلاء المتعرضين وذمهم ونحن ندعو الله تعالى ان يلهمنا وإياهم الادب والصواب، ويحسن لنا ولهم المرجع والمآب،

باب التربية والتعليم

المكتوب السادس — التربية الدينية والفلسفية (*)

﴿ من أراسم الى أميل ﴾

قد حزرت ياولدي مقاصدي فى تربيتك الدينية فاني أردت ان أخلي بينك وبين عقائدك مع علمي بمخالفتي فى هذا مخالفة تامة لما تجري عليه الامور عادة ذلك ان الطفل لايكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التى تتنازع حكومة الدنيا فيتكفل والداه بتقليده دينا محتجين فيه بعدم أهليته (وهو أمر بين البداهة) لان يحكم بنفسه و يسبق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليد بيته الى تحديد الدين

(*) تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر (راجع «أميل» فى فهرس م ٨)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدين اذا فعلا ذلك لانهما يعتبران أنفسهما نائبين عن الامة في القيام عن المولود قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كان من حق الامة ان تؤدي الى المولود دينا كان حقا عليها أيضا ان تختار له حرفة وعملا من أعمال الحكومة واذاً نصير في حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان نجعل ولادة المولود سببا لسلب حريته فان انقسام الوالدين في ضروب الوجدان واختلافهما في الافكار حتى فى أيامنا هذه يجعل ولايتهما عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لاحرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدين في الدين غالباان يكون الاب كافرا والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان المؤثران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزا فانا كثيرا ما نلاقي في الناس شبانا مشغولين بترقيع سرائرهم بخرق من مذاهب المتدينين ، يخيطونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين ، مع بقاء استمساكهم بأوهام الواهمين ، وقد فشا في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانك والحمد لله لم تبتل بشيء من هذه المحن لأني وأباك لم نعتقد ان من حقنا ان نغتنم فرصة نوم عقلك فندعوك الى انباء ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأيا في المذاهب الدينية والحكمية التى يختلف الناس فيها وهو لا يُلزمك شيئا ولا ينبغي ان تحفل به « أكرم اباك وامك » ولكن لا تطع الا قلبك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستعينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة ولقد كان هذا السعي الى اليوم خارجا عن وسعك و بعيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عملك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد فى رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

وقاحة احداث الدكاترة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) و باسكال (٣) ولايبنتز (٤) وهيجل (٥) ليست خليقة بالتفاتهم وميلهم فالجهلة الاغبياء منهم كلما يطنطنون بها فى هذه الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي ولاضاعة وقتي في حل مالا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم أو تغايرهما فحسبي الاشتغال بالعلم »

انا لا اشك فى أن العلم الآن مشتغل باستئناف عمل الديانات سالكا فيه طرقا احرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبيا ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون بلوغه من طريق الهداية الالهية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج لبلوغ الحق وان كان من المتعسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا نفهما حالة المعارف على ماهي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يفدنا في بعض ماقد يهمنا استقصاؤه من المسائل الا شيأ من المعرفة قليلا جدا فانا اذا استثنينا علم تركيب الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي الينا معنى من معاني الانسان على مافيه من المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلم طبقات الارض لأنه قد فتح لعقولنا منافذ نلمح منها على بعد منشأ الحياة رأينا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

---

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص مايعرف به أنه فيلسوف فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق ولد سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كليرمونت فراند سنة ١٦٢٣ ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥ اعتزل فى بورروبال دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير ولد فى لايبزيج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العلل الاولى التى هي اهيج لشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني مجيب بأن هذه العلل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من متناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أتظن ان ماحصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه وملكاته المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على مايجهله لينيم طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتقد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكانة له أما لشرف في طبعه أو لخسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائل الخيرة أن توصف بانها معضلة لا حل لها لكان التفصي منها في غاية السهولة. كل حي يطلب النمو لجسمه ماعدا الانسان فانه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات العضوية بطلب الارتقاء بفكره الى ماوراء حاجاته المادية فطلبه الارتقاء الفكري موجود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ماعسى ان يعود على العاملين على إزالته من الفائدة بتكلف احتقاره والزراية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزعه من النفوس الشعرية فان تطلع الانسان الى ماوراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التى يتطلبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تحير عقولنا أو تندّ عن ادراكنا وأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مروعات الوساوس والاوهام والاعمال المنبعثة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شغلت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التعرض لها بل لابد ان يكون لها أيضا محل فى تربية الناشئين

ومن هذا نرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذهب الدينية والحكمية منقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان المقررة في ايامنا هذه بلغوا من تعاطيهم للمظالم ومتاجرتهم بالسرائر ومقارفتهم للفظائع مبلغا لجأ بالعقل في اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالقسيسون

هم دعاة الإلحاد لا الماديون .

ومن اللغو تجسيم امر الالحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مذعورا امام وجدان الانسان وانما الآثام المبينة والجرائم القوية الحقيقة بأن تدافع نور الهداية والعرفان هي التى يجرأ أصحابها عند اقترافها على التستر برداء الدين نعم تلك الآثام هى التي تمتاز بذلك الامتياز الهائل وهو قلب شؤون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يحار حين ارتكابها من الابهة الباطلة التى تسري من عقائدهم تكبيها لى بعض ما يغتصبونه من ضروب السلطة والقوة؟ تسمع بعض المتفكرين اذا راعهم تغلب الشر على الخير يصيحون قائلين لأن لا يكون لنا آله خير من وجود آله ظالم(١).

ويعيب آخرون على المذاهب الدينية والحكمية أنها لم تبين للناس بيانا مقنعا شيأ من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار والاختيار وأنا أسلم لهم ذلك غير انى أقول ان كلا منها قد سما بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأحيا من الطرف والملح ما لولاه لظل محوا في مجاهل العدم وكم نرى ممن يودون محو الدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكر فيما كان لهذا الدين من التأثير فى آداب لغتنا وأخلاقنا وعوائدنا فهم يقولون أنه رؤيا خبيثة رآها النوع الانساني في منامه وأنه بنشأته فى طور التدلي والهمجية حبس روح الشعوب فى ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيهات أن يقنعوا واحدا من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدنيتنا الحاضرة إنشاء حسنا أو سيأ خلافا للنافلين نابطالها وأحثك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصوله لأن

(١) اجدر بمثل هؤلاء النظار ان يسموا عميا فانهم عموا عن سنن الله تعالى فى الكون وجهلوا ان الشر الذي يضجون منه انما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للعبيد » « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هامش الترجمة

ما يخلص إليك من مطالعة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فأنت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يأبى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزراية اليهود عليه ولومهم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يهتز لسماع بعض المواعظ الانجيلية فليس ذلك ببدع فان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صغارهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الطفل والحنو على المرأة الخاطئة وانك لا تجد في غير كتابه أكثر مما تجده فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحتقر ولا أكثر من ضروب الحرمان للمتكبرين المستأثرين الذين يبتغون العلو على غيرهم من المخلوقين وقد كان لحبه للفقراء ولكونه نفسه فقيرا يتتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وأمثاله الرائعة ولا شك ان تمكن النصرانية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الحالية وتأييد مزايا الانساب وفرط التفاخر في الغنى لم يحصل الا ببلوغ رجالها في المكر حد الاعجاز فتلك الامم التي تسمي أنفسها مسيحية وتعتقد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من أوقات وجوده لا تعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكمية وليس علي ان أتعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يؤديك اليها بحثك اذا احسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلتي ولا وسيلة غيره لتنوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء الثقات المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ويعلمون الناس كل شيء وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يعتادون على ان يفكروا بمخاخ بعض افراد من الناس — ان صح لي التعبير على هذا النحو — على ان ثمة أمراً لن نتعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فعليك ان تطلب الحق في نفسك مستعينا في طلبه بجميع ما لديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احتراسك وتيقظك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطىء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتداء

وفي ختام مكتوبي أقول لك من صميم قلبي اني وليك الحميم

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه ما دفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الالحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يزلزلها هي التي تقترف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة القائلين: لم تبين شيئا من نظام العالم وتنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب: وعذره انه لم يطلع على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراجه محاسن الاناجيل وتصريحه بأن النصارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها



آثار علمية أدبية

لامية أبي طالب في الشعب

لما أظهر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فقصدته ومن آمن به بالايذاء بل ائتمروا به وأزمعوا على قتله فمنعه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فنابذتهم قريش وأخرجوهم من مكة الى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين ان يهاجروا الى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا يظلم عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الاسواق ومنعتهم الرزق وأجمعت على ان لا تناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا تأخذها بهم رأفة حتى يسلموه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الارضة لحست صحيفة قريش الا ما كان اسما لله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله مايدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط ان هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فلحست مافيها فان كان كما يقول فأفيقوا فوالله لانسلمه حتى نموت وان كان يقول باطلا رفعناه اليكم فقالوا رضينا ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم الا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يامعشر قريش علام نحبس ونحصر وقد بان الامر وتبين انكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة جداً لايستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل (١
خليلي ان الرأي ليس بشركة ولا نهنه عند الامور البلابل (٢
ولما رأيت القوم لاود عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل (٣

---

١) الصغواء كالحمراء وصف من الصغو وهو الميل يقال صغوت اليه واصغيت يقول ان اذنه ليست بذات صغو الى حديث أول عاذل أي لاتسمع قوله سماع قبول . واذا كان لرصانته ورويته لايقبل قول اللائم الاول — وهو الذي من شأنه ان يسترعي السمع ويستخف النفس للمفاجأة بما يأتي من النول — فهو أجدر بأن لايصغو للعاذل الثاني ومن بعده

٢) النهنه كجعفر الثوب الرقيق يشف عما وراءه فاستعاره للرأي المنير الذي يظهر ماوراء الامور من العواقب . والبلابل كالزلازل الهموم والوساوس جمع بلبلة أو بلبال كزلزلة وزلزال . ولعله يعني بالرأي رأي قريش الذي يشرحه في الأبيات التالية يقول انه ليس بالرأي الجيد الذي أثمره اشتراك العقلاء فيه ولا بالمنير الذي يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصواب في نفسه لايكون عند الشدائد مشتركا مقسما ولا رقيقا يدرك الخصم مغبته ويجوز ان يريد بالنهنه الضعيف . والمراد ان الرأي عندئذ يجب ان يستقل به العاقل ويكتمه او ينهض به

٣) العرى بالضم جمع عروة وهي كل مايتمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي كل مايتقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التى يمكن ان تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل (٤

وقد حالفوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا خلفنا بالأنامل (٥

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضب من تراث المقاول (٦

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٧

قياما معا مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضي حلفه كل نافل (٨

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل (٩

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن ملحق في الدين ما لم نحاول (١٠

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (١١

---

٤) صارحونا بالعداوة جاهرونا بها حتى صارت صريحة خالصة من شوائب التأويل . والمزايل المفارق المباين والعدو المزايل تصعب مصالحته وموادته ولقاء الاعداء قد يذهب بالعداء

٥) التحالف التعاهد والتعاقد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع سماعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

٦) صبر نفسه حبسها والسمراء السمحة القناة اللدنة تسمح لحاملها بالهز والطعن والابيض العضب السيف القاطع والتراث الارث والمقاول جمع مقول كمنبر وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعار اذ لم يكن من آبائهم ملك

٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة يمانية كانت الكعبة تكسى بها

٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والنافل مؤدي النافلة وهي التطوع بالعبادة ويعني بحيث يقضي الخ مقام ابراهيم

٩) الملح بالشيء المواظب عليه وأصل معنى الملح اللصوق

١٠) الكاشح العدو الباطن العداوة كأنه يطوي كشحه عليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراده وهو تفسير بالأعم وقيل في الاساس طلبه بحيلة وهو الصواب

١١) ثور وثبير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والنازل هو من يصعد فيه للتعبد زمنا ثم ينزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله ان الله ليس بغافل (١٢
وبالحجر الاسود اذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل (١٣
وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل (١٤
وأشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل (١٥
ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (١٦
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ وهل من معيذ يتقي الله عادل (١٧
يطاع بنا العدى وودوا لو أننا تسد بنا أبواب تُرك وكابُل (١٨

١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) فقوله حق البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله من بطن مكة

١٣) اكتنفوه أحاطوا به والأصائل جمع أصيلة لغة في الاصيل وهو ما بعد العصر الى الغروب وجمع أصيل آصال وفي قوله الاسود زحاف يعيب مثله المولدون

١٤) موطئ إبراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت العرب ان إبراهيم وطئ هناك حافياً فأثرت قدمه فيه والناعل لابس النعل. ورطبة حال من الصخر ولا يريد انها كانت رطبة بطبعها بل كرامة له

١٥) أشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو الجري الى الغاية ويطلق لغة على الغاية. والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التغليب وهما علمان بمكة يسعى بينهما تنسكاً وقوله الى الصفا معناه منتهية هذه الاشواط الى الصفا اذ به يختم السعي. وتماثل أصله تماثيل جمع تمثال فحذف الياء ليستقيم الوزن

١٦) ليس فيه قول غريب

١٧) الاشارة راجعة الى ما عاذ به وهو رب الناس وتلك الأماكن المقدسة والاعمال الشريفة والعاملون الناسكون وهم الحجاج فهو يقول ليس بعد هذه الاشياء ما يعوذ ويلجأ اليه العائذ فهل يوجد معيذ عادل ومجير منصف يعيذني تعظيما لما عذت به

١٨) العدى بالكسر والضم اسم جمع لعدو. وفي رواية الاعداء وهو بالمد جمع عدو وقصر للوزن وفي التاج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا. والترك وكابل

***

كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل (٢٠

ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١

وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢

وحتى نرى ذا الضغن ركب ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل (٢٣

(بضم الباء) صنفان من العجم. كذا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كاملٍ من ثغور صحار ستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً. والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم ان لا يقبلهم العجم ان قصدوا اليهم فضلا عن العرب ان ينفروا اليها فلا يعودوا

١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا نتركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل وساوس وروي تلاتل وهو جمع تلتلة بمعنى الاضطراب

٢٠) يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله: نبزى محمداً: بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النفي كالذي قبله قاله في الخزانة وذكر البيضاوي في تفسير «تفتؤ تذكر يوسف» ان القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كان على النفي. واستشهد قبل ذلك على تقدير النفي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا نغلب ونقهر بمحمد والحال اننا لما نطاعن أمامه بالرماح وتناضل خصومه بالسهام

٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرّع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصريع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليلة وهن الأزواج

٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه من بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدتها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الاداوة والقربة. يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقعة كصلاصل الماء في المزادات والقرب.

٢٣) الضغن بالكسر الحقد. والردع بالفتح اللطخ والأثر من الدم وركب ردعه

وإنا لعمر الله ان جد ما أرى لتلتبسن اسيافنا بالاماثل (٢٤

***

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع اخي ثقة حامي الحقيقة باسل (٢٥

وما ترك قوم لا أباك سيداً يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٢٦

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٢٧

خرّ لوجهه على دمه والأنكب المائل الى جهة والمتحامل اسم فاعل من تحامل عليه اذا ثقل عليه وجار. يعني وحتى يخرّ الحقود على محمد مطعوناً يركب ردعه يفعل فعل الأنكب اي ذي النكب وهو بالتحريك داء يأخذ الابل في مناكبها فتظلع وتمشي منحرفة

٢٤) جدّ الأمر اشتد وعظم. والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملابسته إياه والأماثل الاشراف يقسم انه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها فان اسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

٢٥) الشهاب شعلة النار والسميدع بفتح السين والدال المهملتين السيد الموطأ الأكناف أي الممهد الجوانب التي تأوي اليها العفاة والقصاد. والحقيقة ما يحق للرجل ان يحميه والباسل الشجاع الشديد. يعني بصاحب الصفات النبي صلى الله عليه وسلم

٢٦) يحوط يرعى ويحمي الذمار ما يتذمر له اذا نيل ويقولون حامي الذمار وحامي الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل ما يجب عليه ان يحميه. والذرب بفتح فكسر الفاحش البذيء اللسان وسكن الراء هنا للضرورة والمواكل من يكل أمره الى غيره على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من يكل أمره الى غيره عجزاً. أي كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره

٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت قبله وفسروه هنا بالكريم ففي الخزانة قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالبياض فيقال له عندي يد بيضاء أي معروف وأورد هذا البيت: والغمام السحاب والثمال بالكسر الغياث والملجأ يغيث قومه ويطعمهم عند الحاجة والعصمة ما يعتصم به ويستمسك والأرامل جمع أرملة وهي من مات زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد عائلا. وقال ابن السكيت الأرامل المساكين رجالاً ونساء وقيل إطلاق الأرمل على الرجل غير قياسي. وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم — فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨

***

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا — عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩

بميزان قسط لا يخس شعيرة — له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم — وآل قصي في الخطوب الاوائل (٣١

وكل صديق وابن أخت نعده — لعمري وجدنا غبه غير طائل (٣٢

أرمل القوم إذا نفد زادهم وافتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يعد له ملجأ سواه كما يقال ترب فلان وأترب اذا افتقر وكما يقال فقر مدقع من الدقعاء وهي الأرض لانبات فيها والتراب . حمل قوله يستسقى الغمام بوجهه على الحقيقة وقالوا انه لما تتابعت على قريش السنون استسقى عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاما فسقوا رواه الطبراني وابن سعد . ولولا الرواية لكان المتبادر ان الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم مصدر الخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيراً ما سمعت العامة يقولون في ذي الوجه الحسن لاسيما إذا كان مهذبا ان رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصعلوك السيء الحال يطلب فضل ذوي المال . والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس واحدتها فاضلة

٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم يقال انهما ولدا توأمين وكان ولده اعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام . ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي قال في الخزانة وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب يوم بدر

٣٠) القسط العدل ويخس ينقص والعائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا الذين يعادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعير ووصف هذا الميزان بأنه يشهد لنفسه بالقسط أو إن القسط نفسه يشهد له وان هذا الشاهد لا يميل ولا يجور . وما طلب أبو طالب جزاء القسط لاعدائه إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الاشراف مستعارة من ذؤابة الشعر وهي الخصلة من شعر الرأس

٣٢) الغب بالكسر العاقبة أي خاب أملنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطا من كلاب بن مرة براء الينا من معقة خاذل (٣٣
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حمائل (٣٤
أشم من الشم البهاليل ينتمي الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥

***

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وأخوته دأب المحب المواصل (٣٦
فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣٧
فمن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحكام عند التفاضل (٣٨

٣٣) المعقة العقوق وبراء بالكسر جمع بريء ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه القليل والكثير تقول انني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه فعاء

٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب . والحسام السيف القاطع والحمائل مايحمل به السيف جمع حمالة وهي العلاقة وقيل لاجمع له من لفظه والمفرد المجرد . وقوله غير مكذب حال من ابن أخت القوم أي لايكذب في صدقه وولائه وحساما منصوب على المدح

٣٥) الاشم ذو الشمم والسيد الكريم ذو الانفة . وكانوا يتمدحون بشمم الأنف وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه . والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباد هو الحي الكريم وحومة الشيء معظمه وجله

٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للمفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولعت به . وقوله وجدا معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لانه يشمل كل ماتجده في قلبك من التأثر الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه . ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمه اليهم بكفالته إياه وهم جعفر وعقيل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان العم أب فأولاده أخوة . وقوله دأب المحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفعل المحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشكل مايلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

٣٨) قوله اي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم فاي هذه هي الدالة على الكمال

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلهاً ليس عنه بغافل (٣٩
فأيده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير ناصل (٤٠
فوالله لولا ان أجيء بسبة تجرّ على أشياخنا في القبائل (٤١
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل (٤٢
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الاباطل (٤٣
فأصبح فينا أحمد في أرومة يقصر عنها سورة المتطاول (٤٤

والتفاضل التغالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

٣٩) الطيش النزق والخفة وهو ضد الحلم وموالاة الآلة اتخاذه ولياً وناصراً

٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج منه نصله أي حديدته

٤١) السبة بالضم العار الذي يسب به صاحبه، تجرّ من الجريرة وهي الجريمة والجناية

٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قد يأتي بمعنى فعل كثر انيت بمعنى ونيت لكنه أبلغ من المجرد: كذا قال صاحب الخزانة، أقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس ممازحاً لهم ومتهازلاً معهم في قوله، إنما يقول ذلك على سبيل الجدّ. وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

٤٣) قوله يعنى بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً معتنياً، استعمل قليلاً بالبناء للفاعل فقالوا عني كرضي، والأباطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

٤٤) نوّن أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل. المتطاول في الاصل هو الذي يتحدّد ويطيل قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع، واستعمل بمعنى الترفع والتكبر وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول ان يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول الذي يمد قامته وينصبها ان يزيد في طوله (بالضم)، وسورة الشيء بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا سورة الخمر بمعنى حدتها، وسورة الجد بمعنى ارتفاعه أثره وعلامته، وسورة السلطان بمعنى سطوته: والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء وكل هذه المعاني للضبطين تظهر هنا فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدبت بنفسي دونه وحميته   ودافعت عنه بالذرى والكلا كل (٤٥)

﴿تقاريظ﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندى الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري ببلدة (أفارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) بلبنان . وهي تعريف ببلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين فى تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنقف بلادها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب الداه لدكتور محمد بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . اماموضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما اسلوبه فيمثل لك اسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار والمصنفات فى علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية بما يضعونه من الاصطلاحات الغيبية الملكوتية بل هو اغرب فى مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

«ان الحقيقة فردية لا تتجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعم ، هؤلاء لا يفتشون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هؤلاء لا يعرفون للكون فى الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسموه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعاه مركز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ماللمترفعين والمعتدين من رفعة وشرف وسطوة وحدة

٤٥) حدبت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالأحدب لأمنع عنه الأذى يقال حدب عليه وتحدب بمعني عطف وتعطف وأصله ماذكرنا . والذرى أعلى الشيء جمع ذروة والكلا كل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو طالب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونبيه ولكنه لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضله في حماية الاسلام ومن جاء به لاتدانيها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز والضعف فجزاه الله خير الجزاء

السمية والدنية، وسمه الطبيعة ان كنت ممن صح أن «المادة لا تتجدد ولا تنعدم» وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح» ووصفه بالجرثومة (الميكروب) ان تجهورت في نظرك الذرت ؟ وعرفها بالتخلق ان درست علوم النشوء وتابعت (داروين)، وسمها الصوت ان كان لك ميلا في تعرف النغمات الموسيقية وفنونها، ونادها صورا متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل من الفنون والافنان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح» وصفها بالذرة ان كنت ممن يستعين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهورة «الميكروسكوبات» واصطلح عليها سياسة لاقتصاد الجامعة الانسانية ان وددت تسيير الامم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بمن تخلق ونشأ فيه، وانعتها «الكرية» ان درست معلومات هارفي ومن اتبعه، واقرأها الحرف فى كلم اللغويين. وسمها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب» او تحب استماع مناغات الطيور على اوكارها. أو تميل الى تفنن الضاربين على الاوتار والمطربين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت جبلتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير المصورة. وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمر مديردفتها. ومبخر مائها. ومحرق قلبها ان تطلبت العلم ولو في الصين. واجرها سيارة بارادة قائدها وقوة جاذبها ورافقها ان كنت تبغي حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت وفي أي مكان وزمان شئت. لا سماع بين التصويت والتسكيت لا رؤية بين الظلمات والنور. لا نمو بين الجوع والشبع. لا انتقال بين الحركة والسكون لا مفرق بين الابيض والاسود. لا تجزئة بين الكل والفرد. لا هيولة بين الجوهر والعرض. لا شفاء بين المرض والمرض ولا تعليل بين الميت واللحد. ولا روح بين القلب والجسد. ولا شك بين القاتم والعاتم. لا صوم بين الشك والرؤية. لا دفا بين الماء والنار. ولا تيمم بين البطلان والرجحان. » اه المثال بنصه وضبطه حسب القارئ. هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ فى حياته كلاما تهذا الكلام. ألفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والجفرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبة وخضخض حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخرج فنظم نظا غير مألوف ولا معروف . فياليت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابلوه بتصفيق الاستحسان ، أم بصفير الاستهجان ، ؟

﴿ الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من الفوائد الفلكية والتاريخية والادبية والسياسية والادارية والتجارية مالا يستغني عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومؤلفها سيدي محمد بن الخوجه من أفضل الكتاب في تونس وأوسعهم علما واطلاعا على الكتب العربية والافرنجية ومن فوائد القسم التاريخي في رزنامة هذا العام كلام مسهب لاحد علماء جامع الزيتونة الاعلام فى بيان اختلاق ما كان نشر فى جريدة اللواء المصرية منسوبا الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأشتر بزعمهم ولم أرهذا العهد لا فى الرزنامة ولم أسمع بذكره ايام نشرته جريدة اللواء ومنها تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الاخبار التلغرافية وتاريخ خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المعدنية بتونس . ومن فوائد القسم الادبي معجم لاسماء الاعلام الاسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس ومعدة التمساح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها وكذلك القسم الاداري وفيهما كل ما تهم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم وصور كثيرة منها رسوم بعض المعاهد الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . وثمن النسخة من هذا الكتاب ١٥ فرنكا وهو يطلب من ادارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة

(طوالع الملوك) «مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر فى كل شهر عربي مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميريا» وكنا كتبنا تقريظا مطولا لهذه المجلة الغريبة في هذا المصر فضاق عنه الجزء الماضي ولما لم يرد الينا بعد الجزء الاول منها شيء وقد مضت أشهر اكتفينا بهذه الاشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الحازني وكنا كتبنا لها تقريظا جمعا ولم ينشر ثم فقد وهي لا تزال تصدر بانتظام فنتمنى لها طول البقاء والرواج بالتوفيق لخدمة النافعة

(المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف اشهرتهما بتحريرهما في المؤيد السنين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم المؤيد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما متقيدين برأي غيرهما ومما يقوي الرجاء في نجاح المنبر رغبة كثيرين من الكاتبين في أن يكونوا من خطبائه. فنسأل الله تحقيق الآمال مع التوفيق لخير العمل،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة. وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السوريين بجريدته ويستفيد من اقوالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفكه في الكتابة يشوق القارىء لاسيما اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألطف من مزج الماء بالراح كما يمزج الهزل بالجد فيجمع للقارىء بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية انفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمذهبية

باب الأخبار والآراء

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الامير لشيخ علماء الاسكندرية رغبته في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لرؤية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فنظم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بانتقاء أفراد من كل فرقة مسائل يسمعها الامير منهم وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطرق اليه زينة جميلة وبلغت حاشية الامير (المعية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبراء الازهر رغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسمعوا من الامير النصائح التي تتعلق بشؤونهم وقلد بيده الشيخ شاكراً الوسام المجيدي الثاني وهم ينظرون فبين لهم بالقول والفعل رضاه عن عمله في ادارة التعليم

لهج الناس تبعاً للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية ومما قيل وكتب ان الامير أعزه الله وأعز به العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمونها الجديدة كتقويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه أو خطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضالتنا المنشودة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير للعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحظينا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيب كتب ما سمعه بعد الخروج وتحرى فيه الالفاظ بقدر الطاقة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت ميالة الى تبادل الآراء النافعة والسعي وراء الصالح العام

« انه كان في مبدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لا أرى الا الرؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمت على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مرتبات تقوم بحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تتميما للمواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين غاية الوئام حتى داخلهم بعض الدسايس التي أوجبت زيادة النفرة فيما بينهم وقاسى فيها الشيخ شاكر بعض المقاساة كما قاسى في المدة الاولى من الحساد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا فعزمنا على معاملة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الحالة الاولى لولا اننا أملنا اصلاح الحال ومتابعة العمل النافع

«غير ان مازال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يحبون أن يستعملوا «الفسفسة» لأنهم لاقدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر العلماء ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضعنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكترة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا أوصيت الشيخ شاكر ان يعمل كل واحد بحسب مايمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على الاكثر أو الاقل. فيلزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يعتبر الكبير وان يترك «الفسفسة» فني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل فى ان نزيد الماهيات والمرتبات حتى يعم النفع وكل ميزانيه تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيني وبينه وداعه أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي أمل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول — وفى رواية قراية ان بعضهم قال — نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جدا امتحناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة أفندينا)

« الحمد لله لنا أمل قريب يظهر علماء من الاسكندرية يفيدون وطنهم واذا خطب أحدهم لايخشى الانسان من سماع خطبته ولكن هذا لايكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما انا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لانحب المجاهرة والغوغاء بين الناس (وهنا التفت لى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحدا مع الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك. ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لايحصل شيء ابدا حتى اذا جئنا من السفر لانسمع الا مايسرنا »اه

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قاله لامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفسفسة والوشاية فزجره (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار العقول من

المشايخ من الامير وفقه الله. وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الازهر وكون هـذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا خطبته عند إلباس الكسوة لشيخ الازهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

انتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذاكرهم الاستاذ الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجـه الذي ذكرناه فى ترجمته الى تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحـد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكتتبوا في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا مديراً الجريدة وأعضاء لمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة » وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعتهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون نخشى ان نكون مقطما ثانيا ومن الناس من يجـزم بذلك و يستدلون بأن وجهاء الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم ايثار مصلحة على مصلحتها ، وأنهم يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ليست مصلحة البلاد فى اتخاذ حكومتها خصما لهـا والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمـة النافعة ان تهب الجرائد عند كل عمل منتقد للحكومة صائحـة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين ، وانهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامـدين متعمدين ، كما يعلمون أن من الخيانة للبلاد السكوت عن انتقاد ما يجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها بالدليل والبرهان ، مع أدب القلم واللسان ، وتلك هي الطريقة المثلى ، في هـذه الخدمة الفضلى ، وسيرى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يعدها ركنا لمعيشته ولا لرفعته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة أقوى من الرجاء في اخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يتولون كتابتها وتحريرها، اذا ظفر مجلس ادارتها بالكاتبين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة والقوانين ممن لا تنبسط أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استعمال أمثالهم تسنى لها ان تكون أرقى من كل ماعداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو واذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة رآها الناس دونها لانهم ينتظرون أن تكون أكثر اتقانا فهم يزنونها بهذا الميزان

حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداجن في جهة دنشواي التابعة لمركز شبين الكوم وكانوا ألموا بها في سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية ولما شرعوا في الصيد اسناء أصحاب الحمام واتفق ان اشتعلت النار في جرن (بيدر) بالقرب منهم فانبرى بعض الفلاحين لصدهم عن صيد حمامهم حرصا عليه وخوفا على أجران غلتهم ان تحترق من نار البنادق وفي أثناء المقاومة أصيبت احدى نساء الفلاحين بنار بنادق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المقاومة ملاكمة وضربا بالعصي و لطوب فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط الضرو بين بالسير الى المعسكر لطلب النجدة فسار في حر محرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلموا أسلحتهم للفلاحين فما زادهم ذلك الا خشونة وعدوانا وقد سلبوا من الضباط ساعة وسلسلة مفاتيح وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المحتلين لأن العزيز يعد الاهانة الصغيرة كبيرة ومن يهن يسهل الهوان عليه فأجمعوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة المخصوصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيأة المحكمة في شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكما لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة من الفلاحين بالشنق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة ١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل سنة وعلى خمسة بخمسين جلدة فقط

وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبعضهم ينظر الى بعض والاهل والاقربون ينظرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان وكان الجلد فى نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد التأثير المزعج للناظرين ثم لجميع أهل القطر فهبت الجرائد للانتقاد والشكوى وكثر لغط الناس بظلم الانكليز وقال المتفلسفون منهم انما كان ذلك اللين السابق قبل تمام التمكن في البلاد. ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قال ناظر خارجية انكلترا في التعصب وقد اشرنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزء حتى قصرت ألسنة الذين كانوا يثنون على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول

يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي و يقول من ينتصر للانكليز فى كل شيء بل هو قضائي عادل وعندي أن الأولين هم المتصرون لان القوم اذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذى هو قصاص المساواة في مثل هذه الواقعة يجرىء الفلاحين على جيش الاحتلال لتعصبهم أولخشونتهم وان هذا الجيش اذا لم يكن ممالا تطمح النفوس الى الجرأة عليه فانه لا يمكن للمحتلين ان يقيموا فى البلاد وكانوا قد قسوا فى الحكم للارهاب واقفال هذا الباب فان السياسة المتبعة فى كل زمان تقول لهم أصبتم في التنكيل ببضعة رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في القصاص العادي لمنع حدوث فتن ربما أدت الى قتل من لا يحصى من الرجال وافساد كثير من الأعمال . واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لا سياسي يقول لنا المنتقد أين القانون أو الشرع الذى بني عليه الحكم ومتى كان الرأي المجرد قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لشفائه أيام معدودات ؟

فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ الأمن وتهذيب الفلاحين ليمتنع العدوان الذى تأصل في البلاد بضعف الدين وقوة الجهل وزوال هيبة الحكومة وان لا يعود مثل هذا الخطأ فى الفهم بين المحتلين والمصريين آمين

وفد الشريف الى اليمن والثورة

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لهما الى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع للدولة العلية . والدولة لاتزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خير من ذلك كله وأنى لنا بهما

الدولة ومؤتمر الاديان في اليابان

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزء سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طلبت منا ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستانة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب واني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحمد مدحت أفندي الذى ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق فى تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لوكيل المنار الفاضل في الجزء الاخير من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي تكرم بقبول الوكالة فيها فلم يحر جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نعهد اليه بالوكالة وكفه القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وانه أرسل طائفة من النقود التى حاسبه عليها وانه لا يلبث أن يكتب الينا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع الينا قولا ولكن جاءتنا طائفة من النقود فى حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقين الاديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لان سنة المنار التاسعة قد انتصفت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بارسال ماعليهم الينا ولعلهم لا يبلغون عشرة في المئة من مشتركي تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء مالم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل، وما كان من أمر التحصيل، فعسى أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليتسنى لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار، ونستريح من ألم الانتظار، ونشكر لهما الشكر الصميم ، وانما الاعمال بالخواتيم ،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿مصر — رجب الحرام سنة ١٣٢٤ — أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٢٤) لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

جعل بعض المفسرين قوله تعالى ﴿ لله ما في السموات وما في الارض ﴾ بمثابة الدليل على ما قبله وقال الاستاذ الامام الآية متصلة بقوله تعالى (ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بكل شيء عليم) ويصح ان تكون متممة لها لان مقتضى كونه عليما بكل شيء أن له كل شيء فهذا كالدليل على كونه عالما بكل شيء أي أنه عليم به لأنه له وهو خالقه فهو كقوله (ألا يعلم من خلق) وبهذا الاستدلال يتقرر النهي عن كتم الشهادة وكونه إنما يعاقب عليه وأكده بقوله ﴿ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ لدخول كتمان الشهادة في عموم ما في النفس (قال) ويصح ان تكون الآية متصلة بآية الدين من أولها لأنه شرع

انا أحكاما تتعلق بالدين كالكتابة والشهادة فكأنه يقول ان تساهلتم في هذه الاحكام وأضعتم الحقوق فتظاهرتم بالامانة مع انطواء النفس على الخيانة وغالطتم الناس وأكلتم أموالهم بذلك أو أضعتموها بكتمان الشهادة ونحو ذلك فان الله يحاسبكم ويعاقبكم على ذلك لأن له مافي السموات وما في الارض ومنها أنتم وأعمالكم النفسية والبدنية: أقول وجعلها بعضهم متعلقة بأحكام السورة كلها

(قال) والمراد بقوله «مافي أنفسكم» الاشياء الثابتة في أنفسكم وتصدر عنها أعمالكم كالحقد والحسد وألفة المنكرات التي يترتب عليها ترك النهي عن المنكر فإن السكوت عن النهي أمر كبير يحل الله عقوبته في الامة بسببه وليس هو مجرد اتفاق السكوت وانما هو باعتبار سببه في النفس وهو ألفة المنكر والانس به وللانسان عمل اختياري في نفسه هو الذي يحاسب عليه نعم ان الخواطر والهواجس قد تأتي بغير ارادة الانسان ولا يكون له فيها عمل ولكنه اذا مضى معها واسترسل تحسب عليه عملا يجازي عليه لانه سايرها مختارا وكان يقدر على مطاردتها وجهادها . وسواء كانت هذه الخواطر والهواجس صادرة عن ملكة في النفس تثيرها أو عن شيء لايدخل في حيز الملكة مثال ذلك الحسود تبعث ملكة الحسد في نفسه خواطر الانتقام من المحسود والسعي في ازالة نعمته لتمكنها في نفسه وامتلاكها لمنازع فكره وهذه الخواطر مما يحاسب عليها ابداها أو اخفاها الا ان يجاهدها ويدافعها فذلك مايكافه . ومثال الثاني المظلوم يذكر ظالمه فيشتغل فكره في دفع ظلمه والهرب من أذاه وربما استرسل مع خواطره إلى ان تجره الى تدبير الحيل للايقاع به ومقابلة ظلمه بما هو شر منه فيكون مؤاخذا عليها أبداها أو أخفاها وقد قال تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وذلك أن فظاعة المنكر زالت من نفوسهم بالأنس بها من أول الامر. وهكذا يقال في كل أعمال القلب التي أمرنا الشرع بمجاهدتها . ولا يدخل في هذا مايمر في النفس من الخواطر والوساوس كما قيل و بنوا عليه ان الصحابة رضي الله عنهم شق عليهم العمل بالآية وشكوا للنبي صلى الله عليه وسلم الوسوسة فنزلت الآية

التى بعدها دفعا للحرج . ولفظ الآية يدفع هذا لأنها نص فيما هو ثابت في النفس ومتمكن منها كالاخلاق والملكات والعزائم القوية التي يترتب عليها العمل بأثرها فيها اذا انتفت الموانع وتركت المجاهدة وكذلك يدفعه ما كان عليه الصحابة الكرام من علو الهمة والاخذ بالعزائم وهم الذين كانوا يفهمون القرآن حق الفهم ويتأدبون به ويقيمونه كما يجب وما أبعدهم عن الاسترسال مع الوساوس والاوهام

هذا ما قاله الاستاذ الامام مفصلا وهو المتبادر من لفظ الآية ولا شك أن ما يجازى عليه مما في النفس يعم الملكات الفاضلة والمقاصد الشريفة وانما مثل هو وغيره بالحقد والحسد لمناسبة السياق ولهذا السياق خصه بعضهم بكتمان الشهادة وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد ورد ذلك الأكثرون بأنه مخالف لعموم اللفظ وخصه بعضهم بالكفار وهو تخصيص بلا مخصص أيضا وذهب الجمهور الى أن الآية منسوخة بما بعدها . أخرج أحمد ومسلم وأبو داود في ناسخه وغيرهم عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله (ص) ثم جثوا على الركب فقالوا يارسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزل الله هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله (ص) «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الى آخرها . وأخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس نحوه . وأخرج البخاري والبيهقي عن مروان الاصفر عن رجل من الصحابة أحسبه ابن عمر « وان تبدوا ما في أنفسكم » الآية قال نسختها ما بعدها . واحتجوا للنسخ بحديث أبي هريرة في الصحيحين والسنن «ان الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل به»

وأقول ليس في هذه الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم صرح بأن الآية

منسوخة وانما قصاراها ان بعض الصحابة فهم أنها نسخت والروايات عنهم في ذلك مختلفة والقول بالنسخ ممنوع من وجوه (أحدها) ان قوله تعالى (يحاسبكم به الله) خبر والاخبار لا تنسخ كما هو معروف في علم الأصول

(ثانيها) ان كسب القلب وعمله مما دل الكتاب والسنة والاجماع والقياس على ثبوته والجزاء عليه ظهر أثره على الجوارح أم لم يظهر وهو مادلت عليه الآية فالقول بنسخها إبطال للشريعة ونسخ للدين كله أو اثبات لكونه دينا جثمانيا ماديا لاحظ للارواح والقلوب منه — قال تعالى (٢ : ٢٢٤ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقال (١٧ : ٣٦ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) وقال (٢٤ : ١٩ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) والحب من أعمال القلب الثابتة في النفس. فقوله تعالى (ما في أنفسكم) معناه ماثبت واستقر في أنفسكم كما تقدم و يدخل فيه الكفر والاخلاق الراسخة والصفات الثابتة من الحب والبغض في الجور وكتمان الشهادة وقصد السوء أو سوء القصد وفساد النية وخبث السريرة وهذه الاعمال والصفات هي الاصل في الشقاوة وعليها مدار الحساب والجزاء ولولا أن للأعمال البدنية آثارا في النفس تزكيها أو تدسيها، لما آخذ الله تعالى في الآخرة أحدا عليها، لانه تعالى لا يعاقب الناس حبا في الانتقام ولا يظلم نفسا شيأ ولكنه جعل سننه في الانسان أن يرتقي أو يتسفل نفسا وعقلا بالعمل فلهذا كان العمل مجزيا عليه في الآخرة فان أثره في النفس هو متعلق الجزاء

(ثالثها) ان الخواطر السانحة والوساوس العارضة وحديث النفس الذي لا يصل الى درجة القصد الثابت والعزم الراسخ لا يدخل في مفهوم الآية كما قال المحققون واختاره الاستاذ الامام كما تقدم لان ماذكر غير ثابت ولا مستقر وقوله « في أنفسكم » يفيد الثبات والاستقرار . وانما كان هذا وجها لابطال النسخ لانه اذا ثبت ان ماذكر داخل فى الآية فلقائل ان يقول ان الآية خبر يفيد النهي عن هذه الخواطر والوساوس في المعنى فهو من تكليف مالا يطاق فيجب ان يكون

قوله بعده (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ناسخا له وبهذا تعلم ان حديث التجاوز عن حديث النفس لا ينافي الآية ولا يصلح دعامة للقول بنسخها

(رابعها) ان تكليف ماليس في الوسع ينافي الحكمة الالهية البالغة ، والرحمة الربانية السابغة ، فهو لم يقع فيقال ان الآية منه ونسخت بما بعده

(خامسها) المعقول في النسخ أن يشرع حكم يوافق مصلحة المكلفين ثم يأتي زمن او تطرأ حال يكون ذلك الحكم فيه مخالفا للمصلحة وكون مافي النفس يحاسب عليه من الحقائق التي لاتختلف باختلاف الأزمنة والاحوال

فان قيل اذا كان معنى الآية ما ذكرت فلماذا قال الصحابة فيها ماقلوا أقول ان الصحابة عليهم الرضوان قد دخلوا في الاسلام وأكثرهم رجال قد تربوا في حجر الجاهلية وانطبعت في نفوسهم قبله أخلاقها وأثرت في قلوبهم عاداتها فكانوا يتزكون منها ويتطهرون من لوثها تدريجا بزيادة الايمان، كلما نزل شيء من القرآن، وباتباع الرسول ، فيما يفعل ويقول ، فلما نزلت هذه الآية خافوا أن يؤاخذوا على ما كان لايزال باقيا في أنفسهم من أثر التربية الجاهلية الاولى وناهيك بما كانوا عليه من الخوف من الله عز وجل واعتقاد النقص في أنفسهم حتى بعد كمال التزكية وتمام الطهارة حتى كان مثل عمر بن الخطاب يسأل حذيفة بن اليمان هل يجد فيه شيئاً من علامات النفاق وأخبرهم الله تعالى بأنه لايكلف نفسا الا وسعها ولا يؤاخذها الا على ما كلفها فهم مكلفون بتزكية أنفسهم ومجاهدتها بقدر الاستطاعة والطاقة وطلب العفو عما لا طاقة لهم به كما سيأتي تفصيله ولا يبعد ان يكون بعضهم قد خاف ان تدخل الوسوسة والشبهة قبل التمكن من دفعها في عموم الآية فكان ما بعدها مبينا لغلطهم في ذاك . وأما تسمية بعضهم ذلك نسخا فقد أجاب عنه بعض المفسرين بأنه عبر بالنسخ عن البيان والايضاح تجوزا ولك ان تقول ان المراد به النسخ اللغوي وهو الازالة والتحويل لا الاصطلاحي أي ان الآية الثانية كانت مزيلة لما أخافهم من الاولى أو محولة له الى وجه آخر ويحتمل أن يكون الصحابي لم ينطق بلفظ النسخ وانما فهمه الراوي من القصة فذكره وكثيرا ما يرد دون الاحاديث المرفوعة بالمعنى . على انه ليس من النص المرفوع ورأي الصحابي ليس بحجة

عند الجماهير لاسيما اذا خالف ظاهر الكتاب . واني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول عالم صحابي يخالف ظاهر القرآن وان وثقوا رجاله فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن ولو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تنتقد من جهة سندها لقضت المتون على كثير من الاسانيد بالنقض وقد قالوا ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة في الشريعة أو للبرهان العقلي أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

أما ابداء ما في النفس فهو اظهاره بالقول أو بالفعل وأما اخفاؤه فهو ضده والابداء والاخفاء سيان عند الله تعالى لانه (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) فالمدار في مرضاته على تزكية النفس وطهارة السريرة لا على لوك اللسان وحركات الأبدان . وأما المحاسبة فهي على ظاهرها وان فسرها بعض بالعلم وبعض بالجزاء الذي هو غايتها ولازمها ذلك ان للنفوس في اعتقاداتها وملكاتها وعزائمها وارادتها موازين يعرف بها يوم الدين رجحان الحق والخير أو الباطل والشر هي أدق مما وضع البشر من موازين الاعيان وموازين الاعراض كالحر والبرد (٢١: ٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وسيأتي قول الاستاذ الامام في الحساب والجزاء

﴿ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ أي فهو بماله من الملك المطلق يغفران يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء عذابه وقرأ غير ابن عامر وعاصم ويعقوب بجزم يغفر ويعذب بالعطف على يحاسبكم وانما يشاء ما فيه الرحمة ، والعدل والحكمة ، والاصل في العدل أن يكون الجزاء السيء على قدر الاساءة وتأثيرها في تدسية نفوس المسيئين والجزاء الحسن على قدر الاحسان وتأثيره في أرواح المحسنين ولكنه تعالى برحمته وفضله يضاعف جزاء الحسنة عشرة اضعاف ويزيد من يشاء ولا يضاعف السيئة . والآيات المفصلة في هذا المعنى كثيرة وبها يفسر المجمل وقد بينا معنى المغفرة غير مرة بايضاح وحسبك هنا ان تعلم ان الذنب المغفور هو الذي يوفق الله صاحبه لعمل صالح يغلب أثره في النفس . والجاهل بهدي الكتاب يحسب ان الامر فوضى والكيل جزاف ويمني نفسه بالمغفرة على اصراره ، واقامته

على أوزاره، ألم يقرأ في دعاء الملائكة للمؤمنين (٤٠: ٦ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ٧ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) وقال الاستاذ الامام: شأن الله تعالى في المحاسبة ان يذكر الانسان أو يسأله لم فعلت فبعد ان يري العبد أعماله الظاهرة والباطنة يغفر او يعذب فمن الناس من لم تصل أعماله المنكرة الى ان تكون ملكات له فالله سبحانه يغفرها له ومنهم من تكون ملكات له فهو يعاقبه عليها وهو يفعل ما يشاء ويختار. وقد يظن من لا يؤمن بالكتاب كله أن في هذا سبيلا للمروق من التكليف لان أمر المغفرة والتعذيب موكول للمشيئة والرجاء فيها كبير وهذا ضلال عن فهم الكتاب بالمرة فالآية انذار وتخويف ليس فيها موضع للطمع بمغفرة ذنب ما وان كان صغيرا: أقول وقد ذكرني قوله بكلمة لابي الحسن الشاذلي قال: وقد ابهمت الامر علينا نرجو ونخاف فأمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا: وهذا من أحسن الدعاء

وقد قرر ما ذكر من تعليق الأمر بالمشيئة واحتج عليه بقوله ﴿والله على كل شيء قدير﴾ أي فهو بقدرته ينفذ ما تعلقت به مشيئته فنسأله العناية والتوفيق، والهداية لاقوم طريق

قيل ان الآيتين متعلقتان بما قبلهما لما فيه من ذكر كمال الالوهية الذي يقابله من كمال الايمان والدعاء ما يناسبه أو لما فيه من ذكر الحساب والعلم بالخفايا المقتضي للايمان والدعاء وقيل انه لما افتتحت هذه السورة ببيان كون القرآن لا ريب فيه وكونه هدى للمتقين وذكر صفات هؤلاء المتقين وأصول الايمان التى أخذوا بها وخبر سائر الناس من الكافرين والمرتابين ثم ذكر فيها كثير من الاحكام ومحاجة من لم يهتد به من بعض الامم ناسب بعد هذا كله ختم السورة بالشهادة للمؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم بالايمان وهم المهتدون تمام الاهتداء ولقنهم من الدعاء ما تستلزم حكمته وهذا الوجه هو الذي اختاره الاستاذ الامام قال تعالى

---

(٢٨٥) آمَنَ الرَّسولُ بِمَا أُنزِلَ اليهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *

﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ﴾ أي صدق الرسول بما أنزل اليه في هذه السورة وغيرها من العقائد والاحكام والسنن والبينات والهدى تصديق اذعان واطمئنان وكذلك المؤمنون من أصحابه (عليهم الرضوان) وقد شهد لهم بهذا الايمان أثره في نفوسهم الزكية وهممهم العلية وأعمالهم المرضية والله اكبر شهادة. وقد اعترف كثير من علماء الافرنج الباحثين في شؤون المسلمين وعلومهم وسائر شؤون أمم الشرق بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على اعتقاد جازم بأنه مرسل من الله وموحى اليه وكانوا من قبل متفقين على انه ادعى الوحي لانه رآه أقرب الطرق لنشر حكمته والاقناع فلسفته وهو غير معتقد به ﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ وقرأ حمزة وكتابه أي كل منهم آمن بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه وكمال صفاته وحكمته وسننه في خلقه، و بوجود الملائكة الذين هم السفراء بين الله و بين الرسل من البشر ينزلون بالوحي على قلوب الانبياء قال المفسرون ليس المراد بالايمان بالملائكة الايمان بذواتهم بل الايمان بسفارتهم في الوحي كما يفهم من النظم والترتيب، ولذلك عطف عليهم الايمان بحقية كتبه وصدق رسله. لكن ما يفيده لترتيب والنظم من ارادة الايمان بالملائكة من حيث هم حملة الوحي الى الرسل لا ينافي ملاحظة الايمان بهم من حيث هم من عالم الغيب بل يستلزمه. وأما البحث عن ذواتهم ماهي وعن صفاتهم وأعمالهم كيف هي فهو مما لم يأذن به الله في دينه. والمراد بالايمان بالكتب والرسل جنسها أي يؤمنون بذلك ايمانا اجماليا فيما أجمله القرآن وتفصيليا فيما فصله لا يزيدون على ذلك شيأ و يقولون ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾

قرأ يعقوب وأبو عمرو في رواية عنه «لا يفرق» وهو يعود على لفظ كل وذكر المقول مع حذف القول كثير في الكلام البليغ وله مواضع في الكتاب لا يقف الفهم في شيء منها قال الاستاذ الامام والمعنى ان من شأن المؤمنين ان يقولوا هذا معتقدين انهم في الرسالة والتشريع سواء، كثر قوم الرسول منهم أم قلوا وكثرت الاحكام المنزلة عليه أم قلت وتقدمت البعثة أم تأخرت وهذا لا يناقض قوله تعالى (٢٥٣ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فان التفضيل ليس في أصل الرسالة والوحي كما تقدم في تفسير الآية . أقول وفي هذا مزية للمؤمنين من هذه الامة على غيرهم من أهل الكتاب الذين يفرقون بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض كأنهم لم يعقلوا معنى الرسالة في نفسها اذ لو عقلوها لما فرقوا بين من أوتوها وقد رأيت غير واحد من أذكياء النصارى يدرك هذه المزية

آمنوا بما ذكر قائلين بعدم التفريق ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ أي بُلغنا فسمعنا القول سماع وعي وفهم وأطعنا ما أمرنا به فيه اطاعة اذعان وانقياد . قال الاستاذ الامام في الدرس وقد بينا لكم مرارا ان فرقا بين ايمان الاذعان وبين ما يسميه الانسان ايمانا واعتقادا لانه نشأ عليه وقبله بالتقليد ولم يسمع له ناقضا فمثل هذا ليس اعتقادا حقيقيا وقلما ينشأ عنه عمل لانه تقليد بقاؤه في الغفلة عن ناقضه: والاذعان ينبه النفس دائما الى ماتذعن له ويبعثها دائما الى العمل به الا اذا عرض مالا يسلم منه المرء من الموانع ،ولهذا عطف أطعنا على سمعنا . ولما كان العامل المذعن المخلص يراقب قلبه ويحاسب نفسه على التقصير الذي تأتي به العوارض الطارئة ويلومها على مادون الكمال عن الاعمال كان من شأن المؤمنين أن يقولوا مع السمع والطاعة ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ أي يسألونه تعالى ان يغفر لهم ماعساه يطرأ على أنفسهم فيعوقها عن الرقي في معارج الكمال الذي دعاها اليه الايمان . والغفران كالمغفرة الستر وستر الذنب يكون بعدم الفضيحة عليه في الدنيا وترك الجزاء عليه في الآخرة وانما يطلب هذا بالتوبة وإتباع السيئة الحسنة مع الدعاء الذي يزيد في الايمان وبذلك يمحى أثر الذنوب من النفس في الدنيا فيرجى ان تصير اليه تعالى في الآخرة نقية زكية لأن هذا المصير اليه وحده هو الذي يكون وراءه الجزاء

بحسب درجات النفوس فى معارج الكمال

﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ ولا يحاسبها الا على ماكانها والتكليف هو الالزام بما فيه كلفة والوسع ماتسعه قدرة الانسان من غير حرج ولا عسر وقال بعضهم هو مايسهل عليه من الامور المقدور عليها وهومادون مدى طاقته. والمعنى ان شأنه تعالى وسنته في شرع الدين ان لايكلف عباده مالا يطيقون . قال المفسرون ان الآية تدل على عدم وقوع تكليف مالا يطاق لاعلى عدم جوازه ولكن هذا لا يلتئم من قولهم ان الكلام في شأنه وسنته تعالى في التكليف وسنأتي تتمة هذا البحث قريبا . واذا كان هذا التكليف لم يقع كما قالوا امتنع ان تكون الآية ناسخة لما قبلها لانه لا يتضمن تكليف ماليس فى الوسع كما تقدم ولا لقوله تعالى (٣: ١٠٢ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) كما قيل . وفى الجملة وجهان قيل هي ابتداء خبر من الله تعالى كأنه بشارة بغفران ماطلبوا غفرانه من التقصير ، وتيسير ماقد يشتم من الآية السابقة من التعسير ، وقيل انها داخلة في قول المؤمنين فهم بعد سؤال الغفران قد أذنوا بأن يصفوا الله تعالى بهذا النوع من الرأفة بعباده والحكمة في سياستهم

﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ قيل ان الكسب والاكتساب واحد في اللغة نقل عن الواحدي وقيل ان الاكتساب أخص واختلفوا فى توجيهه واختار الاستاذ الامام في الدرس ماقاله الزمخشري وقال انه الصواب وهو ان الفرق بينهما كالفرق بين عمل واعتمل فكل من اكتسب واعتمل يفيد الاختراع والتكلف فالآية تشير أوتدل على ان فطرة الانسان مجبولة على الخير وانه يتعود الشر بالتكلف والتأسي والمعنى ان لها ثواب ما كسبت من الخير وعليها عقاب ما اكتسبت من الشر . وقد اختلف الناس في الانسان هل هو خير بالطبع أوشرير بالطبع والى أي الامرين يكون أميل بفطرته مع صرف النظر عما يتفق له في تربيته . المسألة مشهورة وقد قال الاستاذ الامام لاشك ان الميل الى الخير مما أودع فى طبع الانسان والخير كل مافيه نفع نفسك ونفع الناس وجماع ذلك كله ان تحب لاخيك ما تحب لنفسك كما ورد في الحديث(١) . والانسان يفعل الخير بطبعه وتكون فيه لذته ويميل الى عبادة الله

(١) رواية الشيخين والترمذي والنسائي «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه

تعالى لان شكر المنعم مغروس فى الطبع ويظهر أثره في كل انسان وأقله البشاشة والارتياح للمنعم ولا يحتاج الانسان الى تكلف في فعل الخير لانه يعلم ان كل أحد يرتاح اليه ويراه بعين الرضى . وأما الشر فانه يعرض للنفس باسباب ليست من طبيعتها ولا مقتضى فطرتها ومهما كان الانسان شريرا فانه لا يخفي عليه ان الشر ممقوت في نظر الناس وصاحبه مهين عندهم فان الطفل ينشأ على الصدق حتى يسمع الكذب من الناس فيتعلمه واذا رأى اعجاب الناس بكلام من يصف شيئاً يزيد فيه ويبالغ كاذبا استحب الكذب وافتراه لينال الحظوة عند الناس ويحظى باعجابهم وهو مع ذلك لا ينفك يشعر بقبحه حتى اذا نُبزأمامه أحد بلقب الكاذب أوالكذاب أحسّ بمهانة نفسه وخزيها . وهكذا شأن الانسان عند اقتراف كل شر يشعر فى نفسه بقبحه ويجد من أعماق سريرته هاتفا يقول له لا تفعل ويحاسبه بعد الفعل ويوبخه الا في النادر ومن النادر ان يصير الانسان شراً محضا — يريدانه قلما يألف أحد الشر وينطبع به حتى يكون طبعاله لا تشعر نفسه بقبحه عند الشروع فيه ولا في أثنائه ولا بعد الفراغ منه حتى انه قال انه لا يوجد في المليون من الناس شرير واحد يفعل الشر وهو لا يشعر بأنه شر قبيح في نفسه والذين ذهبوا الى ان الانسان شرير بالطبع أرادوا من الطبع مايرون عليه غالب الناس ولم يلاحظوا فيه معنى الغريزة ومناشيء العمل من الفطرة . ذلك أن الانسان ينشأ بين منازعات الكون وفواعل الطبيعة وأحيائها ومغالبة أبناء جنسه على المنافع والمرافق وقد يدفعه هذا الجهاد الى الاثرة وتوفير الخير لنفسه خاصة ويلجئه الظلم الى الظلم فيأتيه متعلما اياه تعلما متكلفا له تكلفا وفي نفسه ذلك الهاتف الفطري يقول له لا تفعل وهو النبراس الآلهي الذي لا ينطفيء . فاذا رجع الانسان الى أصل فطرته لا يرى الا الخير ولا يميل الا اليه واذا تأمل في الشر الذي يعرض له لم يخف عليه انه ليس من أصل الفطرة وانما هو من الطوارىء التي تعرض عليها لاسيما من ينشأ بين قوم فسدت فطرتهم وأشد مايضر الانسان في ذلك نظره الى حال غيره ولذلك أمرنا في الحديث ان ننظر فى شؤون الدنيا الى من دوننا وهذا الامر خاص بالأفراد بعضهم مع بعض فان نظر الواحد الى من دونه يجعله راضيا بما

أوتيه من النعم بعيدا عن الحسد الذي هو منبع الشرور وأما الامم فينبغي ان ننظر في حال من فوقنا منها لاجل مباراتها ومساماتها .

هذا ماقاله الامام فى هذه المسألة بايضاح ومنه يعلم وجه قوله تعالى في الخير كسبت وفي الشر اكتسبت وكان رحمه الله تعالى يرى أن أحق مايتعجب له من حال الانسان كثرة عمل الشر وقلة عمل الخير ويعلل ذلك بأن عمل الخير سهل وعاقبته حميدة وعمل الشر عسر ومغبته ذميمة ولاعجب في تعجبه فقد كان مجبولا من طينة الخير سليم الفطرة من عوارض الشر حتى لم تؤثر في نفسه الزكية الشرور التي كانت تحيط به من أول نشأته الى يوم وفاته قدس الله روحه ورضي الله عنه ،
والمسألة تحتاج الى زيادة في البسط لكثرة اشتباه الناس فيها ولَشَدّ ما عارضنا في تقريرها الطلاب في الدرس والباحثون فى المحاضرات ولئن سألتهم ماهو الشر الفطري في البشر ليقولن حب الشهوات والغضب وماينشأ عنهما من الاعمال والاخلاق ولولا هاتان الغريزتان لماجلب أحد لنفسه ولا لغيره نفعا ولما دفع ضرا ولما ظهر من أعمال الانسان مانرى من أسرار الطبيعة ومحاسن الخليقة بل لولاهما لبادت الافراد وانقرض النوع من الارض . وفي الفطرة والدين المرشد الى كمالها مايكفي لاقامة الميزان القسط فيهما غالبا حتى لا يغلب في الامة تفريط ولا افراط ويكون الخير أصلا عاما والشر عرضا مفارقا . والاصل الذى لاينازع فيه أحد ان الانسان قد جبل على ان لا يعمل عملا الا اذا اعتقد أنه نافع وأن فعله خير له من تركه وذلك شأنه فى الترك أيضا وان هداياته الاربع — الحس والوجدان والعقل والدين — كافية لأن يعتقد ان كل خير نافع وكل شر ضار فاذا قصر فى الاهتداء بهذه الهدايات فوقع في الشر كان وقوعه فيه أثراً لتنكب طريق الفطرة لا للسير على جادتها وأكثر أعمال الناس نافعة لهم غير ضارة بغيرهم . ومن التفصيل في المسألة ماتقدم من القول في كذب الاطفال ومنه ماسئلنا عنه في الدرس ومجالس البحث من الميل الى الزنا مثلا وأجبنا بأن الانسان لا يميل بفطرته الى الزنا وانما يميل الى الوقاع وهذا من الخير وأصول الكمال في الفطرة وانما الزنا وضع له في غير موضعه وذلك من العوارض الطارئة التي تكثر بترك مقومات الفطرة وحوافظها من تذر الدين وقضايا

العقل وآداب الاجتماع ولقد كنت قبل الوقوف على أحوال الناس لاسيما في بلاد مصر أظن ان الزنا لايكاد يقع الا نادرا من بعض أفراد الجاهلين وهذا مايعتقده كل من ينشأ في بيئة تغلب فيها العفة ولم يعرف حال غيرها ولا اخبار الشاذين فيها ولو كان فطريا لشعر كل أحد من نفسه بالحاجة اليه كما يشعر بانه في حاجة الى زوج يتحد به · ولعل ماأوردناه كاف للمتدبر ولا يتسع التفسير لأكثر منه

بين الله تعالى لنا شأن المؤمن في السمع والطاعة ثم طلب المغفرة لما يلمّ به أو يتهم به نفسه من التقصير وفضله ومنته في عدم تكليف النفس ماليس في وسعها ثم علمنا هذا الدعاء لندعوه به وهو ﴿ ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾ فتركنا ماينبغي فعله أو فعلنا مايجب تركه أو جئنا بالشيء على غير وجهه · وهذا يدل على ان من شأن النسيان والخطأ ان يؤاخذ عليهما وسيأتي بيان الوجه فيه والمؤاخذة المعاقبة وهي من الأخذ لان من يراد عقابه يؤخذ بيد القهر · قال الاستاذ الامام ومن الناس من قال ان الخطأ والنسيان لامؤاخذة عليهما لان الناسي والمخطئ لاارادة لهما فيما فعلاه نسيانا أو خطأ ومثل هذا الكلام يوجد في كتب الاصول والكلام ، ويتبعه من المناقشات مايبعد به عن حدود الافهام ، واذا رجع الانسان الى نفسه وتأمل الامر في ذاته علم أن الناسي يصح أن يؤاخذ فيقال له لم نسيت فان النسيان قد يكون من عدم العناية بالشيء وترك اجالة الفكر فيه و ترديده في النفس ليستقر في الذاكرة فتبرزه عند الحاجة اليه ولذلك ينسى الانسان مالايهمه ويحفظ مايهمه فاذا كان النسيان غير اختياري فسببه الذي بيناه آنفا اختياري ولذلك يؤاخذ الناس بعضهم بعضا بالنسيان لاسيما نسيان الادنى لما يأمره به الاعلى فاذا عهدت الى من لك عليه سلطان أو فضل بأن يفعل كذا أو يجيئك في يوم كذا فنسي ولم يمتثل فانك تسأله وتؤاخذه بما ترميه به من الاهمال وعدم العناية بأمرك · وقد آخذ الله آدم على ذنبه ثم تاب عليه مع قوله فيه (٢٠:١١٢ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) وقال في جواب من يسأل يوم القيامة ربه لم حشره أعمى من هذه السورة (٢٤٠ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال في أهل الكتاب (٥:١٤ ونسوا حظا مما ذكروا به – ١٥ فنسوا

حظا مما ذكروا به) وهناك آية أخرى وقد فسر النسيان فيها بالترك الذي هو لازمه وذلك لا يمنع الاستدلال بها لان المراد بالنسيان هنا أيضا لازمه وهو ترك الامتثال . وكذلك الخطأ ينشأ من التساهل وعدم الاحتياط والتروي ولذلك أوجبت الشريعة الضمان في اتلاف الخطإ والدية في جنايته فاذا أراد امرؤ أن يرمي صيدا فأصاب انسانا فقتله كان مؤاخذا في الشريعة وكذا في القوانين الوضعية فثبت ان النسيان على المؤاخذة والخطأ مما جاءت به الشريعة وجرى عليه عرف الناس في معاملاتهم وقوانينهم ولو لم يكن كل من الناسي والمخطىء مقصرا لما كان هذا وكما جاز ذلك وحسن يجوز ان يؤاخذ الله الناس في الآخرة بكل ما يأتونه من المنكر ناسين تحريمه أو واقعين فيه خطأ ولكنه تعالى علمنا أن ندعوه بأن لا يؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وذلك من فضله علينا واحسانه في هدايتنا فان هذا الدعاء يذكرنا بما ينبغي من العناية والاحتياط والتفكر والتذكر لعلنا نسلم من الخطإ والنسيان أو يقل وقوعهما منا فيكون ذنبا جديرا بالعفو والمغفرة فهذا الدعاء لا يدل على ان حكم الله في النسيان والخطإ ان لا يؤاخذ عليهما بل قصارى ما يؤخذ منه انهما مما يرجى العفو عنهما اذا وقع العبد فيهما بعد بذل جهده والاحتياط والتحري والتفكر والتذكر وأخذ الدين بقوة وشعر بتقصيره فلجأ الى الدعاء الذي يقوي في النفس خشية الله تعالى والرجاء بفضله فيكون هذا الاقبال على الله تعالى نورا تنقشع به ظلمة ذلك التقصير ولعل ايراد الشرط بإن للايذان بأن هذا خلاف ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وانه لا يقع الا قليلا وهذا وما قبله مما زدته على كلام الاستاذ الامام في هذا المقام

وقد يرد على هذا التفسير حديث ابن عباس المرفوع عند ابن ماجه وابن المنذر وابن حبان والدار قطني والبيهقي في السنن وهو « ان الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وهو ضعيف لا يسلم له اسناد ولكنه لكثرة طرقه يعد عندهم من الحسن لغيره (قاله في فتح البيان) وقد يقال ان مخالفته لظاهر الآية يدل على وضعه لا ضعفه الا ان يأول بأن هذه الامور أنفسها مما يتجاوز عنها في الآخرة ولا يترتب عليها حكمه فان كان صلاة أعيدت وان كان ذنبا وجبت التوبة منه والتضرع الى الله

بالدعاء والأوخذ الناسي والمخطىء على مايترتب على النسيان والخطإ دونهما وقد أمطأ القرافي في فروقه بما كتب هذا المقام خطأ ندعوالله ان يغفره له .

﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصرا ﴾ الإصر العبء الثقيل يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله وحمله أكثر المفسرين على التكاليف الشاقة لان الآية نزلت في زمن التشريع ونزول الوحي ولذلك قال ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ أي من الامم التي بعث فيها الرسل كبني اسرائيل فقد كانت التكاليف شاقة عليهم جدا وفي تعليمنا هذا الدعاء بشارة بانه تعالى لا يكلفنا مايشق علينا كما صرح بذلك بعد في قوله (٥: ٨ مايريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) وهو يتضمن الامتنان علينا واعلامنا بأنه كان يجوز ان يحمل علينا الاصر وانه يجب علينا شكره لذلك وحكمة الدعاء بذلك الآن استشعار النعمة والشكر عليها . وقال بعضهم ان الإصر هو العقوبة على ترك الامتثال وعدم حمل الشريعة على وجهها فطلب منا أن ندعوه بأن لا تكون عقوبتنا على ذلك كعقوبة الامم السابقة الذين نزلت بهم ألوان من العذاب ودمرتهم تدميرا حتى هلكوا هلاكا حسيا فلم يبق منهم أحد أوهلاكا معنويا بأن ضاعت أوتضعضعت شريعتهم ونسوا ماذكروا به حتى عادوا الى الوثنية والهمجية

﴿ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ من العقوبة أو من البلايا والفتن والمحن وذهب بعض المفسرين الى ان المراد به الشرائع والاحكام وجعلوه دليلا على جواز تكليف مالا يطاق كما تقدم فهو عندهم بمعنى ماقبله قال الاستاذ الامام مسألة تكليف مالا يطاق من الكلام الذي نعوذ بالله منه والخلاف فيها لا يترتب عليه أثر ما في الشريعة وأصل المسألة هل يجوز على الله عقلا ان يكلف الناس مالا يطيقون أم لا والمتقدمون على ان ذلك لم يقع . ومالا يطاق هو مالا يدخل في مكنة الانسان وطوقه وما يطاق هو ما يمكن أن يأتيه ولو مع المشقة . وقد جعلوا مالا يطاق بمعنى المتعذر الذي يعلو القدرة كالذي يستحيل فعله عقلا أو عادة والواجب علينا ان نفهم القرآن بلغته التي أنزل بها لا بعرف افلاطون وفلسفة ارسطو وقد رأينا العرب تعبر بما لا يطاق عما فيه مشقة شديدة كقول الشاعر

وليس يبين فضل المرء الا　　اذا كلفته مالا يطيق

أقول يريد رحمه الله تعالى اننا اذا فسرنا مالا طاقة لنا به بالاحكام والتكاليف كان معناها مافيه مشقة شديدة ولا يصح ذلك الا اذ فسرنا الاصر بالعقوبة تفاديا من التكرار والاولى أن يفسر الاصر بالتكاليف الشاقة ومالا طاقة به بالعقوبة على التقصير فيها وهو يتضمن الدعاء بنفي سبب العقوبة فيكون المعنى ربنا لاتحمل علينا مايشق علينا من الاحكام بل حملنا اليسير الذي يسهل علينا حمله ربنا ووفقنا لحمل ماحملتنا والنهوض به كما تحب وترضى لكيلا نستحق بمقتضى سننك ان تحملنا مالا طاقة لنا به من عقوبة المفرطين في دينهم المسرفين في اهوائهم ﴿واعف عنا﴾ بمحو أثر ماعسانا نلم به من أنفسنا وعدم العقوبة عليه ﴿واغفر لنا﴾ أي لاتفضحنا باظهاره بذاته ولا بالمؤاخذة عليه ﴿وارحمنا﴾ فى كل حال بما توفقنا له من اقامة دينك والسير على سننك التي جعلتها بحكمتك طرقا للسعادة ﴿أنت مولانا﴾ الذي منحتنا أنواع الهداية، (١) وأيدتنا بالتوفيق والعناية، فلا نعبد الا اياك، ولا نستعين بسواك، ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ الذين اتخذوا من دونك أولياء، وجهلوا سننك فى أنفسهم وفي سائر الاشياء، فأعرضوا عما مددت لهم من الاسباب، وجعلوا الملائكة والنبيين ومن دونهم من الارباب، والذين حجبتهم سننك الكونية، عن الايمان بالالوهية والربوبية، انصرنا على الجاحدين والمرتابين منهم بالحجة والبرهان، وعلى المعتدين بالسيف والسنان، وغير ذلك من أسباب حماية الحق التي تختلف باختلاف الزمان،

استحسن الاستاذ الامام تفسير الجلال النصر بالغلبة بالحجة وبالسيف وقال ان النصر بالحجة هو أعلى النصر وأفضله لانه نصر على الروح والعقل والنصر بالسيف انما هو نصر على الجسد ولانؤثر عنه في تفسير هذه الجمل الاخيرة من الآية شيئاً الا هذه العبارة ولكنه قال في شأن هذا الدعاء كله مامثاله: ان الله تعالى ماعلمنا هذا الدعاء لاجل ان نلوكه بألسنتنا وتحرك به شفاهنا فقط كما يفعل أهل الاوراد والاحزاب بل علمنا اياه لاجل أن ندعوه به مخلصين له لاجئين اليه بعد أخذ ما انزله بقوة والعمل به على قدر الطاقة واستعمال مايصل اليه كسبنا من الوسائل والذرائع

---

(١) رجع أنواع الهداية في تفسير سورة الفاتحة

التي هي وسائل الاستجابة في الحقيقة فمن دعاه بلسان مقاله ولسان حاله معا فانه يستجيب له بلا شك ومن لم يعرف من الدعاء الا حركة اللسان مع مخالفة الاحكام وتنكب السنن فهو بدعائه كالساخر من ربه الذي لا يستحق الا مقته وخذلانه . فاذا كان سبحانه قد بين لنا سبب المغفرة والعفو ، وهدانا الى طرق الغلبة والنصر ، فأعرضنا عن هدايته ، وتنكبنا سننه فى خليقته ، ثم طلبنا منه ذلك بألسنتنا دون قلوبنا وجوارحنا ، أفلا نكون نحن الجانين على أنفسنا ؟ وتوقف الدعاء على العمل يستلزم توقفه على العلم فلا يكون الداعي داعيا حقيقة كما يحب الله ويرضى الا اذا كان قد عرف ما يجب عليه من الشريعة وسنن الاجتماع واتبعه بقدر استطاعته . فاذا اتخذت الامة الوسائل التي أمرت بها ودعت الله تعالى ان يثبتها ويتم لها ما ليس في وسعها من أسباب النصر فان الله تعالى يستجيب لها حتما كما ورد في الحديث ان هذه الامة لا تغلب من قلة فنسأله تعالى التوفيق وهداية أقوم طريق (تم تفسير السورة)

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

﴿ تابع لما نقل عن الاحياء ﴾

« وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط ؟ قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لأصدقن وان ابتليت لأصبرن وان عوفيت لأشكرن . قال فما تقول فيّ ؟ قال أقول انك من أعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول انه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه . قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحم وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا . قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة فقال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العرق لبني أمية) دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان -هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الامر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي ان أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ و يصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعي رعية لم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»(١) ويقول إني ربما قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الى ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق امير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البغوي باسناد لين والشيخان وغيرهما بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله واني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله ونيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدي اليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقارف (١) وماشهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عزوجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس أمير المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى الغفاريون وشكوا الى أبي جعفر شيأ من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد انهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

---

(١) وفى نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كمحسن وهو ما كان ابوه غير عربي ويقابله الهجين

فقال يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك فقال ماتقول فيّ قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا اخبرتني قال تسألني بالله كانك لاتعرف نفسك قال والله لتخبرني قال انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني أعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين اني لأنصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرني ماخاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد

وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين انك لاتجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف لاأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت أخاف ان تسمعه ثم لاتعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لامجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما و يزداد الله بها سخطا عليه» يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما وال مات غاشا

رعيته حرم الله عليه الجنة» (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لاتغلق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء، يا أمير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه ، أوظلامة سقتها اليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولامتكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « ياعباس ياعم النبي نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لايغني عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال ياعباس وياصفية

(١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ـ ابن ابي الدنيا فى مواعظ الخلفاء وابو نعيم وابن عساكر والبيهقي فى الشعب (٢) رواه من ذكر وابو داود والنسائي (٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وابن عساكر

عمي النبي ويافاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئاً لي عملي ولكم عملكم» (١) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال الامراء أربعة فامير قوي ظلف (أي منع) نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة » فهو الهالك وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا:

وبعد أن أطال في وعظه بما حذفنا بعضه اختصارا قال

« يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك :ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك أياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

« وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة ليصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع. فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ماهذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني. فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي انبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل. فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه و بين الحق واصلاح ماظهر من البغي والفساد في الارض انت: فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي: قال وهل دخل أحدا من الطمع مادخلك يا أمير المؤمنين ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك و بينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها عنهم و بعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك، وان ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير، ولا أحد الا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لانخونه وقد سخر لنا فائتمروا على ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته و يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه و بين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا. ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه: مالك مالك؟ فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف. ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

وبعد ان أطال في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حذفنا بعضه للاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل. وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على اصلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور اللهم وفقني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العرابية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا فى طور جديد من الاصلاح الحقيقي وكان الفضل الاول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحا مدبرا اذ كان برياسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كالمسيطر على جميع أعمال الحكومة كما بينا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقادا كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلا عن الجزء الثاني من تاريخ حياته (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ — ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثر تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة أمر ذلك كله بثباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيئتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذاكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذكره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لابد من استيفائها (ولسنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريبا على الآذان وحشيا عن القلوب يساق الناس اليها(كأنما يساقون الى الموت) إذ كانوا يظنون ان الدخول فى المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من حطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكاتب من المكانة عند الحكام والتصرف في الحقوق فاكتفوا بارسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم و بعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها ولكننا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تنبهت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء بتربية أبنائهم من الآن فصاعدا على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه أخر ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعدهم أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الازمنة السابقة أزمنة جهل آبائهم لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم و بلادهم بأكثر ما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعدهم المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق آلهي يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سيقت الينا نؤدي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنساوية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادىء الرياضيات والطبيعيات وله تقدم في اللغة الفرنساوية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية فى البلاد المتمدنة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاشي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغريبة أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه أن يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفتر همة الذين لم ينالوا حظ التعليم فى صغرهم و ينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحدوثات تتسلى بها النفس بل ألذمن ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا و يخرج بنور جديد فتنجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف أوقات ليلهم الطويل في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لاطائل تحتها أو في أماكن أخرى نتحاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليغذوا عقولهم و يروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليلة في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفنن منهم ولا العامي والعلوم التى يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمة وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، و يتلهفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانب (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أيقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولاحظت نظارة المعارف أنها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة تجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا انها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماتشاء لهذا الغرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان فى كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاولى ان لا نتكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستديما آخذا من البداية سهل الوسائل ميسر الاسباب

بلغة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل وتنبعث الغيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوبخهم الذمة ولعنهم ضمائرهم اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعللون بها اذ ذاك بل نرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم الليلي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا لضرورة تمنعه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنايات والحقوق والحسابات ونحو ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس فى شأن المدرسة الليلية التى افتتحتها نظارة المعارف قريبا وربما كانت تلك الاقوال صحيحة لكن ان صح ما قالوا فعليهم بتقديم آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطلوبهم ان رآه موافقا وخاليا من الموانع والمحظورات والا أقنعهم بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون الحق و يريحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضيع شتى يمنعنا من ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب فى العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنه ١٢٩٨ - ٢٣ ديسمبر سنه ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر بعضا منها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الاقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا

نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاتهم لوظائفهم وقيامهم

بواجباتهم مبينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت ان في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كمالا وزيادة فاستوجب موظفو الاولى التوبيخ والانذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة تعقلا وتبصرا لا حفظا ولقلقة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤلية الديوان

فانشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التنبيهات الاكيدة والتعليمات المفيدة وقالوا لو عمل بهذا المنشور لاطمأنت نفوس الكافة الى تربية ابنائهم في مدارسنا التى يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماة زمارها فقد كانت النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفرير والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بابناء الاهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لمــا أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع مراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سعادة ناظر المعارف الى كيفية التعليم وتشديده في ان تكون على وجهها الحقيقي ممــا يعيد الآمال و يقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسؤالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبــة وهي من أجــل المكافأة وأجملها ولهــا تأثير في جاب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليــه العيش وكانت حاجاته أكثر من ايراده لا تنفك عنه الوساوس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتغلب منغصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنعشه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحط من همته بل ربما أورث خللا في كيفية تأديته لوظائفه خصوصاً اذا

رأى غير المجتهد مماثلا له فى الرزق وأوفر راتبا منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسموع ان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل تود لو يزاد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الادراك واذا أدركوه فهل يوجد عندهم من القوة العملية والتدرب على الطرق الجديدة مايؤهلهم لاجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل الغاية منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لايمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم؟ وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى مايستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خسارا على التلامذة المساكين. ولا نقصد بالامتحان الا السؤال في الفن الذي يعلمه فاذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدّ عارفاً ثم طلب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم فرب عالم لايستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفون بفنونهم قادرون على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علما ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملا والبعض يوجد خاليا من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لايحب ان يجهد نفسه فى التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ماوقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص مقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لاجراء هذا المنشور أشخاصا

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هـذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلا و يقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فان رأوا نقصا عرفوا سببه ومن أي الجهات منبعه فان كان اعوجاجاً فى طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم و بينوا له الطريق مرة بعد أخرى فان اعتدل والا اعتزل و يكون أولئك الاشخاص تحت مسؤلية شديدة اذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فان ذلك يبعث الغيرة و ينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه و يسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ ؟ هل دققت نظارة المعارف فى معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكماله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنطبع هذه الكمالات فى نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات فى عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية و بين من لاخلاق له بأن يكون أحمق أو دنيئا أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرة التلامذة لهم موجبة لتلوثهم بالرذائل وتكون كلماته فى الدرس ممزوجة بسم الفساد فتميت أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلا وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوبا بشرور تعود على صاحبها بالشقاء و ياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقبا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفوض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالا ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملا بحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلا ليست أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولاموافقة لطريقة التعليم فى المدارس من اشتغال التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وانه يلزم ايجاد طريقة جديدة في التأليف وازلة كثير من الصعوبات التي عاقت كثيرا من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سعة في الفكر والاطلاع على الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي تدريسها في أي الفنون حتى يتأتى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال

من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره الى الجهات البحرية قد رأى أمورا كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة المعارف أشياء مهمة لابد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت المذاكرة في تلك الآراء القويمة التي أبداها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى البحث فى غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سؤالاتهم سردناها للاحاطة بها وانا نجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لاتغفل شيأ مما تعلمه نافعا ومفيدا ومن اليقين انها لاتشرع فى شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لايرى فيه الا الاثر الظاهر ولا يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الاوامر والنطق بالالفاظ العالية بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الاكرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الحاذق وكيل المكاتب الاهلية حضرة على بك فهمي وسنرى من أعمالهم مايرفع جميع هذه الاوهام ويفتح للمعارف فى عصرنا هذا تاريخا جديدا فهذه هي الفرصة التى نرى فيها الحكومة العالية مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فعلينا ان لانضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ — ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من أوقات الليل الطويل فرصة لايضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا فى تعلم ماينفعهم ويزيدهم نورا و بصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا و يقرأ فيها درس باللغة الفرنساوية يكون قاصرا على تعليم اللغة لاغير يبتدأ فيه من الهجاء الفرنساوي الى نهاية مايلزم ان يتعلم فى تلك اللغة أما دروس اللغة العربية فمنها ماهو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها مايكون في بعض علوم أخر نافعة من آداب وتاريخ أحوال الامم وتاريخ طبيعي و بعض مبادىء الرياضة (فيما سمعت) بحيث لاتنقص عن تلك المدرسة التى سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر مايقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لانتوسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لاتضر فى المقصود

ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسعى اليها و يهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لافضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لاتكون مبسوطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنساوية مثلا اذا لم تكن عنده مبادىء علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التى يطلب التفنن فيها لايعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادىء حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليليين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون معها بعض مبادىء العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التى لانزال نرى مساعيها فى تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفحم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهانا فعليا لاجدليا يقنع الناظرين و يفحم المخاصمين و يذهب بتعللات المتعللين ومطالبا لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف و يقدرونها حق قدرها يجيبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لى طلبهم و يكون لجريدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر ومافيه اه

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة فى المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب انشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد إلى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المنتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيد واستاذه الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق. أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلاسة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أوفى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجا منها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ آراء وأفكار ﴾

للدكتور محمد توفيق افندى صدقي الطبيب بسجن طره

هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبديه لعلماء المسلمين، المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذاما كنت مصيباً أيدوني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوي الاقامة على الضلال ، ولا ممن يلتذ بحديث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ، والاسراع إليه إذا بدالي بارق من بصيصه ، وهاأناذا أشرع في إيضاح المقصود بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : —

لاخلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ماقدحصل ؛ ومن ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضروريا في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحيانا على حسب ماأداه اليه فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله ، ولم لم يضمن مافي الاحاديث من الواجبات كما ضمن مافي القرآن حتى نأمن عليه من التغيير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقيها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من القيء ؟) فأجاب عليه السلام (لوكان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فالعقل يشهد له ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لايحيدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأمم فدفع بهم في ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحدهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فماله من نور

ولع الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولوعا وتفاخروا بكثرة جمعها جموعاً حتى ملأت الأحاديث الآفاق، وكثر فيها التضارب والاختلافات . وصار من المستحيل أن يعمل الانسان بدينه دون أن يقلد غيره ممن أفنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من ألد أعداء القرآن المجيد . تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لأحد الأئمة ووجب على المقلدين القول (بأن الكل على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين لحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه . أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد . وبذلك شفى الرمد بالاعماء . فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين رموه بأنه من المارقين، وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل . ولولا عناية الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الاحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف . وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره . فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله ؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تحصى لظنهم ان القرآن غير واف بالدين كله . والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . واذا صحت مذاهبهم فأي تفريط أكبر من ترك القرآن لأكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك ؟

دين الله سهل ميسور، والتقليد فيه محظور، فلو كان العمل بما في الاحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة . في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث ؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع، والحسن والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع ؟

يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنيين نقول إن اطاعة الرسول لانزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي :هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله ؟ فاذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول ؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمندوب ؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة ؟

نحن لانجهل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لاأثر لها في الكتاب، ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب شيء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلا عليها من القرآن . فأبو حنيفة مثلا قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لانه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء . وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى انك تجدهم يستنبطون كل ماقالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه . وبعد ذلك يقولون بأن مازاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة . أليس ذلك أثراً من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظر ناظر في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة . ومقادير الزكاة ومايتعلق بها

لاشك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع . ولكن محل النزاع هو هل كل ماتواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الاسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأيي أنه لايجب . وربما كان مايفعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لأوامر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيث ان غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب مايوافق أمورها وأحوالها كما سنبين ذلك في مسألة الزكاة ولنبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة . قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) الى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفنا العدو . وان صلاة الخوف للامام ركعتان فقط وللمؤتمين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فاذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤتم وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من اوقات الصلاة اكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء . وبعبارة اخرى ان الانسان يجب عليه ان يصلي ركعتين على الأقل وله ان يزيد عن ذلك ما شاء ان يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فان الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المسرفين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الافراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحدوث عهد المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن المعهود في طباع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكلما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كلفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرهما . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الاول كان لمراعاة جانب المسلمين الحديثي العهد بالدين وهم إذ ذاك نفر قليل فلماذا

لايراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلا على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ·

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو · ولو كان السفر قصيراً جداً · ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب · فلو كانت الزيادة واجبة لعد هذا تهاونا وخصوصاً لان القرآن لم يبح القصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً ان هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاء بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولانقول فى قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان هذا القيد فى الآية المذكورة آنفاً لامفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم ·

(٣) كان عليه السلام لايجهر بالقراءة فى الركعتين الاخيرتين وان جهر فى الاولين ولايقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئا من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي فى أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب فى عدد السنن وفى المندوب والمستحب والرغيبة الى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلا أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة · ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ماصلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ماذهبنا إليه كل التأييد ·

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة واذا ترك سهوا بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لايصح أن يرد بها علينا · أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أربعاً أو ثلاثاً فهو لايدل على وجوب مافوق الركعتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق واذا سلمت فكم من أشياء واظب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة انها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستنشاق وغير ذلك كثير جداً. وأما قرن الركعات بتسليمة واحدة فكم من أشياء قرنت بل مزجت بالفرائض وقال الأئمة انها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة. ولم لا تخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركعتين الأوليين والركعتين الأخيرتين اشارة منه الى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الاخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما اعادة ماتركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لان السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلا ويجد أن قلبه اشتغل بشيء آخر انساه ماهو فيه كان يعد ذلك تقصيراً وذنباً فيسجد سجدتي السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً للصفح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وان كان سهوها لفكر في أمر شريف يليق بالأنبياء فان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس سجود السهو هذا خاصاً بترك الفرض بل اذا نسي الانسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فاذا نوى أن يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله. قال عليه الصلاة والسلام (اذا قام أحدكم يصلي اتاه الشيطان فلبس عليه حتى لايدري كم صلى فاذا وجد ذلك احدكم فليسجد سجدتين)

واما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتنا هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسميه نحن الان سنة او فرضاً او مندوباً او مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء رأوا النبي عليه السلام يفعله. واما اجماع الخلف فلا نعبأ به والاستشهاد بحديث (لاتجتمع امتي على ضلالة) ان صح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لانقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فان من عرف ان الواجب عليه ركعتان على الاقل فصلى اربعاً تقليداً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله اجراً، وانما الغرض من هذا البحث هو تمحيص المسائل علمياً ليس الا. وهو يفيدنا ايضاً في مسائل اخرى من الوجهة العملية فوائد لاتحصى

(...)

﴿ مبحث الزكاة ﴾

نذكر أولا مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ماورد في السنة المتواترة(١):

النصاب			مايخرج من الزكاة
(١) من الذهب	٢٠ دينارا (أي ١٠ جنيهات تقريبا)		نصف دينار
(٢) » الفضة	«	٢٠٠ درهم	٥ دراهم
(٣) » الابل	«	٥ جمال	شاة واحدة
(٤) » البقر	«	٣٠ بقرة	عجل تبيع
(٥) » الغنم	«	٤٠ شاة	شاة واحدة

فالذي يكاد يجزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لابد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ دينارا كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظاهر لبعض الناس دون الآخرين. ومما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جدا أن مالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن مايؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار ومايؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جدا إن لم نقل إنه كان متساويا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الامر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرشا صاغا مصريا بالتقريب . وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جدا ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافا كبيرا بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعلم أن مابينته السنة للعرب في ذلك الزمن لايصلح لجميع الامم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقا لانه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحمله لجميع العالمين وتركت أمثال هذه التفاصيل فيه لتتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضعوا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نجمد على ماوضع للعرب فى ذلك الزمن جمودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنيهات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع العشر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ماذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن نقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضاً مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . ومافيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما اتفق على وجوبه المجتهدون هو واضح فى القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيأ عن تقبيل الحجر الاسود ردا على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضعها ابراهيم عليه السلام ليعرف به الركن الذي يبتدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها إبراهيم من جبل هناك يسمى أباقبيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قبيس ابراهيم فجاء فحفر عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على مافيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على مأخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لانهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضروب العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لاقيمة لهما بالمرة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشيئين الحقيرين تعظيما لله كمن يقبل أعتاب الملوك أوذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوبه ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا لبئر زمزم ولا للشرب منها فلندع مايهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لايفاء موضوعنا حقه أن أتكلم على مسألتين أخريين لورود شيء كثير عنهما في السنة وعدم ورود شيء في الكتاب

(المسألة الاولى – قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك فى القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ماحصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فان وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث مامعناه «اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه»

(المسألة الثانية – رجم الزاني المحصن) حد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة · فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له · ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجبا لذكره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم · والذي نقوله نحن إن الامام إذا وجد أن الامة قاسية غليظة القلوب منتشر فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم لخشونتهم وشدتهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والفساد جاز له والحالة هذه أن يقرر الرجم عقوبة للزنا وأن يعتبر من أقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة · وعذر من لم يكن محصنا · أو إن تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جاز للامام أن يقدر الرجم على غير المحصن أيضاً بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم · والخلاصة أن المسألة تركت ليتصرف فيها أولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا وردعها الجلد فبه وإن كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين أوجبوا تقتيلهم ·

وكذلك ترك القرآن كثيراً من الحدود وأطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه أن القطع لا يجب لاول مرة بل يستتاب السارق فان تاب وأصلح وإلا قطعت يده ·

فهذه أفكاري في هذه المواضيع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو من يعتقد أنني في ضلال أن يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تقرر ذلك المذهب فما على المسلم الآن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكر وان يستنتج جميع ما يجب عليه في دينه ودنياه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة

ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب الاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه · فاللهم اهدنا بكتابك · وأفهمنا من أسرارك · وافتح أعيننا وأنر بصائرنا · انك هادي الضالين مرشد الحائرين آمين · اه

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم ميرزا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية لمذهب البروتستنت ثم عني بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذاهب اليهود ثم عاد الى الاسلام اجتهادا جديدا ودعا اليه في انكلترا بغيرة وعزم شديد، وقد ذاكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك رفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما رآه لعرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما نعتقده فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية او شذوذ الفرق الاسلامية التي انقرضت مذاهبها وانما تكون باقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما عرض للمعتقدين المستمسكين ككاتب هذه المقالة فانني أعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤديا للفريضة وانما كان اقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتنزيل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يعده جميع المسلمين اليوم فرضا والكاتب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك . ولا اطيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لئلا تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد بالجواب عنها وسنفصل القول في الموضوع بعد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لا في الامثلة التي اوردها والله الموفق

الرد على الشيخ بخيت

رغب الينا ثلاثة نفر أن نكف عن الرد على الشيخ بخيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على ما دونه . والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتابا أثنى فيه على المنار وذكر من فائدته ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ارتاب في اخلاص هذين الناصحين والثالث مجهول أرسل الينا رقيما من الاسكندرية كله سباب وشتائم وحكم على قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ بخيتا اعترف في رسالته الثانية بأنه أخطأ ولكنه أحب أن يداري خطأه ويموهه فما كان يجوز بعد هذا ان نعود الى

بيان فضيحته أو ماهذا معناه ولولا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الجبان السباب فنبدأ بالجواب عن هذه الكلمة وان لم يستحق كاتبها جوابا فنقول لو أن الشيخ بخيتا اعترف بخطئه في قوله ان خليفة المسلمين يجوز ان يكون كافرا و بأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لان سنده لا يصح ومتنه لا يدل على ماقاله في رسالة السكورتاه لكففنا عن الرد عليه وإن نبزنا بألقاب الجهل والحسد و . . . . فاننا لسنا ممن ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم نقل في أحد منهم كلمة سوء انتصارا أو انتقاما وقد هضم أناس حقوقنا المعنوية واكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد انتقدنا غير مرة على اصدقائنا وفي هذا الجزء وماقبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة نرى كثيرين من أهل الازهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الاصلاح وخدمة العلم في زمان كثر فيه التهجم على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما اذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة مافيه . ومازال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض فى مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلا على العداوة الشخصية ولم يتعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وان كان ضرر الخطأ فى هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا و بين الشيخ بخيت عداوة لاسيما بعد نشر مانشر فى المؤيد فاسرع الينا بعض مبغضيه يذكرون لنا من السيئات مالا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره فى المنار ومنه مايتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذى فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ماكان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ بخيت واننا لانحب ان نسمع عنه شيأ مكروها وأن مايتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي نناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين

هذا وقد سبق الى فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بخيتا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بامضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه مبينين اننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها مايدل على ان ذلك كان معروفا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردا على ثابت بن منصور اشارة الى أن الشيخ بخيتا هو الكاتب لها لاأزال اذكرها وهي : لوان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرنفش الى الازهر وكان سائقها لايعرف جغرافية القاهرة فسار به الى جهة باب الحديد أ ما كان يفوته الدرس: او ما هذا معناه فذكر خروجه من الخرنفش كان اشارة من الكاتب الى ان ثابت بن منصور هو الشيخ بخيت . واننا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الاميرية

كان المقصود من كتابي الى المؤيد ان أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي اخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بخيت وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بخيت وانظر ما كتبه هو الى المؤيد فاننا ننشره لما فيه من العبرة في اللفظ والفحوى وكثرة الادب وقلة الدعوى ولفائدة تذكر بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الاغر سعادتلو أفندم حضرتلري

وبعد فاني أرجو نشر مايلي بجريدة المؤيد إظهارا للحقيقة ودحضا لما افتري به علينا ونشرتموه بها

قد رأيت بعددي ٤٩٥٦ و ٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة المنار قد ادعى انني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء (ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف الى غيرها من دعاو به علينا وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني خبرته بأني كاتب الرسالة المذكورة ولاأن يقيم حجة ولو أوهى من بيت العنكبوت على ذلك

وحيث أنه يجوز أن يكون المبغضين الينا قد افترى ذلك علينا ليشوه وجه الحقيقة الساطع يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره

ويمكن المؤيد أن يراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه لم يسبق لي اني كاتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المفتريات. ولو اني كتبت أو اكتب الى جريدة لكتبت با مضائي وحاشا أن أكتب بامضاء مجهول مستعار فاني ممن يعتقد أن التجهيل جهالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وفقنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه بيده العصمة وتمام المنة والنعمة

كتبه محمد بخيت المطيعي
الحنفي بالازهر

(المنار) كنت أتمنى لو يعلم الشيخ بخيت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم والمعرفة بالكتابة وماذا قالوا في نقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتسبه من الحكمة ولكنهم لم يهتدوا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه. ونقول اذا كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المبغضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرية

هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز فإن كان ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأييد له كالرد على هانوتو (مثلا) فانا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن منصور أيهما الصادق. وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له. هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدنا الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية ، واغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبر أفندي ضومط تساهلا في القياس وحبا في سعته لا جهلا ولا ضعفا في اللغة وفنونها وانا نقول قبل ان نورد ما لا مندوحة لنا عن ايراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بانني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف الطبع وأكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامية أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل بما لم تعده به العرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات العصرية ونقرأه كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يعيد اليه النظر أو يقرأ منه سطرا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فانه يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه كلها توجهت الى النظر في صور الكلم ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال الذي يراد تصحيحه عنه

أقول انني لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب العصر سلم منه ولكن أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جدا حتى ان العالم النقاد ليقرأ لاحدهم عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهؤلاء قليلون في كتابنا اليوم وأكثرهم من لا تقرأ لاحدهم بضعة أسطر الا ويعثر ذهنك بغلطة ويرتبك فهمك عند جملة ولا أرى من الصواب اضاعة الوقت في الانتقاد على هولاء ولكن الانتقاد على هفوات الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطفلين ، هو الذي يحيي اللغة ويرقى بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدى بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة و بالاغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما ننتقده عليه ونقول انه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرروه فلا يقيس على السماعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل تصحيحه. ذلك ان التساهل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجرئ الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم و يثني همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التساهل مما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وانما نريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لنبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وان فى الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته فى كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ يراه هو صوابا فهو لم يأته عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بانه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التساهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه فى كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهى على ما أذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالاقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم تخل من توسع في افادة المعنى المراد هو مما يعهد في المواضعات بل لو قال (القصد في كدّ ذهن السامع) لتم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لاول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسرها به فما لاخطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذه مذهبا

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما فى ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقحم فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقحم عليه كما يقال هجم عليه وانما قالوا تقحم الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقحما أوتقحمها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولا الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانيا الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلا في مجاراة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لاحاجة اليه لمكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله فى اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضعه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولا لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واني أجزم بانه لولا رأيه الذى ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التى لا تكاد تنطبق على قاعدته فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبخارى وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداؤه الكلام بالعطف كقوله « وا كثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقد لافادة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزا وقد استعمل المناطقة قد مع النفي فى القضايا الشرطية السالبة وهو يحتج بمن دونهم فى الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيف الاحرف » وكلمة صفيف لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع العرف وان كان عاميا ولا هي من الكلمات التي لا يوجد فى العربية مايغني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جماع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هـذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص٥٥٤) يصوغ بالصاد

وأما الالفاظ التى صححها وتمحل لجعلها قياسية فلاحاجة الى استعمال تكاتفوا منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر : فيه نظر اذ لانسلم ان معنى تظاهروا فى الاصل وضع كل ظهره الى ظهر الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي الظهر ولعل هـذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد عليه في الاعانة سمي المعين ظهـيرا . و يجوز ان يكون من المظاهرة بين الثوبين ونحوهما أي المطابقة بينهما لان المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية الظهر وهو معهود عندهم فمعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في التعاون . ومن ماشاك كتفا الى كتف لايفهم من مماشاته لك انه يمنع عنك ويعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيـح استعمال لفظ العائلة بمعنى الآل أو العشيرة غير ظاهـر فان العاقلة وصف لمحذوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدية عن القاتل من عشيرتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأمهم يكون معنى الـكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وانما المنفق هنا واحد وهو العائل والمنفق عليهم هم الجماعة أي العيال ومثل هذا يقال فى تعليله الآخر ولو قيل ان الـكلمة محرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا

هـذا مايأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه و يمكن تأويل بعضه فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فماذا نقول في كتابة جماهير المعاصرين الذين لانكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية على ان منه ما لا يفهم منه الغرض المجمل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقنا يجعـل المعيار فى جيد الكتابة ورديئها فهم القارىء فمليـه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالعربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فاذا كان فهم المصري لايقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فان فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لايدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلا أطول شعر هو من شعور غيرها لامن شعرها هي » وانما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعرا » فمن تأمل هذا جزم بأنه لايجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأساليبها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ماقالوا انه سماعي ولكنني لاأجيز لنفسي الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تنهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريبا

﴿ كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتابا بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعاظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وانه يجله ويؤدي له مايستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولاتقبيحه والطعن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ماتربوا عليه ونُشِّئوا فيه من كراهة

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم تعسر عليه فضه فان هو فضه تعسر عليه محو أثره وان هو نزع ربقة التقليد، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية . تؤيد ذلك الشيء لمصلحة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرههم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لايكاد يقع بها الا على مايمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا كل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ماهم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم والعمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ماتعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ماهو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العلل والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لايتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة المهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم و يظهر فضله عليهم ثم هو يخطىء فيما لايخطىء فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلا من أعلم المستشرقين بالعربية وأدقهم فهما لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو :لاتخاصمهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا مااصطلح عليه المحدثون والفقهاء وانما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لامحيص

عنها لانها لاتحتمل التأويل ولا القال والقيل وأما الاحاديث القولية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : انما قتله من أخرجه ! يعني عليا فقال علي اذاً ماقتل حمزة الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه مافهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فمابالك بغير المنصف وغير المتقن . وسنرى فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطائه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي و بيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهو من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم واننا نبدأ بخير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ماقال في مقدمة الكتاب من انه يعد النبي محمدا من أعاظم الرجال الخ

ومما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لا أن تعاد الحرب وتتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمهما ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على مانقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وانه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كان يوصف بالصدق والامانة وأحاسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

ومما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤ كدا ان الكسوف والخسوف لايكونان لأجل امرئ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدهما أمرا ذا بال وأنشأ لهما صلاة مخصوصة: ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بيّن ذلك في آيات من كتابه كقوله (٥٥: ٣ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره. وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرة الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوئها بمغيب الشفق. ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتغلب عليهم حيوانيتهم فيفترس بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحار في تعليله على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ماقاله في ص ٦٣ ايضا وهو: انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار تعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الحنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط: ونحن نقول ان اله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص آلهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل، والانقطاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليله وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالاعمال العظيمة كان لاسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبدئه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيده اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فانه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وفاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على انه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أمر النبوة لم يكن بمثل هذا التعمل والتدبر والعمل والتدبير اذلو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لاتخفى

وقال في (ص ٨٠) سؤالان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما تحققت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيو بال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من يخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها للرفع والدفع مثلا لم يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبرية ونحو ذلك وانما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبني فيه اللاحقون على ماوضع السابقون والنبي ادعي النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فتم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدينة راقية

وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي مازعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن فكر وتدبير وانه كان يتعلم و يستفيد و يدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله

ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد انه كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلل بذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتمثيل الذي لم تحرمه أوربا الاحديثا : ونقول انها وان حرمته في بلاده لان الامة قويت على السلطة فيها فهي تبيحه أحيانا في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسنذكر نموذجا من خطاه في تاريخ الحوادث و بيان تعليلها وأسبابها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿اسئلة من احد علماء تونس عمت بها البلوى﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(س ٣٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصا في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه ببيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صوره الخفية غير المحرمة فى القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولمن احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أوغيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء . وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ماورد في الشرع بشأن مايصح من المعاملات المالية ونحوها ومالا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وانما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لاظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام لاأن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لاظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلما لأحد المتبايعين وحكمه ان لاينفذ الا اذا رضي المظلوم فاذا أراد فسخه جاز له ذلك . مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهي عنه لأنه غرر فاذا اشتريت مافي بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختارا ولو لموافقة العرف فان الله تعالى لا يعاقبه على أكله . هذا ما كنت أعتقده فى مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولا لاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . ولاشك ان من يبيع دينه لايكون ظالما لاحد ولا آكلا ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظلما له لان الغالب فى سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌ به هذا وان الدين قد يكون من عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿ الاوراق المالية نقود ﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات فى المعاملة نقدا أو عرضا أو شيئا آخر غيرهما

(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهبا فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

فى مصر مثلا كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهبا لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين

(المحلى بأحد النقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار فى مسألة المحلى بأحد النقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسما كبيرا من البضائع وعسر العمل فيما تقرر فى الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانتزاح ثروتنا اذا أبيح لهم ذلك ولم يبح لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهبا ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء ببيع الحلي بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانصه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فان ما حرم سدا للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالاثمان وهذا لايجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالعاقل لايبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لاتأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لايجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل يبيعها بجنس آخر وفى هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به مايحتاجون اليه من ذلك والبائع لايسمح ببيعه ببر وشعير وثياب. وتكليف الاستصناع لكل من احتاج اليه اما متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة الى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة الى بيعه وشرائه فلم يبق الاجواز بيعه كما تباع السلع فلو لم يجز بيعه بالدراهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولاسيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدراهم والدنانير كقوله الدراهم بالدراهم والدنانير بالدنانير وفى الزكاة قوله « فى الرقة ربع العشر » والرقة هي الورق وهي الدراهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الربا في النقدين وايجابا للزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ماعداهما بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صوره لا في كلها وفي هذا توفية الادلة حقها وليس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

يوضحه ان الحلية المباحة صارت فى الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها و بين الأثمان كما لايجري بين الاثمان و بين سائر السلع وان كانت من غير جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ولا يدخلها: إما ان تقضي واما ان تربي: (١) الا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب ان هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

---

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الربا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لاحدهم دين مؤجل على آخر فاذا جاء الاجل قالها له ومعناها اما أن تعطيني الدين واما ان تزيد فيه لاجل الإنساء والتأخير في الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر

يوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان النساء يلبسنها وكن يتصدقن بها في الاعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها المحاويج و يعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لاتباع بوزنها فانه سفه ومعلوم أن مثل الحلقة والخاتم والفتخة لا تساوي دينارا ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا أتقى لله وأفقه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس

يوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى ان يباع الحلي الا بغير جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم انما هو في الصرف

يوضحه أن تحريم ربا الفضل انما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم سداً للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيح منه ما تدعو اليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لأن الحاجة تدعو الى ذلك وتحريم التفاضل انما كان سداً للذريعة

فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس الا به أو بالحيل والحل باطلة فى الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة المباحة المتقومة بالأثمان في الغصوب وغيرها واذا كان أرباب التحيل يجوزون بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً و يقولون الخمسة في مقابلة الخرقة فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوى الصياغة وكيف تأتي الشريعة الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلا ورحمة وجلالة باباحة هذا وتحريم ذاك وهل هذا الا عكس المعقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل زيت وحرموا بيع الكسب بالسمسم و بيع النشا بالحنطة و بيع الخل بالزبيب ونحو ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحيل

عليه كل باب فتارة بالعينة وتارة بالمحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقدا ليس الا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد فى أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بحتا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . واذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء و بالله التوفيق

فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة و بيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان و يستحق عليها الأجرة و بين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر العبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ماشرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والعاقل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المعاوضة عليها معه يوضحه ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما فى ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة واتركها ولا تقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هذا اللفظ «بين» الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد ان يبيع شيئا من الأشياء بجنسه

فان قيل فهب ان هذا قد سلم لكم فى المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المطلوبة اذا بيعت بالسبائك متفاضلا وتكون الزيادة فى مقابلة صياغة الضرب قيل هذا سؤال وارد قوي وجوابه ان السكة لا تتقوم فيه الصياعة للمصلحة العامة المقصودة منها فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها ان يكون معيارا للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سلعة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافا ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئا وهذا بخلاف المصوغ والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحدا وأول من ضربها في الاسلام عبد الملك بن مروان وانما كانوا يتعاملون بضرب الكفار اه المراد منه

﴿الرخص للمسافر في السكك الحديدية﴾

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق انه لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في اثناء السفر أم لا بد من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر فى هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه. على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فى المدينة كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم ولكن ابن عباس راوي الحديث قال فى تعليل ذلك «لئلا يحرج امته» فعلم أن ذلك رخصة مطلقة تؤتى عند الحاجة اليها

باب التربية والتعليم

المكتوب السابع من أميل الى أمه

في ابتداء العشق وغرور الشاب الغر بالمعشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ــ ١٨٦

لقد كان قولك حقا أيتها الوالدة العزيزة فاني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكوى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصدق في حبي بل انها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطا صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشريفاً كبيرا وأظن أن من كفران نعمتها ان أتهمها بخيانتي فانه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائما على هذا النحو كنت كاذبا فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي فى صحته غير ان ماينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيل له انه لم يحصل لاحد غيره فى الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبلغها في الخيانة أو ليس الحسن الا نقابا للنفاق وأقول انها لشد ماسخرت مني لسلامة نيتي وسرعة تصديقي .... واحس بقشعريرة الغيرة تدب في جسمي حتى تبلغ مخاخ عظامي.

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هائما على وجهي كالمجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهد جمة من سنابل الحنطة المدركة ، والقنابر المغردة ، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

وجدا وحبا والكفور والطواحين التى تنكشف للرائي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الاشجار وقد مزقها يدالريح ، وخرير الماء المتدفق من ينابيعه المنتحبة تحت الخضرة والديكة المغتبطة المنفطرسة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبد السماء، واسراب العصافير ثائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لهزت نفسي وشرحت صدري فلم تلفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي انها تغشني

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منعطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرؤيتها انها خدعت ثم هجرت وسألت نفسي سؤالا محنق هل تنقسم النساء في هذه الايام الي طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلما كانت تمر على نور مصباح كنت إخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالتي بحيث اني كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عتمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء تكتنفه اطلال دارسة وفي ركن من هذا الفناء بئر سدت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرفقيها عن فم البئر وأرسلت بصرها فى غيابتها وعليها سمة القنوط وفى هذه الساعة انفلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذ ذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب فى أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول فى نفسي : أقل ما في الامر اني هاهنا لأمنعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رؤيتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنيهة كان جبينها الكئيب في اثنائها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهمهمت بكلمات مبهمة وهي تهز رأسها ثم هرولت داخلة أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابه عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به ولعنه

كأني بك تسالينني كيف ظهر لك انك ألعوبة لهوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تحرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتمبورغي (١) يقال انها تحبه لماله فليت شعري هل أبصر أحد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليا: «أيتها المرأة اسمك الخوَر فان اسم صاحبتي هو الكذب والمكر والغش» . هذا هو التمثال الذي بخرته ببخور أماني وجعلت له بين الآلهات العفيفات مكانا وكنت اتمنى لو دنت مني الكواكب فانتزعتها من نظامها ونظمت له منها أكاليلا . على ان لي أمرا يسليني وهو أني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماه انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيئتي انما كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الخنا ولكن هذا لا يقلل من استحائي لعفوك فاغفري لولدك هفوته حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه . اه

﴿ المكتوب الثامن من هيلانه الى اميل ﴾

عن لوندرة فى ١٠ اكتوبر سنة – ١٨٦

اعلم ياولدي العزيز ان ما نقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما نقترفه من الذنوب هو الذى ينبئنا اذا تألمت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتمبورغي نسبة الى ورتمبورغ احدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاند الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثار أبيه الذي قتله أخوه بالسم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاند شبه جزيرة بالدينمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما لنتعلم

لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامي ان أعيب سيرتك فيها لانك قد عبتها بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من نصائح قبل ختامها المحزن ليساوي ماوعظتك به تجربتك الذاتية. ان في أمور الكون لعدلا وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ لمخيلة الانسان ان تزينها بالالوان المموهة وتغشيها بالاستار الحاجبة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا

على اني ان لم أقرّ لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق والحيرة كنت قد كتمتك بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تتسفل لارتكاب دنيئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب وجمحات العجب المفتون وأماني البسالة الخادعة فمما يوجب الاسف ان أصدق الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشدهم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة لا تنخدع بكذب الظواهر وهم الذين جملت لهم المحبات المهيجة كما جملت الخمور المتبلة للسكيرين

تراهم يبذلون من الهمة والنشاط في تحصيل الغبطة أكثر مما يلزم وهم مع هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه اعتاضوا عن الحب بظله اعني الظرف والكياسة في معاشرة النساء وان خسة عواطفهم لتدل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفصاف الجوفاء التي تصادف على حافة السواقي (الأنهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد وانحطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم مايضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فاربأ بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقر لك فيها

اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما يتخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المنال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق فى محبانك فتأمل في باطن ماتحفظه ذا كرتك تجدني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتذكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل مايتعلق بها حتى ثنيات حلتها تمام الذكر وان مثالها الطاهر ليسري سريان الشعاع فوق كتابك اذا فتحته لتقرأ فيه ماصنفه الشعراء وأنت تود لو تشاهد معها كل مافي الكون من الجمال وتسمع جميع ماللبرية من الاغاريد وهي التي ينطبق عليها ماتتخيله من معنى الفضيلة وتود من اجلها لو تكون أفضل الفضلاء فتلك الذات هي التي تحبها فان لم تكن تأنس من نفسك شيئاً من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم يأن لك ان تعتقد فى نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث على طلب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه لمحبوبه كل مايقتضيه لنفسه منه لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تربصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والا ندمت فيما بعد أن لوثت شفتيك بالكذب

وللشبان خطأ آخر فى الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع كالتى تروى في القصص ازدادت لذته وكثر الابتهاج به فليس الامر كما يتوهمون لان فى الحب من العظمة الذاتية مايغنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي تغزل أوتخيط بجانب المصطلى ثم يمسح رءوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا منهم باسمه ويذكر فى نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد فى ظل شجرة الدردار الكبرى في المزرعة ويراها لاتزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

(١) الردغة الماء والطين والوحل الشديد

خيالا اضعافا كثيرة من حظي الإلاهة من إلاهات الحب الجديدة

الشباب هوسن الاماني والاحلام وطور الخيالات والاوهام ثم ان كثرة المطالعة لاثمرة لها فى أغلب الاحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن القصص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح مافي فطرتنا من ضروب الوجدان واشدها استقلالا فويل لمن لا يعشق ويتوله الافي الحلم لانه لايلبث ان ينكشف وهمه اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس مقاما فان كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك فى نظر نفسك ومغالبة ما للاثرة من أنواع الميل الاعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة التى ستحبها كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان يهمك ان تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتني ان أخبرك بأن « لولا » تتعلم الطب من أجل أن تقبلها جمعية الطبيبات بلوندرة في عدادهن وكانا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل تربيته بعد بيان من تستحق الحب و بيان حقيقته وغرور الشبان فيه فيالله ماهذه الحكمة في هذه البلاغة



﴿ التقريظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدى افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته « وأرى ان هـذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس فى مكاتب الاسلام . لينتفع به ان شاء الله الخاص والعام ، فبإقرائه ينتفع بالثواب المنتهي ، و بتعلمه

ينتفع في دينه المبتدي » ونقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المبتدئين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فماذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؟ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا. مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) «وجدان تعظيم فى القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجد ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الخاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التى تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطعة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره فى تأليف الادلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبغى أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأييد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطعة وجعل نتيجتها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده انما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بغفلة الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فاذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينتاشه منه ما بينها به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأة الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القابية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة :الشامة والباصرة والسامعة والطاعمة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كيفيتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و.و — فهنالك لا بد ان يعظم مولاه و يقول أشهد ان لا آله الا الله »الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضا منه في نفسه وفي الموضوع الذي دس فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعى والناس ينظرون وللشيخ ابي الهدى غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلميها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ نرى المتخرجين في مدارس الاستانة ا كثرهم ماديون ونرى مدارس مصر قريبة منها ونرى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تحجر من شدة الجمود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دون بها في الكتب ثم نجد فينا من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فماذا هذا الخلاف العظيم



باب الأخبار والآراء

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للاصلاح وان هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون ان العقبة الكؤود في طريق الاصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم ان الاصلاح انما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدسقراطية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الاصلاح و يلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة ان القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس الى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالمجتهد أقرب الى الهدى وان ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وان اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فانه لا يصد عن الاصلاح اذا عقل طلابه، يقولون لأن يجدنا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يجدنا ضعفاء فاسدين (كما بيناذلك في كتاب الحكمة الشرعية)

رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الاسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهنأه الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين . وانني أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي ان كتاب الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز ان يسمى اسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يمحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنيًّا أو غير سنيٍّ وهو مخالف له

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار مانراه فيها يومًا بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاية الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاختط بجانب داره في بلدة ديروط مسجدا جامعًا ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتّابًا تحضيريًا لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعًا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيرا ماتقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ماشرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله وانا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو إحياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكابر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الامير وحضره أيضا مدير أسيوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس لثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب

بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيدا ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلا ما معناه انه يرجو أن يكون هذا العمل ناشرا للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهدا لحياة الارواح وحياة الارض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الازهر خطبة قال انه يتكلم بالاصالة عن نفسه و بالنيابة عن شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ماقيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الاوفى وختم كلامه بالدعاء للسلطان وللخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين انه لايرجى ان يعود الى مصر مجدها السابق الا اذا كثر العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا ميال الى الادبيات وأسمعني لنفسه شعرا حسنا يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصعيدي فتكلم عن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

وإطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجل خطابا وعى كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقراءته فيه ما كنت ناسيا منه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو

انا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به

القيام بالمصالح العامة و بذل المال فى سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة وبه تسود الامم فى كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام فى ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لايختلفون فى أن ارتقاء الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم. اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لايزال فينا من جراثيم الحياة ما يكفي لانعاشنا وإقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة. قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين فى مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهمنا فالظاهر انه لافرق بيننا و بينكم الا فى شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم.

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان ما درس من تلك الاوقاف وذهبت معالمه وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لايسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جعله هو و بذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لاترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لايقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبذل فيه يعد بمثابة الفتوح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة» فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقتدي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محيي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محيي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقي الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في المشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابًا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لاحاجة اليه بالمرة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق

به فحسبه مايراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الاثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني ؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خبالا و بلادهم الا خرابا لانهم لاهم لهم لا اللذات الحيوانية والحظوظ الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فانه لا يبلغ ماهم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدي على حقيقته ترقي النفوس وتقل الجرائم والفواحش و يندر سلب الاموال ونهش الاعراض و يكثر الصدق والامانة والمودة في الناس . قد يقال إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لا في ازالته من الوجود بالمرة . ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لاحاجة اليه كيف وهو وسيلة للرقي الى تعليم أعلى منه لا ترتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد . نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان . فغرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الدنيوي متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لابد منه

أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لاحاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر . فان احتفالا يجيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا و يعد حضور هؤلاء شهادة فعلية بنفعه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال. واذا كان المحتفل ينوي باحتفاله الترغيب في مثل عمله فانه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول بحث الأغنياء على الاعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

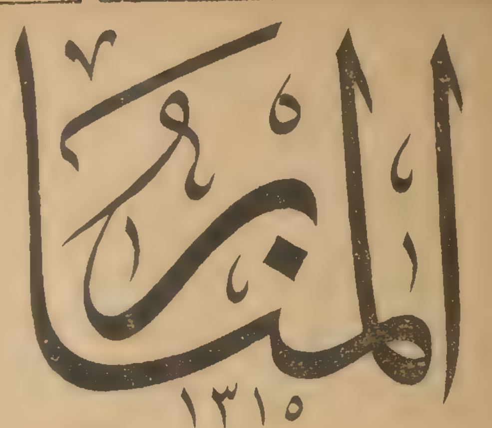
ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به و بقومه و بعد أن قتل صار ولده متعب أميرا مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على اكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال له العدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعب للحصار وضاقت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بان يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه و بين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما كان بينه و بين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وفادته وقبل شفاعته و كتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندري على أي شيء تم ذلك الصلح واعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فانها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفا لنجد وأقام في المدينة المنورة ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع العساكر المنظمة التي هناك (والشيحة قرية من قرى القصيم) وكان متعب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم فى قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هوّن عليه شأنه. ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف. وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر بريده وقصر عنيزه ويكون هو الحاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم. وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا. قال ابن سعود اننا خاضعون لامر أمير المومنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لاغناء فيها لاهلها فنحن لانرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشيء فلا نقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين فى رفعه عنا ولا نشك في أنه يرحمنا ولا يكلفنا مايشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا. ووافقه الشيوخ على ذلك. وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء وافترقا مغضبين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على العساكر بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكر من البدو وكان ابن سعود لايزال مغضبا مما قابله به المتصرف من العظمة والغطرسة ومن مدح خصمه فى وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ماجئتم الا لحمايتنا فكيف تطلبون منا أن نحميكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه ألان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه بأنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله لا يبقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال. وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب



ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — شعبان سنة ١٣٢٤ — أوله ١٩ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

سورة آل عمران

﴿ وهي السورة الثالثة وآياتها مئتان ﴾

نزلت هذه السورة في المدينة وآياتها مئتان باتفاق العادين ولكنهم اختلفوا في مواضع عدها بعضهم دون بعض منها (ألم) أول السورة عدت في الكوفي آية و(الانجيل) الاولى لم تعد في الشامي وهو الظاهر

وجه الاتصال بين هذه السورة وماقبلها من وجوه (فمنها) ان كلا منهما بدئ بذكر الكتاب وشأن الناس في الاهتداء به ففي السورة الاولى ذكر أصناف الناس من يؤمن به ومن لا يؤمن والمناسب في ذلك التقديم لانه كلام في أصل الدعوة وفي الثانية ذكر الزائغين الذين يتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله والراسخين في العلم الذين يؤمنون بمحكمه ومتشابهه و يقولون كل من عند ربنا والمناسب فيه التأخير لانه فيما وقع بعد انتشار الدعوة. (ومنها) ان كلا منهما قد

حاجّ أهل الكتاب ولكن الاولى أفاضت في محاجة اليهود واختصرت فى محاجة النصارى والثانية بالعكس والنصارى متأخرون عن اليهود في الوجود وفي الخطاب بالدعوة الى الاسلام فناسب ان تكون الافاضة في محاجتهم في السورة الثانية . (ومنها) مافي الاولى من التذكير بخلق آدم وفي الثانية من التذكير بخلق عيسى وتشبيه الثاني بالاول في كونه جاء بديعا على غير سنة سابقة في الخلق وذلك يقتضي ان يذكر كل منهما في السورة التي ذكر فيها . (ومنها ان في كل منهما احكاما مشتركة كاحكام القتال ومن قابل بين هذه الاحكام رأى أن مافي الاولى أحق بالتقديم وما فى الثانية أجدر بالتأخير (ومنها) الدعاء في آخر كل منهما فالدعاء فى الاولى يناسب بدء الدين لان معظمه فيما يتعلق بالتكليف وطلب النصر على جاحدي الدعوة ومحاربي أهلها وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك لانه يتضمن الكلام في قبول الدعوة وطلب الجزاء عليه فى الآخرة (ومنها) ماقاله بعضهم من ختم الثانية بما يناسب بدء الاولى كأنها متممة لها ذلك أنه بدأ الاولى باثبات الفلاح للمتقين وختم الثانية بقوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ *

قوله تعالى (الٓمٓ) هو اسم السورة على المختار كما تقدم في أول سورة البقرة ويقال قرأت الٓمٓ البقرة والٓمٓ آل عمران والٓمٓ السجدة . ويقرأ بأسماء الحروف لا بمسمياتها وتذكر ساكنة كما تذكر أسماء العدد فتقول ألفْ لامْ ميمْ كما تقول واحد اثنان ثلاثة وتمد اللام والميم واذا وصلت به لفظ الجلالة جاز لك في الميم المد والقصر باتفاق القراء والجمهور يصلون فيفتحون الميم ويطرحون الهمزة من لفظ الجلالة للتخفيف وقرأ أبو جعفر والاعشي والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم بسكون الميم وقطع الهمزة

﴿ الله لا إله الا هو الحي القيوم ﴾ تقرير لحقيقة التوحيد الذي هو أعظم قواعد الدين وتقدم تفسيره في أول آية الكرسي بالاسهاب ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ أي أوحى اليك هذا القرآن المكتوب بالتدريج متصفا بالحق متلبسا به . وانما عبر عن الوحي بالتنزيل و بالانزال كما في آيات أخرى للاشعار بعلو مرتبة الموحي على الموحى اليه و يصح التعبير بالانزال عن كل عطاء منه تعالى كما قال (وأنزلنا الحديد) وأما التدريج فقد استفيد من صيغة التنزيل وكذلك كان فقد نزل القرآن نجوماً متفرقة بحسب الاحوال والوقائع . ومعنى تنزيله بالحق ان فيه ما يحقق أنه من عند الله تعالى فلا يحتاج الى دليل من غيره على حقيته أو معناه ان كل ما جاء به من العقائد والاخبار والاحكام والحكم حق وقد يوصف الحكم بكونه حقا في نفسه اذا كانت المصلحة والفائدة تتحقق به وفي أشهر التفاسير

أن المراد بالحق العدل أو الصدق في الاخبار أو الحجج الدالة على كونه من عند الله وما قلناه أعم وأوضح ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ أي مبينا صدق ماتقدمه من الكتب المنزلة على الانبياء أي كونها وحيا من الله تعالى وذلك أنه أثبت الوحي وذكر أنه تعالى أرسل رسلا أوحى اليهم فهذا تصديق اجمالي لأصل الوحي لا يتضمن تصديق ماعند الامم التي تنتمي الى أولئك الانبياء من الكتب بأعيانها ومسائلها. ومثاله تصديقنا لنبينا صلى الله عليه وسلم في جميع ماأخبر به فهو لا يستلزم تصديق كل ما في كتب الحديث المروية عنه بل ماثبت منها عندنا فقط

﴿ وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ﴾ التوراة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس وهي تطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار يقولون ان موسى كتبها وهي سفر التكوين وفيه الكلام عن بدء الخليقة وأخبار بعض الانبياء وسفر الخروج وسفر اللاويين أو الاخبار وسفر العدد وسفر تثنية الاشتراع ويقال التثنية فقط. ويطلق النصارى لفظ التوراة على جميع الكتب التي يسمونها العهد العتيق وهي كتب الانبياء وتاريخ قضاة بني اسرائيل وملوكهم قبل المسيح ومنها مالا يعرفون كاتبه وقد يطلقونه عليها وعلى العهد الجديد معا وهو المعبر بالانجيل وسيأتي تفسيره. أما التوراة في عرف القرآن فهي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به وقد بين تعالى ان قومه لم يحفظوه كله اذ قال في سورة المائدة (٥: ١٤ ونسوا حظاً مما ذكروا به) كما أخبر عنهم في آيات أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه وذلك فيما حفظوه واعتقدوه وهذه الاسفار الخمسة التي فى أيديهم تنطق بما يؤيد ذلك ومنه ما في سفر التثنية من ان موسى كتب التوراة وأخذ العهد على بني اسرائيل بحفظها والعمل بها ففي الفصل (الاصحاح) الحادي والثلاثين منه مانصه

« ٢٤ فعند ما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم ٢٧ لاني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون

الرب فكم بالحري بعد موتي ٢٨ اجمعوا الي كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لانطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والارض ٢٩ لاني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون من الطريق الذي أوصيتكم ٣٠ ويصيبكم الشر في آخر الايام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم ٣٠ فنطق موسى في مسامع كل جماعة اسرائيل بكلمات هذا النشيد الى تمامه» — وهنا ذكر النشيد في الفصل الثاني والثلاثين ثم قال أي الكاتب لسفر التثنية— «٤٤ فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو ويشوع بن نون ٤٥ ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بني اسرائيل بهذه الكلمات ٤٦ قال لهم وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة لأنها ليست أمرا باطلا عليكم بل هي حياتكم وبهذا الامر تطيلون الايام على الارض التى أنتم عابرون الاردن اليها لتمتلكوها »

ومنه خبر موت موسى وكونه لم يقم فى بني اسرائيل نبي مثله بعد أسيء الى وقت الكتابة فهذان الخبران عن كتابة موسى للتوراة وعن موته معدودان عندهم من التوراة وماهما في الحقيقة من الشريعة المنزلة على موسى التى كتبها ووضعها بجانب التابوت بل كتبا كغيرهما بعده . وقد ظهر تأويل علم موسى في بني اسرائيل فانهم فسدوا وزاغوا بعده كما قال وأضاعوا التوراة التى كتبها ثم كتبوا غيرها ولا ندري عن أي شيء أخذوا ما كتبوه على أنه فقد أيضاً وفى الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الايام الثاني ان حلقيا الكاهن وجد سفر شريعة الرب وسلمه الى شافان الكاتب فجاء به شافان الى الملك . قال صاحب دائرة المعارف العربية أنهم ادعوا أن هذا السفر الذي وجده حلقيا هو الذي كتبه موسى ولا دليل لهم على ذلك :على أنهم أضاعوه أيضا ثم ان عزرا الكاهن الذي « هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم اسرائيل فريضة وقضاء » قد كتب لهم الشريعة بأمر أرتحشستا ملك فارس الذي أذن لهم (أي لبني اسرائيل) بالعودة الى أورشليم

وقد أمر هذا الملك بأن تقام شريعتهم وشريعته كما فى سفر عزرا (راجع الفصل السابع منه) . فجميع أسفار التوراة التى عند أهل الكتاب قد كتبت بعد السبي كما كتب غيرها من أسفار العهد العتيق ويدل على ذلك كثرة الالفاظ البابلية فيها وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقد توراة موسى التي هي أصل دينهم وأساسه قال صاحب كتاب (خلاصة الادلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية) «والامر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الاصلية فى الوجود الى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل . وربما كان ذلك سبب حديث كان جاريا بين اليهود على أن الكتب المقدسة فقدت وأن عزرا الكاتب الذي كان نبيا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها و بذلك عادت الى منزلتها الاصلية» اه بحروفه

ولقد نعلم أنهم يُجيبون من يسأل: من أين جمع عزرا تلك الكتب بعد فقدها وانما يجمع الموجود وعلى أي شيء اعتمد فى اصلاح غلطها ؟ قائلين انه كتب ما كتب بالإلهام فكان صوابا ولكن هذا الإلهام مما لا سبيل الى اقامة البرهان عليه ولا هو مما يحتاج فيه الى جمع ما في ايدي الناس الذين لا ثقة بنقلهم ولو كتب عزرا بالالهام الصحيح لكتب شريعة موسى مجردة من الاخبار التاريخية ومنها ذكر كتابته لها ووضعها في جانب التابوت وذكر موته وعدم مجيء مثله . وقد بين بعض علماء أوربا أن أسفار التوراة كتبت بأساليب مختلفة لا يمكن أن تكون كتابة واحد وليس من غرضنا أن نطيل في ذلك وانما نقول ان التوراة التي يشهد لها القرآن هي ما أوحاه الله الى موسى ليبلغه قومه بالقول والكتاب وأما التوراة التي عند القوم فهي كتب تاريخية مشتملة على كثير من تلك الشريعة المنزلة لأن القرآن يقول في اليهود انهم أوتوا نصيبا من الكتاب كما يقول انهم نسوا حظًّا مما ذكروا به ولانه يستحيل ان تنسى تلك الامة بعد فقد كتاب شريعتها جميع أحكامه فما كتبه عزرا وغيره مشتمل على ماحفظ الى عهده وعلى غيره من الاخبار وهذا كاف للاحتجاج على بني اسرائيل باقامة التوراة وللشهادة بأن فيها حكم الله كما في سورة المائدة . وبهذا يجمع بين الآيات الواردة في التوراة وبين المنقول

والمعروف في تاريخ القوم

أما لفظ الانجيل فهو يوناني الاصل ومعناه البشارة والتعليم الجديد وهو يطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالاناجيل الاربعة وعلى مايسمونه العهد الجديد وهو هذه الكتب الاربعة مع كتاب أعمال الرسل (أسيء الحواريين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا . أي على المجموع فلا يطلق على شيء مما عدا الكتب الاربعة بالانفراد . والاناجيل الاربعة عبارة عن كتب وجيزة في سيرة المسيح عليه السلام وشيء من تاريخه وتعليمه ولهذا سميت أناجيل وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها وهم مختلفون في تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة ففي السنة التي كتب فيها الانجيل الاول تسعة أقوال وفي كل واحد من الثلاثة عدة أقوال أيضا على أنهم يقولون إنها كتبت في النصف الثاني من القرن الاول للمسيح لكن أحد الاقوال في الانجيل الاول أنه كتب سنة ٣٧ ومنها أنه كتب سنة ٦٤ ومن الاقوال في الرابع أنه كتب فى ٩٨ للميلاد ومنهم من أنكر أنه من تصنيف يوحنا وان خلافهم في سائر كتب العهد الجديد لاقوى وأشد .

وأما الانجيل في عرف القرآن فهو ما أوحاه الله الى رسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من البشارة بالنبي الذي يتمم الشريعة والحكم والاحكام وهو مايدل عليه اللفظ وقد أخبرنا سبحانه وتعالى (في ٥ : ١٥) أن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود وهم أجدر بذلك فان التوراة كتبت في زمن نزولها وكان الالوف من الناس يعملون بها ثم فقدت والكثير من أحكامها محفوظ معروف ولا ثقة بقول بعض علماء الافرنج ان الكتابة لم تكن معروفة فى زمن موسى عليه السلام . وأما كتب النصارى فلم تعرف وتشتهر الا في القرن الرابع للمسيح لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان فلما أمنوا باعتناق الملك قسطنطين النصرانية سياسة ظهرت كتبهم ومنها تواريخ المسيح المشتملة على بعض كلامه الذي هو انجيله وكانت كثيرة فتحكم فيها الرؤساء حتى اتفقوا على هذه الاربعة . فمن فهم ما قلناه في الفرق بين عرف القرآن وعرف القوم في مفهوم التوراة والانجيل يتبين له أن ماجاء في القرآن هو الممحص للحقيقة التي أضاعها القوم وهي مايفهم من لفظ التوراة والانجيل ويصح

ان يعد هـذا التمحيص من آيات كون القرآن موحى به من الله ولولا ذلك لما عرف ذلك الامي الذي لم يقرأ هـذه الاسفار والاناجيل المعروفة ولا تواريخ أهلها ان يعرف أنهم نسوا حظا مما أوحي اليهم وأوتوا نصيبا منه فقط بل كان يجاريهم على ما هم عليه ويقول الاناجيل لا الانجيل . ثم ان من فهم هذا لاتروج عنده شبهات القسيسين الذين يوهمون عوام المسلمين أن مافي أيديهم من التوراة والاناجيل هي التي شهد بصدقها القرآن

وقال الاستاذ الامام في تفسير هذه الجملة المتبادر من كلمة « أنزل » ان التوراة نزلت على موسى مرة واحدة وان كانت مرتبة في الاسفار المنسوبة اليه فانها مع ترتيبها مكررة والقرآن لا يعرف هـذه الاسفار ولم ينص عليها . وكذلك الانجيل نزل مرة واحدة وليس هو هذه الكتب التي يسمونها الاناجيل لانه لو أرادها لما أفرد الانجيل دائما مع أنها كانت متعددة عنـد النصارى حينئذ . وحاول بعض المفسرين بيان اشتقاق التوراة والانجيل من أصل عربي وما هما بعربيين ومعنى التوراة وهي عبرية الشريعة ومعنى الانجيل وهي يونانية البشارة وانما المسيح مبشر بالنبي الختم الذي يكمل الشريعة للبشر : وأما كونهما هدى للناس فهو ظاهر

﴿ وأنزل الفرقان ﴾ أقول الفرقان مصدر كالغفران وهو هنا مايفرق ويفصل به بين الحق والباطل قال بعضهم المراد به القرآن وهو مردود بقوله في أول الآية « نزل عليك الكتاب » وقال غيرهم هو كل مايفرق به الحق والباطل في كل أمر كالدلائل والبراهين واختاره ابن جرير وقيل هو خاص ببيان الحق فى أمر عيسى عليه السلام كما جاء في هذه السورة وقال الاستاذ الامام إن الفرقان هو العقل الذي به تكون التفرقة بين الحق والباطل وانزاله من قبيل انزال الحـديد لان كل ما كان عن الحضرة العلية الالهيـة يسمى اعطاؤه انزالا : وماقاله قريب ممـا اختاره ابن جرير من التفسير المأثور فان العقل هو آلة التفرقة ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة الشورى (١٥:٤٢ هو الذي نزل عليك الكتاب بالحق والميزان) وقد فسروا الميزان بالعدل والله تعالى قرن بالكتاب أمرين أحدهما الفرقان وهو ما نعرف به الحق في العقائد فنفرقه من الباطل وثانيهما الميزان وهو ما نعرف به الحقوق في الاحكام فنعدل بين الناس

فيها وكل من العقل والعدل من الامور الثابتة في نفسها فكل ما قام عليه البرهان العقلي في العقائد وغيرها فهو حق منزل من الله وكل ما قام به العدل فهو حكم منزل من الله وان لم ينص عليه في الكتاب فانه تعالى هو المنزل أي المعطي للعقل والعدل أو الفرقان والميزان كما أنه سبحانه هو المنزل أي المعطي للكتاب ولسنا نستغني بشيء من مواهبه المنزلة عن آخر، وما زال علماء الكلام وأهل التوحيد يعدون البراهين العقلية هي الاصل في معرفة العقائد الدينية . ويجب على علماء الاحكام وأهل الفقه أن يحذوا حذوهم في العدل فيعلموا أنه يمكن ان يعرف ويطلب لذاته وان النصوص الواردة في بعض الاحكام مبينة له وهادية اليه وأ كثر الاحكام القضائية في الاسلام اجتهادية فيجب أن يكون أساسها تحري العدل . والغزالي يفسر الميزان بالعقل الذي يؤلف الحجج ويميز بين الحق والباطل والعدل والجور وغير ذلك . وفي حديث جابر عند البيهقي « قوام المرء العقل ولا دين لمن لاعقل له » ومن حديثه عند أبي الشيخ في الثواب وابن النجار « دين المرء عقله ومن لاعقل له لادين له »

﴿ ان الذين كفروا بآيات الله ﴾ التي أنزلها لهداية عباده وارشادهم الى طرق السعادة في المعاش والمعاد ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ بما يلقي الكفر في عقولهم من الخرافات والاباطيل التي تطفىء نورها وما يجرهم اليه من المعاصي والمفاسد التي تدسي نفوسهم وتدنسها حتى تكون ظلمة عقولهم وفساد نفوسهم منشأ عذابهم الشديد في تلك الدار الآخرة التي تغلب فيها الحياة الروحية العقلية على الحياة البدنية المادية فلا يكون لهم شاغل ولا مسلٍّ من المادة عما فاتهم من النعيم وما أصابهم من الجحيم ﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ فهو بعزته ينفذ سننه فينتقم ممن خالفها بسلطانه الذي لايعارض . والانتقام من النقمة وهي السطوة والسلطة و يستعمل أهل هذا العصر الانتقام بمعنى التشفي بالعقوبة وهو بهذا المعنى محال على الله تعالى .

﴿ ان الله لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴾ فهو ينزل لعباده من الكتب ويعطيهم من المواهب مايعلم ان فيه صلاحهم اذا أقاموه ويعلم حقيقة أمرهم في سرهم وجهرهم لايخفى عليه أمر المؤمن الصادق والكافر والمنافق ولا

حال من أسرّ الكفر واستبطن النفاق وأظهر الايمان والصلاح ومن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وكأن هذا الاستئناف البياني دليل على ماقبله ثم استدل عليه باستئناف مثله على سبيل الالتفات فقال ﴿ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء﴾ الارحام جمع رحم وهو مستودع الجنين من المرأة ومن عرف مافي تصوير الاجنة في الارحام من الحكم والنظام علم أنه يستحيل ان يكون بالمصادفة والاتفاق وأذعن بأن ذلك فعل عالم خبير بالدقائق حكيم يستحيل عليه العبث عزيز لايغلب على ماقضى به علمه وتعلقت به ارادته واحد لاشريك له في ابداعه ﴿لا اله الا هو العزيز الحكيم﴾

واذا فهمت معنى هذه الآيات في نفسها فاعلم ان المفسرين قالوا — كما أخرج ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر — انها نزلت وما بعدها الى نحو ثمانين آية في نصارى نجران اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فذكروا عقائدهم واحتجوا على التثليث وألوهية المسيح بكونه خلق على غير السنة التي عرفت في توالد البشر وبما جرى على يديه من الآيات و بالقرآن نفسه فأنزل الله هذه الايات. وقد ذكر ذلك الاستاذ الامام غير جازم به وأشار الى وجه الرد عليهم في تفسيرها ولم يزد على ذلك الا ماذكرناه عنه في تفسير التوراة والانجيل والفرقان اماما قاله في توجيه الرد عليهم فهو: بدأ بذكر توحيد الله لينفي عقيدتهم من أول الامر ثم وصفه بما يؤكد هذا النفي كقوله الحي القيوم أي الذي قامت به السماوات والارض وهي قد وجدت قبل عيسى فكيف تقوم به قبل وجوده. ثم قال انه نزل الكتاب وأنزل التوراة لبيان أن الله تعالى قد أنزل الوحي وشرع الشريعة قبل وجود عيسى كما أنزل عليه وأنزل على من بعده فلم يكن هو المنزل للكتب على الانبياء وانما كان نبيا مثلهم وقوله « وأنزل الفرقان » لبيان أنه هو الذي وهب العقل للبشر ليفرقوا به بين الحق والباطل وعيسى لم يكن واهبا للعقول وفيه تعريض بأن السائلين تجاوزوا حدود العقل — أقول وفي هذا وماقبله شيء آخر وهو الاشعار بأن ماأنزله تعالى من الكتب والفرقان يدل على اثبات الوحدانية لله تعالى وتنزيهه عن الولد والحلول أو الاتحاد بأحد أو بشيء من الحوادث — قال وقوله « ان الله لايخفى

عليه شيء» رد لاستدلالهم على ألوهية عيسى بإخباره عن بعض المغيبات فهو يثبت ان الإله لا يخفى عليه شيء مطلقا سواء كان في هذا العالم أو غيره من العوالم السماوية وعيسى لم يكن كذلك . وقوله « هو الذي يصوركم » الخ رد لشبهتهم في ولادة عيسى من غير أب أي ان الولادة من غير أب ليست دليلا على الالوهية فالمخلوق عبد كيفما خلق وانما الإله هو الخالق الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وعيسى لم يصور أحدا في رحم أمه ولذلك صرح بعد هذا بكلمة التوحيد وبوصفه تعالى بالعزة والحكمة: أقول ولا يخفى ما في ذكر الارحام من التعريض بأن عيسى تكوّن وصوّر في الرحم كغيره من الناس

ثم قال تعالى ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ قال الاستاذ وهذا رد لاستدلالهم ببعض آيات القرآن على تمييز عيسى على غيره من البشر اذ ورد فيه أنه روح الله وكلمته فهو يقول ان هذه الآيات من المتشابهات التي اشتبه عليكم معناها حتى حاولتم جعلها ناقضة للآيات المحكمة في توحيد الله وتنزيهه

﴿ بحث المحكم والمتشابه ﴾

أقول: المحكمات من أحكم الشيء بمعنى وثقه وأتقنه والمعنى العام لهذه المادة المنع فان كل محكم يمنع بإحكامه تطرق الخلل الى نفسه أو غيره ومنه الحكم والحكمة وحَكَمة الفرس قيل وهي أصل المادة والمتشابه يطلق في اللغة على ماله أفراد أو أجزاء يشبه بعضها بعضاً وعلى ما يشتبه من الامر أي يلتبس قال في الاساس « وتشابه الشيئان واشتبها ، وشبهته به وشبهته اياه واشتبهت الامور وتشابهت التبست لاشباه بعضها بعضا ، وفي القرآن المحكم والمتشابه ، وشبه عليه الامر لبس عليه ، واياك والمشبهات الامور المشكلات » . وقد وصف القرآن بالاحكام على الاطلاق في أول سورة هود بقوله (١١ : ١ كتاب أحكمت آياته) وهو من إحكام النظم واتقانه أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها . ووصف كله بالمتشابه في سورة الزمر « ٣٩ : ٢٢ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها » أي يشبه بعضه في هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف (٤ : ٨١ ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أما قوله تعالى فى سورة البقرة (٢: ٢٥ وأتوا به متشابها) فمفهومه ان ماجيئوا به من الثمرات أخيرا يشبه مارزقوه من قبل وانهم اشتبهوا به لهذا التشابه وقالوا ان الاصل في ورود التشابه بمعنى المشكل الملتبس ان يكون الالتباس فيه بسبب شبهه لغيره ثم أطلق على كل ملتبس مجازا وان كان ظاهر الاساس ان المعنيين حقيقتان فيه . ولا شك ان القرآن يصح ان يوصف كله بالمحكم و بالمتشابه من حيث هو متقن و يشبه بعضه بعضا فبإذ كر والتقسيم في هذه الآية مبني على استعمال كل من المحكم والمتشابه في معنى خاص ولذلك اختلف فيه المفسرون على أقوال

(أحدها) ان المحكمات هي قوله تعالى في سورة الانعام(٦ : ١٥٢ قل تعالوا أتل ماحرَّم ربكم عليكم ان لاتشركوا به شيئًا) الى آخر الآية والآيتين اللتين بعدها والمتشابهات هي التي تشابهت على اليهود وهي أسماء حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور وذلك أنهم أولوها على حساب الجمل فطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه . وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وزعم الفخر الرازي ان المراد به ان المحكم مالا تختلف فيه الشرائع كالوصايا في تلك الآيات الثلاث والمتشابه مايسمى بالمجمل اوهو ما تكون دلالة اللفظ بالنسبة اليه والى غيره على السوية الا بدليل منفصل. وهذا رأي مستقل بجعل المعنى الخاص عاماً وهو لا يفهم من هذه الرواية

(ثانيها) ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً وعن ابن مسعود وغيرهما

(ثالثها) ان المحكم ما كان دليله واضحا لائحا كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة والمتشابه مايحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل. عزاه الرازي الى الاصم وبحث فيه

(رابعها) ان المحكم كل ما أمكن تحصيل العلم به بدليل جلي أوخفي والمتشابه مالاسبيل الى العلم به كوقت قيام الساعة ومقادير الجزاء على الاعمال . وهذه الاربعة ذكرها الرازي وكأنه لم يطلع على غيرها وفى تفسير ابن جرير وغيره

أقوال أخرى مروية عن المفسرين منها ما يقرب من بعض ماذكر فنوردها في سياق العدد

(خامسها) ان المحكمات ما أحكم الله فيها بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ماأشبه بعضه بعضا فى المعاني وان اختلفت ألفاظه . رواه ابن جرير عن مجاهد وعبارته عنده : محكمات مافيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصرف بعضه بعضا وهو مثل قوله (ومايضل به الا الفاسقين) ومثل قوله(كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) ومثل قوله (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) : وكأن مجاهدا يعني بالمتشابه مافيه ابهام أوعموم أو اطلاق أوكل مالم يكن حكما عمليا فهو عنده خاص بالانشاء دون الخبر

(سادسها) ان المحكم من آي الكتاب ما لم يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مااحتمل من التأويل أوجها . رواه ذلك عن محمد بن جعفر بن الزبير وعبارته عنده هكذا : آيات محكمات هن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه وأخر متشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لايصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق اه وعبارة ابن جرير فى حكايته عنه تجعل المحكم بمعنى النص عند الاصوليين والمتشابه مايقابله

(سابعها) ان التقسيم خاص بالقصص فالمحكم منها ماأحكم وفصل فيه خبر الانبياء مع أممهم والمتشابه مااشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور وأطال في التمثيل له

(ثامنها) ان المتشابه مايحتاج الى بيان وهو مروي عن الامام أحمد والمحكم مايقابله

(تاسعها) ان المتشابه مايؤمن به ولا يعمل به ذكره ابن تيمية والظاهر انه جميع الاخبار فالمحكم هو قسم الانشاء

(عاشرها) ان المتشابه آيات الصفات (أي صفات الله) خاصة ومثلها أحاديثها ذكره ابن تيمية أيضا

وقال الاستاذ الامام في معني المتشابهات: المتشابه انما يكون بين شيئين فأكثر

وهو لا يفيد عدم فهم المعنى بالكلية كما قال المفسر (الجلال) ووصف التشابه في هذه الآية هو للآيات باعتبار معانيها أي انك اذا تأملت في هذه الآيات تجد معاني متشابهة في فهمها من اللفظ لا يجد الذهن مرجحاً لبعضها على بعض . وقالوا أيضاً ان المتشابه ما كان اثبات المعنى فيه للفظ الدال عليه ونفيه عنه متساويان فقد تشابه فيه النفي والاثبات أو ما دل فيه اللفظ على شيء والعقل على خلافه فتشابهت الدلالة ولم يمكن الترجيح كالاستواء على العرش وكون عيسى روح الله وكلمته فهذا هو المتشابه الذي يقابله المحكم الذي لا ينفي العقل شيئاً من ظاهر معناه

أما كون المحكمات هن أم الكتاب فمعناه أنهن أصله وعماده أو معظمه وهذا ظاهر لكنه لا ينطبق الا على بعض الاقوال الخمسة الاولى . وقال الاستاذ الامام ان معنى ذلك أنها هي الاصل الذي دعي الناس اليه ويمكنهم ان يفهموها ويهتدوا بها وعنها يتفرع غيرها واليها يرجع فان اشتبه علينا شيء نرده اليها وليس المراد بالرد ان نؤوله بل أن نؤمن بأنه من عند الله وأنه لا ينافي الاصل المحكم الذي هو أم الكتاب وأساس الدين الذي أمرنا ان نأخذ به على ظاهره الذي لا يحتمل غيره الا احتمالا مرجوحاً . مثال هذه المتشابهات قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله (يد الله فوق أيديهم) وقوله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) . هذا رأي جمهور المفسرين وذهب جمهور عظيم منهم الى أنه لا متشابه في القرآن الا أخبار الغيب كصفة الآخرة وأحوالها من نعيم وعذاب

﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ قال الاستاذ الإمام معنى اتباعه ابتغاء الفتنة أنهم يتبعونه بالانكار والتنفير استعانة بما في أنفس الناس من انكار ما لم يصل اليه علمهم ولا يناله حسهم كالاحياء بعد الموت وشؤون تلك الحياة الاخرى . وابتغاء الفتنة بالنسبة الى الوجه الأول في معنى المتشابه هو ان يتبع أهل الزيغ من المشركين والمجسمة مثل قوله تعالى (وروح منه) فيأخذونه على ظاهره من غير نظر الى الاصل المحكم ليفتنوا الناس بدعوتهم الى أهوائهم ويختلبوهم بشبهتهم فيقولون : ان الله روح والمسيح روح منه فهو من جنسه وجنسه لا يتبعض فهو هو : فالتأويل هنا بمعنى الارجاع أي

أنهم يرجعونه الى أهوائهم وتقاليدهم لا الى الاصل المحكم الذي بني عليه الاعتقاد وأما ابتغاء تأويله فهو أنهم يطبقونه على أحوال الناس في الدنيا فيحولون خبر الإحياء بعد الموت وأخبار الحساب والجنة والنار عن معانيها و يصرفونها الى معانٍ من أحوال الناس في الدنيا ليخرجوا الناس عن الدين بالمرة والقرآن مملوء بالرد عليهم كقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)

﴿ وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ قال بعض السلف ان قوله والراسخون في العلم كلام مستأنف و بعضهم انه معطوف على لفظ الجلالة . قال الاستاذ الامام استدل الذين قالوا بالوقف عند لفظ الجلالة و بكون ما بعده استئنافا بأدلة (منها) ان الله تعالى ذم الذين يتبعون تأويله (ومنها) قوله « يقولون آمنا به كل من عند ربنا » فان ظاهر الآية التسليم المحض لله تعالى ومن عرف الشيء وفهمه لا يعبر عنه بما يدل على التسليم المحض وهذا رأى كثير من الصحابة رضي الله عنهم كأبيّ بن كعب وعائشة وذهب ابن عباس وجمهور من الصحابة الى القول الثاني وكان ابن عباس يقول أنا من الراسخين في العلم أنا أعلم تأويله . وقالوا في استدلال أولئك ان الله تعالى انما ذم الذين يبتغون التأويل بذهابهم فيه الى ما يخالف المحكمات يبتغون بذلك الفتنة والراسخون في العلم ليسوا كذلك فانهم أهل اليقين الثابت الذي لا زلزال فيه ولا اضطراب فهؤلاء يفيض الله تعالى عليهم فهم المتشابه بما يتفق مع المحكم . وأما دلالة قولهم « آمنا به كل من عند ربنا » على التسليم المحض فهو لا ينافي العلم فانهم انما سلموا بالمتشابه في ظاهره أو بالنسبة الى غيرهم لعلمهم باتفاقه مع المحكم فهم لرسوخهم في العلم ووقوفهم على حق اليقين لا يضطربون ولا يتزعزعون بل يؤمنون بهذا و بذاك على حد سواء لان كلا منهما من عند الله ربنا ولا غرو فالجاهل في اضطراب دائم والراسخ في ثبات لازم ومن اطلع على ينبوع الحقيقة لا تشتبه عليه المجاري فهو يعرف الحق بذاته ويرجع كل قول اليه قائلا : آمنا به كل من عند ربنا :

هذا ما قاله الاستاذ الامام في بيان التفسير المأثور في الآية ثم قال بينا ان المتشابه

ما استأثر الله بعلمه من أحوال الآخرة أو ما خالف ظاهر لفظه المراد منه . وورود المتشابه بالمعنى الاول في القرآن ضروري لأن من أركان الدين ومقاصد الوحي الاخبار بأحوال الآخرة فيجب الايمان بما جاء به الرسول من ذلك على أنه من الغيب كما نؤمن بالملائكة والجن ونقول انه لايعلم تأويل ذلك أي حقيقة ماتؤول اليه هذه الالفاظ الا الله والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء وانما يعرف الراسخون مايقع تحت حكم الحس والعقل فيقفون عند حدهم ولا يتطاولون الى معرفة حقيقة مايخبر به الرسل عن عالم الغيب لأنهم يعلمون أنه لامجال لحسهم ولا لعقلهم فيه وانما سبيله التسليم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا : فعلى هذا يكون الوقف على لفظ الجلالة لازما وانما خص الراسخين بما ذكر لأنهم هم الذين يفرقون بين المرتبتين مايجول فيه علمهم ومالا يجول فيه ومن المحال ان يخلو الكتاب من هذا النوع فيكون كله محكما بالمعنى الذي يقابل المتشابه . ومن الشواهد على ان التأويل هنا بمعنى مايؤول اليه الشيء وينطبق عليه لا بمعنى مايفسر به قوله تعالى (٧:٥٣ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) . فتبين مما قررناه أنه لايقال على هذا لماذا كان القرآن منه محكم ومنه متشابه لان المتشابه بهذا المعنى من مقاصد الدين فلا يلتمس له سبب لانه جاء على أصله

(قال) وأما التفسير الثاني للمتشابه وهو كونه ليس قاصرا على أحوال الآخرة بل يتناول غيرها من صفات الله التي لايجوز في العقل أخذها على ظاهرها وصفات الانبياء التي من هذا القبيل نحو قوله تعالى (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) فان هذا مما يمنع الدليل العقلي والدليل السمعي من حمله على ظاهره فهذا هو الخلاف في علم الراسخين بتأويله كما تقدم فالذين قالوا بالنفي جعلوا حكمة تخصيص الراسخين بالتسليم والتفويض هي تمييزهم بين الامرين واعطاء كل حكمه كما تقدم آنفا وأما القائلون بالاثبات الذين يردون ماتشابه ظاهره من صفات الله أو أنبيائه الى أم الكتاب الذى هو المحكم ويأخذون من مجموع المحكم مايمكنهم من فهم المتشابه فهؤلاء يقولون انه ماخص الراسخين بهذا العلم الا لبيان منع غيرهم من الخوض فيه قال فهذا خاص بالراسخين لايجوز تقليدهم فيه وليس لغيرهم التهجم

عليه . وهذا خاص بما لا يتعلق بعالم الغيب

قال وههنا يأتي السؤال لم كان في القرآن متشابه لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم ولم لم يكن كله محكماً يستوي في فهمه جميع الناس وهو قد نزل هاديا والمتشابه يحول دون الهداية بما يوقع اللبس في العقائد و يفتح باب الفتنة لاهل التأويل ؟ أقول وقد ذكر الرازي هذا السؤال مفصلا وذكر للعلماء خمسة أجوبة عنه قال في المسألة الرابعة من مسائل الآية ان بعض الملحدة طعن في القرآن لاشماله على المتشابهات وقال إنكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه وذكر شيئا من احتجاج الجبرية والقدرية وغيرهم وقال ان صاحب كل مذهب يعد مادل عليه من المحكم ومايخالفه من المتشابه و يلجأ الى التأويل وان كان ضعيفا. (قال) : أليس أنه لو جعله جليا نقيا عن هذه المتشابهات كان أقرب الي حصول الغرض في دينه ثم قال : ان العلماء ذكروا في فوائد المتشابهات وجوها: ونحن ننقلها كما أوردها باختصار قليل لا يضيع شيئاً من المعنى وهي

(الوجه الاول) أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب قال الله تعالى (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين)

(الثاني) لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا الا لمذهب واحد وكان تصريحه مبطلا لكل ماسوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه فالانتفاع به انما حصل لما كان مشتملا على المحكم وعلى المتشابه فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه مايقوي مذهبه ويؤثر مقاله فحينئذ ينظر فيه جميع أصحاب المذاهب و يجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب فاذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويصل الى الحق

(الثالث) ان القرآن اذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بدليل العقل وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد و يصل الى ضياء

الاستدلال والبينة

(الرابع) لما كان القرآن مشتملا على المحكم والمتشابه افتقروا الى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر تعلم ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه

(الخامس) وهو السبب الاقوى في هذا الباب ان القرآن كتاب اشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية وطبائع العوام تنبو في أكثر الامر عن ادراك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصح ان يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه و يتخيلونه و يكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الاول وهو الذي يخاطبون به في أول الامر يكون من باب المتشابهات والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الامر هو المحكمات فهذا ما حضرنا في هذا الباب والله أعلم اه

أقول انه رحمه الله تعالى لم يأت بشيء نير ولم يحسن بيان ما قاله العلماء واسخف هذه الوجوه وأشدها تشوها الثاني ولا أدري كيف أجاز له عقله ان يقول ان القرآن جاء بالمتشابهات ليستميل أهل المذاهب الى النظر فيه وان هذا طريق الى الحق أين كانت هذه المذاهب عند نزوله ومن اهتدى من أهلها بهذه الطريقة؟ ويقرب من هذا ما قاله في بيان السبب الاقوى من دعوة العوام الى المتشابه أولا!!! وهاك أيها القارىء ما قاله الاستاذ الامام في بيان أجوبة العلماء وهي عنده ثلاثة

(١) ان الله أنزل المتشابه ليمتحن قلوبنا في التصديق به فانه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولا واضحا لا شبهة فيه عند أحد من الاذكياء ولا من البلداء لما كان في الايمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله

(٢) جعل الله المتشابه في القرآن حافزا لعقل المؤمن الى النظر كيلا يضعف فيموت فان السهل الجلي جدا لا عمل للعقل فيه . والدين أعز شيء على الانسان فاذا لم يجد فيه مجالا للبحث يموت فيه واذا مات فيه لا يكون حيا بغيره فالعقل شيء واحد اذا قوي في شيء قوي في كل شيء واذا ضعف ضعف في كل شيء

ولذلك قال (والراسخون في العلم) ولم يقل والراسخون فى الدين لأن العلم أعم وأشمل فمن رحمته تعالى ان جعل في الدين مجالا لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه فهو يبحث أولا في تمييز المتشابه من غيره وذلك يستلزم البحث فى الادلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل الى فهمه ويهتدي الى تأويله وهذا الوجه لا يأتي الا على قول من عطف (والراسخون) على لفظ الجلالة وليكن كذلك

(٣) ان الانبياء بعثوا الى جميع الاصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالانبياء السالفين عليهم السلام أو لجميع البشر كنبينا صلى الله عليه وسلم فاذا كانت الدعوة الى الدين موجهة الى العالم والجاهل والذكي والبليد والمرأة والخادم وكان من المعاني مالا يمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عاميا كان أو خاصيا ألا يكون في ذلك من المعاني العاليـة والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصـة ولو بطريق الكناية والتعريض و يؤمر العامة بتفويض الامر فيه الى الله تعالى والوقوف عنـد حد المحكم فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده مثال ذلك اطلاق لفظ كلمة الله وروح من الله على عيسى فالخاصة يفهمون من هذا مالا تفهمه العامة ولذلك فتن النصارى بمثل هذا التعبير اذ لم يقفوا عند حد المحكم وهو التنزيه واستحالة ان يكون لله جنس أو أم أو ولد والمحكم عندنا في هذا قوله تعالى (٣:٥٩ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) وسيأتي في هذه السورة . أقول وعندهم مثل قول المسيح في انجيل يوحنا « ١٧ : ٢ وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته»

(قال) ومن المتشابه ما يحتمل معاني متعددة و ينطبق على حالات مختلفة لو أخذ منها أي معنى وحمل على أية حالة لصح و يوجد هذا النوع في كلام جميع الانبياء وهو على حد قوله تعالى (٣٤:٢٤ وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومنه ابهام القرآن لمواقيت الصلاة لحكمة وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في بلاد العرب المعتدلة بالاوقات الخمسة للصلوات الخمس وما كانت العرب تعلم

ان فى الدنيا بلادا لا يمكن تحديد هذه المواقيت فيها كالبلاد التي تشرق فيها الشمس نحو ساعتين لا يزيد نهار أهلها على ذلك . أشار القرآن الى مواقيت الصلاة بقوله (١٧:٣٠ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ٢٨ وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) وسبب هذا الابهام ان القرآن دين عامٌ لا خاصٌ ببلاد العرب ونحوها فوجب أن يسهل الاهتداء به حيثما بلغ ومثل هذا الاجمال والابهام فى مواقيت الصلاة يجعل لعقول الراسخين في العلم وسيلة للمراوحة فيه واستخراج الاحكام منه في كل مكان بحسبه فاينما ظهرت الحقيقة وجدت لها حكما في القرآن وهذا النوع من المتشابه من أجلّ نعم الله تعالى ولا سبيل الى الاعتراض على اشتمال الكتاب عليه

﴿ وما يتذكر الا أولوا الالباب ﴾ قال الاستاذ الامام أي وما يعقل ذلك ويفقه حكمته الا أرباب القلوب النيرة والعقول الكبيرة وانما وصف الراسخون بذلك لانهم لم يكونوا راسخين الا بالتعقل والتدبر لجميع الآيات المحكمة التي هي الاصول والقواعد حتى اذا عرض المتشابه بعد ذلك يتسنى لهم ان يتذكروا تلك القواعد المحكمة و ينظروا ما يناسب المتشابه منها فيردونه اليه . أقول وهذا التخريج يصدق على أحد الوجهين السابقين وأما على القول بان المتشابه ما كان نبأ عن عالم الغيب فهم الذين يعلمون ان قياس الشاهد على الغائب قياس بالفارق اه

﴿ فصل ﴾

اعلم أنه ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروي الغليل في هذه المسألة وما ذكرناه آنفا هو صفوة ما قالوه وخيره كلام الاستاذ الامام وقد رأينا ان نرجع بعد كتابته الى كلام فى المتشابه والتأويل لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية كنا قرأنا بعضه من قبل في تفسيره لسورة الاخلاص فرجعنا اليه وقرأناه بامعان ، فاذا هو منتهى التحقيق والعرفان ، والبيان الذي ليس وراءه بيان ، أثبت فيه أنه ليس فى القرآن كلام لا يفهم معناه وان المتشابه اضافي اذا اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ وأن التأويل الذي لا يعلمه الا الله تعالى هو ما تؤول اليه تلك

الآيات فى الواقع ككيفية صفات الله تعالى وكمية عالم الغيب من الجنة والنار وما فيهما فلا يعلم أحد غيره تعالى كيفية قدرته وتعلقها بالايجاد والاعدام وكيفية استوائه على العرش مع ان العرش مخلوق له وقائم بقدرته ولا كيفية عذاب أهل النار ولا نعيم أهل الجنة كما قال تعالى في هؤلاء (٣٢ : ١٧ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) فليست نار الآخرة كنار الدنيا وانما هي شيء آخر وليست ثمرات الجنة ولبنها وعسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم وانما هو شيء آخر يليق بذلك العالم و يناسبه وانا نبين ذلك بالاطناب الذي يحتمله المقام مستمدين من كلام هذا الحبر العظيم ناقلين بعض ما كتبه فنقول

انما غلط المفسرون فى تفسير التأويل في الآية لانهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي وان تفسير كلمات القرآن بالمواضعات الاصطلاحية قد كان منشأ غلط يصعب حصره . ذكر التأويل فى سبع سور من القرآن — هذه السورة أولاها والثانية (سورة النساء ٤٩) أو ليس فيها الا قوله تعالى (٤ : ٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فسر التأويل ههنا مجاهد وقتادة بالثواب والجزاء والسدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج بالعاقبة وكلاهما بمعنى المآل لكن الثاني أعم فهو يشمل حسن المآل في الدنيا وقد يكون التنازع في الامور الدنيوية أكثر والرجوع فيه الى كتاب الله ورسوله في حياته وسنته من بعده يكون مآله الوفق والسلامة من البغضاء ولا يحتمل بحال ان يكون معنى التأويل هنا التفسير أو صرف الكلام عن ظاهره إلى غيره لأن الكلام في التنازع وحسن عاقبة رده إلى الله ورسوله

والثالثة (سورة الاعراف ٧) وفيها قوله تعالى (٧ : ٥٢ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ٢٣ هل ينظرون الا تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) فسر ابن عباس (تأويله) هنا بتصديق وعده ووعيده أي يوم

يظهر صدق ما أخبر به من أمر الآخرة . وقال قتادة تأويله ثوابه ومجاهد جزاؤه والسدي عاقبته وابن زيد حقيقته وكل هذه الالفاظ متقاربة المعنى والمراد ما يؤول أليه الامر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة ولا يحتمل ان يراد به تفسيره

الرابعة (سورة يونس ١٠) قال تعالى بعد ذكر القرآن بكونه تصديقا لما بين يديه ومنزها عن الافتراء والريب ودعواهم الباطلة فيه وبعد تعجيزهم بطلب الاتيان بسورة من مثله (٣٩ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فسر أهل الاثر تأويله هنا بنحو ما تقدم أي ما يؤول اليه الامر من ظهور صدقه ووقوع ما أخبر به ولما كانت عاقبة المكذبين قبلهم الهلاك كان تأويله ان تكون عاقبتهم كعاقبة من قبلهم

الخامسة (سورة يوسف ١٢)جاء فيها قوله تعالى (٦ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) وقوله حكاية عن الفتيين اللذين كانا مع يوسف في السجن (٣٦ نبأنا بتأويله) أي ما رأياه في المنام . وقوله حكاية عنه (٣٧ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما)وقوله حكاية عن ملأ فرعون (٤٤ وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) وقوله حكاية عن الذي نجا من ذينك الفتيين (٤٥ أنا أنبئكم بتأويله) وقوله حكاية لخطاب يوسف لأبيه (١٠٠ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا) وقوله حكاية عنه (١٠١ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث) فتأويل الاحاديث والاحلام هو الامر الوجودي الذي تدل عليه وهو فعل لا قول كما هو صريح فى مثل قوله (نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) فإخباره بالتأويل هو إخباره بالامر الذي سيقع في المآل - وفي قوله (هذا تأويل رؤياي من قبل أي هذا الذي وقع من سجود أبويه واخوته الاحد عشر له هو الامر الواقعي الذي آلت اليه رؤياه المذكورة فى أول السورة بقوله تعالى (٤ اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)

السادسة (سورة الاسراء ١٧) وفيها قوله (٣٥ وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) أي مآلا

السابعة (سورة الكهف ١٨) وفيها قوله تعالى حكاية عن العبد الذي آتاه الله رحمة وعلما من لدنه في خطاب موسى (٧٨ سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) وقوله بعد ان نبأه مما تؤول اليه تلك الاعمال التي أنكرها موسى (٨٢ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فالإنباء بالتأويل انباء بأمور عملية ستقع في المآل لا بالاقوال فتبين من هذه الآيات ان لفظ التأويل لم يرد في القرآن الا بمعنى الامر العملي الذي يقع في المآل تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل فيجب ان تفسر آية آل عمران بذلك ولا يجوز أن يحمل التأويل فيها على المعنى الذي اصطلح عليه قدماء المفسرين وهو جعله بمعنى التفسير كما يقول ابن جرير: القول في تأويل هذه الآية كذا . ولا على ما اصطلح عليه متاخروهم من جعل التاويل عبارة عن نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في ثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهرا للفظ ومثله قول أهل الاصول : التاويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل

بحمل التأويل في القرآن على المعنى الاصطلاحي تمسكت الباطنية في دعواهم إذ قالوا ان أحدا لم يفهم القرآن في زمن التنزيل ولا بعده وان الله وعد بتأويله فلا بد من انتظار من يبعثه الله تعالى بهذا التأويل . والبابية وهم آخر فرقة ظهرت من الباطنية تدعي أن الباب هو ذلك الموعود به والبهائية منهم يقولون بل هو البهاء . وقد سمعت من دعاتهم من يحتج بقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله) الآية وقد ذكرت آنفاً فقلت له تأويله ما وعد به كقوله (٤٧ فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة — وقوله — ٣٦ : ٤٩ ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) فهذا وأمثاله هو تأويله . والقرآن كله مفهوم ان اشتبه منه شيء على بعض الناس علمه غيرهم قال ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص بعد كلام في ذلك ما نصه:

« والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ولا يجوز أن يكون الرسول وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه

الراسخون أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون الآخر وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن و بين أن يقال الراسخون في العلم يعلمون كان هذا الاثبات خيرا من ذلك النفي فان معنا الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على ان جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره وهذا مما يجب القطع به وليس معنا قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير المتشابه فان السلف قد قال كثير منهم إنهم يعلمون تأويله منهم مجاهد مع جلالة قدره والربيع بن أنس ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن ابن عباس وأنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقول أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله وقوله عن الجهمية أنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه ثم تكلم على معناها دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه وأن المذموم تأويله على غير تأويله فاما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده وهو التفسير في لغة السلف ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها بل يتلون لفظا لا يعرفون معناه

«وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما وابن قتيبة من المنتسبين الى أحمد واسحق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل الى مذهب أحمد واسحق وكان معاصرا لابراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه قلت و يقال هو لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فانه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة وقد نقل عن ابن عباس أيضا القول الآخر ونقل ذلك عن غيره من الصحابة وطائفة من التابعين ولم يذكر

هؤلاء على قولهم نصاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت مسئلة نزاع فترد الى الله والرسول وأولئك احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله وبأن النبي صلى الله عليه وسلم ذم مبتغي المتشابه وقال «إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم» ولهذا ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيغ بن عسل لما سأله عن المتشابه ولانه قال (والراسخون في العلم يقولون) ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد لاواو الاستئناف التي تعطف جملة على جملة لقال: ويقولون: فاجاب الآخرون عن هذا بأن الله قال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) ثم قال (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون) ثم قال (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان) قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد والفعل حال من المعطوف فقط وهو نظير قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

«قالوا ولأنه لوكان المراد مجرد الوصف بالايمان لم يخص الراسخين بل قال والمؤمنون يقولون آمنا به فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به فلما خص الراسخين في العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله فعلموه لأنهم عالمون وآمنوا به لأنهم يؤمنون وكان ايمانهم به مع العلم أكمل في الوصف وقد قال عقب ذلك (وما يذكر الا أولو الالباب) وهذا يدل على أن هنا تذكرا يختص به أولو الالباب فان كان ماثم الايمان بالالفاظ فلا يذكر لما يدلهم على ما أريد بالمتشابه (كذا) ونظير هذا قوله في الآية الاخرى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فلما وصفهم بالرسوخ في العلم وأنهم يؤمنون قرن بهم المؤمنين فلو أريد هنا مجرد الايمان لقال والراسخون في العلم والمؤمنون يقولون آمنا به كما قال في تلك الآية لما كان مراده مجرد الاخبار بالايمان جمع بين الطائفتين

«قالوا وأما الذم فانما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا يطلبون الا

المتشابه لإفساد القلوب وهي فتنتها به و يطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء بل لأجل الفتنة وكذلك صبيغ بن عسل ضرب به عمر لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة وهذا كمن يورد أسئلة اشكالات على كلام الغير و يقول ماذا أريد بكذا وغرضه التشكيك والطعن فيه ليس غرضه معرفة الحق وهؤلاء هم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه» ولهذا يتبعون أي يطلبون المتشابه و يقصدونه دون المحكم مثل المستتبع للشيء الذي يتحراه و يقصده وهذا فعل من قصده الفتنة وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه و يزيل ماعرض له من الشبهة وهو عالم بالمحكم متبع له مؤمن بالمتشابه لايقصد فتنة فهذا لم يذمه الله وهكذا كان الصحابة يقولون رضي الله عنهم مثل الاثر المعروف الذي رواه ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية ثنا عتبة بن أبي حكيم ثني عمارة بن راشد الكناني عن زياد عن معاذ بن جبل قال يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى ونية يفليه فلي الرأس يلتمس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم أولئك يعمي الله عليهم سبل الهدى ورجل يقرأه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به وما أشتبه عليه وكله الى الله ليتفقهن أولئك فقها مافقهه قوم قط حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه أو يفهمه اياها من قبل نفسه : قال بقية استهدى ابن عيينة حديث عتبة هذا فهذا معاذ يذم من اتبع المتشابه لقصد الفتنة وأما من قصده الفقه فقد أخبر أن الله لابد أن يفقهه المتشابه فقها مافقهه قوم قط

«قالوا والدليل على ذلك أن الصحابة كانوا اذا عرض لاحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك كما سأل عمر فقال ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به وسأله أيضا عمر مابالنا نقصر الصلاة وقد أمنا ولما نزل قوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق عليهم وقالوا أينا لم يظلم نفسه حتى بين لهم ولما نزل قوله (وان تبدوا مافي أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله) شق عليهم حتى بين لهم الحكمة في ذلك

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» قالت عائشة ألم يقل الله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال انما ذلك العرض قالوا والدليل على ماقلناه اجماع السلف فانهم فسروا جميع القرآن وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عندها وتلقوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن الا ماقد يشكل على بعضهم فيقف فيه لالأن أحدا من الناس لايعلمه لكن لانه هو لم يعلمه وأيضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ولم يستثن منه شيأ لايتدبر ولا قال لاتدبروا المتشابه والتدبر بدون الفهم ممتنع ولو كان من القرآن مالا يتدبر لم يعرف فان الله لم يميز المتشابه بحد ظاهر حتى يجتنب تدبره وهذا أيضا مما يحتجون به و يقولون المتشابه أمر نسبي إضافي فقد يشتبه على هذا مالا يشتبه على غيره قال لان الله أخبر أن القرآن بيان وهدى وشفاء ونور ولم يستثن منه شيأ عن هذا الوصف وهذا ممتنع بدون فهم المعنى

«قالوا ولان من العظيم أن يقال ان الله أنزل على نبيه كلاما لم يكن يفهم معناه لاهو ولا جبريل بل وعلى قول هؤلاء كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بأحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن عندهم ولم يكن يعرف معنى مايقوله وهذا لايظن بأقل الناس وأيضا فالكلام انما المقصود به الافهام فاذا لم يقصد به ذلك كان عبثا و باطلا والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث فكيف يقول الباطل والعبث و يتكلم بكلام نزله على خلقه لايريد به افهامهم وهذا من أقوى حجج الملحدين وأيضا فمافي القرآن آية الا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم في معناها و بينوا ذلك واذا قيل فقد يختلفون في بعض ذلك، قيل كما قد يختلفون في آيات الامر والنهي مما اتفق

المسلمون على أن الراسخين في العلم يعلمون معناها وهذا أيضا مما يدل على أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه فان المتشابه قد يكون في آيات الامر والنهي كما يكون في آيات الخبر وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها فكذلك الأخرى فانه على قول النفاة لم يعلم معنا المتشابه الا الله لا ملك ولا رسول ولا عالم وهذا خلاف اجماع المسلمين في متشابه الامر والنهي

وأيضا فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة علي ذلك وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه وأي فضيلة في المتشابه حتي ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل خطابا ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى و بيان وشفاء وأمر بتدبره ثم يقال ان منه مالا يعرف معناه الا الله ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه ثم سبب نزول الآية قصة أهل نجران وقد احتجوا بقوله : إنا : ونحن : و بقوله « كلمة منه وروح منه » وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه فكيف يقال إن المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبياء ولا أحد من السلف وهو من كلام الله الذي أنزله الينا وأمرنا أن نتدبره ونعقله وأخبر انه بيان وهدى وشفاء ونور وليس المراد من الكلام الا معانيه ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لا معنى له وقد قال الحسن ماأنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيما ذا أنزلت وماذا عني بها

« ومن قال ان سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم في ألم بحساب الجمل فهذا نقل باطل أما أولا فلانه من رواية الكلبي وأما ثانيا فهذا قد قيل انهم قالوه في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وسورة آل عمران انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها

فرض الحج وانما فرض سنة تسع أوعشر لم يفرض في أول الهجرة باتفاق المسلمين وأما ثالثا فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الامة ليس هو من تاويل القرآن الذي استأثر الله بعلمه بل اما أن يقال انه ليس مماأراده الله بكلامه فلا يقال انه انفرد بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل واما أن يقال بل يدل عليه وقد علم بعض الناس مايدل عليه وحينئذ فقد علم الناس ذلك أما دعوى دلالة القرآن على ذلك وأن أحدا لا يعلمه فهذا هو الباطل وأيضا فاذا كانت الامور العلمية التي أخبر الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول كان هذا من أعظم قدح الملاحدة فيه وكان حجة لما يقولونه من انه كان لا يعرف الامور العلمية أوأنه كان يعرفها ولم يبينها بل هذا القول يقتضي أنه لم يكن يعلمها فان مالا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي ولا غيره

«وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول ان في القرآن آيات لا يعلم معناهاالرسول ولا غيره نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد يشكل على هذا مايعرفه هذا وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ وتارة لاشتباه المعنى بغيره وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق وتارة لعدم التدبر التام وتارة لغير ذلك من الاسباب فيجب القطع بأن قوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) أن الصواب قول من يجعله معطوفا و يجعل الواو لعطف مفرد على مفرد أو يكون كلا القولين حقا وهي قراءتان والتأويل المنفي غير التأويل المثبت وان كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف فيكون التاويل المنفي علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه نظر وابن عباس جاء عنه انه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وجاء عنه ان الراسخين لا يعلمون تأويله وجاء عنه انه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القولين و يبين ان العلماء يعلمون من تفسيره مالا يعلمه غيرهم وان فيه مالا يعلمه الا الله

«فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله الا الله وجعل التأويل بمعنى التفسير فهذا خطأ قطعا وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الاربعة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفاً فى القرون الثلاثة بل ولا علمت أحدا فيهم خص لفظ التأويل بهذا ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعا فى عرف كثير من المتأخرين فظنوا أن التأويل فى الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف مايفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعا والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لايدل ظاهره على معنى فاسد وانما الخطأ في فهم السامع نعم قد يقال ان مجرد هذا الخطاب لايبين كال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالته على المطلوب و بين دلالته على نقيض المطلوب فهذا الثاني هو المنفى بل وليس في القرآن مايدل على الباطل البتة كما قد بسط فى موضعه ولكن كثير من الناس يزعم أن لظاهر الآية معنى إما معنى يعتقده وإما معنى باطلا فيحتاج الى تأويله و يكون ماقاله باطلا لاتدل الآية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير جدا وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيرا مايحتاج الى التأويل المحدث وهو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله

«ومما يحتج به من قال الراسخون في العلم يعلمون التأويل ماثبت فى صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له وقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فقد دعا له بعلم التأويل مطلقا وابن عباس فسر القرآن كله قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره أقفه عند كل آية وأسأله عنها وكان يقول أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله وأيضاً فالنقول متواترة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الامر والخبر فله من الكلام في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ومن الكلام في الامر والنهي والاحكام ما يبين أنه كان يتكلم في جميع معاني القرآن وأيضاً قد قال ابن مسعود مامن آية في كتاب

الله الاوأنا أعلم فيما ذا أنزلت وأيضا فانهم متفقون على أن آيات الاحكام يعلم تأويلها وهى نحو خمسمائة آية وسائر القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته أوعن اليوم الآخر والجنة والنار أوعن القصص وعاقبة أهل الايمان وعاقبة أهل الكفر فان كان هذا هو المتشابه الذي لايعلم معناه الا الله فجمهور القرآن لايعرف أحد معناه لاالرسول ولا أحد من الامة ومعلوم أن هذا مكابرة ظاهرة وأيضاً فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذى يخبر به فان دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لايهتدي لها جمهور الناس بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه فاذا كان الله قد علم عباده تأويل الاحاديث التي يرونها في المنام فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والاحرى قال يعقوب ليوسف (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) وقال يوسف (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث) وقال (لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما)

«وأيضاً فقد ذم الله الكفار بقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون * حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون) وهذا ذم لمن كذب بما لم يحط بعلمه فما قاله الناس من الاقوال المختلفة في تفسير القرآن وتأويله ليس لاحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها الا أن يحيط بعلمه وهذا لايمكن الا اذا عرف الحق الذي أريد بالآية فيعلم أن ماسواه باطل فيكذب بالباطل الذي أحاط بعلمه وأما اذا لم يعرف معناها ولم يحط بشيء منها علما فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالاقوال المتناقضة والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم

«وأيضاً فانه ان بنى على مايعتقده من انه لايعلم معاني الآيات الخبرية الا الله لزمه ان يكذب كل من احتج بآية من القرآن خبرية على شيء من أمور الايمان بالله واليوم الآخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم مثل ذلك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان قال المتشابه هو بعض الخبريات لزمه ان يبين فصلاً يتبين به مايجوز أن يعلم معناه من آيات القرآن ومالا يجوز ان يعلم معناه بحيث لايجوز أن يعلم معناه لاملك مقرب ولا نبي مرسل ولأحد من الصحابة ولا غيرهم ومعلوم انه لايمكن احدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز ان يعلم معناه بعض الناس و بين مالا يجوز ان يعلم معناه احد ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه فعلم ان المتشابه ليس هو الذي لايمكن احدا معرفة معناه وهذا دليل مستقل في المسئلة

«وأيضاً فقوله - لم يحيطوا بعلمه (وكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) ذم لهم على عدم الاحاطة مع التكذيب ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن فى ذمهم بهذا الوصف فائدة ولكان الذم على مجرد التكذيب فان هذا بمنزلة ان يقال اكذبتم بما لم تحيطوا به علما ولا يحيط به علما الا الله ومن كذب بما لايعلمه الا الله كان اقرب الى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس فلو لم يحط به علما الراسخون كان ترك هذا الوصف اقرب في ذمهم من ذكره

«و يتبين هذا بوجه آخر هو دليل فى المسئلة وهو ان الله ذم الزائغين بالجهل وسوء القصد فانهم يقصدون المتشابه يبتغون تأويله ولا يعلم تأويله الا الراسخون في العلم وليسوا منهم وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق وهذا كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فان المعنى بقوله أسمعهم أفهمهم القرآن يقول لو علم الله فيهم حسن قصد وقبول للحق لافهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الايمان وقبول الحق لسوء قصدهم فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد مع طلب علم ماليسوا من أهله وليس اذا عيب هؤلاء على العلم ومنعوه يعاب من حسن قصده وجعله الله من الراسخين في العلم

(له بقية)

خطأ العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالعرابيين كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ — ٤ أبريل سنة ١٨٨١

ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا أكثروا من دراسة الفنون الادبية ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جليلة وتنبعث في نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم عليها ولكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار ومعاشرة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتمامها على مقتضى ماعلموه هو أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثا ان يكونوا على مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين ويظنون ان أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب والدفاتر ووضعت أصولا وقواعد لسير الامة بتمامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى أعلى درج في السعادة وتتبدل العادات وتتحول الاخلاق وليس بين غاية النقص والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي تحدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات وإنهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته وارتفاع الهمة وانبعاث الغيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما من حيث انهم لم يقارنوا بين ماحصلوه و بين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يختبروا قابلية الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لعلموا ان الامم في أحوالها العمومية كالاشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الامجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال امة بتمامها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكميل الواحد. هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يحصر أعماله ويقيدها بقيود من الترغيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لابد منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصعب على الاسهل مثلا أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرجولية هل يمكنه ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلا ان الذي تمكن في العقل أزمانا لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة واحدة ولكن بعبارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المنال والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرَّه نصحه الى الضرر بنفسه. تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لايعاشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم ينجع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والعادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صغره أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنه أوصافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الامم تختلف عناصرها وتتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ماهو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لايليق ان يطلب من الشخص الواحد مالا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحسينات فيها لاتبعد منها بالمرة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقي بالتدريج حتى لايمضي زمن طويل الا وقد انخلعوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ماهو أرقى وأعلى من حيث لايشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود مالم يصلوا الى كنهه أو كلفوا من العمل مالم يعهدوه أو خولوا من السلطة مالم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير لخفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرهم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتعس منها بحكم الاستعداد القاضي عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الامة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لا نستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثـلا حال كونها على مانعهد من الخشونة فانه لو فوض أمر المصالح الى رأي الاهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لايرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهـم أن ينتخبوا مائة نائب مثلا لرأيت كل شخص ينتخب صاحبا له أونسيبا أوقريبا فربما ينتخبون آلافا مؤلفة ثم لاينتهي الانتخاب الى المرغوب أصلا لوقوف كل واحد عند انتخابه الاول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيسا منها ثم يقع الهرج بين الرؤساء وهكذا حال الامم التي تعودت على ان يكون زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون ان يكون لها دخل في رؤية مصالحها لايمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والا فسدت فاذا أردنا ابلاغ الافغان مثلا الى درجة أمريكا فلا بد من قرون تبث فيها العلوم وتهذب العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الافكار الكلية حتى ينشأ في البـلاد مايسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لامريكا

وياعجبا هل الشخص الذي توارث العوائد عن آبائه وأجداده ومرن عليها من مهده الى كهولته وتعود تفويض مصلحته الى ارادة غيره يصح ان يطلب منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى اليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم يفكر فيها ان هذا لخطأ ظاهر

ولكون أرباب الافكار منا يرومون ان تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوربا وهي هي لاينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح ويضرون البلاد بجعل المشروعات فيها على غـير أساس صحيح فـلا يمر زمن قريب الا وقد بطل المشروع ورجع الامر الى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم على حالهم القديم وكان لهم امكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير البلاد فلا يسعى الا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه ان كان طالبا حتما بدون اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الـكلام بقيـة أذكرها فيما بعد هذا العدد

وكتب فى العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس فى أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بانه يريد تقدمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) الى حالة التمدن التي عليها أبناء الامم المتمدنة وجعلوا الوسيلة الى ذلك ان تنقل عادات أولئك الامم المتمدنين وأفكارهم وأطوارهم الى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بافكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الاطوار كاف في أن نكون مثلهم وان استلامنا لتلك العادات وتلقينا لتلك الافكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الاسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الامم الى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريباً منها لترقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن ان تكون بداية مع ان ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا اليه الا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة و يبعدون عنه أخرى كما يرشدنا اليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الاهالي وغيرت أخلاقهم ونبهت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم

ان بداية التقدم الأوربي في الحقيقة كان في نفوس الاهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الامم الشرقية أجيالا وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم اذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كان الغنى والعز مستوكرا أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدهم لكن لا في البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات اليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوهما من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقر في النفوس وثبت في العقول و بنوا عليه ماشاءوا ولو تأملنا تاريخ سير التقدم الاوربي لرأينا

أسباب التقدم يجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ونفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويج وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تعقد لذلك المحالفات والمعاهدات وتتألف له الجمعيات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرزا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقيدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع العوائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم و يتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والأهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلفتهم العقلاء اليها لكن لا بتحريك غيرتهم الى العمل اختيارا أو ألجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتمدنة ويشهدوا عاداتها وأحوالها ويهتم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم و يتفكرون فيما لا يعقل فشادوا بيننا أبنية وزينوها بما لم نكن نعهده من أنواع الزينة وجلبوا الينا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مخبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يتزينون بهذه اللطائف التى تذهب الحزن وتشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبتنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا نتشبه بهم لكن فيما رأيناه وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب منا دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتجويد وضعها واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المآكل والمشارب وآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمنا وأدخل في النظر وأجاب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاولة ان تكون على النمط الاعلى عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفروشات وتأنقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد سلكنا مسالك المتمدنين في ثمرات تمدنهم التي جملوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر الى مساكننا وملابسنا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدنون فقد اشتركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع باللذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل لدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستعداد (أي بأن تكون أوزة) فحبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشق منها ما انشق وتمزق منها ما تمزق فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نظنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الترف والنعيم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الغنى والثروة والراحة المستتبعة للذة الحقيقية والنعيم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه اللذائذ والآلام والتنشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا أبواب اللذات مفتحة قبل ان يجدوا عقلا يقدر لهم مايلزم منها وما لا يلزم

كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفهية الى بلادنا وطلب التحلي بها بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا وليتنا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع الشاهق والترتيب المحكم ونزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على بساطتها وشيدنا في عقولنا الهمم الرفيعة والحمية التي لا تمتد اليها الايدي وأحكمنا طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ علينا ماوجدنا وتجذب الينا مافقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيرة على البلاد وأنفة عن الصغار

لعمر الله لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان العالم بأسره ينظر الينا نظر الراهب الخائف أو يرمقنا بلحظ المعظم المبجل وكانت معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين فينا حب الترقي والتقدم ساروا بنا من البدايات وحجبونا عن النهايات حتى لا نراها الا من أنفسنا فنطلبها لا لانها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لا في زوائدها فكنا بذلك نصل الى ماوصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فات الوقت ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين لا يعلمون للخلقة غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما خلقت لهم يستعملونها كيفما يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية وشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ومحوا أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس عباده لفهم منافعهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصينا بين كل شخص ومنافعه

فاستأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ماتبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطفها وكانت حياته معقودة بغضب ذاك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمريض بلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وماملكت يداه حل للآمر عليه وليس لتصرف ذلك الآمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصعد بها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فنيت الارادة ومات الاختيار وطفىء نور الفكر بالمرة

وكان من جملة التقييدات العنيفة التي وضعها أولئك المتسلطون الحجر على أهالي المدن وغيرها فى الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفحش بالنساء أو شرب للمسكرات وماشا كل هذا فان وجدوا شيأ من ذلك ساقوا من يجدونه الى حيث يستوفي عقاباً أليما وكذلك وضعوا فى الافواه لجاماً من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة فى مطلب علمي أو تجادل فى حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقة أو طعن فى حاكم وله عند ذلك الويل الذى لا مخلص منه كل ذلك سمعنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالعيان

فتلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد بناس خالطوا الامم المتمدنة وطالعوا أحوالها ورأوا ماعليه أهلوها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتمدنة لكنهم أول مابدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بارادته و يتكلم فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا فى ذلك شرطاً (ما أنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن المحبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على الالسنة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجناح على من ارتكب أي جريمة وتطبع باي خلق حسنا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسدا وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مسلوباً أيا كان فلم يجعلوا للسلطة حدا معينا وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقوها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاء على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الامم المتمدنة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العموميه الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئيه الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وتهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يبلغه الاوربيون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من اللهو واللعب وتنافسوا في الحظوة عند النساء الباغيات واتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال فى الطرق والشوارع وتعدى ذلك المرض المعدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يبتغين وافتضحت بذلك بيوت شريفة وكلما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفعاً قال المولع هذ حرية فضاع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات يتسابقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة و يدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) و يصرفون فيها مالا يقدر من النقود (وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي — هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل فى قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشربا بل ألفاظ حفظها من معاشريه لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى الهوس ورمى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يوافقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها تنوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعياذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وماأشبه ذلك فهؤلاء من الجهل بمكان لايعلوهم فيه حيوان فضلا عن انسان

فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لهـا أثرا يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائما لمثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على تصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبيعه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتغله بطوق الذل والعار وياليته بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على الانفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترتفع الكبسة بذاتها ويذهب الناس أحرارا بطبعهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فتلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف مايقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين وأنى الافكار وبأي الوسائل يوفى العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن بحتاج الا لتخفيف يسير فى شناعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وياليت العقلاء منا فى الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة فى الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانونًا بسيطًا ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكاتهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عددا معينًا ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من العارفين الى القرى والمدن ليفهموا أولئك مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزالوا على المراقبة ازمانا فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتنمو فيهم القوة وتحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولا مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لايفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دفات الكتب وصدور بعض من النبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا بمقتضاها ان هذا لشيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لابد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والعادات رغمًا عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لاحكام بقعتنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبدا

واننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لو انتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويما ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفى بنشرها على لسان الجرائد فان قارئيها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات فى القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صغار المأمورين عن الاجراآت المضرة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قويمة للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورها وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر فى جميع ذلك نبهاء البلاد وذوو الشأن فيها فعليهم ان كانوا صادقين فى الوطنية ان يبذلوا الجهد فى طلب ذلك والقيام بما يلزم والا فانهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب فى العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ – ٤ مايو سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الامرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفعل أو الترك والترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كماليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرافا

أما الطلب فهو أحد الامرين الذي يحمل النفس عنائين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أرباب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الامرين المتضايفين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الاول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء مايعود منه على الطالب أوغيره من المنافع والتنقيب عن الوسائل التي توصل الى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الاعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الاعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله انما يكون بعد ان تعرف نسبة الطلب الى غيره من المطالب ليترجح عما سواه بخاصية من الخواص حتى لايلزم على الشروع فيه الترجيح بلامرجح هذا شرح حال العناء الاول وليس بعده الا الشروع في العناء الثاني عناء الاعمال البدنية

أما فوائد الاعمال فهي وان كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار اذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فنتائجه كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لايستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الاوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته الى فوائده سواء كانت من الضروريات أوالكماليات فهو محتاج الى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الاعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس ادمانه العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمرا من لوازم وجود ذاته فيحتاج الى صفة زائدة تقضي عليه ان يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافيا لهذا الاقتضاء اذ ربما تحققت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها فى الدرجة الاولى درجة الاضطرار البحت فهو بنفسه كاف لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي المتممة لعلته هي التمرن والاعتياد

و بعبارة أوفق بالغرض: ان مالاتدعو اليه الحاجة أصلا فى زمن من الازمان قد تدعو اليه في زمن آخر لا لسد الاضطرار البحت بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمحسنات وقد تدعو اليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطرار البحت فلا يجد الانسان عنه فرارا فيتكلفه مقهورا مقسورا يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الاعمال التي لم يتكلفها يوما من الايام لولا حكم الصروف والحادثات التي تقلبه على بساط القهر تقلب العصفور

في يدي الطفل فلايزال يحس بالالم و يدمن العمل حتى يهون عليـه شيئاً فشيئاً الى ان يزول الألم بالكلية ولا يجد الا عملا بدون ألم فاذا مضت برهـة بعـد الابتداء يحس من نفسـه بعض الميل الى العمل فكأن الألم لاول استحال الى ضده (على حكم تلاقي الطرفين) و يجد منه باعثا طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل و يشتد العشق حتى لا يميل به الكسل يوما ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود من التمرن و لاعتياد

أما كون الشيء ربما يكون ضروريا فى وقت دون وقت فالامر فيـه وان كان على ما أظن لايحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يقف عنـد حد محـدود فيما يتعلق بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب يعده من قبيل التمدن أو الحضارة أو الترف فى المعيشة أوغير ذلك بل يكفيه مايسد الرمق من القوت ويقيـه الحـر أو البرد من اللباس ويكنه وقت الايواء من البيوت غير أنه لمـا تأنق فى هذه الضروريات بعض التأنق ورأى أنها تقبل التحسين شيأ فشيأ أخذ على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل ماتتأدى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوته النظرية خواص العناصر فحسبها عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبوابا للتجارة والزراعة والصناعة ووصـل الى ما وصل اليـه الآن وهو في هذا السير الطويل يتحمل أثقالا على أثقال كلما وصل منه الى درجة ظنها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريبا فيتخذ نتائج تقاليدها الغريبة زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز قال الشاعر

سبحان من خص القليل بعزه   والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي   نفس لمحتاج الى أنفاسـه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الغرائب زمنا استزاد منها حتى يبلغ بها حد

الكثرة فيستعملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعتادة التي لايستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال و يتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بعقامة المنيف و يحط بمقداره الشريف ولا يتذكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقتات بسائط النبات و يستتر بأوراق الاشجار و يأوي الكهوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر نقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ماوصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لابد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماأ كفره) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول و يبهر النواظر من صناعاتها الغريبة وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الذاهل المندهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنقبض نوعا من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقلب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تتظاهر به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المتفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ماوصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجد بحكم الاضطرار حتى تصل الى ماوصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضا بعد ان تذوق لذة التقدم وتنسيها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تركب متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الامم حتى تنتظم الامم جميعا في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا انتهزت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالنماء في الاموال والانفس والثمرات و بأن مجاور يها يخشون بأسها و يرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن فى الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى يتساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التلقبات والتنقلات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون و يتحاسدون على النقير والقطمير و يغلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء و يعذبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخاليب التكلف ومشاق التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا و ينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهيد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في بوادي الراحة عند مايصلون الى نقطة التمرن والاعتياد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجرى الطبيعي فيلتئمون بعد التفرق و يرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت

و ياليت شعري ماهو النازل الذي حل بالانسان فغير معالمه الطبيعية و بدل أخلاقه السلمية وحل رابطته النوعية والا فعهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسلسلا جدليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة التامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد ربطتها عادات وأخلاق متحدة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة — التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأكيد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف — الى هذا السر المكنون و بشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة العموميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العمومية موجهة الى النقطة الاولى

وكلما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيرا خفيا فى الجم الغفير من عقلاء الناس فمالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولادين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لاترى الجمعية البشرية بعد إلا كساكني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويجدون من بركات الارض مايكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل بقبيل نازل توجه الكل الى انقاذه مما ألمّ به وساروا جميعا على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، ومرنه على السباحة، ثم لاترى فيهم اذ ذاك مايحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لاترى الا أعمالا جارية على منهج السهولة منهج التمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

الدين كل ماجاء به الرسول

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار

أطلعت على المقال المندرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)

فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ قرر حضرته هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلا ثبتت جذوره في قلوب جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن النزاع فيه على انه لاحاجة اليه ثم قال مانصه)

ولعمري لولم يكن الرسول مبيناً لأحكام الله التي لم تفصل في التنزيل ككيفية الصلاة من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان مايبينه أو يشرعه واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثا وباطلا فقل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعني « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى »

قل لي بانصاف لولم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أكان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع المخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ماأظن ذلك أبدا ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله و بذلك يكون الدين أو القرآن (كالأستك) صالحا لكل زمان ولا يكون جامدا متحجرا كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله

وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيه واجبة على متبعيه ولا يشتبه عليه أنها نزلت لسبب اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أكان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعني الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ؛ قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لأوردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بامور دنياكم فاذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « مامن نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لاعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لاتفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما مايقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لاتقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لاصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أربعمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقيم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أولئك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضاً مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ مايقول و يفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصاً شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لايعمل عملا الا و يستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دونوها في الكتب كما دونوا القرآن وحرروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الاحكام حتى صار اشتباهها بأحاديث الكذابين محال (كذا)

وما كنت أظن ولا يخطر ببالي ان حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها و يأمره بعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسده بالطين واجب

ماذا ياحضرة الفاضل تطلب من الازهريين وغيرهم من العلماء أتطلب دليلا منهم على ان أقوال الكاتب فاسدة بعد ماقال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محل للاستفهام والسؤال كلا

هذا وأرجوكم ياحضرة الرشيد المرشد سد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه العجالة التي لاأكتب بعدها أبدا في هذا الموضوع وفقنا الله واياكم وجميع المسلمين للاهتداء بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين

أحمد منصور الباز

نقيب أشراف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ماخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه . وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى ينكر بها الكاتب ماقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وانما حذفناها لأنه لم يلتزم فيها مايجب في المناظرة ولأنها ليس فيها شيء من القوة اذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الاركان الخمسة وليس هذا نفيا لاختلاف الامة . ولو كنت أجيز لنفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطقت بأن الامة ستفترق وبخلاف الفقهاء والمتكلمين وبأن الرجل لم يقل انهم اختلفوا في كل أصل وفرع .

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا اياه فله وجه ومن أسباب ذلك انه لم يتفق له أن ذاكرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لامندوحة عنه وانني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك لهذين السببين ولاعتقادي ان الانسان اذا كتب مايخطر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجمال والابهام الى حيز التفصلة والجلاء حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولا لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء العصر فيه فنشرناه ليكون الرد على مافيه من خطأ وشذوذ ردًّا على كل من يرى هذا الرأي

وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الازهر وأذكياء المجاورين ان أهل الازهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالردّ عليه وأنهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لانرد على أحد ولكننا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لانذكر فيه أحدا من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفعل . ونحن لانشترط على من يكتب الا نزاهة العبارة وسلامتها من الطعن والتهكم عملا بأدب القرآن الحكيم (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)

﴿ تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة ﴾

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمد في أمته» لانستحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقًا ولكن رأينا ان نأخذ منها ماهو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احداهما طريقة تعليم الدين للاحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه « الحميدي الانور »

ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الاستانة كان قد رفع تقريراً الى المابين يلفت فيه السلطان الى فقرة « ونخلع ونترك من يفجرك» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الدعاء أو حذفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطانته في أمر هذا التقرير فاشار عليه بالاغضاء عنه و بين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه اعادة صلاته . وقال الكاتب «ان هذا الخبر نمي الى سفط الفاتح (سوخته لر) فسخطوا و بربروا ، ونقموا وكفّروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالته بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخمر جهراً على قوارع الطرق والمحال العمومية فما أسرع ماكان ذلك مطفئاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفثء حدتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر ببال سيما والارتياب في الخبر مدعاة لنسيانه لولا كراسة تركية صغيرة تسمى (الفباي عثماني) طبعت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت مايحويه أمثالها مما يلزم للمبتدىء تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية المأثورة حتى «ربّ يسر ولا تعسر» لكني لم أرَ مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والاتراك في جملتهم . (وذكر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استعاض مؤلف الكراسة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفندمز حضرتلري مقدّس خليفه سيدر . بزم سوكيلى بادشاهمز در—الله تعالى يه بيغمبر يمزه بادشاهمزه أطاعت أيدرز أمر لريني طوتار نهيلر ندن اجتناب أيلرز» ومعنى ذلك «الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفته المقدّس ومليكنا المحبوب — نطيع الله ونبينا وسلطاننا ونتمسك بما أمروا به ونجتنب مانهوا عنه»

«فعاودني عند قراءة ماتقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا فى هذا العصر «عصر الترقي» يعلمون ابناءهم التوجه الى «ثلاثة» بحيث يشركونهم في خصائص

الالوهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم ممن اتخذ له ثلاثة أقانيم . و ياليتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب التبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث ! !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصودروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم و بين مايشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزايل المكتب ويفلت أمثال الكراسة المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبه» وفي وصف المقصور «ذات قدس سمات» « ذات فرشته سمات » أي الذات المقدسة الشمائل أو التي شمائلها كشمائل الملائكة .

واذا أراد أن يمتع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلاملك) رأى (كما رأيت بعيني) عمامة شيخ الاسلام تهوي الى بين قدمي جلالته وهو يشكر له و يدعو .

واذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يغرد بصوت يستثير الطرب، و يقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه ببقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بعدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بنى نصرة الله على عباده بإطاعة عساكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» اهـ

اضحك أيها القارىء أضحك الله سنك كأني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبتها من أوضاع كاتب السطور أو ناجنه لكني أحلف لك بكل ماتكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في يني چشمه . وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع . وقرئت أيضاً في جوامع أخر وأجيز واضعها بمئة ليره . وسمعها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا .

لم يعن الشارع بجعل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحذ عزائمهم وتوجيه هممهم نحو لم شعثهم وتوفير كل مافيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم . وماقط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والتعظيم وارتكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعر أكذبه» — ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع وموافقة أصول الانغام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الامم .

أن شئت أيها القارىء الاستئناس لما نقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ماقاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري .

« ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فأما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهذب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالغازي وهو لم يوجف على العدوّ بخيل ولا ركاب . ولكن مطلق الدعاء لهم بالصلاح لا بأس به .

« وقد اتفق ان الملك الظاهر بيبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال — مع كونه تركيًا — مالهذا الخطيب يقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص الا بعد الجهد الشديد. واتفق مثل هذا البعض امراء مصر في زماننا (يعني محمد بك الألفي أحد أمراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمدعلي باشا في إرسال ابنه ابراهيم والتاريخ يعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكان مغرورا بدولته مستبدا برأيه فأطنب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته ونفيه عن مصر الى بعض القرى.

« فهذا وأمثاله ينبغي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس بأن ذلك موجب لسخط الله والمقت الابدي نسأل الله العفو » اهـ

من أمعن نظره فيما قلناه ونقلناه يأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان «سادتها وكبراءها» في العصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية ابنائها واستدرجوها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزعت منها روح الحرية وفقدت النعرة والحمية وحل محل ذلك الضعف والخمول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة.» الخ

﴿رأي واقتراح في مقالة التعصب لعالم فاضل﴾

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام

قرأت في المنار الرفيع المقالة المسهبة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ماسبقها في موضوعها فوجدتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصعة، في تبرئة دين الله الاسلام وأهله مما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت حللهم، وانه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو محرر وكشفت النقاب عن حر المسئلة التي تخبط فيها ذوو السياسة والكتاب

فألبسوا الامر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه

فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل تلك المواقف الحرجة اليهم، و ياحبذا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الاغراض، وحقائق الامراض، ومالهم من مفارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، و بالاختصار أقول ان المسلمين ليغبطون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التى لا يسع كل منصف عدل من الفريقين الا الاذعان لماجاء فيها ان لم يكن ظاهرا فباطنا وأنا أشهد الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها الغرض ذاتي أوعرضي وانها مرآة مافى قلوب المسلمين الخلص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل وراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل و يعرف حكم التنزيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل

أحد قراء المنار

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران اوثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ماقول عالم الأمة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا السيد محمد رشيد رضا لازال كعبة للسائلين فى رجل اشترى لولده أملاكا من أناس أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده فلما رشد الولد واراد أن يأخذ مااشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكاله أم لا وهل تعد إساءته بأخذها منه

عقوقا يعاقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدليل الشافي لازلتم نجما للمهتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وان استاءا ولا يعدون ذلك من العقوق الذي هو الايذاء الشديد عرفا والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد واننا نذكر أحسن ماقاله الفقهاء في ذلك ثم نتبعه النصيحة النافعة ان شاء الله تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في فتاواه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها والى تفاريعها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين إذ الإحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود اذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجعلوا ماليس بعرف عرفا لاسيما اذا كان قصدهم تنقيص شخص أو اذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو انه مثلا لو كان له على ابيه حق شرعي فاختار ان يرفعه الى الحاكم ليأخذه منه فلو حبسه فهل يكون عقوقا أم لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الاكابر إنه يعسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح العليم أن يكون حسنا فأقول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جملة الصغائر فينتقل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبائر أو أن يخالف أمره أو نهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه مالم يتهم الوالد في ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الولد أو في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقيعة في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط أن قولنا ان يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فانه يكون المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي مالو أخذ فلسا أو شيئا يسيرا من مال أحد والديه فانه لا يكون كبيرة وان كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراما لان أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ مالا كثيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين.

«وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالد بدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بحرام في حق الاجنبي وانما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من النفائس. وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ماهو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لإعسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء.

«وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة

«وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان فى حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر»

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا. وقد بحث ابن حجر بعد إيراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذيا ليس بالهين عرفا وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يعبأ به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذ تأذياً عظيما» . وقال الغزالي في الاحياء «وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبرّ قسمهما وأن يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضر بهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي

أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل ايذاء عقوقاً وانما العقوق هو الايذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بآداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لايجب على الولد أن يطلق امرأته امتثالا لأمر أحد والديه وان مخالفتهما في مثل هذا لاتعد عقوقاً. ومثل ذلك مخالفتهما فى كل مافيه مصلحة له وفى تركه مضرة. نعم ان من البرّ المحمول أن يؤثر سرورهما على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليمي الفطرة .

وههنا مسألة مهمة لابد من الالمام بها في هذا المقام لايضاح الحق في الواقعة المسئول عنها وهي ان كثيرا من الوالدين يستبدون في أولادهم استبدادا أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهم حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم. والسبب فى هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافيا للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لهما حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ماير يدان وأن لا يكون له معهما ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علما وأجود رأياً وأكبر فضلا فهما ينظران اليه فى شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه فى حداثته . يقع هذا من الأم قليلا ومن الأب كثيرا لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعا ويلذّ له أن يرى ولده مفتقرا اليه عاجزا عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الاسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من العجز عن كسب الثروة وعن حفظ مايرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأنصار لان عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن التربية على الاستقلال ان يعطي الغني ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بثمرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لامحل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل مايملكه ويمسك لنفسه مالا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي ليتمتعوا بما في يدي أما الآن فهم يحبونني ويتمنون ان تطول حياتي: وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا المحمد أغنى أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعقلهم وقد قسم جميع مايملك بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الادارة والاستغلال، ويربيهم على العز والاستقلال،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ماقاله الأحنف بن قيس لمعاوية وناهيك بعقل الأحنف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال: ياأبا بحر ماتقول في الولد؟ قال ياأمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وان غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك ،،

هذا وانما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لانه يثقل علي أن أفتي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفتى الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سببا في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد لعله يتم فضله على ولده بتسليمه مااشتراه له من قبل ليكون قرة عين له ومحبا لطول بقائه ومعانا على بره وشكره. وأنصح للولد أن يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ماتقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال «رحم الله والدا أعان ولده على بره» فان هذا الحديث من الادعية التي ترشد الى الحكمة السامية وان كان في سنده

مقال . ورواه الفوقاني من رواية الشعبي مرسلا كما في شرح الاحياء والله الموفق

﴿السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان﴾

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشباسي في سواكن: اننا مستخدمي حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة لزوج محتجة بأن الشرع الشريف لايجيز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لايحصن فروجهن واما اتيان ماحرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة مايدعي نساؤنا أم هن يعملن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية إلزام زوجته بالسفر معه فماذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وان الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهبتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضاء النساء بالسفر مع أزواجهم هو فساد التربية وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لاضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا . نعم انها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفر أوغيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا نبحث عن أحكامها في باب الفتوى لان غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والاحسان وان مايسمع عنها أو يرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي بريئة منه

﴿رمي المسلم بالكفر﴾

(س٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنغافوره

ما قول سادتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما لفظه:من أنت ومن تكون يا كافر ياملعون ياعدو الله ورسوله يايهودي يانصراني ياخنزير ياكلب:ثم عقب بعد السب بقوله ماقدرك الا الضرب بالنعال وتكرر منه القول عمدا بحضور الجم الغفير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعياذ بالله أم لا فان قلتم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم ياكافر فقد باء بها» فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلتم بعدم كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان جواب الثاني للبادئ مستندا للحديث «من قال لمسلم ياكافر فقد باء بها» الى آخر الحديث : ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو لله ورسوله ولا نصراني ولا يهودي:الى آخره أفتونا مأجورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نبزبه الا الاهانة وهو لا يكفر بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من سبه أما الحديث الذى ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت اليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما :قال النووي فى شرح مسلم : «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت نقيصته عليه يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي بريد الى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإما لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام . أقول والذي حققه الغزالي و يدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه انما يكفر بذلك اذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا اذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب التاسع من «إميل» الى أبيه ﴾

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦

غادرت مدينة بن ونقلت كتبي (وهي كل ما أملكه تقريباً) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبتها مطلقاً أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أنبغ الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إني اخالني تعلمت كثيرا من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملته لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريرته

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسورا أي ان كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له . ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختارا بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استحالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نواميس طبيعية

واذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن الحكومة مُثلا لا تحيد عنها الامم حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافا للأولين أن الانسان نشأ متوحشا أي أنه كان قردا متقن الخلقة فرمن بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته فى البرية بعد ان خلق نفسه — ان صح التعبير على هذا النحو — وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بدايا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقي الذي لا ارادة له فكأن الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية .

واذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤوليها كانت كلها موحاة من الله فاذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية . وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أني مع بحثي فى أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسريرتي هذه هي السبيل التى صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضا ويبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطرا في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئا وأنه يجب على أن

أتدرع بالاقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات اقتناعي وأما البراهين الخطابية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أني أدرك بها ما لاحد له من العوالم فقد تبين لي انها شبيهة بتلك الاصداف التي يتناقلها الاطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين انهم يسمعون فيها اصطخاب البحر

على أني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالمًا فكل ماينتهي اليه طمعي ينحصر في فهم حاجات العصر الذي أعيش فيه والاخذ بناصر الحق وهيهات ان أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فاني وان ولدت في بلاد أجنبية أجد فرنسا حيثما نظرت فانها تبدو لي فى انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقابًا لرجل من رجالها على تغطرسه وتجبره. هذا الوطن الذي مارأيته فى حياتي هو في نسبته الي أمي الثانية فلا يذكر الا ويتسعر جلدي لذكره ولا ينتقص إلا ويتبيغ دمي كله انتقاما له وليس الذي يبهرني منه هو غزواته ووقائعه الحربية وانما هو تاريخ مكافحاته ووثباته الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكريه الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب بكتابه الذين يهيجون القلوب وهم لنور العلم يبثون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما في نفسي من الامل في خدمته يومًا ما تجدني مغتبطًا ومعتزا بالانتساب اليك. اه

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة على هوامش الصفحات وبعدّ الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن حروفها واننا نعتمد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها. وهو يطلب من طابعه في تلك المكتبة فجزاه الله خيرا



آثار علمية ادبية

﴿ قصيدة حفني بك ناصف في قنا ﴾

حفني بك ناصف شهير بعلمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في الذم بمعرض المدح واظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطبا للمستشار القضائي أو لناظر الحقانية

رقيتني حسا ومعنى　　فاصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي　　من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة　　فيها غدوت أعز شأنا
أرد المشارع سابقا　　والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملو　　ك وكنت قبل بها معنّى
بلد اذا حلت به　　قدماك قلت حللت حصنا
جبل المقطم حوله　　متعطف كالنون حسنا
هيهات ان يصل العدو له ويدرك ماتمنى
أرأيت يوما مثله　　في القطر تحصينا وأمنا
النبت في غيطانه　　متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه　　في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والـ　　جميز كالبيض المحنى
والدوم فيه دائم　　يفني الزمان وليس يفنى
فخاره لهج الانا　　م بمدحه يسرى ويمني

يكفي لترويح الاوا ني ان يقال(قنا) فتقني
قالوا شخصت الى (قنا) يامرحبا بقنا و (أسنا)
قالوا سكنت السفح قلـ ـت وحبذا بالسفح سكني
قالوا قنا حرٌّ فقلـ ـت وهل يرد الحر قِنِ
سرُّ الحياة حرارة لولاه ما طير تغنى
كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن تثنى
والحي بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
تتدفق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
ها قد أمنت البرد والـ ـبرداء والقلب اطمأنا
ووقيت أمراض الرطو بة واستراق الريح وهنا
ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
وأنام غير مدثر شيأ اذا ماالليل جنا
قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفا وثمنا
فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأحنى
فاذا بدت لي حاجة في الغسل ألقى الماء سخنا
أو رمت طبخا أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا
سكنى القرى تدع السفيه موكلا بالمال مضنى
أي الملاهي فيه يصرف ماله ومتى وانى
كل امريء تلقاه من بعد الظهيرة مستكنا
ويرى الغريب السعر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لبنا ويلقى السمن سمنا
عش في القرى رأسا ولا تسكن مع الاذناب مدنا
واربأ بنفسك أن ترى مستمرئا في العيش جبنا
ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الاغنا
واسل الاغاني والغوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها فى طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها فى دار الكتب المصرية يظهر أن احداهما منقولة عن الاخرى لأنهما متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لاتسلم من تحريف لايقف في طريق الاستفادة منها

طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر مايؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورقائق الاشعار وأن يبسط كثيرا من المسائل المهمة أو المشكلة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحديث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا وثمنها خمسون قرشا ويطلب من محل الحاج محمد الساسي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمذاني ﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوبا فهي مفيدة فى طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدبين وأسلوب

الحريري ليس بعربي فهو لايحتذى في الكتاب وان كان قد بلغ الغاية فى اتقان الصنعة أو إتقان التكلف كما كان يقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الرافعي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه فى تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الاستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . وثمن النسخة منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمعت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ماسمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فاذا هي لا تصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة فى سماعه واطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم فذين ألمعيين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة ان تقع فيما نخاف: وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراهما بالألقاب . ونحن لا ننكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات و يبين ما فيها من الدخيل والغلط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر احيائها في هذين العاملين فان فى مصر وسوريا وغيرهما من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاحياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو أرشد الاستاذ وغيره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعديه في المطبوعات والازهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

الديانة الاسلامية . للمكاتب الاميرية

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الأميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتاتيب . وقد نظرت فى بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والأحاديث والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملا متفرقة فرأيت ماينتقد فى كثير من الابواب . رأيته فى أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك مانهى عنه . وهذا التعريف لايشمل العقائد التي هي أساس الدين . ويعرّف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لايشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لاتسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلايعذر فيها كما لا يعذر بالاكتفاء في قسم الإلٓهيات من العقائد بعدّ الصفات العشرين ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذه من القصص المتداولة فعسى أن يعنى بتنقيح الكتاب عند طبعه مرة أخرى

ديوان الرافعي

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافعي من شعراء العصر المشهورين وله على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو سيسمي سائر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة فى نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها بعبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بعبارات أخرى في جوّ الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يهتد الى مراده . وسنبين قيمة هذا الجزء بنقل شيءٍ منه كما فعلنا في تقريظ ما قبله فعرض الموصوف على القارئ أبلغ في التعريف من عرض وصفه . وثمن هـذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد وثمن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخـل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الاذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارئ تصوير الوفاء بأجمل صوره ، وأكمل مظاهره ، والصداقة في أبهى مرائيها ، وأبدع مجاليها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيليب منذ تعارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة المحتالين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الافكار الضارة مالا تخلو القصص من مثله كذكر الخيانة والفسق والحيل . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيد النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت فى مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها وثمن الاجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جال . مؤلفها اسكندر دوماس الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم وثمنها خمسة قروش

﴿ عذراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العامية وثمن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من المكاتب الشهيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان البارودي) العالم الشهير بغيرته وبخدمته للاسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتتح كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما نفعل ويذكر فيه شيأً من الشمائل الشريفة ومباحث التربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة فى تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم نجد وقتا يتح لنا قراءة شيء منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا فى مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في أول اكتوبر (١٣ شعبان) ولم يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لأعتابه . فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزعج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الاصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث فى طريق التعليم فى الجامع الاعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابته فى ذلك أزعجت القوم الى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الامة وكشف ماغشيها من الغمة

باب الأخبار والآراء

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون الى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويجتنبون كبائر الإثم والفواحش الا اللمم واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أوأصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم، وأنابوا الى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جغرافيون وهم أصناف نخص بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يذعنون لما عرفوه منه فهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يجتنبون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي ولكنهم يتعصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق و بالباطل لا يدخرون في ذلك وسعاً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة عند الحكام. وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن السامعون أو القارئون لكلامه أنه من أقوى الناس إيماناً وأصدقهم اسلاماً وهؤلاء جديرون بأن يسموا بالمسلمين السياسيين واليهم نوجه الكلام فنقول:

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لابد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفترون أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر الملية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر مايزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فاذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام فتفطرون في رمضان جهراً تدخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فماذا أبقيتم من المقومات لهذه الجنسية السياسية. ان كنتم تظنون أن وضع (الفقي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فاننا نقطع بأن هذا الظن من الاثم، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية، هل هو مؤد الى غايتكم السياسية، فان رأيتم بعد التفكر — ولا بد أن تروا — انه غير مؤد الى هذه الغاية فارجعوا عنه، الى مايتبين لكم أنه خير منه،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم وأمراءهم ولكن الملوك والامراء لايتركون الشعائر الملية المعلومة من الدين بالضرورة جهارا بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان. ومن كان منهم لايصوم رمضان يسر فطره ويرائي بالصيام. فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان ممن لهم مكانة في الامة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الأمة لاجنسية لها في غير دينها فاذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب، وهل تمهلها الأمم القوية لتجد هذه الرابطة — اذا أمكن — في زمن بعيد؟؟

أما الذين لايصومون من الغوغاء الذين لارأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لايقرؤن واذا قرؤا لايفهمون واذا فهموا لايعتبرون «أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»

لاتقل ان المنار مازال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتخاذه جنسية لاينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يراؤا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن: إنك ان تقل هذا أجبك ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة معا وانما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شعائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهرا و باطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهرا و باطناً كان بهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة و يجرئهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصرا عليه واياه نعظ بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ماتنتفي به فتنته ان يحافظ على الشعائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرة — وهذا قسم ثالث.

و بقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بعقائده و يتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشعائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاستطاعة وهذا مايدعيه أناس من أهل العصر و يدعون أن من الدليل على صحة إسلامهم غيرتهم على الدين وأهله و يقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهر ومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه. هذا مايقولونه والعقل لا يسلم بأن أحدا يوقن بعقائد الدين و يتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشعائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لاعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بعقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعملوا به. أما هذه الغيرة التي يدعونها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواه بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يغار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يغار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أومن الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الا الرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شعائرها ومقوماتها الملية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشعائر الظاهرة دون الباطنة كآداب النفس والغيرة الصحيحة التي تبعث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الامة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ماأشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حنق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيامهم وان لم يعدهم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الامة و بين الترقي في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سبا فنالت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولو طالت حياته لرجي — وقد عرف قدره — ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء والعامة

لا خلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يغني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء متفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفطن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شرا عليها من كل ما يعده المتحذلقون شرا اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليعنوا بتربيتها وتعليمها و يلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الاستاذ الامام الذي كان عازما على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتمخض في الخفاء وتعدّ له عدته ليظهر فى مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الغمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعيا يرجى وينتظر

أرسل الينا هذا الاريحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وانه «بادر الى الاكتتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بجنس أودين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرحنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير وتجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

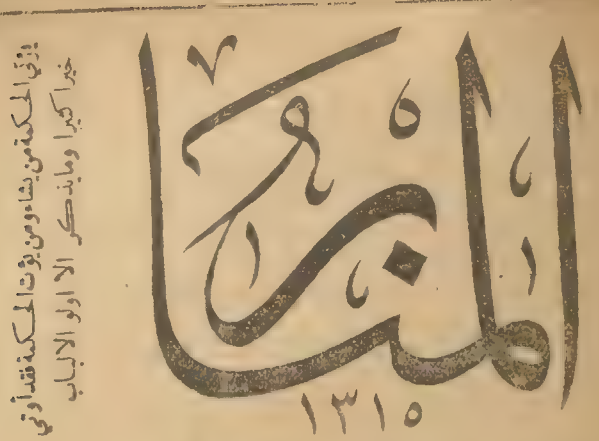
﴿الازهر ومشيخته﴾

كثر الخوض منذ سنة في الازهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاباة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدراهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المغاضبة والمناصبة ومما اشيع أن المفتي شكا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال وانه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيلا للازهر تمهيدا لجعله أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الازهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تتمة التفسير وعن الرد على الشيخ بخيت وعلى الدكتور رجليوث

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — رمضان سنة ١٣٢٤ — أوله الجمعة ١٩ اكتوبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

«فان قيل فأكثر السلف على أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وعروة وقتادة وعمر بن عبد العزيز والفراء وأبي عبيد وثعلب وابن الانباري قال ابن الانباري في قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم وفي قراءة أبيّ وابن عباس «و يقول الراسخون في العلم» قال وقد أنزل الله في كتابه أشياء فأستأثر بعلمها كقوله تعالى (قل إنما علمها عند الله) وقوله (وقرونا بين ذلك كثيراً) فأنزل المحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد و يكفر به الكافر فيشقى قال ابن الانباري والذي يروي القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد فيقال قول القائل إن أكثر السلف على هذا قول بلا علم فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة انه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتج بها والمعروف عن

ابن مسعود أنه كان يقول مافي كتاب الله آية الا وأنا أعلم فيماذا أنزلت وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عامة أهل الحديث والتفسير وله اسناد معروف بخلاف ماذكر من قراءتهما وكذلك ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بعلم تأويل الكتاب فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله «إن تأويله الا عند الله» لا تناقض هذا القول فان نفس التأويل لا يأتي به الا الله كما قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله) وقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به الا هو وليس في القرآن أن علم تأويله الا عند الله كما قال في الساعة (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون * قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء) وكذلك لما قال فرعون لموسى (فما بال القرون الاولى، قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) فلو كانت قراءة ابن مسعود نفي العلم عن الراسخين لكانت إن علم تأويله لا عند الله لم يقرأ إن تأويله الا عند الله فان هذا حق بلا نزاع

وأما القراءة الاخرى المروية عن أبيّ وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ماينا قضه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخاري فى صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد

من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن يكون نظيره في الصحة ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها وأيضا فأبيّ بن كعب رضي الله عنه قد عرف أنه كان يفسر ما تشابه من القرآن كما فسر قوله (فأرسلنا اليها روحنا) وفسر قوله (الله نور السموات والارض) وقوله (واذا أخذ ربك) ونقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من نقل هذه القراءة التي لا يعرف لها اسناد وقد كان يسئل عن المتشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر وسئل عن ليلة القدر (كذا)

وأما قوله: إن الله أنزل المجمل ليؤمن به المؤمن فيقال هذا حق لكن هل فى الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام المجمل أم العلماء متفقون على أن المجمل فى القرآن يفهم معناه ويعرف ما فيه من الاجمال كما مثل به من وقت الساعة فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة وأنها آتية لا محالة وأن الله انفرد بعلم وقتها فلم يطلع على ذلك أحد ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله السائل عن الساعة وهو في الظاهر أعرابي لا يعرف قال له متى الساعة قال «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ولم يقل إن الكلام الذي نزل في ذكرها لا يفهمه أحد بل هذا خلاف إجماع المسلمين بل والعقلاء فان اخبار الله عن الساعة واشراطها كلام بين واضح يفهم معناه وكذلك قوله (وقرونا بين ذلك كثيرا) قد علم المراد بهذا الخطاب وأن الله خلق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم الا الله كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) فأي شيء من هذا مما يدل على أن ما أخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا من الملائكة والانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم. وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه أنه كان لا يفسر عامة آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ومعلوم أنه اذا لم يعرف عروة التفسير لم يلزم أنه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة كابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وغيرهم

وأما اللغويون الذين يقولون ان الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه فهم

متناقضون فى ذلك فان هؤلاء كلهم يتكلمون في تفسير كل شيء فى القرآن ويتوسعون في القول في ذلك حتى مامنهم أحد لا وقد قال في ذلك أقوالا لم يسبق اليها وهي خطأ وابن الأنباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاما فى معاني الآي المتشابهات يذكر فيها من الاقوال مالم ينقل عن أحد من السلف ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة وهو قصده بذلك الانكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث واتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك وان كان ابن الانباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسير غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطئون أخرى فإن كان المتشابه لا يعلم معناه الا الله فهم كلهم يجترؤن على الله يتكلمون في شيء لا سبيل الى معرفته وان كان ما بينوه من معاني المتشابه قد أصابوا فيه ولو في كلمة واحدة ظهر خطأهم في قولهم ان المتشابه لا يعلم معناه الا الله ولا يعلمه أحد من المخلوقين فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا ومعلوم أنهم أصابوا في شي كثير مما يفسرون به المتشابه وأخطؤا في بعض ذلك فيكون تفسيرهم لهذ الآية مما أخطأوا فيه العلم اليقيني فانهم أصابوا في كثير من تفسير المتشابه وكذلك مانقل عن قتادة من أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه فكتابه في التفسير من أشهر الكتب ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه و رواية سعيد بن أبي عروبة عنه ولهذا كان المصنفون في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل ومع هذا يفسر القرآن كله محكمه ومتشابهه

والذي اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بأن المتشابه لا يعلم تأويله الا الله ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع والجهمية والقدرية من المعتزلة وغيرهم فصار أولئك يتكلمون في تأويل القرآن برأيهم الفاسد وهذا أصل معروف لاهل البدع أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي وتأويلهم اللغوي فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله فانكار السلف والائمة

لهذه التأويلات الفاسدة كما قال الامام أحمد في ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله

فهذا الذي أنكره السلف والائمة من التأويل فجاء بعدهم قوم انتسبوا الى السنة بغير خبرة تامة بها وبما يخالفها وظنوا أن المتشابه لا يعلم معناه الا الله فظنوا أن معنى التأويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى المرجوح فصاروا في موضع يقولون وينصرون أن المتشابه لا يعلم معناه الا الله ثم يتناقضون في ذلك من وجوه (أحدها) أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ولهذا يبطلون كل تأويل يخالف الظاهر ويقررون المعنى الظاهر ويقولون مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتأويل عندهم ما يناقض الظاهر فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر وقد قرر معناه الظاهر وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم حتى أنكر ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى (ومنها) أنا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف قولهم لا في مسألة أصلية ولا فرعية الا تأولوا ذلك النص بتأويلات متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات الجهمية والقدرية التي تخالفهم فأين هذا من قولهم لا يعلم معاني النصوص المتشابهة الا الله واعتبر هذا مما تجده في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض قول هؤلاء مثل أن يحتجوا بقوله (والله لا يحب الفساد) (ولا يرضى لعباده الكفر) (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (لا تدركه الابصار) (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) (واذ قال ربك للملائكة) ونحو ذلك كيف تجدهم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها فاسد وان كان في بعضها حق فان كان ما تأولوه حقا دل على أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه فظهر تناقضهم وان كان باطلا فذلك أبعد لهم

وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في المحنة الذي قد صار للمسلمين معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله تكلم في معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله آية آية وبين معناها

وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين واحتج على أن الله يرى وأن القرآن غير مخلوق وان الله فوق العرش بالحجج العقلية والسمعية ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية و بين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة وفسرها آية آية وكذلك لما ناظروه واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية وحديثا حديثا ويبين فساد ما تأولها عليه الزائغون ويبين هو معناها ولم يقل أحد ان هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها الا الله ولا قال أحد له ذلك بل الطوائف كلها مجتمعة على امكان معرفة معناها لكن يتنازعون في المراد كما يتنازعون في آيات الامر والنهي وكذلك تفسير المتشابه من الآيات والأحاديث التي يحتج بها الزائغون من الخوارج وغيرهم كقوله «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الشارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن» وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية وقول الخوارج والمعتزلة وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابه على قولها ولم يقل أحد لا من أهل السنة ولا من هؤلاء لما يستدل به هو أو يستدل به عليه منازعه هذه آيات وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر فامسكوا عن الاستدلال بها وكان الامام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن كما بلغوهم ألفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون وهم مبطلون في ذلك لاسيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم ولكن هؤلاء يعترفون بانهم لا يعلمون التأويل وانما غايتهم أن يقولوا ظاهر هذه الآية غير مراد ولكن يحتمل أن يراد كذا وأن يراد كذا ولو تأولها الواحد منهم بتأويل معين فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله بل يجوز أن يكون مراد الله ورسوله عندهم غير ذلك كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كما يذكرونه في قوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) و(ينزل ربنا) و(الرحمن على العرش استوى — وكلم الله موسى تكليما — غضب الله عليهم — و — انما أمره اذا

أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وامثال ذلك من النصوص فان غاية ماعندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك وليس هذا علما بالتأويل وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ولم يعرف المراد فانه لم يعرف تفسير ذلك وتأويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد

ومن زعم من الملاحدة أن الادلة السمعية لاتفيد العلم فمضمون مدلولاته لايعلم أحد تفسير المحكم ولاتفسير المتشابه ولاتأويل ذلك وهذا اقرار منه على نفسه بانه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه فضلاعن تأويل المحكم فاذا انضم الى ذلك أن يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتلبيس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لامعرفة بالسميعات ولا بالعقليات وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)ومدح الذين اذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يفقهون ويعقلون وذم الذين لايفهمون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجعلون ألفاظهم مجملة متشابهة تتضمن حقاو باطلا يجعلونها هي الاصول المحكمة ويجعلون ماعارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لايعلم معناه عندهم الا الله وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد فيجعلون البراهين شبهات والشبهات براهين كما قد بسط ذلك في موضع آخر

وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد انه قال المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وكذلك قال الامام أحمد في رواية وعن الشافعي قال المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوها وكذلك قال الامام أحمد وكذلك قال ابن الانباري المحكم مالم يحتمل من التأويل الا وجهاواحدا والمتشابه الذي تعتوره التأويلات فيقال حينئذ فجميع الامة سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القرآن التي تحتمل التأويلات وهؤلاء الذين يفسرون ان الراسخين في العلم لايعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاما فيه والأئمة كالشافعي وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معاني

ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة في جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية لا يعرف عن عالم من علماء المسلمين انه قال عن نص احتج به محتج في مسئلة ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ولو قال أحد ذلك لقيل له مثل ذلك واذا ادعى في مسائل النزاع المشهورة بين الائمة أن نصه محكم يعلم معناه وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه قوبل بمثل هذه الدعوى

وهذا بخلاف قول القائل ان من منصوص مامعناه جلي واضح ظاهر لا يحتمل الا وجها واحدا لا يقع فيه اشتباه ومنها مافيه خفاء واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم فان هذا مستقيم صحيح وحينئذ فالخلاف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال انه يعرف معناه يبين حجة علي ذلك وأيضا فما ذكره السلف والخلف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال ان المتشابه هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم وابن مسعود وابن عباس وقتادة هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ويدل على أنه كذب ان كان هذا صدقا والا تعارض النقلان عنهم والمتواتر عنهم ان الراسخين يعلمون معنى المتشابه

القول الثاني مأثور عن جابر بن عبد الله أنه قال المحكم ماعلم العلماء تأويله والمتشابه مالم يكن للعلماء الى معرفته سبيل كقيام الساعة ومعلوم أن وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على أنه لا يعلمه الا الله فاذا أريد بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله الا الله وهذا حق ولا يدل ذلك على أنه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك أن أريد بالتأويل حقائق مايوجد وقيل لا يعلم كيفية ذلك الا الله فهذا قد قدمناه وذكر أنه على قول هؤلاء من وقف عند قوله (وما يعلم تأويله الا الله) هو الذي يجب أن يراد بالتأويل وأما أن يراد بالتأويل التفسير ومعرفة المعنى ويقف علي قوله الا الله فهذا خطأ قطعا مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ويقول ماينافضه

هذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ويوجب القدح في الرسالة ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه وحقيقة ما أطلقوه وكان أكبر قصدهم دفع تأويلات أهل البدع المتشابهة وهذا الذي قصدوه حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لا ندفع باطلا بباطل آخر ولا نرد بدعة ببدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال الرسول والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ففي هذا من الظن في الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة فى تفسير بعض الآيات والعاقل لا يبني قصرا ويهدم مصرا

والقول الثالث أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الاسمية والفعلية وانما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرب فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب وانما نطق بها موقوفة كما يقال اب ت ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فانها فى النطق أسماء ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا زا قال نطقتم بالاسم وانما النطق بالحرف زه فهي فى اللفظ أسماء وفى الخط حروف مقطعة الم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» والحرف في لغة الرسول وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلا وحرفا لهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل فانه لما كان معروفا من اللغة أن الاسم حرف والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام وأما حروف الهجاء فتلك انما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة ولا يقال فيها معرب ولا مبني لان ذلك انما يقال في المؤلف واذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فانه ليس المقصود الا معرفة كلام الله وكلام رسوله ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وان لم يكن

معروفا وهو المتشابه كان ماسواها معلوم المعنى وهذا المطلوب وأيضا فان الله تعالى قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وانما يعدها آيات الكوفيون وسبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء

والرابع أن المتشابه ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول أكثر العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه ويبين معناه

والخامس أن المتشابه ما تكررت ألفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المحكم ما ذكر الله في كتابه من قصص الانبياء ففصله وبينه والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه فى قصصهم عند التكرير كما قال فى موضع من قصة نوح (احمل فيها) وقال فى موضع آخر (اسلك فيها) و قال في عصا موسى (فاذا هي حية تسعى) وفي موضع (فاذا هي ثعبان مبين) وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى كما يشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذاك اللفظ وقد صنف بعضهم في هذا المتشابه لان القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين فاشتبه على القارىء أحد اللفظين بالآخر وهذا المتشابه لا ينفي معرفة المعاني بلا ريب ولا يقال في مثل هذا أن الراسخين يختصون بعلم تأويله فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا وان كان ضعيفا لم يضرنا

السادس أنه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد

والسابع أنه ما احتمل وجوها كما نقل عن الشافعي وأحمد وقد نقل عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر فالنظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر والوجوه الذي اختلف معناه كما يقال الاسماء المتواطئة والمشتركة وان كان بينهما فرق لبسطه موضع آخر وقد قيل هي نظائر فى اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشتركة وليس كذلك بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الأول وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل

وجوها فعلم يقينا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه

واعلم أن من قال ان من القرآن كلاما لا يفهم أحد معناه ولا يعرف معناه الا الله فانه مخالف لاجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة

والثامن أن المتشابه هو القصص والامثال وهذا أيضا يعرف معناه

والتاسع أنه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضا مما يعرف معناه

والعاشر قول بعض المتأخرين ان المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات وهذا أيضا مما يعلم معناه فان أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنه يعرف معناها والبعض الذي تنازع الناس في معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ونفوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وكذلك قال سائر أئمة السنة وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول فان سمي الكيف تأويلا ساغ أن يقال هذا التأويل لا يعلمه الا الله كما قدمناه أولا وأما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القران تأويلا وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) ولا يعرفون معنى قوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ولا معنى قوله (غضب الله عليهم) بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمي الذي لا يفهمه العربي وكذلك اذا قيل كان عندهم قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وقوله (وكان سميعا بصيرا) وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وقوله (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) وقوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقوله (فلما أتاها نودي أن بورك من فى النار ومن حولها) وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا - هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك - ثم استوى الى السماء وهي دخان - انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) الى امثال هذه الآيات فمن قال

(١)عن جبريل ومحمد صلوات الله عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين والجماعة أنهم كانوا لا يعرفون شيأ من معاني هذه الآيات بل استأثر الله بعلم معناها كما استأثر بعلم وقت الساعة وانما كانوا يقرؤن ألفاظا لا يفهمون لها معنى كما يقرأ الانسان كلاما لا يفهم منه شيأ فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا وانهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن وان كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد ولا يحصون ثناء عليه فذلك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى كما أنهم اذا علموا أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير لم يلزم أن يعرفوا كيفية علمه وقدرته واذا عرفوا أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته وهذا مما يستدل به على أن الراسخين يعلمون التأويل فان الناس متفقون على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ولا في هذا

فان قيل هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى قيل لا يقدح في ذلك فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام فان الشيء له وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البيان فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الاول عرف عين الثاني مثال ذلك أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك الانسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمساجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف الأمكنة حتى يشاهدها

(١) جملة فمن قال الخ هي جواب قوله «وأما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا» الخ

فيعرف أن الكعبة المشاهدة هي المذكورة في قوله (ولله على الناس حج البيت) وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله) وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ووادي محسر يعرف أنها المذكورة في قوله (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وكذلك الرؤيا يراها الرجل ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره مثل أن يقول هذا يدل على أنه كان كذا و يكون كذا وكذا ثم اذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال يوسف الصديق (هذا تأويل رؤياي من قبل) وقال (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتي التأويل وان كان التأويل لم يقع بعد وان كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) الآية

(أقول) ثم أنه رحمه الله أطال في البيان والشواهد واحتج بالآيات الكثيرة التي تحث على فهم القرآن وتدبره وعلى العلم والعقل والفقه فيه وذكر أن بعضهم استدل بان الله تعالى لم ينف عن غيره علم شيء الا اذا كان منفردا به وذكر الآيات الشاهدة بذلك ومنه علم الساعة والغيب فمن أراد التفصيل فليرجع اليه

آيات وأحاديث الصفات

اعلم ان ما تلقيناه في كتب العقائد التي تقرأ للمبتدئين من طلاب العلم في ديار مصر والشام كالجوهرة والسنوسية الصغرى وما كتب عليهما من شروح وحواش هو أن للمسلمين في الآيات والأحاديث المتشابهات في الصفات مذهبين مذهب السلف وهو الايمان بظاهرها مع تنزيه الله تعالى عما يوهمه ذلك الظاهر وتفويض الأمر فيه الى الله تعالى — ومذهب الخلف وهو تأويل ما ورد من النصوص في ذلك بحمله على المجاز أو الكناية ليتفق النقل مع العقل . وقالوا ان مذهب السلف أسلم لجواز أن يكون ما حمل عليه اللفظ المتشابه غير مراد الله تعالى ومذهب الخلف أعلم لانه يفسر النصوص جميعها ويحمل بعضها على بعض فلا

يكون صاحبه مضطرباً في شيء من دينه. وقالوا ان الخلاف في التأويل والتفويض مبني على الخلاف في قوله تعالى (والراسخون في العلم) هل هو معطوف على ماقبله أم الواو للاستئناف والراسخون مبتدأ خبره (يقولون آمنا به) الخ هذا ملخص ما يلقن الطلاب فى هذا العصر كتبناه من غير مراجعة لهذه الكتب القاصرة التي اعتمد عليها الازهريون ومن على شاكلتهم فليراجعها من شاء في حاشية الجوهرة للباجوري عند قول المتن

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورم تنزيها

وكنا نظن في أوائل الطلب ان مذهب السلف ضعيف وأنهم لم يؤولوا كما أوّل الخلف لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم والفهم لاسيما الحنابلة كلهم أو بعضهم . ولما تغلغلنا في علم الكلام وظفرنا بعد النظر في الكتب التي هي منتهى فلسفة الاشاعرة في الكلام بالكتب التي تبين مذهب السلف حق البيان لاسيما كتب ابن تيمية علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب وان كل ماخالفه فهو ظنون وأوهام لا تغني من الحق شيئاً

وذهب بعض العلماء الى مذهب بين المذهبين ففرق بين النص المتشابه الذي اذا صرف عن ظاهره يتعين فيه معنى واحد من المجاز وبين ما يحتمل أكثر من معنى فأوجب تأويل الاول دون الثاني . والمشهور أن الناس قسمان مثبتون للصفات ونافون لها وأكثر المحدثين وأهل الأثر مثبتون مفوضون وأكثر المتكلمين نفاة مؤولون . قال السعد التفتازاني فى مبحث الصفات المختلف فيها من شرح المقاصد : « ومنها ما ورد به ظاهر الشرع وامتنع حملها على معانيها الحقيقية مثل الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) واليد في قوله تعالى ا يد الله فوق أيديهم : وما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ) والوجه فى قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) والعين في قوله (ولتصنع على عيني : و : تجري بأعيننا) فعن الشيخ أن كلا منها صفة زائدة وعن الجمهور وهو أحد قولي الشيخ إنها مجازات فالاستواء مجاز عن الاستيلاء أو تمثيل وتصوير لعظمة الله تعالى واليد مجاز عن القدرة والوجه عن الوجود والعين عن البصر . فان قيل

جملة المكونات مخلوقة بقدرة الله تعالى فما وجه تخصيص خلق آدم صلى الله عليه وسلم سيما بلفظ المثنى وما وجه الجمع فى قوله (بأعيننا) أجيب بانه أريد كمال القدرة وتخصيص آدم تشريف له وتكريم . ومعنى (تجري بأعيننا) انها تجري بالمكان المحوط بالكلاءة والحفظ والرعاية يقال فلان بمرأى من الملك ومسمع اذا كان بحيث تحوطه عنايته ، وتكتنفه رعايته ، وقيل المراد الاعين التي انفجرت من الارض وهو بعيد . وفي كلام المحققين من علماء البيان أن قولنا الاستواء مجاز عن الاستيلاء واليد واليمين عن القدرة والعين عن البصر ونحو ذلك إنما هو لنفي وهم التشبيه والتجسيم بسرعة وإلا فهي تمثيلات وتصويرات للمعاني العقلية بابرازها فى الصور الحسيه وقد بينا ذلك في شرح التلخيص » اه كلام السعد ونحوه في المواقف وشرحه

ومثل هذه الصفات التي هي في الحادث أعضاء وحركات أعضاء الصفات التي هي في الحادث انفعالات نفسية كالمحبة والرحمة والرضا والغضب والكراهة فالسلف يمرونها على ظاهرها مع تنزيه الله تعالى عن انفعالات المخلوقين فيقولون ان لله تعالى محبة تليق بشأنه ليست انفعالا نفسيا كمحبة الناس . والخلف يؤولون ماورد من النصوص في ذلك فيرجعونه الى القدرة أو الارادة فيقولون الرحمة هي الاحسان بالفعل أو ارادة الاحسان ومنهم من لايسمي هذا تأويلا بل يقولون إن الرحمة تدل على الانفعال الذي هو رقة القلب المخصوصة على الفعل الذى يترتب على ذلك الانفعال وقالوا ان هذه الالفاظ اذا أطلقت على الباري تعالى يراد بها غاياتها التى هى أفعال دون مباديها التى هي انفعالات

وانما يردون هذه الصفات الى القدرة والارادة بناء على أن إطلاق لفظ القدرة والارادة وكذا العلم على صفات الله إطلاق حقيقي لامجازي والحق أن جميع ما أطلق على الله تعالى فهو منقول مما أطلق على البشر ولما كان العقل والنقل متفقين على تنزيه الله تعالى عن مشابهة البشر تعين أن نجمع بين النصوص فنقول إن لله تعالى قدرة حقيقة ولكنها ليست كقدرة البشر وان له رحمة ليست كرحمة البشر وهكذا نقول في جميع ما أطلق عليه تعالى جمعا بين النصوص ولا ندعي

ان اطلاق بعضها حقيقي واطلاق البعض الآخر مجازي فكما أن القدرة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يجهل أثره كذلك الرحمة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يخفى أثره وهذا هو مذهب السلف فهم لا يقولون ان هذه الالفاظ لا يفهم لها معنى بالمرة ولا يقولون انها على ظاهرها بمعنى أن رحمة الله كرحمة الانسان ويده كيده وان ظن ذلك في الحنابلة بعض الجاهلين . ومحققو الصوفية لا يفرقون بين صفات الله تعالى ولا يجعلون بعضها محكما اطلاق اللفظ عليه حقيقي وبعضها متشابها اطلاقه عليه مجازي بل كل ما أطلق عليه تعالى فهو مجاز

قال الامام أبو حامد الغزالي في بيان معنى محبة الله للعبد من الاحياء بعد كلام : «وقد ذكرنا ان محبة الله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الاحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يخص البصر . فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظير اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لانه يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه . وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل» اهما نريده ثم فسر محبة الله للعبد بكلام طويل فيه مجال للبحث والنظر

وقال في كتاب الشكر من الاحياء : «ان لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين

واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلوّ شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد فهمهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع.

« ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة « المشيئة » فهي توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات التى هي حروف وأصوات للمتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة

« ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة « المحبة » واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة « الكراهة » وقيل انهما داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات» اه المراد. ثم ذكر نحو ذلك في الرضا والغضب والكفر والشكر و بين ان المرضي عنه من كان في عمله متمما لحكمة الله تعالى في عباده أي بالقيام بسننه الكونية والشرعية وهو الشاكر لله أو الشكور والمغضوب عليه ضده وهو الكافر أو الكفور. وليس في هذا البيان عجيب من منازع المتكلمين الا جعل المحبة والكراهة والرضا والغضب داخلة في وصف المشيئة على تردد في ذلك والأشبه بمذهب السلف ان يقال انها شؤون خاصة لله تعالى ظهر أثرها في خلقه بما ذكر.

وقال في كتابه (المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى): وكأنا اذا عرفنا

ان الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا الا أنفسنا ولم نعرفه الا بأنفسنا اذ الاصم لا يتصور معنى قولنا ان الله سميع والأكمه لا يعرف معنى قولنا انه بصير وكذلك اذا قال القائل كيف يكون الله تعالى عالما بالاشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فاذا قال كيف يكون قادرا فنقول كما تقدر أنت فلا يمكنه ان يفهم شيئاً الا اذا كان فيه ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة ليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه ولو في الاسم لم يتصور فهمه ألبتة فما عرف أحد الا نفسه ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتتقدس عن ان تشبه صفاتنا » اه

فحاصل ما تقدم أن جميع ما أطلق على الله تعالى من الاسماء والصفات هو مما أطلق قبل ذلك على الخلق اذ لو وضع لصفات الله تعالى ألفاظ خاصة وخوطب بها الناس لما فهموا منها شيئاً قال تعالى (١٤ : ٤ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقد جاء الرسل عليهم الصلاة والسلام بما دل عليه العقل من تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين وكونه لا يماثل شيئاً ولا يماثله شيء فعلم ان جميع ما أطلقوه عليه من الألفاظ الدالة على الصفات كالقدرة والرحمة وعلى الافعال والحركات كالخلق والرزق والاستواء على العرش وعلى الاضافة ككونه فوق عباده لا ينافي أصل التنزيه بل يجب الايمان بها وبما يدل عليه مع التنزيه فنقول ان له قدرة ليست كقدرتنا ورحمة ليست كرحمتنا وخلقا ليس كخلقنا فان الخلق في اللغة التقدير المعروف من الناس للاشياء وهو تعالى أحسن الخالقين لا يخلق كخلقه أحد كما قال (١٣ : ١٦ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وليس استواؤه على عرشه كاستواء الملوك على عروشهم كما ان عرشه ليس كعروشهم ولا علوه على خلقه كعلو بعض الاجسام على بعض كما انه تعالى ليس جسما مماثلا لهم . والسلف والخلف أو الأثريون والمتكلمون كلهم متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة خلقه وعلى أن جميع ما جاء على ألسنة الرسل في وصفه تعالى والحكاية عنه حق إلا أن المتكلمين يقولون ان العقل دل على أن لهذا العالم خالقاً عالما مريدا قادرا فهذه الصفات ثابتة له عقلا وعليها مدار اثبات الالوهية بالبرهان لان جميع الكائنات دالة عليها فما يرد من الصفات السمعية

يجب ارجاعه اليها ولا نعده صفة زائدة والسلف الأثريون يقولون لا نفرق بين صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله . وانما هذا خلاف صوري اذ لاخلاف في التنزيه وفي كون كل ماجاء عن الله في ذلك حق ولولا ان المسلمين انقسموا الى مذاهب عني أهل كل مذهب منها باثبات مذهبهم وتأييده ، وابطال مخالفه وتفنيده ، لزال هذا الخلاف وعرف الاكثرون الحق صورة ومعنى حتى لايشنع أشعري على حنبلي ولاأثري على نظري ولذلك ترى محققي المتكلمين رجعوا في آخر عهدهم الى مذهب السلف وبذلك صرح الشيخ أبو الحسن الاشعري في الابانة وأبو حامد الغزالي في (إلجام العوام عن علم الكلام) وغيره من كتبه التي ألفها في آخر حياته

هذا ولا ننكر أن الاثريين من الحنابلة وغيرهم قد وقع لبعضهم مايكاد يكون نصاً في التجسيم ، أو جعل كل ماورد في صفات الله وأفعاله صفات لانفهم وانما تؤخذ بالتسليم ، وانما العبرة بما كتبه علماؤهم المحققون كابن تيمية وابن القيم وقد قال ابن تيمية ان خطأ المتكلمين في نفي الصفات أكثر وخطأ الاثريين في الاثبات أكثر .

أقول ومن عجيب صنع بعضهم أنهم ذكروا السمع والبصر والكلام وعدوها من الصفات التي عليها مدار الايمان بالالوهية على انهم سموها صفات سمعية ولم يذكروا الحكمة والرحمة والمحبة مع ان السمع ورد بها والدلائل العقلية عليها أظهر اذ العقل يجيز أن يقال ان صفة العلم الالهي محيطة بالمسموعات والمبصرات وبذلك يسمى سميعاً بصيرا ولاحاجة الى القول بان السمع والبصر صفتان زائدتان من صفات الالوهية ولا يظهر مثل هذا القول في ادراج الحكمة والرحمة والمحبة ونحوها في صفتي الارادة والقدرة

وانني انقل في هذا المقام جملة من كلام أهل الاثر وتابعي السلف في معنى ماتقدم من عدم التفرقة بين صفات الله تعالى ليعلم الجامدون على مافي كتب الكلام والتفسير التي ألفها الاشاعرة انهم كتبوا بعقل ، وهم أجود الناس فهماً للنقل ، جاء في شرح عقيدة السفاريني الحنبلي في هذا المبحث ما نصه :

« قال شيخ الاسلام في التدمرية القول في بعض الصفات كالقول في بعض فان كان المخاطب ممن يقر بأن الله تعالى حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع

في محبته تعالى ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازاً ويفسره اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له لا فرق بين ما نفيته وبين ما ثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت له ارادة تليق به كما أن للمخلوق ارادة تليق به قيل لك وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله تعالى رضى وغضب يليق به كما للمخلوق رضى وغضب يليق به فان قال الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في علمه وسمعه وبصره وقدرته ونحو ذلك فهذا الفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته فان قال تلك الصفات أثبتها بالعقل لان الفعل دل على القدرة والتخصيص دل على الارادة والإحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أوضد ذلك قال له سائر أهل الاثبات لك جوابان (أحدهما) أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين فهب ان ماسلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه وليس لك أن تنفيه من غير دليل لان النافي عليه الدليل كما على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم (الثاني) أن يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم وما يوجد في المخلوقات من المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين وأنواع الرزق والهدى والمسرات دليل على رحمة الخالق كدلالة التخصيص على الارادة والمشيئة والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته وحياته وتارة يدلهم بالنعم والآيات على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الاول أو أكثر منه لم يكن أقل منه بكثير واكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام

أوليائه وعقاب أعدائه والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته وهي ماتنتهي اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على الادارة وأولى لقوة العلة الغائية ولهذا كان مافى القرآن من بيان مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما فى القرآن من بيان مافيها من الدلالة على محض المشيئة

«قال شيخ الاسلام طيب الله مضجعه ومما يوضح ذلك أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فان مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن الرسول اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ومن سلك هذا السبيل فليس فى الحقيقة مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به فلا فرق عند من سلك هذه السبيل بين وجود الرسول واخباره و بين عدم الرسول واخباره وكان مايذكر من القرآن والحديث والاجماع عديم الاثر عنده.

قال شيخ الاسلام فى شرح الاصفهانية وقد صرح بهذا أئمة هذا الطريق قال ثم أهل الطريق الثبوتية فيهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط وليست واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية بها يحصل الايمان النافع في الآخرة ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسنا مع أن القرآن قد نبه على الطريق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل مافي القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فاخبر أنه يري عباده من الآيات المشهودة التي هي أدلة عقلية ما يبين أن القرآن حق وليس لقائل أن يقول انما خصت هذه الصفات بالذكر لان السمع موقوف عليها دون غيرها فان الامر ليس كذلك لان التصديق بالسمعيات ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك ثم قال شيخ

الاسلام قدس الله روحه والمقصود هنا التنبيه على أن ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصورا على ما ذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل و بعضها بالسمع فان من عرف حقائق أقوال الناس بطرقهم التي دعتهم الى تلك الاقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق و يرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله وأما أهل البدع فيبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها انتهى وبالله التوفيق

أقول وقد اشتهر عن الحنابلة وغيرهم من أهل الاثر اثبات صفة العلو لله تعالى حتى رماهم بعض المتكلمين بالقول بالتجسيم لان ذلك قول بالجهة وهو يستلزم الحد والجسمية فآخذوهم بلازم المذاهب وهم يجهلون مذهبهم وهم لم يقولوا الا بالنقل الموافق للعقل وهاك كلام واحد منهم نقلا عن شرح عقيدة السفاريني وهو:

«ذكر الامام أبو العباس عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي المحقق العارف تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سرهما الذي قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه في رسالته نصيحة الاخوان ما حاصله في مسئلة العلو والفوقية والاستواء هو أن الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملاء وأنه كان منفردا في قدمه وأزليته متوحدا في فردانيته لا يوصف بانه فوق كذا اذ لا شيء غيره هو تعالى بسابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهو لا زمان له تعالى وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته فلما اقتضت الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث فكوّن الاكوان وجعل جهتي العلو والسفل واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا تحت والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته مالم يكن له في قدمه وأزليته فهو الآن كما كان. لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والملا ذا الفوقية والتحتية كان مقتضى

حكم العظمة الربوبية أن يكون فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم المكون فاذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنة أو من جهة اليسرة بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله فالاشارة تقع على اعلا جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا في أعلا جزء من الكون فانها اشارة الى جسم وتلك الى اثبات . اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى في قدمه لكن لم يظهر حكمها الا بخلق العرش كما أن الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة وكذلك التجلي في الاخرة لا يظهر حكمه الا في محله قال واذا علم ذلك فالامر الذي تهرب المتأولة منه حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس هربا من ذلك وتنزيها للباري تعالى عن الحد الذي لا يحصره فلا يحد بحد يحصره بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون وسفله اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا وهو في قدسه سبحانه منزه عن صفات الحدث وليس القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه الا من فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا مكيفا لا ممثلا (قال) فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدر ينشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وغي مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ما وصف به نفسه ولا نقف في ذلك قال وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى والله أعلم اه

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

(نشرت في العدد الثالث من العروة الوثقى بالعنوان الآتي) (١)

سُنَّة الله في الَّذين خلوا مِنْ قَبلُ ولن تجدَ لِسنة الله تبديلاً

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ماثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بان لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشقت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقداً وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي الملتحمين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

---

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال اولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة البهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال احدهم او استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفاً او يعيد لها مجدا عده هوساً وهذياناً اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية اوحسب أنه لو أجاب داعي الذمة لعاد عليه بالوبال واورده موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدا يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء ؟ بلى واأسفا ما أصعب الداء وما اعز الدواء . وما أقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لأن كلا عكف على شأنه ... استغفر الله ، لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت كل الى ما هو فى فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ماسكنت زمانا غير قصير الى ماليس من معاليها ؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز فى سلوك سواه خصوصا بعدما استدبر المقصد وفى كل خطوة يظن انه على مقربة من الحظوة ؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقر في ملامسه خدر؟ هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تتباعد انحاؤها وتتنائى أطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها؟ هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما ترا كم جهل وران غين وخيل للعقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والعوارض التى طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن الطبيب يعالج شخصا بعينه أن يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار العمر ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها.

كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة العدد؟ لهذا يندر في أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين. وكان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا. نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شيء

ظن أقوام في هـذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الا نجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاتبون لاتجد لها قارئا ولئن وجدت القاريء فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل مايجده على غير مايراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافا . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع مافيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هـذا وحقك لعزيز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لاتحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعا لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد مايظنون فان هـذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ماتكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجني ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطته في تنفيذ ماأراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف وداوئه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان لولا مايكون من طمع الاقوياء حتى لايدعون لهم سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . علي أنا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيأً فشيأً فهل يصح الحكم بأن هـذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان مايصيبه البعض منها يهيؤه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجبا كيف يكون هذا وان الامة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت و بأي ماء سقيت و بأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في منابتها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهرامن القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوّم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم. لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ماينعكس اليهم من الاوهــام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لايزيد طبائعها الا فسادا.

ماذا يكون من أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعــها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه على مابلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير مالا يرام الامن الكبير و بالعكس غير ناظرين الا الى صور ماتعلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيدها على ما بها أضعافا وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لهـا نقلة وحملة. فهؤلاء الصادقون الا من وفقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحللة يشتتون بقية الجمع و يبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخاصين ويوسعون بذلك الخصاص (الخرق فى باب ونحوه) حتى تعود أبوابا ويباعدون مابين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال و بئس المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد و بعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا اليهم مايحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل مايسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا أحسن حالامما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم . هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور؟ هل نالوا بها من المنعة مايدفع عنهم غارة لأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا يميل عزائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وارث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لاتعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن و بدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ماتستدعيه تلك العلوم

الجديدة والكماليات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشمم أو نزوع الى معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحي أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لوما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . وان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضا لأية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد ؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات ؟ أي قاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة ؟ أي نفخة تبعث هذه

الأرواح في أجسادها ، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها ؟ الاقطار فسيحة الجوانب ، بعيدة المناكب . المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي ، الرؤوس مطرقة الى ماتحت القدم أو منغضة الى مافوق السماء ، ليس للابصار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات وللاهواء تحكم وللوساوس سلطان . . . . ماذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير ؟ ماذا يحاولون ولا خطار محدقة بهم ؟ بأي سبب يتمسكون ورسل المنايا على أبوابهم ؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل . أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهرياً وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الامة وبين الحق الذي تشعر بنداءه أحياناً بين جوانحها . . فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤنهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني .... ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا نحساً ولا يكسبها الا تعساً ،

هل تعجب أيها القارىء من قولي ان الاصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجبي من عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها ....

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد ما مضى زمان من نشأتها أصابها من الانحطاط ما أصابها . فبيان أسباب الخلل فيها وعلاته نفرد له فصلا مستقلا في عدد آخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

(تابع لما في الجزء السابع وما قبله)

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوءه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله أنه مابقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بماصرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال ياعباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد

فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم – من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيآت غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام »

قال عباد فألقى الي الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لاحاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأبي من كان على باب الخليفة ثم استوءذن لي فلما دخلت عليه و بصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه و وجهه و يدعو بالويل والحزن و يقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللملك يزول عني سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تحدر من عينيه و يقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فأنه عليه يحاسب و به يجازى والله ولي التوفيق ·

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به اذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار: قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك مايقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمأمون)

وعن أحمد بن ابراهيم المقري قال كان أبو الحسن النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان اذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار. «لطف». فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان؟ قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المدرى فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ماصنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكرا في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني فقلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أى الحاكم المولى من الخليفة وهو كالمحافظ في مصر (٣) المحتسب هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت ياأمير المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ماحاجتك فقلت ياأمير المؤمنين تأمر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم و رضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضاعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين . ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ماتقرأ في المقال الآتي ولكننا نقول ان الزمان لايخلو من العلماء المخلصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الازهر – مشيختة وادارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
ما كانت مشيخة الازهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين – عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الامير للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض اراداته وولى مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الاستاذ الامام و بعض أعضاء مجلس الادارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الامير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم الحكومة من الازهر شيئان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عزمت الحكومة على انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة • ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الازهر مع حرصه على اصلاحه وأجبنا عن ذلك بالاشارة الى الشغب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الامير كانوا يحرضون مدرسي الازهر على الشكوى من شيخ الازهر ومجلس الادارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذه من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الاكثرين أن الغرض من ذلك أن يستقيل شيخ الازهر والمفتي « رحمهما الله » وأن الامير هو الذي يريد ذلك • وأكد ذلك ما نشر لذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرهما من الجرائد التي تخدم « المعية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب الجوائب أنه جرى بينه و بين شيخ من كبار علماء الازهر وصفه بأوصاف فهم الناس منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشربيني الذي كان بعض بطانة الامير يحاولون اقناعه

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقيل منها لما اتخذ لذلك من الاسباب الملجئة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشربيني شيخاللازهرواحتفل بالباسه الخلعة بحضرة الامير ألقى الامير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما يهم الامير وحكومته من الازهر أن يكون في أمان وهدو و بعد عن الشغب والقلاقل وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الازهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه عن الامير واخلاصهم له هو مما يتتجه جعل الشربيني شيخا الازهر لانه في مقدمة العلماء الازهر يين الذين يرون وجوب بقاء الازهر على حاله التى كان عليها في زمن تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الامر على نقيض ماكان يظن أولئك الظانون فاستاء محبو الاصلاح من أهل الازهر لترك الاستاذ الامام لادارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحاله العتيقة فقد رأيناهم على عهد الشيخ الشربيني اشتد استياء من ادارة الازهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الازهر والطعن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الازهر بالدين وفقد الثقة بهم ما معناه ان الناس لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرابيش وفي ذلك هضم لغير الازهر يين من حملة العمائم كاساتذة المدارس الاميرية وغيرهم

هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها الينا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتذرنا به عن علماء الازهر تعقيبا على رسالته التى نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التى أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الاستاذ الامام للازهر وطعن فيها بعلمائه طعنا شديداً فلم ننشرها في ذلك الوقت لمانع زال فنحن ننشرها الان وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - واياه نعبد واياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دمتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا له الا هو وأصلي على نبيه النبي الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الاها ميم . و بعد فانا قدسررناوتنشطنابحسن صنيعكم الينا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء الازهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الغراء التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سرني أيضا ما قد استتبعتم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عقيب هذه الرسالة تحامون فيه عن علماء الازهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي ارتآها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو ان تعفوا عني مما قد تجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما أحسب مما ليطمئن به بال احد او ان يفند به ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء العلماء من انهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطريق في المدارس والكليات ولا واحد عندي بمقلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب فقد علمت ياسيدي ان تعسف علماء لأزهر وتعصبهم للعلوم الخلقة البالية وخلافهم للاصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد شحنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم لا يجوزون العدول بيسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس في الجامع الازهر ويتحرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم العالية الافرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد فى أرض أوروبا أفحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون و يتلون الجرائد المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الغراء ليلا ونهارا أفتراهم يقلعون عن رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وان اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أفترى أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشيء عن قلوبهم مما كان عندهم من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك و كل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة وحاشاهم عن ذلك

فأما أنتم فلعمري لم تألوا جهدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأتيتم في بيان ذلك بحجتين وكلتاهما ننتقد عليهما وننظر في وزنهما ورجحهما على منهاج أصحاب النظر أما الحجة الاولى فقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فقولكم ولا يطعنون بدين أكابر أمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر واوروبا الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعا ولا يحامي أو يذب عنهم بشيء فقد عرفتم ما هو من ديدن علماء هذا العصر انهم يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي الشيرازي وهو من معاريف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا بمردم آموزند خو يشتن سم وغله اندوزند

يعني بذلك انهم يعلمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم بأنفسهم يكنزون الفضـة ويحتكرون الطعام لانفسهم(*) ومن ديدنهم أيضا ان لا يطعنوا بشيء على الامراء والولاة كيما لا يحرموا من صلاتهم ولا ييأسوا من استجلاب خيرهم ومبراتهم بل واناراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشنعون بشيء على افاعيلهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيعة التي يأتون بها في الدين فنراهم لا ينكرون عليها بل يعاضدونهم بموافقتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي « فمشايخ الازهر يقرءون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتعظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(*) قال الشاعر العربي (وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها افاويق حتى ما يدر لها ثعل)

التي يسمونها موالد على مافيها من المنكرات التى نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلا انك من اهل العلم لايليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن » وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة « وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفا للسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجها في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون »

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والف ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم انهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وانهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأينا في الجوائب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين يجله كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله ويعدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه مايقول لمدير الجوائب ماتلك ألفاظه « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم ..... وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم الاعصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحفاه بالسؤال قائلا « هل حدث يامولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فتبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين وتطفئ نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه متظاهرا قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ لدين ونشر علومه ليس الا وليتركوه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهر على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وانا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الازهر بما اضطر الخديوي الى اخماد الفتنة وخاطب شيخ الجامع الازهر قائلا « ان الجامع الازهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية ..

ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الازهر والازهريين دائما » ولما كان يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماؤه وطلبته ألا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والاوهام أو الايهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الازهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويبث فيها مايريد من الاقوال والآراء المغايرة للدين ولمصلحة الازهر والازهريين »(١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويعرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هولاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام ولعمري أن هولاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الازهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين مركزا للنكبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمتربة وموضعا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التى تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المقلدة من العلماء علوما دينية ولا تجد فيها الا تلقين نبذ من المسائل التى تشمئز منها العقول وتمج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالاجنبي هنا صاحب المنار

يتسع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بذمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على منهاج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفعهم بشيء اما في الدنيا او في الدين هذا شيء من حالهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسهم ونظم الامور فيه فامره اشهر من ان يذكر وابين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدراباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجد الخامس من مجلتكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون انا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضعهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تآليفهم وكتبهم واسفارهم وزبرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنست نارا في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطى على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بعيون الفاظه

اولم يعثر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا اكيداً في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه » وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى . . . » او لم يدر هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله فى علم الهيئة فيما نقل عنه الفاضل عصمة الله في التصريح شرح التشريح - للشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو عنين في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حق التفسير لاسراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد ادرج الخبر به مفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التيمي في بعض مقاطيع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الغثاثة فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسف والكمد الذى نجده في انفسنا من جهة قضية الخديوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرابه الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيغ عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفطرة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعليمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر الذل وغيابة الهوان والصغار التي ألقوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره وساءت بذلك هيئته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارتقاء في معارج العز والاعتلاء فأمانحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره، ومجلية له

عن عقر داره ومحله وقراره ،

او ليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصارخ لها الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكمت على المسلمين سحائب الذل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب ومكان ، اي نقطة في الوجود من نقاط الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد وتجود لها المحاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتنسكب لها قاني الامطار من المقل الغائرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلت الدول التي بقيت في ايديهم كانهم لاحراك بهم وصاروا في العالم كانهم لعبة تتداولها ايدي الاجانب وتتلاعب بها اكف الاباعد ، بما خرجوا عن امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستقبحون شكلها ومنظرها ويستفظمون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير ، من أرض أروبا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا يتخذون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا صولة ، وما بقي عندهم امرة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يبلغون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد ليسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يفتخر هنالك بوجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم اذا كان يرمق الى عددهم وافرادهم— فماذا يكون من السبب الاصيل في ذلك وبيد من رهنت ذمة هذه الامور والذي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الا نفارهم عن العلوم الحديثة وتعاميهم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يذرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الذل والصغار ومن ثم تراهم يرعوون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الا من جهة توغلهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تناغيهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك اروبا وانظر الي هذه الامة الحقيرة التي يقال لها أمة جابان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تنيف على عدة سنين ولا تعد الا على انامل الآدميين ارتقاء مبهرا ابهرت الانظار، وخطفت لها النواظر والابصار، فليس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقرها الامم المتمدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فماذا الذى قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم ؟ ماذلك الا من اجل تناغيها في العلوم والحكم والازهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقائها ومنوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورثتهم الارتفاع واورثتنا الانحطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مما هم فيه ولكان كل واحد منهم مثلكم ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بشعلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام ؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبذ من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفاس والحيض يعنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك ؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكمال الربح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي بها نهتدي الى تحصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الازهر مشتركين في آرائهم لمثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون بنظر الامعان في امضاآتكم البديعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدنيوية والعوائد الملية والقومية وهو الذي اتخذ العلم والعقل عين الايمان والدين ونفسهما في الاصل ولولم يكن الازهريون يظنون ظنا باطلا ان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يعتد ولا يعبأ بها واكثر هذه المطالب ليست بجديرة للعمل في هذه الاعصر والدهور ولوعرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حجى وهم يزعمون ان الولوع بها مما يشيد بناء الدين لما رؤي الطلبة الازهريون كما هم اليوم في غاية من الذل والهوان ونهايتهم من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية لكانت كلية كيمبردج وآكسفورد تحسد الازهر وتغبطها غبطه ما كان يجحدها احد ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان

هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على اخبارها والمام بتواريخها واني القاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني ان العلماء هم العلة الاصيلة لكل هذا الصغار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من لدنه فليستعدوا للجواب فهم الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشنائع وانت يا اخي لا تستطيع وان جهدت كل جهدك للمحاماة عن علماء الازهر أن تغسل هذا العار عنهم وتدفع هذه التبعة والنقيصة منهم فانك لا تستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي حدثت في الدهور والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة أفيحق ان يكون نهج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صعاليك الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالذلة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون وهم مخذولون بالمسغبة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التى يتخرج

منها أناس يرتفع بهم منار الدين و يتقد به نار الاسلام و يعلو قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون الي لواحب الصعود والارتقاء و يزيدهم عزة و بهاء و يهيئ لهم ذرائع الاصطهاد والاعتلاء وانما يحزننا أولا انا نجد المسلمين في أي مصر وأية نقطة من نقاط الارض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترثين بها وثانيا انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولواحب الاكتساب متسعة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التى هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذى تضيع فيه الاعمار و يضاع فيها الفضة والنضار، و يصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل العاطل العتيق الذي لاينبعث المسلمون به للنهضة و ينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم الخوية و يبغض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلحوا على أن يسموه تعليما دينيا - وعلى أن يسموا الرجل العارف بمسائل شتى من الطلاق والرقية والنفاس والحيض رجلا عالما ولا غير

هذا واني لست بمسهب مقالتي في هذا الشان ولا بمطنب في شكايتي من علماء الزمان نظرا الى ما حوت مجلتكم الباهرة الغراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤنهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها و بمعزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وفقدان نفعها للمسلمين وضوح الشمس فى كبد السماء وانما بثي وحزني على ذلك من جهة ان الازهر كان هو المدرس الواحد فى الدنيا من قديم الاعصر والاعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاسد الملية والمدنية فى الاسلام ولا غير ولو تقبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده و بادروها بالقبول لكنا نأمل منه خروج المسلمين عن غيابة الذل والنكبة ونترقب صعودهم الى أعلى قنن الفوز والسعادة ولكن عليكم بعد ان لاتيأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين،

وكتب يوم الخميس ا ٢٥ خلون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفى الوفي

(محسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بخيت – تابع لما في الجزء السادس

﴿ المسائل الدينية ﴾

﴿ المسألة الأولى متن الحديث ﴾ نص حديث جابر عند ابن ماجه أورده الشيخ بخيت محرفا فأشرنا الى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الاشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي « الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه » وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي « إلا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه وسوطه » فقوله بسلطان معناه بسلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالاشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ماقلناه وان كان حقا رجع الى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكتب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانصه (ص ٣٢)

« ونقول في الردّ عليه قد ذكر في البرق الوميض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزوناه في الرسالة اليه وقد ذكره في كنز العمال مطولا ونسبه للبيهقي وفيه ألفاظ لاتوجد في البرق وجاء في آخره : ألا لاتؤمن امرأة رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في منتقى الاخبار باللفظ الذي ذكره المعترض ولعله لقصوره قصر الرواية عليه » اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المهذب وشرح الاقناع قال « وذكره ابن ماجه في سننه مطولا » وذكر آخره عنه وفيه « الا أن يقهره بسلطان » ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أوردوه في كتبهم واستنبط من ذلك أن « كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنعه أحد ولا ضرر في اختلاف الالفاظ مع اتحاد المعنى

ألا ترى ان ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومنتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراض على الناس يعمي ويصم نعوذ بالله من ذلك » اه

أقول قد أخطأ الشيخ بخيت في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لافي الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه مالم يروه ولا يخرجه من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عزا حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته فى رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانصه : « ومما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقلد القضاة و يأذن بالجمعة ان يكون مسلما بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال » وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال فى ابتداء كلام هكذا

« ولذا قال في النهاية وغيرها و يجوز التقلد من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر فى الملتقط والاسلام ليس بشرط فيه أي في السلطان الذي يقلد اه كلامها»

ثم ابتدأ كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟؟ كلا بل هو يغالط أو يكتب مالا يريد ثم لا يفهم مايكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها و يوثق بها فاحتجاجه بنقله لحديث ابن ماجه لاقيمة له . ولعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدل على قلة الاطلاع — ولا نقول على الجهل بالحديث وكتبه — من اقتصارنا على عبارة منتقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كنز العمال نسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

يعزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا نقول ان الشيخ بخيتا لا يعرف انهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه»

(خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث -- والكلام في روايته خاصة — تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواة له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كما في كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وانما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتج بنقل أحد منهم وانما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كما في السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البختري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يزيد ابن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي أو بعدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له ألا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه نعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث و بين جرح راويه ليعلم انه لا يحتج به . ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بسلطان» تعلم أن مافي كنز العمال من النقل عنهما محرف

وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وانما حديثه خاص بفرضية الجمعة ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقا ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتلبيس

—*﴿ المسألة الثالثة — سند الحديث ﴾*—

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك العجالة في كون الحديث منكرا أوموضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اننا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ماذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكر أوموضوع كما اجترأ عليه المعترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس متن الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ماقيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم نتبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ماقيل في رجاله واحدا واحدا ثم قال (ص٣٨)

« ومما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لاطعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد العدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله العدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحمادان وخلق وكفى بذلك توثيقا وتعديلا وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب ومسلم في صحيحه وان قرن معه غيره و بالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فغاية مايقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه . وضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ماهو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد مايعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع مايشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي وكون الراوي منكر الحديث لايقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فان المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو مالم يروه أصحاب السنن والمسانيد والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومعجم الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرهما مع شدة حاجتهم اليه اهـ »

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لمتأخري المحدثين واعتمد قول التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال « وقد علمت ان من الشاذ مايكون صحيحا وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بخيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لايعرف علم الحديث ولا بوجه الالمام وانما يراجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها مايلوح له ان يوافق غرضه واما انه يحرف الكلم عن مواضعه و يدلس و... عامداعالما والأول هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ماترى من أنواع الخطأ وهي

« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن نمير عدلا لاطعن فيه وقد قال الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقه غير ابن حبان وقد نسب بعضهم ابن حبان الى التساهل في التعديل وقالوا انه واسع الخطو في باب التوثيق يوثق كثيرا ممن يستحق الجرح وفى تدريب الراوي للسيوطي وفتح المغيث للسخاوي تفصيل فى ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن صحيحا وانه كان يوثق من لم يطعن فيه أحد . ولم يعتد الذهبي قول أبي حاتم فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال فى مثل هذا انه ثقة كمحمد ابن عبد الله بن نمير الذي روى عنه الشيخان ؟؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقري المؤرخ صاحب نفح الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا لايعتد به فان الجرح المفسر مقدم على التعديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها مانقله الشيخ بخيت عن الشوكاني

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قال فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه أنه صحفي لايدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قال وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فاذا أجللناه عن الكذب فهل نجله عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لايدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا مانقله بخيت من مسألة الغرارة والجواب الذي نقله عن المقري فيها ليس بشيء فان الذين يقولون بالاجازة لا يعدون من أجيز بغرارة من الكتب (أي جولق) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويا لها ضابطا لما فيها بحيث يحتج بمتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ بخيت هذا فأغمض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لايحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عيينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يحيى القطان يتقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ماقيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتعجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكأن الشيخ بخيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن نحوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لاتقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للجرح مراتب ليس

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب الا لفظ الكذب هو يذكره الجمهور للضرورة ومنهم من يتنزه عنه كالبخاري وقلما يصرحون بفسق الفاسق وكل مانقلنا عنهم من ألفاظ الجرح في رواة هذا الحديث معناه ان المجروح ليس عدلا اذ الجرح يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيده شيئاً في تقوية سنده وجعله مما يحتج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن نمير منهم وحسبهم أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال فيه ذلك لا تحل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا تحل الرواية عنه ثقة عدل يحتج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله انهم لم يتفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان يشترط في الاعتداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن متن الحديث منكر : لا يفيده بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله إن ضعف الرواة للحديث لا يسقط الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتج به على القول بأنه بمعنى الشاذ وهو ما اعتمده وان كان غير معتمد في نفسه وانما المعتمد من أقوال كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وانما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وانما قلنا في تلك العجالة ان الحديث منكر أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد نصوا على أن التميمي هذا

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أو من يضعه بحديث كان متن الحديث منكرا أو موضوعا . فاذا أثبت الشيخ بخيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟

آية من آيات دقة الشيخ بخيت في علم الحديث

قال في آخر (ص٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري ما نصه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سنبينه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الا لتام المعرفة تام الورع اه فقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا المتن موضوع ولو كان موضوعا ما رواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن واهيا قال الحافظ عبد الحي الفاسي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يغلبان قويا» اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروا الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطة لعدالته مانعة من الاحتجاج بحديثه . ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم اذ لا أظن انه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لاتحل الرواية عنه أو هذه أشد واما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القارئ من هو الحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي الذى يقتبس الشيخ بخيت من علمه بالحديث و يحتج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذى مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ بخيت حافظا ليحتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث

وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ بخيتا ادعى انه لم يطعن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروي من عدة طرق يقوي بعضها بعضا وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

اصول الاسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي

الى الدكتور النطاسي محمد توفيق أفندي صدقي

بعد انه نحمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجتبى ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا مقالتك التى ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويبادلك الحجة حتي ينتهي البحث الى الحق الذى لاشبهة فيه فاذا كنت مصيبا تابعك وأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرك ان شاء الله تعالى بما لاترى فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذى ننشده جميعا فاما تهديا الى وفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظره عذرا، وكثيرا ما ابتدأت

المناظرة بالمهاترة وانتهت بتـلاح ،والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولاحول ولا قوة الا بالله ، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء

اعلم وفقنا الله واياك ان أصول الاسـلام الاربعـة الكتاب والسـنة والاجماع والقياس

اما الكـتاب فلا تنازع فيه بل نراك اتخذته وحده التكأة التى تستند فى أمر دينك اليها والحجة التي تنافح عن نفسك فيماذهبت بها

واما السنة فلاننا نثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند،وعنه تصدر،واليه ترجع،قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غـير تفصيل مجمله،وتفسير مشكله ،وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولهـا الكتاب بالنص، ولم ينبسط لها بالبيان، ومثله . (وماأرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى(كماأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال و يعلمكم الكـتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لاكتفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنـك ان التعليم غير الاداء والتبليغ،ثم عطف عليه بالحكمة ،وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شيء آخر،وليس هناك غير السنة وقال تعـالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)وطاعة الله لاشك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته ،ولو كان المراد الكتاب وحده لماكان ثمت داع للتكرار، وقال تعالى(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجـدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحل لهم الطيبات ويحرم عليه الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحل الرسول والتحرج عما يحظر مطلقا ، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أواشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ماجاءت به لقوله تعـالى (وما آتاكم الرسول فخـذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقـد صرح الكتاب العزيز بان كل ماأوجب الرسول وأمر ،أو نهى وحظر،انما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه ، لقوله تعـالى (من يطع الرسول فقـد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بامره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً) و بتخويف المخالفين لامره، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لامر الكتاب الصريح

وقداستدللت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شئ من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراما لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الا يسيرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شئ من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم الفرط في شئ من كليات الشريعة وأنت خبير بان ذكرها مجملة ليس كافيا في استنباط المجتهد مايقوم به العبادة و يحرر المعاملة ، على اننا نقول ان القرآن لم يفرط فى شئ من كليات الشريعة وجزئياتها فان مالم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة، واما باتباع ماسنه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة وانها من الله قطعاً ﴾

لانحسبك تخالف في ان الرسول معصوم ، وان كل مايجري على لسانه أو أو يبدو من عمله انما هو بالوحي السماوي أو الالهام الآلهى الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعا يتعبد الناس به من عند نفسه (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى) فامر الرسول لايختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم، فلا مجال ثمت للسؤال بانه — هل يفرض علينا الرسول فرضا لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لايفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شئ) وانما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتهما الا أمرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة الينا في نقل حكم الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ، والقول « نعوذ بالله » بعدم حجية الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الا منه ، ولم نتلقفه الا عنه ، وهو أمين الله على وحيه ، وبعيثه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب — لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقه الذي اتصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدإ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانها أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان الاول الدلائل الدالة على ذلك من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها كتابها وسنتها لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق اللزوم لما علمت من انها كافلة لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكاليف وعليها تدور الاحكام

والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قيض للكتاب العدد الجم من ثقاة الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئين ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بعملهم هذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استنفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الغراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصاريف هذه اللغات فى النطق بها رفعا ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غير ذلك من وجوه تصاريفها الافراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره — وهو طويل — على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوي فى أخذ فلان عن فلان حتى استقر الثابت المعمول به من الحديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التواتر القطعي ؟ واذ كان نقلة الكتاب العزيز هم العدول الضباط الحفاظ الامناء فان نقلة الحديث ورواته ان لم يكونوا هم باعيانهم فانهم لا يقلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط والثقة والامانة فمن طعن في صحة السنة فقد طعن فى صحة الكتاب أيضاً

وقد عللت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعاليل نرى من الحتم علينا الالمام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية فى حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن لتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، ولتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

ونقول — (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعيت

من نقله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فان هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها – بحسب الشخص – كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان. بل ولعد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم

(٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن العمدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن تواطؤهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لانهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ؛ بل نحن لم نقطع بحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في صحة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ برؤية شيء من هذا الأثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذاك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لادليل موجب للقطع بانها من الرسول، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد يقينا لصحة العزو، فعلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لاغيره وقد نقلت الينا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ مأثورها كان على الصدور لا السطور

(٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس فى تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، و بأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ماقد حصل » اترمي بذلك السنة الصحيحة المعتد بها، والمعتمد عليها ، المسطورة فى مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها مما أجمعت الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طعنت فيما القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نعول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن » ففي هذه المقدمة — أو شبه المقدمة — نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة السلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا ، و يعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة ، نعم يقال انه كان يكتفي بمحفوظهم من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكتفي بمحفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايذان بصحة بعثة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام ، وكل ما فيها لا يجاوز الالماع الى الغرض الذي سرحهم اليه ، وأما كونه لم يترك أثرا من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت انه لا يترتب عليه شيء مما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يتعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟ .

ترى اننا بعد هذا في غنى من التماس العلل لكتابة القرآن دون السنة فنحن نقيلك من أصل العلة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها ولكننا

نناقشك في هذا الرد

قلت «فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله» ونقول ان اعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا : فلا مانع اذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من ان تنبه الى المصاب بخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه، ودخول أمثالها فيه وليست منه، على ان عدم التباس القرآن بغيره انما يتحقق في حق العربي الخبير باسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولكنه غير متحقق أصلا في جانب غيره أعجميا كان أو من هؤلاء المستعربين

على اننا نرجع الى أصل الموضوع فنقول ان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب انما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه الا منك ، فان المقرر المعروف ان فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا ان روايته تابعة لفهمه ، واذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبلغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلا . وكيف يجول الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ واذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه—اذا غاب عن الراوي لفظه—فجائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده

ان المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه . وغزر علمه . لا بد وان تعترضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه، ولا مفصحا، بكون

بلغة المهتدي وكفاية الطالب. كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افرادا مختلفة الحدود على سبيل البدل لغــة كالقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فانه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطهر) وهنا لا يسعه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التعسف بالترجيح بلا مرجح ،وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثنتان وعــدتها حيضتان) فانه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لاثلاثة اطهار . وكأن يرى المجتهد أيضا من لفظ الـكتاب ماازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأي دعاء وأي نماء أريد في الـكتاب ؟ لابد من تعيين المراد بشيء آخر ولقــد عينه النبي وبينه بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فالمستنبط من الـكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسعه تبيين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بمـا لم نؤمر به في الـكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها ! ! ! بهــذا تعلم ان الاستنباط من الـكتاب وحده . والتغني به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وانها بهذا الوصف نقلت الينا نقلا متواترا لاشبهة فيــه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يتوهم تواطؤهم على الـكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كالعيان علما ضروريا فهو كالـكتاب فى صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكره قطعا لانه جحود للمستيقن بأنه من الله - وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الاصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدول الضباط الحفاظ من غير شـذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير. واذا كان القاتل يقاد منــه بسفك دمه فى عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الايجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقاة الاوفياء من صحابة رسول الله وتابعيهم . بل لوشئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد، بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب - حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متعبد بها فيما كان عبادة ومعتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ماورد من الاحاديث الصحيحة المعمول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لايخلو اما ان يكون من الاصل أو النقل أما من الاصل فمستحيل لأنك ولا شك تعترف معنا بوجوب الصدق والفطنة والعصمة لجميع الانبياء وليس بشيء من هذه الواجبات ان يحدث النبي في شرع الله بالمتضارب المتناقض بل هذا والعياذ بالله تعالى كذب لايجوز لمسلم ان يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا ان نقلة السنة هم العدول الثقاة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة الى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى الى حفظها وصيانها . ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الاخيار العاملين الذين تصرمت أعمارهم فى هذا السبيل اذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والاكثر متنقلا بين الاقطار والاصقاع تنقل البدر بين منازله التماسا لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقاة الامناء ، ولو انه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد رواته نفض يديه منه ، وانقلب الى أهله خاويا من ذاك الحديث وفاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي واضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المعتد به ، والمعول عليه ، وقولك بعد « ان المجتهدين تحققوا ان أكثر الاحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضا لان تمييزهم الموضوع والضعيف تمييز - ولو بطريق اللزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم اما الصحابة الذين تلقوا الاحاديث بآذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث فى حق هؤلاء لايختلف الى صحيح وموضوع وضعيف لان هذه الفروق انما هي راجعة الى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكريم فان الحديث كله فى حق سامعه منه عليه السلام صحيح مقطوع المتن كالقرآن واما غير هؤلاء ممن لم يتلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت التواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المعتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للحرج على الاول وهو مدفوع بقوله تعالى (ماجعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكلفا فيما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتون — كما في الاخبار الآحادية — الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الى يقينه وهو الارجح في ظنه والاخبار الآحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية — لان سندها ليس الا موجبا للظن — لا يقدح فى وجوب العمل بها كما لا يقدح فى وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التى دلائلها ظنية — وان كانت مقطوعة المتن — كل مجتهد يحملها على الوجه الذى يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع النقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بينهم ، وتعيينه في جانب واحد دون الباقين تعسف، بل المراد ان كل مجتهد بحث عن الحق بما فى وسعه حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج ببلوغه من عهدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس ثمت تعارض في السنة الصحيحة — كما قلنا — لا للكتاب ولا لبعضها لبعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما مايخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمؤول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الذاهبين الى انه لاشيء من السنة بناسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلا ، فلا تعارض هناك مطلقا

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الغاء حكم بآخر كما في آيتى العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفا بعضه لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدهما حتى يطابق الآخر، أو يكون بعضه ناسخا للبعض اذا تعارضا ولم يمكن التطابق . فاختلاف المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالته على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلق الواحد منهم حديثا لم يصح عند الآخر — مع طول البحث وفرط الجهد — أولم يصل الى علمه أصلا . وقد يكون أحدهما ناسخا أو مطلقا ، والثاني منسوخا أو مقيدا مثلا، ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ماقلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا لزم الحرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصا بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضا كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدثت حديثا فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه، وكيف وهوفوق عصمته أبلغ الناس الكتاب حفظا ، وأعظمهم لآياته تدبرا ، وأكثرهم لها ذكرا ، فتعين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فردوه فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه، وسواء صح هذا الخبر أولم يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة الا ما دافقه منها نصا (طبعا) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو بمجموعه متواتر لاشبهة فيه عبثا تصان عنه أفعال العقلاء، فضلا عن الانبياء، مادام هو بينة الذي نص عليه صريح الكتاب، ولكان الاليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقا حى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لوكان — أي الوضوء من القيء — واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولو بما أثبت ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ماعيينا بتفسيره على مايوافق اجماع المسلمين على انه قدوردت السنة الصحيحة الصريحة في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود — ومكانه من العلم والدين والثقة مكانه — اني امرأة أصل الشعر فهل يحل ذلك لي فقال لايحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته فيه فقالت اني قرأت مابين الدفتين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا) (* وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعا والمغرب ثلاثا وكون نصاب الضأن أربعين والبقر ثلاثين ونحو ذلك . وأين وليت وجهك الى أي فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي خالفت اجماع المؤمنين قطعية عليها

القياس

— أثبت القياس ، فكفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر للقياس بطريق الاولى ، على انا شبتهما جميعًا

(المنار) لهذه المقالة تتمة عنوانها (العقل والدين) ويليها بقية الرد وقد نشرنا عبارته برمتها على طولها لنزاهتها واستيفائها للمقصد

---

*) نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب التربية والتعليم

المكتوب العاشر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة — ١٨٦٠

لا حق لك ياعزيزي «اميل» في أن تكون بلا رأي سياسي فايما رجل يعيش في قوم و يظهر معتزلا لما يتعارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في الحقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشتغلون بمصالح قبيلتهم بغيرة وحمية

نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الازمان الغابرة أنهم مرسلون من عند الله لسياستهم وتدبير شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا الغرض قد قصر على الطاعة المطلقة لأوامرهم فكانوا ماكا لولاتهم وخاصتهم كما تملك الارض ولا حق للارض في أن تثور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد المهدية بهدي العلم من أنصار هذا الحق الالهي الذي يزعمه الملوك الا النزر اليسير وقد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يسقطون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ سلاحها لنصرهم وانه كان من الميسور للامم كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

(١) ما ادعاه الكاتب من تاكيد الملوك لرعاياهم انهم مرسلون من عند الله أمر ثابت في التاريخ بل قد بلغ الغلو بهذه الدعوى ببعضهم ان ادعى الألوهية والصحيح المعروف لذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبيد استخلفهم الله في الارض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فان أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم رعاياهم وان أساؤها شقوا وشقوا بهم «ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المعصوم الذي لم يكد يبقى للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لايزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاداي حكومة من الحكومات تستقرحتى تدعي أنها حلت محل المحكومين فى أفكارهم وعزائمهم

ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم و بلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبانها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه: «يابني ان لك أن تغتني وتتزوج وتجعل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا المثوبات والعقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفاس منخرية التي تحرق أموال المعاندين للنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فالاحزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلها واذا كان لابد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك مايلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها لأنه لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره «والعاقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها»(١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على مايخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يبعدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هى أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة فى خلقه وانه تنزه ان يحتاج في النصرة الى الاستعانة بعدة أوسلاح

(١) المثل العربي «لاتدخل بين العصا ولحائها»

السياسية ضررا بالمعيشة البيتية بل هم يجلون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجدان العدل كان قاصرا على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت إن جميع الامم خلقت لتكون احرارا ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غاية فى الجهل ومنها من هي متنطعة في التأنق فقد نسي أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولامراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية ان تنزل من السماء وانه من الحمق والجنون أن تنتظرها أمة من حكامها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضي الحكام حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحيانا حذقا منهم في تصريفها وحزما ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يرجعون تصريف شكيمتها الى أيديهم . ليست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ويوهب بل هي مما يغنم بالجهاد والمكافحة فشدة كفاح العقول والعزائم وجملة اخلاص المخاصين الخاملين وتصلب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكره غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه ورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يبلى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقا أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست العصور التي تغمني وتؤلمني هي التي تسعى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي تخلد فيها الى الدعة من غير أن تنال حريتها

ان لداتي من جيل بذل نفسه فى سبيل الحرية وانا اشتهي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظا وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجاربنا

انا قد غلونا فيما رجوناه من تصاريف الزمان وكلما سألت نفسي عن سبب مصائبنا خالتني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعدًا عن الايمان يؤمن بالمعجزة ذلك أنه يعتمد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة تلاشي بيوت حاكمة كانت تعتقد متانة دعائمها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقبل لانفسهم ثم انها لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصايرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين القى اليهم لاتفاق زمام سياستها نعم ان شكل الحكومة واختيار الرجال الذين يصرفون زمامها ليس مما لا يعبأ به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحريتها على اختلاف ضروبها. قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن لا في شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فعلينا أن نخلص أنفسنا من خداع الناس ونظارها من وثنية الاوهام لأن الامم لا تنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فوق الطبيعة(١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا في نفسها تجد أن بحثها هو عزيمتها.

أنت حدث ومغترب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هى أن تنفي عن عقلك الجهل والاوهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الطغاة الغاشمين اذا فعلت ذلك كنت قد أديت في سعيك الى الحرية شيأ من العمل. التعلم اثمار بالشر لاستئصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستقلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو بدوع ما أصابنا من ضروب العجز وإما أن أكون مخطئًا خطأً فاحشا. لا حق لنا ان نعيب على الأتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

---

(١) انكار الكاتب تأثير السلطة الغيبية يعني الله جل شأنه في حرية الامم أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أننا تابعون لبخت يومنا خاضعون لمقدور سياستنا مو دون ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خمود الهمم وانحلال العزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده. اذا ظهر الشر والفساد في الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا بأن يتخيل في نفسه عالما آخر يطوي فيه معتقداته ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في مكافحته

ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فأنت تعرف كلمة جوفينال (١) فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدلي من خمود النفوس وأثرة التواكل وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشتد وتثبت في تيار الدمار فعلينا ان لم نأنس من نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماتوا من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويعالجون عمى البصائر قبل أن يجنوا ثمار كدهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضبين بدمائهم ومن حكم عليهم من العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المعنوية ولنتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من السجون المظلمة والمنافي وأنواع العذاب والنكال ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع . ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقاومين والمكروبين والمهيضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا اللواء سيكون لنا الفوز والظفر وعلى هذا الاعتقاد أقبلك قبلة الوداع اه

---

(١) جوفينال كاتب لاتيني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من الميلاد ومات في عهد الانتونيين ايت من دوت الملا في روما)

آثار علمية أدبية

﴿حواء الجديد — أو — ايفون موزار﴾

ألف نقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يغوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذر الفواجر أو كاد ووعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علمائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبته بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بجودة النزاهة والادب في التعبير . وأراني استعبرت لغير ماعبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ماعلمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بغي شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يعز أن يوجد في بلادنا بغي لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض مارويت عن «إيفون موزار» ويوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج لمكان التربية الدينية والادبية عندهم كما وصفت من تربيتها فاكثرهن — ان لم نقل كلهن — قوارير أقذار ، وقرارات وقاحة وصغار ، لا وأدة من تصغير جرائرهن ، وعطف القلوب عليهن ، الاجذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهن ممن يحزن لشقائهن ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجأ يؤوي من يريد التوبة منهن ويغنيهن عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون للاعتذار عنهن والاستعطاف عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسهاب، لتنذر المعرّضات لمثل فعلهن أن يتدهورن في هاويتهن ، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وتشوه من سيرتهم بما استطعت من إطناب، لتنفر عن مثل عملهم، وتحذر الفتاة الغرّ من تغريرهم، فتكون على بصيرة من عاقبة فجورهم ، وما يتوسلون به من بهتانهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن تجعل ما تكتب منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من الجهة الأخرى

اذا انتقدت عليك تصغير فاحشة المسافحات فى مقابلة تكبير فاحشة المسافحين مرة فانني أنتقد الاحتجاج على تصغيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات البعول سبعين مرة الآن ذنب المسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخدان بل لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخدان وهم يعلمون بخياناتهن لازواجهن يضر نشره فى قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى اذ لا تتصور التي تلين للفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيا مسافحة وانما يغلب على ظنها أنها تصادف زوجا يستر فضيحتها بغفلته، أو قلة غيرته

قرأت ما كتبت ايغون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها واعواز ماتروم فتمنيت لو تقرأ ذلك العذارى اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لاعراضهن باطلاق أهليهن العنان لهن مع كثرة ما يحاول الفساق من مخادعتهن ، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات البيوت واغضاء الناس عنهن فتمنيت لو لم تطلع عليه قارئة لاسيما اذا كانت عذراء

هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسان لما عدا الامرين المنتقدين من ناحية ما تنفر من تأثيرهما وأرجو أن تتوخى فيما تكتب الهداية والفائدة أكثر مما تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدر بمن يعرض عمله لنقد الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات و بيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم »

هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكياء المجاورين فى الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التى طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم و بعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك و بالاسفار وقراءة الصحف ماامتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لاترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرنا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقدمناه على مطبوعات كثيرة أهديت الينا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤيدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كبيان سوء طريقة التعليم في مثل الازهر وما اختير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ماهو من قبيل الرأي ومنه ماهو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجمالية تأييد ما كتب كثير الركزال الثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية و بمدرسيها وهذا تمهيد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ونرجئ بيان ما أنكرنا منه وما ننتقد به عليه الى ان يتاح لنا مطالعته كله بالتدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطلع عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها و يظلمون الناس و يغشونهم وهم لا يشعرون

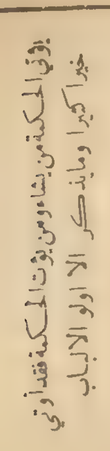
باب الاخبار والآراء

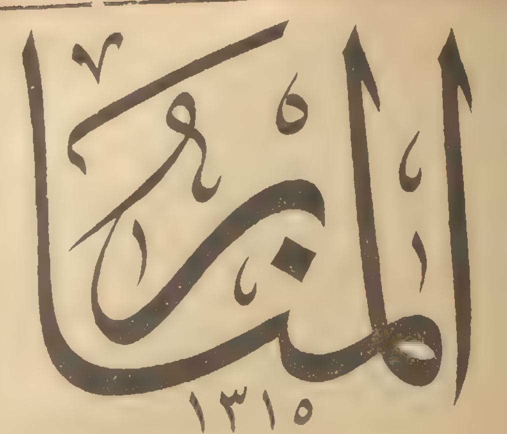
﴿ تعيين سعد باشا زغلول ناظرا للمعارف ﴾

رأى اللورد كرومر أن يعين هذا النابغة ناظراً للمعارف العمومية فصدر الامر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الارادة والاستقامة ـ وهي صفات الكمال في الرجال. وكان ينبغي ان يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعا في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا الا النية التي اخترعوها له وانتقل بعضهم بسبب الثناء على الناظر الجديد الى القدح بسائر النظار تصريحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً انه لا خير في هذا التعيين الا اذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشار الانكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع ان يكون مسماه عبداً مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة بقوتها في بلاد أبسلها ضعفها وجهلها. فدع كلام المسرفين، واشكر هذا العمل لادارة المحتلين: فالشكر مدعاة المزيد من الاحسان: عند كل إنسان. ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظراً للمعارف، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مريدي أستاذه وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في عمله للبلاد وخدمته، واستقلاله وحكمته:

﴿ الجامع الازهر ـ مشيخته وإدارته ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلغنا عن استقالة شيخ الازهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلا للأزهر تمهيداً لجعله أصيلا وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلا لمشيخة الازهر فعظم ذلك على أهل الازهر واستنكره كبراء الشيوخ واستكبروا أن يكونوا مرؤسين له على حداثته في السن والعلم وانتهى الامر الى الحكومة أو الى أولي الامر فخاطبوا الامير في ذلك وتقرر ان الشيخ شاكراً لا يكون شيخاً للازهر ولا وكيلا وقد سمي الآن نائبا وقد زاد الشغب والاضطراب في الازهر في أيام نيابته على امداد الامير اياه بنفوذه ويتوقع ان ينتهي هذا التلاعب في الازهر بجعله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا مع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن اصلاحه في جزء آخر





فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر — شوال سنة ١٣٢٤ — أوله الجمعة ١٩ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

أقول ولاستاذه ابن تيمية نحو ذلك في بيان معنى ماورد من أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده ذاته في السماء فلا يعنون بشيء مما ورد ان ذات الله القديم محصورة في السماء أو العرش أومحدودة في الجهة التي فوق رؤسنا بل صرح ابن تيمية وابن القيم وغيرهما بأن جهة الرأس كسائر الجهات من اليمين والشمال وغيرهما هي من الامور النسبية التي لاحقيقة لها في نفسها وانما يفسرون ذلك بما علمت . فان قلت ان ماذكر آنفا يشبه تأويل المتكلمين في قولهم ان العلو علو المرتبة أو هو هو: أقل نعم انه يتفق معه في تنزيه الباري تعالى عن مماثلة الاجسام المحدودة والمحدثات المقهورة الخاضعة لارادة القاهر فوق عباده ولكنه يفارقه بعدم حظر استعمال ماجاءت به النصوص للعامة والخاصة مع اعتقاد التنزيه، لامع ملاحظة ماقيل في التأويل، فأهل التأويل يحظرون أن يقول الناس في مخاطباتهم مثل ان الله في السماء لئلا يوهم ذلك ان ذات الخالق القديم محصور في هذا المخلوق الذي فوق رؤسنا فهم يريدون المبالغة في التنزيه والاثريون يجيزون استعمال كل ماورد محتجين بنصوص الكتاب

والسنة وماكان لبشر أن يدعي أنه أحرص على تنزيه الله من الله ورسوله وقد يبالغ هؤلاء فيستعملون من ذلك مالم يرد به نص أو النص في غير ماورد فيه أو على غير الوجه الذي ورد فيه توسعا وعملا بالقياس والقياس في هذا المقام ممنوع وللامام الغزالي تفصيل في كيفية الاستعمال وتحقيق في هذا البحث قاله بعد الرجوع الى مذهب السلف فننقله هنا من كتابه (الجام العوام عن علم الكلام) وهو:

الباب الاول

﴿ في شرح اعتقاد السلف في هذه الاخبار ﴾

(اعلم) ان الحق الصريح الذي لامراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين وها أنا (ذا) أورد بيانه وبيان برهانه فأقول حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور * التقديس * ثم التصديق * ثم الاعتراف بالعجز * ثم السكوت * ثم الامساك * ثم الكف * ثم التسليم لأهل المعرفة (أما التقديس) فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (وأما التصديق) فهو الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ماذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله وأراده (وأما الاعتراف بالعجز) فهو ان يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه وحرفته (وأما السكوت) فان لايسأل عن معناه ولا يخوض فيه و يعلم أن سؤاله عنه بدعة وانه في خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر لوخاض فيه من حيث لايشعر (وأما الامساك) فان لايتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لاينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة (وأما الكف) فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه (وأما التسليم لاهله) فان لايعتقد ان ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو

على الانبياء أو على الصديقين والاولياء فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لاينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيء منها فلنشرحها وظيفة وظيفة ان شاء الله تعالى

الوظيفة الأولى التقديس

ومعناه انه اذا سمع اليد والاصبع وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة آدم بيده « وان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »(١) فينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين أحدهما هو الوضع الاصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة أعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الا بأن يتنحى عن ذلك المكان وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلا كما يقال البلدة في يد الامير فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي ان يتحقق قطعاً ويقيناً ان الرسول عليه السلام لم يرد بذلك جسما هو عضو مركب من لحم ودم وعظم وان ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كفراً لانه مخلوق وكان مخلوقاً لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الائمة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب أو لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما كالارض أو مشرقا كالشمس والقمر والكواكب أو مشفا لا لون له كالهواء أو عظيما كالعرش والكرسي والسماء أو صغيرا كالذرة والهباء أو جمادا كالحجارة أو حيوانا كالانسان فالجسم صنم فبأن يقدر حسنه وجماله أو عظمه أو صغره أو صلابته و بقاؤه لايخرج عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده وأصبعه فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جل جلاله عما يوجب الحدوث ليعتقد بعده انه عبارة عن معنى من المعاني ليس بجسم ولا عرض في جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى فان

(١) الحديثان وردا بألفاظ مختلفة في الصحيحين وغيرهما

كان لا يدري ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه في ذلك تكليف أصلا فمعرفته تأويله ومعناه ليس بواجب عليه بل واجب عليه ان لا يخوض فيه كما سيأتي

مثال آخر اذا سمع الصورة فى قوله عليه السلام «ان الله خلق آدم على صورته» (١) «واني رأيت ربي فى أحسن صورة» (٢) فينبغي ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في أجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيبا مخصوصا مثل الانف والعين والفم والخد التي هي أجسام وهي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ماليس بجسم ولا هيئة فى جسم ولا هو ترتيب في أجسام كقولك عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة في حق الله لم تطلق لارادة المعنى الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من أنف وفم وخد فان جميع ذلك أجسام وهيئات في أجسام وخالق الاجسام والهيئات كلها منزه عن مشابهتها أو صفاتها واذا علم هذا يقينا فهو مؤمن فان خطر له انه ان لم يرد هذا المعنى الذي أراده فينبغي ان يعلم ان ذلك لم يؤمر به بل أمر بأن لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي ان يعتقد انه أريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض في جسم

مثال آخر اذا قرع سمعه النزول في قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى فى كل ليلة الى السماء الدنيا» (٣) فالواجب عليه ان يعلم ان النزول اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه الى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل كذلك وجسم منتقل من السافل الى العالي ومن العالي الى السافل فان كان من أسفل الى علو سمي صعودا وعروجا ورقيا وان كان من علو الى أسفل سمي نزولا وهبوطا وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر فيه الى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وماروئي البعير والبقر نازلا من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة فى الارحام ولا نزالها معنى لامحالة كما قال الشافعي رضي الله عنه دخلت مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت

(١) الحديث في الصحيحين (٢) ورد هذا فى حديث ضعيف والرؤية فيه منامية (٣) هو في الصحيحين

ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده الى أسفل فتحقق المؤمن قطعا ان النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول وهو انتقال شخص وجسد من علو الى أسفل فان الشخص والجسد أجسام والرب جل جلاله ليس بجسم فان خطر له انه ان لم يرد هذا فما الذي أراد فيقال له أنت اذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فأنت عن فهم نزول الله تعالى أعجز فليس هذا بعشك فادرجي واشتغل بعبادتك أو حرفتك واسكت واعلم انه أريد به معنى من المعاني التي يجوز أن يراد بالنزول في لغة العرب و يليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وان كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته

مثال آخر اذا سمع لفظ الفوق فى قوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده » وفى قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » فليعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين أحدهما نسبة جسم الى جسم بان يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل يعني ان الاعلى من جانب رأس الاسفل وقد يطلق لفوقية الرتبة و بهذا المعنى يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير وكما يقال العلم فوق العمل والاول يستدعي جسما ينسب الى جسم « والثاني » لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول غير مراد وانه على الله تعالى محال فإنه من لوازم الاجسام أو لوازم اعراض الاجسام واذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا أطلق وماذا أريد فقس على ما ذكرناه مالم نذكره

الوظيفة الثانية الايمان والتصديق

وهو انه يعلم قطعا ان هذه الالفاظ أريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في وصف الله تعالى به فليؤمن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق وما أخبر عنه حق لا ريب فيه وليقل آمنا وصدقنا وان ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله فهو كما وصفه وحق بالمعنى الذي أراده وعلى الوجه الذي قاله وان كنت لا تقف على حقيقته فان قلت التصديق انما يكون بعد التصور والايمان انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم العبد معانيها كيف يعتقد صدق قائلها فيها فجوابك ان التصديق بالامور الجلية ليس

بمحال وكل عاقل يعلم انه أريد بهذه الالفاظ معان وان كل اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى فيمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ماهو عليه فهذا معقول على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ أمور جملية غير مفصلة ويمكن التصديق كما اذا قال في البيت حيوان أمكن ان يصدق دون ان يعرف انه انسان أو فرس أوغيره بل لو قال فيه شيء أمكن تصديقه وان لم يعرف ماذلك الشيء فكذلك من سمع الاستواء على العرش فهم على الجملة انه أريد بذلك نسبة خاصة الى العرش فيمكنه التصديق قبل ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة الاستقرار عليه أو الاقبال على خلقه أو الاستيلاء عليه بالقهر أو معنى آخر من معاني النسبة فأمكن التصديق به وان قلت فأي فائدة في مخاطبة الخلق بمالا يفهمون فجوابك انه قصد بهذا الخطاب تفهيم من هو أهله وهم الاولياء والراسخون في العلم وقد فهموا وليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهم الصبيان والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين ولكن على الصبيان أن يسألوا البالغين عما يفهمونه وعلى البالغين ان يجيبوا الصبيان بان هذا ليس من شأنكم ولستم من أهله فخوضوا في حديث غيره فقد قيل للجاهلين (فاسألوا أهل الذكر) فان كانوا يطيقون فهمه فهموهم والا قالوا لهم (وماأوتيتم من العلم الا قليلا) فلا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم مالكم ولهذا السؤال هذه معان الايمان بها واجب والكيفية مجهولة أي مجهولة الكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب فاذا الايمان بالجمليات التي ليست مفصلة في الذهن ممكن ولكن تقديسه الذي هو نفي للمحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا فان المنفي هي الجسمية ولوازمها ونعني بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل العريض العميق الذي يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو الذي يدفع ما يطلب مكانه ان كان قويا ويندفع ويتنحى عن مكانه بقوة دافعه ن كان ضعيفا وانما شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به

﴿ الوظيفة الثالثة — الاعتراف بالعجز ﴾

ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به ان يقر بالعجز فان التصديق واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون في العلم والعارفون من الاولياء ان جاوزوا فى المعرفة حدود العوام وجالوا فى ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها أميالا كثيرة فما بقي لهم مما لم يبلغوه وهو بين أيديهم أكثر بل لا نسبة لما طوي عنهم الى ما كشف لهم لكثرة المطوي وقلة المكشوف بالاضافة اليه و بالاضافة الى المطوي المستور قال سيد الانبياء صلوات الله عليه « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » و بالاضافة الى المكشوف قال صلوات الله عليه « أعرفكم بالله أخوفكم لله وأنا أعرفكم بالله » ولاجل كون العجز والقصور ضرورياً في آخر الامر بالاضافة الى منتهى الحال : قال سيد الصديقين : العجز عن درك الادراك ادراك : فأوائل حقائق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كأواخرها بالاضافة الى خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز

﴿ الوظيفه الرابعة — السكوت عن السؤال ﴾

وذلك واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما لا يطيقة وخائض فيما ليس اهلاله فان سأل جاهلا زاده جوابه جهلا وربما ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سأل عارفا عجز العارف عن تفهيمه بل عجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه الى المكتب بل عجز الصائغ عن تفهيم النجار دقائق صناعته فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن دقائق الصياغة لانه انما يعلم دقائق النجر لاستغراقه العمر فى تعلمه وممارسته فكذلك يفهم الصائغ الصياغة أيضا لصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل ذلك لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا و بالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة المعرضين عن الصناعات عن فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم لقصور فى فطرته لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر على تغذية الاقوياء لكن طبع

تناوله فقد أهلكه وكذلك العامي اذا طلب بالسؤال هـذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضى الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهات(١) وكما فعله صلى الله عليه وسلم في الانكار على قوم رآهم خاضوا في مسئلة القدر وسألوا عنه فقال عليه السلام (٢) «أ فبهذا أمرتم» وقال «انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال»(٣) أولفظ هذا معناه كما اشتهر في الخبر ولهذا أقول يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب على هذه المسئلة بالخوض في التأويل والتفصيل بل الواجب عليهم الاقتصار على ماذكرناه وذكره السلف وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه وانه تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها وله المبالغة فى هـذا بما أراد حتى يقول كل ماخطر ببالـكم وهجس في ضميركم وتصور في خاطركم فالله تعالى خالقها وهو منزه عنها وعن مشابهتها وان ليس المراد بالاخبار شيء من ذلك وأما حقيقة المراد فلستم من أهل معرفتها والسؤال عنها فاشتغلوا بالتقوى فما أمركم الله تعالى به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه وهـذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه ومهما سمعتم شيئاً من ذلك فاسكتوا وقولوا آمنا وصدقنا وما أوتينا من العلم الا قليلا وليس هذا من جملة ماأوتينا

﴿الوظيفة الخامسة — الامساك عن التصرف في ألفاظ واردة﴾

ويجب على عموم الخلق الجمود على ألفاظ هذه الاخبار والامساك عن التصرف فيها من ستة أوجه التفسير والتأويل والتصريف والتفريع (الاول) التفسير وأعني به تبديل اللفظ بلغة أخرى يقوم مقامها في العربية أو معناها بالفارسية أو التركية بل لا يجوز النطق الا باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها ومنها مايوجد لها فارسية تطابقها لكن ماجرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها لها ومنها مايكون مشتركا فى العربية ولا يكون في العجمية كذلك (أما الاول) فمثاله لفظ الاستواء فانه ليس له في الفارسية لفظ مطابق يؤدي بين الفرس من المعنى الذى يؤديه لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا يشتمل

(١) المنقول أن عمر فعل ذلك برجل كان يسأل عن المتشابهات ابتغاء الفتنة وتشكيك العوام لا بكل سائل (٢) و(٣) العبارتان من حديث واحد رواه الترمذي

على مزيد إبهام اذ فارسيته أن يقال راست بايستاد وهذان لفظان (الاول) ينبئ عن انتصاب واستقامة فيما يتصوران ينحني ويعوج (والثاني) ينبئ عن سكون وثبات فيما يتصور أن يتحرك و يضطرب واشعاره بهذه المعاني واشارته اليها في العجمية أظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا في الدلالة والاشعار لم يكن هذا مثل الاول وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له الذى لا يخالفه بوجه من الوجوه الا بما لا يباينه ولا يخالفه ولو بأدنى شيء وأدقه واخفاه

(مثال الثاني) أن الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة يقال لفلان عندي أصبع أي نعمة ومعناها بالفارسية أنكشت وما جرت عادة العجم بهذه الاستعارة وتوسع العرب في التجوز والاستعارة أكثر من توسع العجم بل لا نسبة لتوسع العرب الى جمود العجم فإذا حسن ارادة المعنى المستعار له في العرب وسمج ذلك في العجم نفر القلب عن ماسمج ومجه السمع ولم يمل اليه فاذا تفاوتا لم يكن التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الا بالمثل

(مثال الثالث) العين فان من فسره فانما يفسره بأظهر معانيه فيقول هو جسم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر و بين الماء والذهب والفضة وليس للفظ جسم وهو مشترك هذا الاشتراك وكذلك لفظ الجنب والوجه يقرب منه فلأجل هذا نرى المنع من التبديل والاقتصار على العربية فان قيل هذا التفاوت ان ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز و « نان » و بين قولك لحم و « كوشت » وإن اعترف بان ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت لا عند التماثل فالجواب ان الحق أن التفاوت في البعض لا في الكل فلعل لفظ اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين وفي الاشتراك والاستعارة وسائر الامور ولكن اذا انقسم الى مايجوز والى مالا يجوز وليس ادراك التمييز بينهما والوقوف على دقائق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين أن نحسم الباب احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل و بين أن نفتح الباب ونقتحم عموم الخلق و رطة الخطر فليت شعري أي الامرين أحزم وأحوط والمنظور فيه ذات الاله وصفاته وماعندي أن عاقلا متدينا

لا يقر بأن هذا الامر مخطر فان الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه كيف وقد أوجب الشرع على الموطوءة العدة لبراءة الرحم وللحذر من خلط الانساب احتياطا لحكم الولاية والوراثة وما يترتب على النسب فقالوا مع ذلك تجب العدة على العقيم والآيسة والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما يطلع عليه علام الغيوب فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب النظر الى التفصيل كنا راكبين متن الخطر فايجاب العدة حيث لا علوق أهون من ركوب هذا الخطر فكما أن ايجاب العدة حكم شرعي فتحريم تبديل العربية حكم شرعي ثبت بالاجتهاد وترجيح طريق الاولى و يعلم أن الاحتياط في الخبر عن الله وعن صفاته وعما أراده بألفاظ القرآن أهم وأولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط به الفقهاء من هذا القبيل

(التصرف الثاني التأويل) وهو بيان معناه بعد ازالة ظاهره وهذا اما أن يقع من العامي نفسه أو من العارف مع العامي أو من العارف مع نفسه بينه و بين ربه فهذه ثلاثة مواضع (الاول) تأويل العامي على سبيل الاشتغال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة ولا شك في تحريم ذلك وبحر معرفة الله أبعد غورا وأكثر معاطب ومهالك من بحر الماء لأن هلاك هذا البحر لا حياة بعده وهلاك بحر الدنيا لا يزيل الا الحياة الفانية وذلك يزيل الحياة الابدية فشتان بين الخطرين (الموضع الثاني) أن يكون ذلك من العالم مع العامي وهو أيضا ممنوع ومثاله أن يجر السباح الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة مضطرب القلب والبدن وذلك حرام لانه عرضة لخطر الهلاك فانه لا يقوى على حفظه في لجة البحر وان قدر على حفظه في القرب من الساحل ولو أمره بالوقوف بقرب الساحل لا يطيعه وان أمره بالسكون عند التطام الامواج واقبال التماسيح وقد فغرت فاها للانتقام اضطرب قلبه و بدنه ولم يسكن على حسب مراده لقصور طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح للعامي باب التأويلات والتصرف في خلاف الظواهر وفى معنى العوام الاديب والنحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين

عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والاعمال العاملين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله تعالى لله المستحقرين للدنيا بل الآخرة والفردوس الاعلى في جنب محبة الله تعالى فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة الى أن يسعد واحد بالدر المكنون والسر المخزون، أولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فهم الفائزون وربك أعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون (الموضع الثالث) تأويل العارف مع نفسه في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلاثة أوجه فان الذي انقدح في سره انه المراد من لفظ الاستواء والفوق مثلا اما أن يكون مقطوعا به أو مشكوكا فيه أو مظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقده وان كان مشكوكا فليجتنبه ولا يحكمن على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من كلامه باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان كان مظنونا واعلم ان للظن متعلقين (أحدهما) أن المعنى الذى انقدح عنده هل هو جائز في حق الله تعالى أم هو محال (والثانى) أن يعلم قطعا جوازه لكن تردد في أنه هل هو مراد أم لا (مثال الاول) تأويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذى هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فانا لانشك في ثبوت معناه لله تعالى لكنا ربما نتردد في أن لفظ الفوق في قوله (يخافون ربهم من فوقهم) هل أريد به العلو المعنوي أم أريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان الذي هو محال على ماليس بجسم ولا هو صفة في جسم (ومثال الثاني) تأويل لفظ الاستواء على العرش بانه أراد به النسبة الخاصة التي للعرش ونسبته ان الله تعالى يتصرف فى جميع العالم ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة العرش فانه لايحدث في العالم صورة مالم يحدثه في العرش كما لا يحدث النقاش والكاتب صورة وكلمة على البياض مالم يحدثه في الدماغ بل لايحدث البناء صورة الأبنية مالم يحدث صورتها في الدماغ فبواسطة الدماغ يدبر القلب أمر عالمه الذي هو بدنه فربما نتردد فى ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تعالى هل هو جائز اما لوجوبه في نفسه أو

لانه أجرى به سنته وعادته وان لم يكن خلافه محالا كما أجرى عادته فى حق قلب الانسان بان لا يمكنه التدبير الا بواسطة الدماغ وان كان في قدرة الله تعالى تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت به ارادته الازلية وحقت به الكلمة القديمة التى هي علمه فصار خلافه ممتنعا لا لقصور في ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة والعلم السابق الازلي ولذلك قال (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وانما لا تتبدل لوجوبها وانما وجوبها لصدورها عن ارادة أزلية واجبة ونتيجة الواجب واجبة ونقيضها محال وان لم يكن محالا في ذاته ولكنه محال لغيره وهو افضاؤه الى ان ينقلب العلم الازلي جهلا ويمتنع نفوذ المشيئة الازلية فاذا إثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش في تدبير المملكة بواسطته ان كان جائزا عقلا فهل واقع وجودا؟ هذا مما قد يتردد فيه الناظر وربما يظن وجود هذا مثال الظن فى نفس المعنى والاول مثال الظن فى كون المعنى مرادا باللفظ مع كون المعنى في نفسه صحيحا جائزا وبينهما فرقان لكن كل واحد من الظنين اذا انقدح فى النفس وحاك في الصدر فلا يدخل تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن فان للظن أسبابا ضرورية لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها لكن عليه وظيفتان (احداهما) ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير شعور بامكان الغلط فيه ولا ينبغي أن يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكما جازما (والثانية) انه ان ذكره لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا أو المراد بالفوق كذا لانه حكم بما لا يعلم وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) لكن يقول انا أظن انه كذا فيكون صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما على صفة الله ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضميره

فان قيل وهل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له أن يتحدث به؟ قلنا تحدثه به انما يكون على أربعة أوجه فاما أن يكون مع نفسه أو مع من هو مثله فى الاستبصار أو مع من هو مستعد للاستبصار بذكائه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله تعالى أو مع العامي فإن كان قاطعا فله أن يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله فى الاستبصار أو من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له

خال عن الميل الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة لا لغرض آخر يحيك في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تأويلات فاسدة لشدة شرهه على الفرار عن مقتضى الظواهر ومنع العلم أهله ظلم كبثه الى غير أهله وأما العامي فلا ينبغي أن يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يتصف بالصفات المذكورة بل مثاله ماذكرناه من إطعام الرضيع الاطعمة القوية التي لا يطيقها واما المظنون فتحدثه مع نفسه اضطرار فإن ماينطوي عليه الذهن من ظن وشك وقطع لا تزال النفس تتحدث به ولا قدرة على الخلاص منه فلا منع منه فلاشك في منع التحدث به مع العوام بل هو أولى بالمنع من المقطوع أما تحدثه مع من هو فى مثل درجته في المعرفة أومع المستعد له ففيه نظر فيحتمل أن يقال هو جائز ولا يزيد على أن يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لأنه قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى أوفي مراده من كلامه وفيه خطر واباحته تعرف بنص أو إجماع أو قياس على منصوص ولم يرد شيء من ذلك بل ورد قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم)

فان قيل يدل على الجواز ثلاثة أمور (الاول) الدليل الذى دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يخبر الا عن ظنه وهو ظان (الثاني) أقاويل المفسرين في القرآن بالحدس والظن اذ كل ماقالوه غير مسموع من الرسول عليه السلام بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاويل وتعارضت (والثالث) اجماع التابعين على نقل الاخبار المتشابهة التي نقلها آحاد الصحابة ولم تتواتر وما اشتمل عليه الصحيح الذي نقله العدل عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل الا الظن: والجواب عن الاول أن المباح صدق لا يخشى منه ضرر وهذه الظنون لا تخلو عن ضرر فقد يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم في صفات الله تعالى بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا وجد مستروحا من المعنى ولو كان مظنونا سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون قد اعتقد فى صفات الله تعالى بما هو الباطل أو حكم عليه في كلامه بما لم يرد به (وأما الثاني) وهو أقاويل المفسرين

بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات الله تعالى كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك في الاحكام الفقهية أوفي حكايات أحوال الانبياء والكفار والمواعظ والامثال ومالا يعظم خطر الخطاء فيه (وأما الثالث) فقد قال قائلون لا يجوز أن يعتمد فى هذا الباب الاماورد فى القرآن أوتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تواترا يفيد العلم فأما أخبار الآحاد فلا يقبل فيه ولا نشتغل بتأويله عند من يميل الي التأويل ولا بروايته عند من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالمظنون واعتماد عليه وما ذكروه ليس ببعيد لكنه مخالف لظاهر مادرج عليه السلف فانهم قبلوا هذه الاخبار من العدول ورووها وصححوها فالجواب من وجهين (أحدهما) أن التابعين كانوا قد عرفوا من أدلة الشرع انه لايجوز اتهام العدل بالكذب لاسيما في صفات الله تعالى فاذا روى الصديق رضي الله عنه خبرا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا فرد روايته تكذيب له ونسبة له الى الوضع أوالى السهو فقبلوه وقالوا قال أبو بكر قال رسول الله عليه السلام وقال أنس قال رسول الله عليه السلام وكذا في التابعين فالآن اذا ثبت عندهم بأدلة الشرع انه لاسبيل الى اتهام العدل التقي من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فمن أين يجب أن لايتهم ظنون الآحاد وان ينزل الظن منزلة قول العدل مع ان بعض الظن اثم فـاذا قال الشارع ماأخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه وانقلوه وأظهروه فلا يلزم من هذا أن يقال ماحدثتكم به نفوسكم من ظنونكم فاقبلوه وأظهروه وارووا عن ظنونكم وضمائركم ونفوسكم ماقالته فليس هذا في في معنى المنصوص ولهذا نقول مارواه غير العدل من هذا الجنس ينبغي أن يعرض عنه ولا يروى ويحتاط في المواعظ والامثال وما يجرى مجراها (والجواب الثاني) ان تلك الاخبار روتها الصحابة لانهم سمعوه يقينا فما نقلوا الا ماتيقنوه والتابعون قبلوه ورووه وما قالوا قال رسول الله عليه السلام كذا بل قالوا قال فلان قال رسول الله عليه السلام كذا وكانوا صادقين وما أهملوا روايته لاشتمال كل حديث على فوائد سوى اللفظ الموهم عند العارف معنى حقيقيا يفهمه منه ليس ذلك ظنيا في حقه مثاله رواية الصحابي عن رسول الله عليه السلام قوله

(ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له) الحديث فهذا الحديث سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل وله تأثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذى هو أفضل العبادات فلو ترك هذا الحديث لبطلت هذه الفائدة العظيمة ولا سبيل الى اهمالها وليس فيه الا ايهام لفظ النزول عند الصبي والعامي الجاري مجرى الصبي وما أهون على البصير ان يغرس في قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا نداءه وقوله فما أسمعنا فأي فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا فهذا القدر يعرف العامي ان ظاهر النزول باطل بل مثاله أن يريد من فى المشرق اسماع شخص في المغرب ومناداته فتقدم الى المغرب باقدام معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمع فيكون نقله الاقدام عملا باطلا وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يضطر بهذا القدر كل عامي الى أن يتيقن نفي صورة النزول وكيف وقد علم استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام كاستحالة النزول من غير انتقال فاذا الفائدة فى نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فانى يساوي هذا حكاية الظنون المقدحة في الانفس

فهذه سبل تجاذب طرق الاجتهاد في اباحة ذكر التأويل المظنون أو المنع ولا يبعد ذكر وجه ثالث وهو أن ينظر الى قرائن حال السائل والمستمع فان علم انه ينتفع به ذكره وان علم انه يتضرر تركه وان ظن أحد الامرين كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر انسان لا تتحرك داعيته باطنا الى معرفة هذه المعاني ولا يحيك في نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التأويل معه مشوش وكم من انسان يحيك فى نفسه اشكال الظاهر حتى يكادان يسوء اعتقاده في الرسول عليه السلام وينكر قوله الموهم فمثل هذا لو ذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال الذي ينبو عنه اللفظ انتفع به ولا بأس بذكره معه فانه دواء لدائه وان كان داء في غيره ولكن لا ينبغي أن يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة من أكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان زمان السلف الاول زمان سكون

القلب بالغوا في الكف عن التأويل خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم فى ذلك الزمان فهو الذى حرك الفتنة وألقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالأثم أما الآن وقد فشا ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار شيء من ذلك رجاء لاماطة الاوهام الباطلة عن القلوب أظهر واللوم عن قائله أقل

فان قيل فقد فرقتم بين التأويل المقطوع والمظنون فبماذا يحصل القطع بصحة التأويل ؟ قلنا بأمرين (أحدهما) أن يكون المعنى مقطوعا ثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة (والثاني) أن لا يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد بطل أحدهما وتعين الثانى مثاله قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) فانه ان ظهر في وضع اللسان ان الفوق لا يحتمل الا فوقية المكان أو فوقية الرتبة وما بطل فوقية المكان لمعرفة التقديس لم يبق الا فوقية الرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير فالله فوق عباده بهذا المعنى وهذا كالمقطوع به في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الا في هذين المعنيين أما لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش ربما لا ينحصر مفهومه في اللغة هذا الانحصار واذا تردد بين ثلاثة معان معنيان جائزان على الله تعالى ومعنى واحد هو الباطل فتنزيله على أحد المعنيين الجائزين أن يكون بالظن وبالاحتمال المجرد وهذا تمام النظر في الكف عن التأويل

(التصرف الثالث الذي يجب الامساك عنه التصريف) ومعناه انه اذا ورد قوله تعالى (استوى على العرش) فلا ينبغي أن يقال مستو ويستوي لان دلالة قوله هو مستو على العرش على الاستقرار أظهر من قوله (رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) لا آية بل هو كقوله (خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء) فان هذا يدل على استواء قد انقضى من اقبال على خلقه أو على تدبير المملكة بواسطته فى تغيير التصاريف مايوثق في تغيير الدلالات والاحتمالات فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان تحت التصريف الزيادة والنقصان

(التصرف الرابع الذى يجب الامساك عنه القياس والتفريع) مثل أن يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والعضد والكف مصيرا الى أن هذا من لوازم اليد واذا ورد الاصبع لم يجز ذكر اللحم والعظم والعصب وان كانت اليد المشهورة

لاتنفك عنه وأبعد من هذه الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد واثبات الفم عند ورود العين أو عند ورود الضحك واثبات الاذن والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة وقد يتجاسر بعض الحمقى من المشبهة الحشوية فلذلك ذكرناه

(التصرف الخامس لايجمع بين متفرق) ولقد بعد عن التوفيق من صنف كتابا في جمع هذه الاخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الرأس و باب في اليد الى غير ذلك وسماه كتاب الصفات فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول الله عليه السلام في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم السامعين معاني صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وايهام التشبيه وصار الاشكال في أن الرسول عليه السلام لم نطق بما يوهم خلاف الحق أعظم في النفس وأوقع بل الكلمة الواحدة يتطرق اليها الاحتمال فاذا اتصل به ثانية وثالثة و رابعة من جنس واحد صار متواليا يضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من الظن بقول المخبرين والثلاثة مالا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي بخبر التواتر مالا يحصل بالآحاد ويحصل من العلم القطعي باجماع التواتر مالا يحصل بالآحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل والى كل واحدة من القرائن فاذا انقطع الاحتمال أوضعف فلذلك لايجوز جمع المتفرقات

(التصرف السادس التفريق بين المجتمعات) فكما لا يجمع بين متفرقه فلا يفرق بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة في تفهيم معناه مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) لاتسلط على أن يقول القائل هو فوق لانه اذا ذكر القاهر قبله ظهرت دلالة الفوق على الفوقية التى للقاهر مع المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لايجوز أن يقول وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي أن يقول فوق عباده لان ذكر العبودية في وصفه في أن الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة اذ يحسن أن يقال زيد

فوق عمرو قبل أن يتبين تفاوتهما في معنى السيادة والعبودية أو غلبة القهر أو نفوذ الامر بالسلطنة أو بالابوة أو بالزوجية فهذه الامور يغفل عنها العلماء فضلا عن العوام فكيف يسلط العوام في مثل ذلك على التصرف بالجمع والتفريق والتأويل والتفسير وأنواع التغيير ولاجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد على الوجه الذى ورد وباللفظ الذى ورد والحق ما قالوه والصواب ما رأوه فأهم المواضع بالاحتياط ما هو تصرف في ذات الله وصفاته وأحق المواضع بإلجام اللسان وتقييده عن الجريان فيما يعظم فيه الخطر وأي خطر أعظم من الكفر

﴿ الوظيفة السادسة في الكف بعد الامساك ﴾

وأعني بالكف كف الباطن عن التفكر فى هذه الامور فذلك واجب عليه كما وجب عليه امساك اللسان عن السؤال والتصرف وهذا أثقل الوظائف وأشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن أن لا يخوض غمرة البحار وان كان يتقاضاه طبعه أن يغوص في البحار ويخرج دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي أن يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن نيلها بل ينبغي أن ينظر الى عجزه وكثرة معاطبها ومهالكها ويتفكر أنه ان فاته نفائس البحار فما فاته الازيادات وتوسعات فى المعيشة وهو مستغن عنها فان غرق أو التقمه تمساح فاته أصل الحياة . فان قلت ان لم ينصرف قلبه من التفكر والتشوف الى البحث فما طريقه؟ قلت طريقه أن يشغل نفسه بعبادة الله و بالصلاة وقراءة القرآن والذكر فان لم يقدر فبعلم آخر لا يناسب هذا الجنس من لغة أو نحو أو خط أو طب أو فقه فان لم يمكنه فبحرفة أو صناعة ولو الحراثة والحياكة فان لم يقدر فبلعب ولهو وكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر البعيد غوره وعمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية ربما كان أسلم له من أن يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى فإن ذلك غايته الفسق وهذا عاقبته الشرك وإن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فان قلت العامي اذا لم تسكن نفسه الى الاعتقادات الدينية الا بدليل فهل يجوز أن يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد رخصت له في التفكر والنظر وأي فرق بينه و بين غيره الجواب اني أجوز له أن يسمع الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته

وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر ولكن بشرطين (أحدهما) أن لا يزاد معه على الادلة التي في القرآن (والآخر) أن لا يماري فيه الامراء ظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا جليا ولا يمعن في التفكر ولا يوغل غاية الا يغال في البحث وأدلة هذه الامور الاربعة ماذكر في القرآن أما الدليل على معرفة الخالق فمثل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله — وقوله — أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * — وكقوله — فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا * فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا — وقوله — ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا — الى قوله — وجنات الفافا) وأمثال ذلك وهي قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب جواهر القرآن بها ينبغي أن يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته لا بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة فهي حادثة ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات والمقدمات واثباتها بأدلتها الرسمية يشوش قلوب العوام والدلالات الظاهرة القريبة من الافهام على ما في القرآن تنفعهم وتسكن نفوسهم وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة وأما الدليل على الوحدانية فيقنع فيه بما في القرآن من قوله (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فان اجتماع المدبرين سبب افساد التدبير وبمثل قوله (لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله اذا لذهب كل آله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)

وأما صدق الرسول فيستدل عليه بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وبقوله (فأتوا بسورة من مثله) وقوله (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وأمثاله

وأما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله (قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) و بقوله: (أيحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى) الى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) و بقوله (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) الى قوله (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى) وأمثال ذلك كثير في القرآن فلا ينبغي أن يزاد عليه . فان قيل فهذه الادلة التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم يمتنعون عن تقرير هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتأمله فان فتح للعامي باب النظر فليفتح مطلقا أو ليسد عليه طريق النظر رأسا وليكلف التقليد من غير دليل (الجواب) أن الادلة تنقسم الى مايحتاج فيه الى تفكر وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ماهو جلي سابق الى الافهام ببادي الرأي من أول النظر مما يدركه كافة الناس بسهولة فهذا لاخطر فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعه فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا ولهذا قلنا أدلة القرآن أيضا ينبغي أن يصغي اليها اصغاءه الى كلام جلي ولا يماري فيه الامراء ظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر فمن الجلي ان من قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر كما قال (هو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وان التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم في كل العالم وان من خلق علم كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق) فهذه الادلة تجري للعوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي وما أخذه المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال وتوجيه اشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره في حق أكثر الخلق ظاهر فهو الذي ينبغي أن يتوقى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان والتجربة وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشت صناعة الكلام مع سلامة العصر الاول من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه أيضا أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بأجمعهم ماسلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه ولخاضوا في تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض فان قيل انما أمسكوا عنه لقلة الحاجة فان البدع انما نبغت بعدهم فعظم حاجة المتأخرين وعلم الكلام راجع الى علم معالجة المرضى بالبدع فلما قلت في زمانهم أمراض البدع قلت عنايتهم بجميع طرق المعالجة فالجواب من وجهين (أحدهما) انهم في مسائل الفرائض ما اقتصروا على بيان حكم الوقائع بل وضعوا المسائل وفرضوا فيها ماتنقضي الدهور ولا يقع مثله لان ذلك مما أمكن وقوعه فصنفوا علمه ورتبوه قبل وقوعه اذ علموا انه لاضرر في الخوض فيه وفي بيان حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية بازالة البدع ونزعها عن النفوس أهم فلم يتخذوا ذلك صناعة لانهم عرفوا ان الاستضرار بالخوض فيه أكثر من الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا من ذلك وفهموا تحريم الخوض لخاضوا فيه (والجواب الثاني) انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى اثبات البعث مع منكريه ثم مازادوا في هذه القواعد التي هي أمهات العقائد على أدلة القرآن فمن أقنعه ذلك قبلوه ومن لم يقنع قتلوه وعدلوا الى السيف والسنان بعد افشاء أدلة القرآن(١) وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات وتحرير طريق المجادلة وتذليل طرقها ومنهاجها كل ذلك لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه أدلة القرآن لا يقمعه الا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان. على انا ننصف ولا ننكر أن حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض وان لطول الزمان وبعد العهد عن عصر النبوة تأثيرا في اثارة الاشكالات وان للعلاج طريقين (أحدهما) الخوض في البيان والبرهان الى أن يصلح واحد ويفسد به اثنان فان صلاحه بالاضافة الى الاكياس وفساده بالاضافة الى البله وما أقل الاكياس وما أكثر البله والعناية بالاكثرين أولى (والطريق الثاني) طريق السلف في الكف والسكوت والعدول الى الدرة والصوت والسيف وذلك مما يقنع

(١) لادليل على انهم كانوا يقتلون من لم يقتنع وانما ضرب عمر من ابتغى الفتنة

الاكثرين وان كان لايقنع الاقلين وآية اقناعه ان من يسترق من الكفار من العبيد والاماء تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه حتى يصير طوعا ما كان فى البداية كرها و يصير اعتقادا جزما ما كان فى الابتداء مراء وشكا وذلك بمشاهدة أهل الدين والمؤانسة بهم وسماع كلام الله ورؤية الصالحين وخبرهم وقرائن من هذا الجنس تناسب طباعهم مناسبة أشد من مناسبة الجدل والدليل فاذا كان كل واحد من العلاجين يناسب قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع فى الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول المؤيد بروح القدس المكاشف من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير البصير بأسرار عباده وبواطنهم أعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوك سبيلهم لامحالة أولى

﴿ الوظيفة السابعة التسليم لاهل المعرفة ﴾

وبيانه انه يجب على العامي أن يعتقد ان ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر وأسرارها ليس منطويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصديق وعن أكابر الصحابة وعن الاولياء والعلماء الراسخين وأنه انما انطوى عنه لعجزه وقصور معرفته فلا ينبغي أن يقيس بنفسه غيره ولا تقاس الملائكة بالحدادين وليس ماتخلو عنه مخادع العجائز يلزم منه ان تخلو عنه خزائن الملوك فقد خلق الناس أشتاتا متفارقين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر فانظر الى تفاوتهما وتباعد ما بينهما صورة ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لسائر جواهر المعارف فبعضها معدن النبوّة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن للشهوات البهيمية والاخلاق الشيطانية بل ترى الناس يتفاوتون في الحرف والصناعات فقد يقدر الواحد بخفة يده وحذاقة صناعته على أمور لايطمع الآخر في لوع أوائلها فضلا عن غايتها ولو اشتغل بتعلمها جميع عمره فكذلك معرفة الله تعالى بل كما ينقسم الناس الى جبان عاجز لايطيق النظر الى التطام أمواج البحر وان كان على ساحله والى من يطيق ذلك ولكن لايمكنه الخوض في أطرافه وان كان قائما في الماء على رجله والى من يطيق ذلك لكن لايطيق رفع الرجل عن الارض اعتمادا على السباحة والى من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن لايطيق خوض البحر الى لجته والمواضع المغرقة الخطرة

والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق الغوص في عمق البحر الى مستقره الذي فيه نفائسه وجواهره فهكذا مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه مثله حذو القذة بالقذة من غير فرق) (فان قيل) فالعارفون محيطون بكمال معرفة الله سبحانه حتى لا ينطوي عنهم شيء قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان القطعي فى كتاب (المقصد الاسنى في معاني أسماء الله الحسني) أنه لا يعرف الله كنه معرفته الا الله وان الخلائق وان اتسعت معرفتهم وغزر علمهم فاذا أضيف ذلك الى علم الله سبحانه فما أوتوا من العلم الا قليلا لكن ينبغي أن يعلم ان الحضرة الالهية محيطة بكل مافى الوجود اذ ليس في الوجود الا الله وأفعاله فالكل من الحضرة الالهية كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية وأنت لا تفهم الحضرة الالهية الا بالتمثيل الى الحضرة السلطانية فاعلم ان كل مافي الوجود داخل في الحضرة الالهية ولكن كما ان السلطان له فى مملكته قصر خاص وفى فناء قصره ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة العتبة ودخول الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم وربما لم يطرق الى القصر الخاص الا الوزير وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من أسرار ملكه على مايريد ويستأثر عنه بأمور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق في القرب والبعد من الحضرة الالهية فالعتبة التى هي آخر الميدان موقف جميع العوام ومردهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا حدهم استوجبوا الزجر والتنكيل وأما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدان ولهم فيه جولان على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت مابينهم كثير وان اشتركوا في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام المفترشين واما حظيرة القدس في صدر الميدان فهي أعلى من أن يطأها أقدام العارفين وارفع من أن يمتد اليها أبصار الناظرين بل لا يلمح ذلك الجناب الرفيع صغير أو كبير الاغض من الدهشة والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير فهذا مايجب على العامي ان يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا . فهذه هي الوظائف

السبع الواجبة على عوام الخلق في هذه الاخبار التي سألت عنها وهي حقيقة مذهب السلف وأما الآن فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف اه

أقول ثم ان الغزالي أورد بعد هذا فصلا في الاحتجاج على أن مذهب السلف هو الحق وقد علمت صفوة المذهب مما سلف . ونعود الى تفسير باقي الآيات

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ﴾

لما كان المتشابه مزلة الاقدام ومدرجة الزائغين الى الفتنة وصل الراسخون الاقرار بالايمان به بالدعاء بالحفظ من الزيغ بعد الهداية فانهم لرسوخهم في العلم يعرفون ضعف البشر وكونهم عرضة للتقلب والنسيان والذهول ويعرفون أن قدرة الله فوق كل شيء وعلمه لا يحاط به وهو المحيط بكل شيء فيخافون ان يستزلوا فيقعوا في الخطأ والخطأ في هذا المقام قرين الخطر وليس للانسان بعد بذل جهده في إحكام العلم في مسائل الاعتقاد وإحكام العمل بحسن الاهتداء الا الالتجاء الى الله تعالى بأن يحفظه من الزيغ العارض ويهبه الثبات على معرفة الحقيقة والاستقامة على الطريقة ، فالرحمة في هذا المقام هي الثبات والاستقامة واختاره الاستاذ الامام .

أقول ولا تلتفت في معنى الآية الى مجادلة الاشعرية للمعتزلة في اسناد الازاغة الى الله تعالى فانه تعالى يسند اليه كل شيء في مقام تقرير الايمان به وذلك لا ينافي اختيار العبد في زيغه فقد قال تعالى في سورة الصف (٦١ : ٥ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) ولكل مقام مقال .

ومن مباحث الالفاظ في الآية أن قوله تعالى « من لدنك » معناه من عندك فان لدن تستعمل بمعنى عند وان لم تكن مرادفة لها بل هي أخص وأقرب مكانًا ولا للدى فقد فرقوا بينهما بخمسة أمور ولا تستعمل لدن الا في الشيء الحاضر فهي أدل على الاختصاص فهذه الرحمة المطلوبة منه في هذا المقام هي العناية الالهية والتوفيق الذي لا يناله العبد بكسبه ، ولا يصل اليه بسعيه ، ويؤيد ذلك التعبير بالهبة ووصفه تعالى بالوهاب فان الهبة عطاء بلا مقابل

﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾

جمع الناس وحشرهم واحد وجمعهم لذلك اليوم للجزاء فيه وهو يوم القيامة

وكونه لا ريب فيه معناه اننا موقنون به لا نشك فيه لأنك أخبرت به ووعدت وأوعدت بالجزاء فيه وليس معناه كمعنى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أي أنه ليس من شأنه ان يرتاب فيه فان الكلام هناك عن الكتاب في نفسه والكلام هنا حكاية عن المؤمنين الراسخين في العلم ولذلك علل نفي الريب بنفي إخلاف الميعاد وجيء به على طريق الالتفات عن الخطاب الى الغيبة للاشعار بهذا التعليل ـ هذا على قول الجمهور ان الجملة كالدعاء من كلام الراسخين في العلم وجوزوا ان تكون من كلامه تعالى لتقرير قولهم ودعائهم وهو خلاف المتبادر

قال الاستاذ الامام ان مناسبة هذا الدعاء للايمان بالمتشابه ظاهرة على القول بان المتشابه هو الاخبار عن الآخرة أي انهم كما يؤمنون بالمتشابه يؤمنون بمضمونه والمراد منه وما يؤول اليه . واما على القول بأنه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فوجهه أنهم يذكرون يوم الجمع ليستشعروا أنفسهم الخوف من تسرب الزيغ الذي يبسلهم في ذلك اليوم فهذا الخوف هو مبعث الحذر والتوقي من الزيغ أعاذنا الله منه بمنه وكرمه

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾

كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولا عنوانها « محاورات المصلح والمقلد » بينا فيها طريق الوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين مختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يتفرقوا فيه . ومما بيناه فيها ان الاحكام السياسية والقضائية والادارية — وهي ما يعبر عنها علماؤنا بالمعاملات — مدارها في الشريعة الاسلامية على قاعدة درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشهدنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره من الصحابة اقامة الحدود أحيانا لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيها الشيخ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيها في المنار ، لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)

اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء(١) لا يوجد بين العلماء غيرها(٢) أولها الكتاب، وثانيها السنة ، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

---

(١) تقدمه بتعدادها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القرافى فى التنقيح في الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي ولينه لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ماذكره ستة وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل والعمل بالظاهر أو الاظهر والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين والعمل بالاصل . ومعقول النص وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى والعمل بالشبهين . ودلالة الاقتران . ودلالة الالهام . ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . والاخذ بأيسر ماقيل . والاخذ باكثر ماقيل وفقد الدليل بعد الفحص واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيخين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا . وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان الاصل فى المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وباعتبار المصالح فى المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف فالجملة خمسة وأربعون دليلا وسنذكر مادق معناه منها فانتظر

اهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المراسلة (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتاسعها البراءة الاصلية (٦)

---

(١) قال في التنقيح : واجماع أهل المدينة عندمالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما فى علة الحكم: تنقيح

(٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فيترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم . مجامع

(٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى انما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فمهما وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان ان لاءمت أصلاً كليا أو جزئيا من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا . وقال الغزالي ان كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي : ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأنهم يقيسون و يفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا يعنى بالمصلحة المرسلة الا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن ابقاء ما كان على ما كان عليه لانعدام المغير قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي :الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصيرفي حجة خلافاً لغيرهم . لنا انه قضى بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنايات واتباع الشهادات اه

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الاحكام خلافاً للمعتزلة ولابهري وأبي الفرج منا . لنا ان ثبوت العدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات(١) الحادي عشر الاستقراء(٢)الثاني عشر سد الذرائع (٣)الثالث عشر الاستدلال(٤)الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

---

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقضى بها عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفى : العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول . وفي الاشباه من كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « ماراه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » لكن قال العلائي لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وانما هو من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في باب ماتترك به الحقيقة تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر الاسلام اه كلام الاشباه (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة النزاع على تلك الحالة كاستقرائنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدى على الراحلة فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدي على الراحلة (قال) وهذا الظن حجة عندنا وعند الفقهاء اه (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعاً له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة لى المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشتهر ان القول بسد الذرائع من خصائص مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي انه مشترك بين المذاهب كالمصلحة المرسلة والعرف وستراه في آخر مقاله (٤ الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا اجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقتراني والاستثنائي وصور أخر (٥) قال السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم لدليل يعارض القياس الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر اجماع أهل الكوفة (٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة

من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسناً قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو العدول عما حكم به في نظائر مسئلة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس الخفي كما تراه فى كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره العراقيون وقد اضطرب ثلة في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع فى تحقيق كل مسئلة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم «١» وهو الاخذ باقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي انها مساوية لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذا بالاقل لكونه مجمعاً عليه وما زاد منفي بالبراءة الاصلية و تقدم في حواشي رسالة ابن فورك زيادة على هذا فارجع اليها «٢» قال القرافي العصمة هي ان العلماء اختلفوا هل يجوز أن يقول الله تعالى لنبي او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فقطع بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفاً في الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة اسرائيل عليه السلام فلعله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسئلة يجوز ان يقال لنبي او عالم احكم بما تشاء فهو صواب ويكون مدركا شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣) قال القرافي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردها من الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المعصوم - المشترط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم من العلماء دخول الامام فيهم وان لم يكن جميعهم كما فى حواشي القوانين للقزويني وبه يعلم ان الاجماع عندهم اعم من اجماع العترة ومن اجماع من بعدهم اذا كان فيهم المعصوم . فالمذكور هنا كغالب اصول اهل السنة رجم بالغيب عن مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى نصوص كتبه فاحفظ ذلك «١» قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من خالف فيها وقد بقي علينا الايفاء بالوعد السالف من الكشف عن الغامض من بقية الادلة الخمسة والعشرين فنقول اما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى انه يجب العمل به اذا قصه تعالى فى كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرآة وتفصيله في موافقات الشاطبي فارجع اليه . واما التحري فهو بذل المجهود لنيل المقصود من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة والثياب والأواني كما فى الخادمي على مجمع الحقائق . وأما العرف فقال السيد هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه أسرع الى الفهم وكذا العادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعادوا اليه مرة بعد أخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد أشار لذلك البخاري بقوله فى كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة: قال الشراح: مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين ن الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وستأتي . ومن أمثلته بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بعضها دون بعض فقد أجازه بعض =

= الحنفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر فى شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز بيع الثمرة قبل بدو صلاحها مطلقا : وأما العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الخادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه . وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الخادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع الى حديث « دع مايريبك الى مالايريبك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالاجماع أو بعموم آية « ولا تنازعوا » واما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالاصل فمعناه العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . واما شهادة القلب فقد يحتج بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها الى حديث « استفت قلبك » وحديث « البر ما اطمأنت اليه النفس » وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها الى رفع الحرج . وأما العمل بالشبهين فذكره الخادمي في شرح التنقيح معطوفا على ماتقدم ولعله كالقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقتران فى النظم لايستلزم الاقتران فى الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرهما قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لاتستند الى أمر علمي باطن ولا ظاهر لايقول به أحد لكن قد يقال القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فمن غلب على قلبه ارادة مايحبه الله و بغض مايكرهه اذا لم يدر في الامر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحا عنده كما لو أخبر من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح ترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا على الاطلاق أخطؤا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق ولكن اذا اجتهد السالك فى الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى فإلهام مثل هذا دليل فى

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « لاضرر ولاضرار »(١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفيا والمفاسد نفيا اذا الضرر هو المفسدة فاذا نفاها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما اماان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الاقيسه الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعا « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينطق بنور الله » ثم قرأ « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » ه والتتمة سابقة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الاستاذ أبي اسحق وغيره انها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ماقيل ومستنده رفع الحرج . واما الاخذ بأكثر ماقيل فمستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف بيقين . وأما فقد الدليل بعد الفحص فمعناه الاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . واما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جم لحديث « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سبرناها من عدة مصنفات أرجع كثيرا منها الى الاصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضا في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بتنوع ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه مرسلا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو يخالفاها فان وفقاها فبها ونعمت ولا تنازع اذ قد اتفقت الادلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وان خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص (١) والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك ان النص والاجماع اما ان لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فان لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية المصلحة وان اقتضيا ضررا فاما ان يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثني من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعاً بين الادلة ولعلك تقول ان رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة فى التعامل وانه يخص به الاثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الاجارات فيما لو دفع الى حائك غزلا على ان ينسجه بالثلث قال — ومشايخ بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الاجارة فى الثياب لتعامل أهل بلدهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الاثر ا ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جائز الا ترى انا جوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وانه منهي عنه وتجويز الاستصناع بالتعامل تخصيص منا للنص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الانسان لا ترك للنص أصلا. كذا في نشر العرف لابن عابدين وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الاثر الى اعتبار العرف فيما نقلناه عنه قبل من صحيحه في ترجمة ذلك الباب الذي قل من يتفطن لها ومن دقق في تلك الترجمه رأى انها تؤيد ما أشار له الطوفى هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستفيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الاقوى من الاقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو مفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب مايراد ذلك الشيء له كالقلم يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أوعادة. ثم هي تنقسم الى مايقصده لشارع لحقه كالعبادات والى مالا يقصده الشارع لحقه كالعادات

وأما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءتكم موعظة» حيث انه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الاذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني : وصف القرآن انه «شفاء لما في الصدور » يعني من شك ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

لوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصلحة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما الا مصلحة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في معنى التهنئة لهم بذلك . والفرح والتهنئة انما يكونان لمصلحة عظيمة

الوجه السابع : قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون» والذي يجمعونه هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصلح من مصالحهم والاصلح من المصلحة غاية المصلحة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشرع راعى مصلحة المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب النص والاجماع دليلا لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول به في العبادات وحيث وافق المصلحة في غير العبادات وانما ترجع رعاية المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التفصيل ففيه ابحاث

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة المثبت أن فعلا لا علة له عبث والله عز وجل منزه عن العبث ولان القرآن مملوء من تعليل الافعال نحو «لتعلموا عدد السنين والحساب» ونحوه وحجة النافي

ان كل من فعل فعلا لعلة فهو مستكمل بتلك العلة مالم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية - فلا يلزم ماذكروه الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل معللة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكمالهم لا بنفع الله عز وجل لاستغنائه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء ولان الايجاب يستدعي موجباً أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعللهم في التكليف والا لكان ذلك تكليفا بما لا يطاق أو شبيهاً به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل « كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى أكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

---

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر والتعليل لابن القيم ص ٢٠٦ فانه لا يستغنى عنه

ما يصلحهم وينتظم به حالهم ؛ الاقسام كلها ممكنة (١)

البحث الرابع في أدلة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب والسنة والاجماع والنظر ولنذكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال اذ استقصاء ذلك بعيد المنال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «ولكم في القصاص حيوة • والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما • الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » وهو كثير • ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم واعراضهم مما ذكرناه ظاهر • وبالجملة فما من آية من كتاب الله عز وجل الا وهي تشتمل على مصلحة أومصالح كما بينتهما في غير هذا الموضع

وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبع بعضكم على بيع بعض .ولا يبع حاضر لباد • ولا تنكح المرأة على عمتها أوخالتها انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وهذا ونحوه في السنة كثير لانها بيان الكتاب وقد بينا اشتمال كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي الظاهرية علي تعليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن ثم علل

---

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع اقامة المصالح الاخروية والدنيوية وبان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان يكون وضعها على ذلك الوجه ابديا وكليا وعاما في جميع انواع التكاليف والمكلفين من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القرافي في الحاشية و يأتي في آخر مقاله أيضاً

وجوب الشفعة برعاية حق الجار وجواز السلم والاجارة بمصلحة الناس مع مخالفتهما للقياس اذ هما معاوضة على معدوم(١) وسائر أبواب الفقه ومسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعلل المصالح

وأما النظر فلاشك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعى مصلحة خلقه عموما وخصوصا أما عموماً ففي مبدأهم ومعاشهم اما المبدأ فحيث أوجدهم بعد العدم على الهيأة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ماشاء ركبك» وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب مايعيشون به ويتمتعون به من خلق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) يراجع هنا ما فى اعلام الموقعين في بحث ليس شيء فى الشريعة على خلاف القياس فانه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف المغترين ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه من النصوص فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضي » زعموا انه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة والخونة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم» فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأتى سبحانه بلفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اهـ ونحوه للغزالي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « ألم نجعل الارض مهاداً – الى قوله – ان يوم الفصل كان ميقاتا » وفي قوله عز وجل : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا » الى قوله عز وجل « متاعا لكم ولانعامكم »

وأما خصوصا فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هداهم السبيل ، ووفقهم لنيل الثواب الجزيل ، فى خير مقيل ،

وعند التحقيق انما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الايمان الموجب لمصلحة العباد لكن بعضهم فرط بعدم الاجابة بدليل قوله عزوجل « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » تحرير هذا المقام أن الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصا بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاما وهدى ووفق خاصاً

اذا عرف هذا فمن المحال أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبداهم ومعادهم ومعاشهم ثم يهمل مصلحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ولانها أيضا من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا معاش لهم بدونها فوجب القول بانه راعاها لهم . واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

واما ان رعاية المصلحة مبرهنة فقد دل عليه ماذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بعد بيانه الاجماع وأدلته ومعارضتها)

ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على الوجه الذي ذكرنا وجوه .

أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق فى نفسه لا يختلف فيه فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» وقال عز وجل في مدح الاجتماع «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» وقال عليه السلام: وكونوا عباد الله اخواناً .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها فى قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

«١» كالنظام و بعض الشيعة والخوارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة اه من المصنف

«٢» من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله للنبي عليه السلام لما نهي ان يعضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يارسول الله فقال عليه السلام . الا الاذخر . ومنها حديث البخاري فى اول كتاب الشركة لما خفت أزواد القوم وأملقوا وأتوا النبي صلى الله عليه و سلم فى نحر إبلهم فاذن

للعبادة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الاحزاب «لايصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلى احدهم قبلها وقالوا لم يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس

ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سمينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبيه بما نحن فيه

وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالعادة في أن أحدا لايحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال: «مالي آمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ماروى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فرده وقال اذاً يتكلوا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ماتفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق وائتلافها

ثم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فامر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طويناه اختصارا وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الاشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا. فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تعطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه , من نأى بعد الانتباه، وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم أنتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أدلة الشرع وجعلها اعلاما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها مراغمة ومعاندة له قلنا اما كون الشرع اعلم بمصالح المكلفين فنعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع بغيرها فممنوع بل انما تترك ادلته بدليل شرعي راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار » كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة . ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا نتركه لامر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

---

(١) يشير الى ماذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقيس : و يستدل على ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه حصر بحكم في جهة واحدة لئلا يضيق عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يمتثل (١) ولو كان لكان مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ماذكرتموه من مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو أن الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب فأفضى الى الانحلال والفجور . وأيضا فان بعض أهل الذمة ربما أراد الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف الا بما فيه من المتشابهات وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) . ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة من قوله عليه السلام «لاضرر ولا ضرار» على ماتقرر لاتحد طريق الحكم وانتفى الخلاف، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا يلتفت اليها أو صوابا فاما ان ينحصر الصواب فيها أو لا فان انحصر لزم أن الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائزة من الطرق ولكن طريق

(١) يشير الى ان حديث اختلاف أمتي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
(٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها من قواعدهم وقدمنا مايقرب منه عند الحنفية رحمهم الله من تخصيص النص بالعرف عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبنى الفقه على ان اليقين لا يرفع

الأئمة التي اتفقت الامة على اتباعها أولى بالمتابعة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصر فيها قطعاً بل ظناً واجتهادا وذلك يوجب المصير اليها اذ الظن في الفرعيات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الامة فما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انفرد بها غير مسبوق اليها والسواد الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والازم ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان العامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة علي ماذهب اليه مالك بل هي أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع فى العبادات والمقدرات ونحوها أو فى المعاملات والعادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر فيه النص والاجماع ونحوهما من الادلة

غير أن الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجعه العز بن عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي زكريا وبحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي العطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي زكريا هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحابا ونحوه فان اتفقت الادلة على اثبات أو نفي ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضهما يقبل الجمع أو لا يقبله فان قبل الجمع جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاعمال لا الالغاء غير ان الجمع بينهما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض الادلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الادلة التسعة عشر والنص مقدم على ماسوى الاجماع ، ثم ان النص منحصر في الكتاب والسنة ثم لا يخلو اما ان ينفرد بالحكم أحدهما أو يجتمعا فيه فان انفرد به أحدهما فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد فان اتحد بان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهراً فيه وان كانت مجملة(١) فان كان حد احتماليها أو احتمالاتها اشبه بالادب مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالاها في الادب مع الشرع جاز الامران والمختار أن يتعبد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقف الامر الى البيان

وان تعدد الدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر فان اتفق مقتضاهن فكالآية الواحدة وان اختلف فان قبل الجمع جمع بينهن بتخصيص أو تقييد أو نحوه ، ان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها بعينه فيها والا المنسوخ منهما مبهم فيستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

---

(١) المجمل ماخفي المراد منه بحيث لايدرك بنفس اللفظ لا ببيان سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الاقدام كالمشترك أو لغرابة اللفظ أو لانتقاله من معناه الظاهر الى غيرما هو معلوم . كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين ما ثبت حكمه لا ما نسخ وان انفردت السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالآية الواحدة وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو اشبه بالادب مع الشرع وتعظيم حقه وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تتساوى في الصحة او تتفاوت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ فان تعين والا استدل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير ذلك من الادلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في الحكم الا حديث واحد فان كان الصحيح اكثر من واحد فان اتفقت عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يعمل به في المعاملات بل في فضائل الاعمال على قول ومنهم من منع العمل به مطلقا كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة صحيحه ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالاولى ماكان منها في باب الصفات ولذا قال القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع: فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقادواهية الاسناد اﻫ

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكد له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجه فهو محل نظر وتفصيل والاشبه تقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه

هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فبها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القاتل والمرتد وقطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان امكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

---

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكليات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال — قيل والاعراض - حكى الغزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأنه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسباب قط ولا الاموال بالسرقة والغصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم «لاضرر ولا ضرار» وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تتعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعارضها فنقول كل حكم نفرضه فاما ان تتمحض مصلحته (* فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصلحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل مازاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الاهم منها وان تساوت فى ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة فبالقرعة . وان تمحضت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت . وان تعددت درئ منها الممكن . فان تعذر درء مازاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت فى عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة

وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

«١» أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا و بالذات لانها هي سر الشريعة ولبابها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لمعانيها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الحيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لعباده نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك فى اعلام الموقعين

*) المنار : يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع المفسدة تعين وان تعذر فعل الاهم من تحصيل أو دفع ان تفاوتا فى الاهمية وان تساويا فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة

وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجح كل واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلا أو دفعا (١) فان استويا فى ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لاضرر ولاضرار) يتوصل به الى أرجح الاحكام غالبا وينتفي به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال

مع ان فى اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي معرفة الحقائق التي تتعلق بالاحكام واعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي شبيهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وانما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان العبادات حق للشرع (* خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا الا من جهته فيأتي به العبد على مارسم له ولان غلام أحدنا لا يعد مطيعاً خادما له الا اذا امتثل مارسم له سيده وفعل مايعلم انه يرضيه فكذلك هنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله : اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان مفضياً الى ما يبغضه الله ورسوله اه *) المنار : لعلها للشارع وكذا ما عاثلها

شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المعول

ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)

ثم هذا انما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول والعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تفي بالاحكام علمنا انا احلنا بتمامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوفي رحمه الله

---

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لانهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا نعني بالمصلحة المرسلة الا ذلك ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال : ينقل عن مذهبنا (المالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجدهم يصرحون بذلك فيها وأما المصلحة المرسله فغيرنا يصرح بانكارها ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحه المرسلة وأما الذرائع فمنها ماهو مجمع عليه ومنها ماهو مختلف فيه اه ولابن القيم في اعلام الموقعين فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعا وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى المفاسد . وممن توسع في بحث المصالح المرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي المالكي في كتابه الموافقات فقد جود الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

الدين والعقل

تابع لرد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي

بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نري ضروريا وقد هنئت أ كثر من مرة بالعقل في غضون البحث في أمور الدين ان نتكلم باختصار على ما يمكن أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ،ولم يضف اليها أحد شيأ آخر بل قصرتها أنت على الكتاب وحده ، فأي نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين في كل جزئياته ؟ . لا يمكن أن يراد بتلك المطابقة ان كل مايكون واجبا في نظر العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين .فانه ليس شيء من الدين بنيت قضاياه على الادلة العقلية البحتة ، لا بعض أصول العقائد كوجوب الوجود ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات وبعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيأ. وان أريد من العقل نظره الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كاقامة الصلاة والاستقباح لممنوعاته كاتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه. ولكن لا يعزب عنك ان هذا النظر شيء واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون دينا مقررا واجب الاتباع شيء آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا جميعا .على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان مايراه هذا حسنا قد يراه ذاك رديئا وبالعكس وذلك لا يقف عند طبقات الحمقى والجاهلين بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب العلم والسياسة والبصر بفنون التشريع . ولا نحسبنا نتكلف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفينا مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام — مالم يعف أولياء الدم — ولا نشك فى استحسانك له مسئلة فيها نظر بين متشرعي الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلالها والفرنساويين والانجليز حديثا فمنهن من أنكرت القتل ومنهن من أوجبته ومن هؤلاء الموجبات من استحسنته بطريق الشنق ومنهن من أبته الا بقطع الرقبة فهل رمى الناس كل هذه الامم بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هوا كبرالاشياء في مسائل التشريع ؟ فما بالك بصغريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسأل نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانه أصلا من أصول الدين التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم واحد من هذا الدين ؟؟؟

الاسلام ولاشك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتنائي ديارهم و بسط لهم على لسان نبيه من التقرير والبيان مايقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من الوجوه والالوان كل نفس بحسب ماتهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستمد لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من الامم التي لاترجع في أمور تشريعها الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة وهي ولا ريب لاتنابذه بحال لانه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فماذا على الميزان اذا لم يوف الموزون ؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تستحسن . أو تستهجن ونحاول انه نجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا لانها خالفت العقل والصواب !!!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية في اثبات الالوهية لمن لايؤمن بها ومعجزات لاسبيل للعقل الى مصادرتها كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن هناك الها حكيما متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا معصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسعادتهم وعزهم فى كانا نشأتيهم انصرف ولا مرية كل همه الى تحقيق ماجاء به هـذا الرسول الامين عن ربه الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الى البحث فيها من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام، يرجع بالفروع الى أصولها المقررة ،و بالجزئيات الى كلياتها الثابتة ، و يفصل المجمل في الكتاب بالمفصل من السنة ، و يستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام الظاهر ليقيس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه من الكتاب والسنة وأخذه بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التى هي أصول الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسعه تصوره . بل نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ماجاء به الدين الحكيم مستهجن لكل مانهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا مانرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الى تمحيص مابنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء الينا القرآن بها إجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلاً ، أمر الله بها في كتابه ، وعلمها جبريل لنبيه تعليما عمليا وهو عليه السلام علمها الناس و بلغها لهم وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة، الظهر والعصر والعشاء أربعا والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف وسفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كمارأيتموني أصلي) وشدد فيها وأكد ، ووعد عليها وأوعد ، وميزها بانها الفرض المحتم من بين ماسن من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم ومن بعدهم الى يومنا هـذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب عليهم من غيره فى أقصى منازل الغرابة ، وكيف ذلك وهم المجمعون على ان

تارك النوافل مثل ماقبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر و بعده وما قبل العصر لاشيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لاتبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين الواجب وغيره ؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بعد تمييزهم هم.

أدرجت في مطاوي كلامك انك لاتحتج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل مارأوا النبي يحافظ عليه) ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لاحساب عليه؟ لا ألتمس ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان (كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجوبها كالمضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره؟ نعم هم فرقوا الواجب من غيره في الصلاة مثلما فرقوا بينهما في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ، وابتدره منهم ذو اليدين بقوله (اقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله) فأجاب صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم وسجد للسهو . ولو كان الواجب يتم بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة، وأي معنى لقصرها غير كونها نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا؟ ولو كان أقل الواجب ثنتين كما ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت — هل كان يجيب عليه السلام بانها لم تقصر — أي لم تنقص عن القدر المشروع ؟ — بل ويترك صحبه في مثل هذا المقام لايعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن القدر الواجب عليهم انما هو أربع ركعات لاركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ، وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصم ديا وأفصح

لسانا من مثل هذا على أنه قد بلغ وقال « ألا هل بلغت اللهم اشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم» وليس من التبليغ المحفوف بالبيان ان يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونفله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا الى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بتحريمة واحدة المنتهية بسلام واحد) وأبان انها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثنائية منها والثلاثية والرباعية من غير زيادة فيها أو نقص عنها (الا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضا منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الادلة ونرجع بنظرة إلى ما اختاج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشذ عما عليه اجماع المسلمين من عهده عليه السلام الى عهدنا هذا دون أن يعترضهم فيه شك ، أو تعتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق

ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية بناء على انه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الاعلى ، وبعبارة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من تين الركعتين الخ

ونقول أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أوهي للمؤتمين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الامام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الامام أو المؤتمون ؟ هذا مالم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسنى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعا أو ستا مثلا فمن أين جاءك أن كل طائفة تصلي مع الامام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بعينها حتمت علي المؤتمين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الاولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤتمين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس ومجاهد وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، . فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لادليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالي (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤتمين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة — حالة الخوف — يصلي ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه متم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤتمين لقوله تعالى (أن تقصروا) فثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر انما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الامام منتقض بناؤه لانهدام ماد عمت له من أساسه ، على أنا لو سلمنا لك ان القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه — نص صريحا على ذلك ، فاي تلازم هنالك بين كون القصر أي مادون الواجب — على مقتضى تعريفك — واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب — مع هذه الحال — ثماني ركعات أو عشرا مثلا لولا السنة ؟ على انها لم تقدر للواجب حدا أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بعينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثا والعشاء أربعا بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول مافرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، واتخذت ذلك دليلا على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان انهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظنك مااعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لاتخذناه نحن حجة عليك قالت (أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل انها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قيلها أن

قصار الرسول اذ ذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب!»
بل قالت انها فرضت أولا ركعتين ، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك
«أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فاقرت في السفر
وزيدت في الحضر ، ولا سبيل للقول بانها زيدت أي فوق القدر الواجب ، بعد
قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بانها أقرت في السفر أي اكتفي بها لانها
القدر الواجب مطلقا ، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين
المشروعتين إبان السفر ، بل كان يزيد عليهما من النوافل ما تعود أن يزيد في
الحضر ، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين لا
زيادة واجبة ، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق
الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها ، اما ما استعرضت على قيلك من الشبه
وتكلفت الرد عليه فانا نعفيك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (ان
خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قيد لايجوز التفلت منه ، فكل ما كان في غير
الخوف – ولو في سفر – فهو اتمام ، فصلاة النبي عليه السلام في السفر ولو كان
قصيرا جدا – ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتفاء بالواجب اذ كان القصر
مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف ، بل ولا
نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال ، ولكن عدم النص
على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا ، فقد نصت على ذلك السنة ، ومقامها
من التشريع ما قد عرفت ، ونعارض في كون الآية قيدا ، بل نقول انها لمجرد
بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ ، ولست
تنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فان الربائب محرمات مطلقا ،
وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع ، وقد سئل النبي
نفسه فيما سألت فيه ، فاجاب عليه السلام بما أجبنا به ، واذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان الوقع ، ولم نشأ أن نحتج بهذا الخبر حينئذ بمثله من الآية نفسه سبقتنا بالاشارة عفوا الي أنه ليس قيدا ، بل هو لمجرد بيان الوقع حيث قلت (فصلاة الامام في الخوف ركعتان الخ) عندما أوردت قوله تعالى (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه السلام لاغيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذ قلت ان صلاة الخوف عامة كما هو ظاهر كلامك — لزمك أن تقول ان هذا القيد لامفهوم له بل هو انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيم صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لاغيره اذ كان قيام طائفتين من المصلين في خوف مقيدا بكون النبي فيهما — لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام — مطلقا طبعا —) لامفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فمسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء بالواجب أي ليس قصرا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع ملازمته في غضون أسفاره للنوافل التي لاخلاف بيننا وبينك في انها فوق الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام للنوافل اثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتصاره «في المفروضة» على الركعتين لان مصدرهما واحد .

ومما لايحسن تركه هنا انه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثا في الحالين جميعا ، ولو كان اقتصاره على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب — لاشيأ آخر — لما كان هناك موجب لتمييزه المغرب من بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لاكتفى فيها بثنتين في ضمن ما اكتفى

«٣» استدللت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرباعية) زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شئ بعد الفاتحة .

ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا للزم ان تكون صلاتا الظهر والعصر غير واجبتين رأسا، لانه لاجهر فيهما أصلا

على ان الجهر وعدمه ليسا من الفروض التي لاتقوم الصلاة لا بها ، بل هما من الهيئات التي لاتختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لاتسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تتوقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عليه السلام « لاصلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب » ولا خلاف في ان مابعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الا كمل في الركعتين الاولبين من الصلوات الليلية ، وكونه الا كمل فيهما لايستدعي ان مابعدهما ليس واجبا .

«٤» استدللت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان تارة يزيد وتارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصليها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ماصلى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتعين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

ونقول ان العبادات كلها وفي جملتها الصلاة منشقة الى فرض محتوم ، ونفل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الادلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيا أن نسوق — ان شئت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لايكون فيه أقل وأكثر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عهدة التكليف فلا يتصور ان يكون مازاد عليهما واجبا ، والا لكان المقتصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لاتسلمه ، ولو كان الاكثر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب ؛ فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتعين ان يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) ان الركعتين هما الواجب الذي لايجوز للمسلم ان ينقص منه ، وان ما فوقهما فوق الواجب، وبعبارة أخرى انه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف ان الواجب عليه ركعتان فصلى أربعا شكرناه الخ) واذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان تعين ان يكون كل مازاد عليهما نفلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك ان تسمى سنة ولا علينا ان نسميها زيادة أو نفلا. بل الذي يهمنا ان هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (صرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) يجب ان تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفنا النظر أو لم نصرف اما سنة واما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص اذا سلمناها فهي لم تقع أصلا الا في الذي امتاز بأنه النفل، اذ المتنفل أو المتطوع له ان يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لايقوم به رأسا، مادام عمله في ذلك لمجرد اكتساب المثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم ان النبي عليه السلام كان تارة يزيد وتارة ينقص — في النافلة طبعا — قد نقلوا الينا نقلا متواترا لاشبهة فيه انه لم ينقص شيأ (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بانه الفرض المشروع، بل واظب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على اقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (الا فى خوف أو سفر) لان نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع الكل على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة — اذا لم يكن منها بد — يجب ان توجه الى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلازم في بعض الصلاة — أي النفل — حالة واحدة ، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص ، فدل ذلك — في جملة مادل — على انها ليست فرضا محتوما من الله ، وكونه لازم في بعضها — أي الفرض — حالة واحدة متقيدا بعدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه اذ صلى دائما في

المكتوبة (الا في خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعا، والمغرب ثلاثا، فدل ذلك — في جملة مادل — على انها القدر المفروض الذي لامفر شرعا منه ، ولا متنكب لمسلم عنه، مصححا هذا النقل بشهادة كل الأمة، توارثوه عنه عليه السلام جيلا بعد جيل ، وتناقلوه قبيلا بعد قبيل ،

باب التربية والتعليم

« خاتمة كتاب اميل القرن التاسع عشر »

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لونده فى ١٥ مايو سنة ١٨—

شهدت بالامس أيتها الحبيبة العزيزة عيدا أهليا أقامه الدكتور أراسم وزوجته احتفالا ببلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقا. كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتعاش جميع قلوب المدعوين ابتهاجا وسرورا وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده ومارأيته في حياتي أفصح مقالا منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن لازمان الحاضرة واقتضائها من المفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أؤدي اليك أثر هذا الخطاب الابوي الذي كانت مزيته الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء

وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الابصار نحو « أميل » وأنت قد استطعت منذ عوده من انكلترا أن تعرفي ماهو متحل به من ثبات الرأي وعلو الآداب وسعة المعارف فشكر لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي الحقير بعبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فبين الخطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع مافاه به صادر عن فكره المستقل

ثم تعاقبت الكؤوس وتوالت الانخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» الى والديه وآذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يعلمهما اياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين اذ سمعناه يقول بصوت قوي على مافيه من الاحتشام انه من الامس متفق مع دولوريس على التزوج بها

ثم أعقب هذا الاخبار ان انحنى امام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منكما استحسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجنتي الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينيها فلألأت بين أهدابهما السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء

لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها الا اكبابها على عنقه تقبله وقد كادت تختنق سرورا واغتباطا وأما إراسم فانه مع تأثره مثلها مما سمع من والده كان أملك منها لعواطفه . أجاب ولده بصوت ينبئ عن سكينته ووداعته فقال : «اذا كنت تحبها فهي ابنتي » ثم قبل هذه الفتاة الحسناء بصدر منشرح ونفس منبسطة

في خلال هذا المنظر المؤثر طرق البريد باب الشارع طرقتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة . كانت هذه الرسالة « لأميل » فاستأذن في فض ختامها لانه مالبث أن عرف في عنوانها خط قويدو وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة - انكليزية زنجي - فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الافريقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاءه كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته وانها ربما كفلت لها صداقها عند الزواج

اني على جذلي باغتباط أصدقائنا محزون اذ كرني في مفارقتهم لذا لان هذه الوليمة العيدية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعوهم اليها ماوقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم واني مشيعهم بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الاخيرة التى فاه بها عند مصافحتنا بصوت مملوء الوقار والهيبة وهي قوله: «على كل منا أن يسعى في جعل ولده رجلا حرا فاننا بذلك نجتث جراثيم الشرور المحزنة للامة... اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق للثالث والعشرين من شهر يوليه سنة ١٩٠٦ للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه كتابا مستقلا أسأله سبحانه التوفيق والهداية للرشد المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المكتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعها بين السطر التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها:

اذ قال: لكن لن يعدم المغلوبون سلاحاً فالذي يبقى من السلاح في أيدي الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية ولن تخضع الحكومة رعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع فى ليلة واحدة ان تسلب حقوقهم وأموالهم وتعدم من يسخطونها منهم وترهب انذالهم وتخدع جهالهم ولكن هيهات ان يكون هذا هو ظفرها النهائي بهم عنوة. لا اظفر بهم الامن ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم الامة الحرة وهي أمة المستقبل تزيد وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وستنتصر اذا تقوت بما تكتسبه من المعارف وبما يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور وبما تستفيده من القوى التي يختلسها العلم من الطبيعة

لاريب فى انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يؤدي عملا سياسياً فلا بد فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضيّ ولا من آرائي فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات أمته وانما عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تطعن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها بل لابد ان يثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظفر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبته اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لاتفي بمطالبها ولذلك التجأت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتهز من غيرتهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الاكتتاب في انشاء المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من أنفسهم بمثل هذه الاعمال فانه لايمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الغراس قد نما وأزهر فتجني أولادنا ثماره ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريباً انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكاناً عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى تخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامنية لان

الامة انتبهت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرته ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوربا ولا يصل الينا منها الا صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية فى الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاوربيين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام

ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمتنا لا يمكنها أن تعد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيأ من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشتغلون آناء الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم

هذا هو العمل الذى نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجاتنا وانه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالاجمال المقصود منه

(أولا) ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانيا) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على أي وجه كان

(ثالثا) ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجهيزي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلا أو آجلا ومن ضمن ماترمي اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون مشروعا جسيما جدا وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات لايتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن عمله وتقديم ماالحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد بمقدار مايفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى ضررا أن نؤجل الاشتغال بهذه الانواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لاوجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع مايتلقون منها

دروس تؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد .

(رابعا) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها مايتمم به كماله العلمي

(خامسا) أن جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم محفوفا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فتقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء اننا سنسعى جهدنا لتحقيقه واذا سعى كل سعينا فلا شك في نجاحه لانه لامعنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الا أن يتحد الكل و يعمل الكل فكل يأس يدعو الى الخيبة وكل آمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو الله أن يوفق لاتمامه غيرنا ممن وهب لهم همة أعلى وفكرا أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

و بعضهم وهم الاكثر يرون مشروعنا جزئيا ليس له من الاهمية ماكانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوته وان التدرج في الامور أقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير أضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع دائرته فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه ان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اه

(المنار) ان اللجنة التي اجتمعت لاول مرة في دار سعد باشا زغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وجعلت سعدا وكيل الرئيس الذي أرجئ انتخابه ثم إن سعدا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكنه لا يزال يساعد اللجنة وقد اختير قاسم بك أمين وكيلا للجنة بعده وهو قرينه في الهمة ، والمطلوب ان يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكل في نجاح العمل

آثار علمية أدبية

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

— ومسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمتفكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتنكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين ·

وسرني ان كاتبه لم يأب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلهذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب ·

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والطعن وليس كذلك وانما النقد هو التميز وكشف خوافي الشيء وتعرّف الجيد والرديء فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو رديء وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح ومالا يصلح · وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتبين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن ·

(*) كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلد المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كبعض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ نراه يعد" والخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه ·

وقد يكون الخطأ لا يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقتصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهري للذين ينادون على الازهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصى لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير ·

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لانني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو ابعد من هذا ولكنه بعد لا يعتد" به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها موجودة » وهذه عبارته (ص٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حماة · · · · ومرشدين · · · · ودعاة · · · وفي (ص ١٠) لا نعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتى يضع لهم العرف اسماً · · لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان «هذه الوظائف الثلاث موجودة» عند أهل كل دين من الاديان.

هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة «موجودة» «وغير موجودة» تناقضا صريحا لايحتمل التأويل ولايحتاج لاقامة دليل.

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعلم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته:

قال في (ص٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد فقليلا وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لايمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ.

وقال في (ص٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل.

ثم قال في (ص٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته فى الاختلال وكان على علاته بمصر خيرا منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والغرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالا واختلالا

ثم قال (فى ص٨٨) ولقد كانت الحالة العلميــة في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جدا

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص١١٣) أن المسلمين لاتوجد فضيلة توجد في أمة من الامم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الضوية نقضها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد نقضها بكتابه كله من أوله الى آخره لانه ناطق بتبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل مايشين هذه الامة المسكينة . أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعلم والارشاد والدعوة اصبحت معتلة مختلة فما ذا يصلح الفساد اذا فسد في الامة أهل هذه الوظائف — كما يقول — وهم الملح؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام؟ أما هو القائل (في ص ٤١): وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجد واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابك ياصاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسهبت فيها ولكن فتك النظر الى سرّ هذا الفقر الذي ذكرت . وسبب هذا التمزق الذي وصفت . وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب . ومن نتاج العيوب . وأبو الكل الجهل وكفى

— الرابع —

قوله (ص١٦٤) في علم التوحيد انه من العلوم المضرة وانه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص١٣٤) انه والفقه هما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ماعداهما من العلوم فانما هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التى ذكرناها لك علمت ان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعلم الفقه والتوحيد وليس غيرهما بينها من علوم المقاصد .

— الخامس —

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تفريط في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . ونقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظنها وقعت منه الا ذهولا ولئن أزعج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الانزعاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على مرارة الانتقاد فكانت علاجا لذهوله كان ذلك خيرا له من الاباء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التقريظ التي قد تضر بصحة النهى والله ولينا وبه الاستهداء وكنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قمعا لعادة النفس فمن شأنها الاباء على المذكرين

ومع هذه المناقضات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

— والثامن والتاسع —

كلها في قوله (ص٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) فقي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من المعاني التي يجزم كل أحد بها جزماً باتا عاما لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة به فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تنطوي عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكأنه لما رآها موجودة عند النصارى

ظن انها موجودة مع تينك الوظيفتين اللتين سماها عند أهل كل دين (٣) وفي تفريقه بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدّوا ما تحملوا يكونوا قد أرشدوا أودعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من الغاشين الوضاعين المفترين على الدين — كما وصفهم هو — والغش والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايهام الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأ لا نحصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثلة من الخطأ بل يكاد اذا ضممنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أوضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأة وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

— والرابع عشر —

(١) في قوله (ص٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد فقليلا وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله إن الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص٨٥ » ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و« ٥ » في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره .

قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المناقضات والآن نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ العجلة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الاتراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الاستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بغير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يغلب في ظن القاريء أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؟

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله رديء وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حالته في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال انه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن ما قاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً انما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفا لا ينبغ فيهم خمسة عشر طالبا في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فنطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الاتراك من خمسين سنة الى الآن . لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لا أغرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع . .

ربما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

العوجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي . على أنني مع هذا الانكار لا أدخل في انفاضلة بين ذكاء التركي والمصري وانما المناقشة بصدد طريقة التعليم لهذا وذاك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .

وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأنا واياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدهما المؤلف اللهم الا نفرا أكرمهم الله واختصهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ماينشأ الأقران ، فاقتطفوا شيئاً من ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فميزوا الصحيح من الفاسد ، والرابح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبنى عليه الاحكام العامة ، ولا تتم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام — ونرجو مثل ذلك لمصر — بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه القطعان وانما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الاستاذ أقل من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام يحترفون بالتجارة وينفرون من البطالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الازهر من النظافة وتراهم فلا يهولنك منهم التمييز بالعلامة كتوسيع الاكمام وتعظيم العمامة وجملة القول ان لا فرق بين البلدين الا بالازهر والتقلل من الحواشي في الشام واما التحصيل وعدمه فالمحصل في الشام كالمحصل في مصر لا يفضله ، والمقصر في الشام كالمقصر في مصر لا ينقص عنه ، والمحصلون قليل في البلدين ، والمقصرون فيهما هم الاكثرون .

واما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلعين على الأحوال فانبأونا بأن حال التعليم هناك كحاله في الشام حذو العين بالعين ، وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ، والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا لجملة من حملة العلوم هناك جملة من الكتب في جملة من فنون العلم فألفينا مارأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاريء انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالحال والمآل . (للانتقاد بقية)

ــ*ﷺ ديوان الرافعي ﷺ*ــ

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أي دهر مصر لا تتندم ... وفي أي دهر مصر لا تتظلم
بنوها بنوها أيما تك صدمة ... تقلبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى ... تعض بهم انيابه يتألموا
ويبطرهم عهد الرخاء فان مضى ... فسهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يعش ... يعذبه أهلوه والا ترحموا
وما برحوا إن خاذلتهم ظنونهم ... وأعمالهم مدّوا المنى وتوهموا
وان سقمت آراؤهم في ملمة ... تحامل فيها الظن والظن أسقم
فرادى وأحداث الزمان جميعة ... وقد علموا سرّ الزمان وعلموا
فمن حادث في حادث عند حادث ... كأنك للأحداث يامصر معجم

* * *

ومما يزيد الهم لهفا وحسرة ... تصايح فتيان بنا أن تقدموا
فسبحانك اللهم بلبلت قومنا ... فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري الى مرتقى العلا ... رجال ضعاف ان جروا يتحطموا
ويبغون ان نرقي وهاتيك حالنا ... وما عندنا الا لأسفل سلم
كمن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي ... يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أوقر السفن المتاع بمصنع ... ولما يتموها فكيف تعوّم

وقال من قصيدة غزلية

كم تجنى التي أحب وعندي ... أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأتني يدق ناقوس قلبي ... من جفاها كدقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما ... غشت الارض والسما هفواتي
أو ليس الظلام يعقبه الصبح ... وتمحى الآيات بالآيات
غير اني لو كانت الشهب أقلا ... مي وكان الظلام حبر دواتي

ووصفت الذي أقاسي من الحب وكان الوجود من صفحاتي
لانطوى السكون ثم أبصرت في آ خر أوراقه (البقية تاتي)

هذا واني لا أتكلم فى انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند النظم أو عند التنقيح في معاني الابيات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ لافي التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أبياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية ترجمها عن الفرنسية نقولا أفندي رزق الله مدير أعمال جريدتي الاهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب فكانت ثلاثة أجزاء. ومن قرأ القصة بإمعان واعتبار يرى فيها فائدتين احداهما سياسية وهي ماتمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس بلباس العدل والتفاني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذ اخلوا بأنفسهم لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والدسائس فجميع بطانة نابليون كانوا من الأشرار المفتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحادّين للأحرار والاخيار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية. وكانوا في مطاردتهم لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالدسائس والحيل والتزوير والختل وما أنسى لا أنسى ذلك الذى ألف كتابا في مفاسد القمار فأحسن مكافأته نابليون وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المؤلفات التي تطهر البلاد من هذا الفساد ولو صدق وأخلص لطهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا - وهكذا شأن الملوك واعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفائدة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى بجده وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخيا وفاضلا وفيا فحارب دسائس حزب العاهل العظيم حتى فاز بمراده، وثأر للمحسنين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك همة المستعد للاستقلال، حتى ينهض بجلائل الأعمال، وثمن القصة ثلاثون قرشا صحيحا

باب الأخبار والآراء

كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماظهر من اجلال الامة له حيا وميتا دون قدره).

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي: انني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم. وقال لما قرأت في الجرائد خبرموته (وكان في أوربا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة بفقده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته: اننا كنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل. وقال في موته: خسارة لا تعوض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده. وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فنرغب اليكم ان تعملوا عملا لترقية المسلمين في مصر فانهم لم يتعودوا الأعمال الاجتماعية. فقال اللورد اعملوا انتم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره. قال المصري انه ليس عندنا رجال يهمهم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها. فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقي: أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين: انه بالعكس متعصب للدين ولكن بعقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

علاه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤبنين عند القبر يكررون كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

دولتا الاسلام ، تركيا وايران

ياحسرة على المسلمين ، ما ذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثرهم عن مثاره غافلون، لم يكد تتمتع منهم الآذان ، بنغمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران، حتى صختها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزمها ، أو كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من بعض حتى لايتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة باردة له . والا فما لنا الآن ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا ولاعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالت السنون ولم ننل من الثائرين فيها منالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونخرّب بيوتنا بأيدينا

ياحسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين جاءته هذه البلايا، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البرآء ويبرئ الجناة الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هؤلاء مسلمو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تتحد عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٤٩ : ٩ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي

تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شورى بينهم لايستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله ان القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفريقين التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنة .

﴿ الامتحان في الجامع الأزهر ﴾

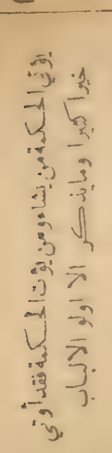
ألفت ادارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعا لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كبراء الشيوخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكرا نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الازهريين المنصفين يفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويقظته فله الشكر والثناء الحسن . ولعل ماسمعناه من أخبار التساهل وإعطاء الدرجات لافراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شاكرا يعني بتحقيق الحق في ذلك

﴿ أخبار نجد ﴾

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة . ونقول الآن أن الجوع برّح بأولئك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيغلونه على النار حتى تخف مرارته فيتبلغون به ولكن سمه يفعل في احشائهم فعله ومازال الجوع والعرى وسم الحنظل تفتك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم الى البصرة والباقين الى المدينة المنورة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿مصر – في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ – أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ

قال الاستاذ الامام في تفسير ﴿ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ﴾ مامثاله : يقال ان هذه الآية وما قبلها في تقرير التوحيد

سواء كان ردا على نصارى نجران أو كان كلاما مستقلا فإن التوحيد لما كان أهم ركن للاسلام كان مما تعرف البلاغة أن يبدأ فيه بتقرير الحق في نفسه ثم يؤتي ببيان حال أهل المناكرة والجحود ومناشيء اغترارهم بالباطل وأسباب استغنائهم عن ذلك الحق أو اشتغالهم عنه وأهمها الأموال والأولاد فهي تنبئهم هنا بأنها لاتغني عنهم في ذلك اليوم الذي لاريب فيه إذ يجمع الله فيه الناس ويحاسبهم بما عملوا بل ولا في أيام الدنيا لأن أهل الحق لابد أن يغلبوهم على أمرهم وما أحوج الكافرين الى هذا التذكير . إن الجحود إنما يقع من الناس للغرور بأنفسهم وتوهمهم الاستغناء عن الحق فان صاحب القوة والجاه اذا وعظ بالدين عند هضم حق من الحقوق لايؤثر فيه الوعظ ولكنه اذا رأى ان الحق له واحتاج الى الاحتجاج عليه بالدين فإنه ينقلب واعظا بعد أن كان جاحدا فهم لظلمة بصيرتهم وغرورهم بما أوتوا من مال وولد وجاه يتبعون الهوى فى الدين في كل حال .

ثم قال : فسر مفسرنا (الجلال) تغني بتدفع وهو خلاف ماعليه جمهور المفسرين وانما تغني هنا كيغني في قوله عز وجل (ان الظن لايغني من الحق شيئا) ولا أراك تقول ان معناها لن يدفع من الحق شيئا وانما معنى « من » هنا البدلية أي أن أموالهم وأولادهم لن تكون بدلا لهم من الله تعالى تغنيهم عنه فإنهم اذا تمادوا على باطلهم يغلبون على أمرهم فى الدنيا ويعذبون في الآخرة كما سيأتي في الآية التي تلي مابعد هذه بل توعدهم في هذه أيضا بقوله ﴿ وأولئك هم وقود النار ﴾ الوقود بالفتح (كصبور) ماتوقد به النار من حطب ونحوه قال الاستاذ الامام هنا أي أنهم سبب وجودها نار الآخرة كما أن الوقود سبب وجود النار في الدنيا أو أنهم مما توقد به ولا نبحث عن كيفية ذلك فانه من أمور الغيب التى تؤخذ بالتسليم (راجع تفسير « ٢ : ٢٤ وقودها الناس والحجارة » ففيه مزيد بيان)

ثم ذكر تعالى مثلا لهؤلاء الكافرين الذين استغنوا بما أوتوا فى الدنيا عن الحق فعارضوه وناهضوه حتى ظفر بهم فقال ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ بأن أهلكهم ونصر موسى على آل فرعون ومن قبله من الرسل على أممهم المكذبين ذلك بأنهم كانوا بكفرهم يفسدون

في الأرض ولا يصلحون فما أخذوا الا بذنوبهم وما نصر الرسل ومن آمن معهم إلا بصلاحهم وإصلاحهم فالله تعالى لايحابي ولا يظلم ﴿ والله شديد العقاب ﴾ على مستحقه اذ مضت سنته بأن يكون العقاب أثرا طبيعيا للذنوب والسيئات وأشدها الكفر وما تفرع عنه فليعتبر المخذولون ان كانوا يعقلون

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ﴾ قرأ حمزة والكسائي « سيغلبون ويحشرون » بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب هذا الكلام تأكيد لمضمون ماقبله أي قل يامحمد لهؤلاء المغرورين بحولهم وقوتهم المعتزين بأموالهم وأولادهم انكم ستغلبون في الدنيا وتعذبون في الآخرة . قال الاستاذ الامام : كان الكافرون يعتزون بأموالهم وأولادهم فتوعدهم الله تعالى و بين لهم أن الامر ليس بالكثرة والثروة و إنما هو بيده سبحانه وتعالى : أقول يشير الى مثل قوله تعالى (٣٤ : ٣٥ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ومانحن بمعذبين) وكانوا يرون أن كثرة أموالهم وأولادهم تنفعهم في الآخرة ان كان هناك آخرة كما تنفعهم في الدنيا وأنه تعالى يعطيهم فى الآخرة كما أعطاهم فى الدنيا كما حكاه عنهم فى قوله (١٩ : ٧٧ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ٧٨ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) الخ وكقوله في صاحب الجنة أي البستان (١٨ : ٢٥ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا ٢٦ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) وقد ردّ القرآن شبهتهم ودعواهم في غير ماموضع . أما غرورهم بأموالهم وأولادهم فى الدنيا وحسبانهم انهم يكونون بها غالبين أعزاء دائما فذلك معهود وشبهته ظاهرة وأما زعمهم انهم يكونون كذلك في الآخرة فهو منتهى الطغيان الذي بينه الله تعالى في قوله (٦٩ : ٦ إن الانسان ليطغى ٧ أن رآه استغنى) وقد أنفذ الله وعيده الأول في أولئك الكافرين فغلبوا في الدنيا . قيل ان الخطاب لليهود وقد غلبهم المسلمون فقتلوا بني قريظة الخائنين وأجلوا بني النضير المنافقين وفتحوا خيبر وقيل هو للمشركين وقد غلبهم المؤمنون يوم بدر وأتم الله نعمته بغلبهم يوم الفتح ولم تغن عن الفريقين أموالهم ولا أولادهم . وسينفذ وعيده بهم فى الآخرة فيحشرون الى جهنم وبئس المهاد

ما مهدوا لأنفسهم أو بئس المهاد جهنم . المهاد الفراش يقال مهد الرجل المهاد اذا بسطه و يقال مهد الأمر اذا هيأه وأعده وجعل بعضهم جملة « و بئس المهاد » محكية بالقول أي و يقال لهم بئس المهاد

﴿ قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا — فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ قرأ نافع و يعقوب « ترونهم » بتاء الخطاب والباقون بالياء . يقول تعالى قل يا محمد للمغرورين بأموالهم وأولادهم ، و بأعوانهم وأنصارهم، لا تغرنكم كثرة العدد ، ولا بما يأتي به الذل من المدد ، ولا تحسبوا أن هذا هو السبب ، الذي يفضي الى النصر والغلب ، فان في الاعتبار ببعض حوادث الزمان ، أوضح آية على بطلان هذا الحسبان، فذكر الفئتين أي الطائفتين اللتين التقتا في القتال، هو من قبيل المثال، والجمهور على أن الآية هي ما كان في وقعة بدر . وقال الاستاذ الامام : لا يبعد أن تكون الآية تشير الى وقعة بدر كما قال المفسر (الجلال) ويحتمل أن تكون اشارة الى وقائع أخرى قبل الاسلام ويرجح هذا اذا كان الخطاب لليهود فان في كتبهم مثل هذه العبرة كقصة طالوت وجالوت التى تقدمت في سورة البقرة (أقول أو قصة جدعون على ما عندهم من التحريف) ويرجح الاول اذا كان الخطاب لمشركي العرب وثبت أن نزول الآية كان بعد وقعة بدر . وقد كانت الفئة الكافرة فى بدر ثلاثة أضعاف المسلمة و يصح أن يكونوا مع ذلك رأوهم مثليهم فقط لأن الله قللهم فى أعينهم كما ورد فى سورة الانفال : أقول وهذا التصحيح مبني على القول بأن الرائين هم الفئة التي تقاتل فى سبيل الله وهي المؤمنة وان المرئيين هم الفئة الكافرة وعليه الجمهور وقيل ان الرائين والمرئيين هم المقاتلون فى سبيل الله فالمعنى أنهم يرون أنفسهم مثلي ما هم عليه عددا وقيل ان الرائين هم الكافرون والمرئيين هم المؤمنون أي أن الكافرين يرون المؤمنين على قلتهم مثليهم في العدد لما وقع في قلوبهم من الرعب والخوف . وقد حاول من قال بهذا تطبيقه على قوله تعالى فى خطاب أهل بدر (٨ : ٤٤ وإذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا و يقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور) فقال إن المؤمنين قللوا في أعين المشركين أولا فتجرءوا عليهم فلما التقوا كثرهم الله في أعينهم ولا يخفى ما فيه من التكلف

كل هذا على قراءة الجمهور وأما على قراءة نافع فالمعنى ترونهم أيها المخاطبون مثليهم وهي لاتنافي قراءة الجمهور وانما تفيد معنى آخر وهو أن المخاطبين كانوا يرون الكافرين مثلي المؤمنين. فاذا كان الخطاب لمشركي مكة فهو ظاهر لأنه كان منهم من رأى ذلك وعلم به الآخرون واذا كان لليهود فاليهود كانوا مشرفين أيضا بكل عناية على ماجرى ببدر وغير بدر من القتال بين المسلمين والمشركين على ان الكلام ليس نصاً في وقعة بدر واليهود قد شهدوا مثل ذلك في الماضي وقد علم أن القرآن يسند الى الحاضرين من الأمة عمل الغابرين لإفادة معنى الوحدة والتكافل وظهور أثر الأوائل فى الأواخر ورأوا مثله في زمن الخطاب في حربهم للمسلمين. وقوله تعالى رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم وهو ظاهر اذا كانت الرؤية بصرية وأما اذا كانت علمية اعتقادية كما ذهب اليه بعضهم فالمعنى على التشبيه أي تعلمون أنهم مثليهم علما مثل العلم برؤية العين.

وجملة القول ان الآية ترشد الى الاعتبار بمثل الوقعة المشار اليها التى غلبت فيها فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله ولذلك قال ﴿ ان فى ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ أي لأصحاب الأبصار الصحيحة التى استعملت فيما خلقت لأجله من التأمل في الامور بقصد الاستفادة منها الا من وصفوا بقوله « ٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » وقال بعض المفسرين ان الأبصار هنا بمعنى البصائر والعقول من باب المجاز وقال بعضهم يعني بأولي الابصار من أبصروا بأعينهم قتال الفئتين وماذكرته أظهر ولا أحفظ عن الاستاذ الامام في هذا شيئاً. وانما تكلم عن العبرة فقال مامثاله مبسوطا مزيدا فيه وجه العبرة أن هناك قوة فوق جميع القوى قد تؤيد الفئة القليلة فتغلب الكثيرة بإذن الله . وقد ورد في القرآن ما يمكن أن نفهم به سنته تعالى في مثل هذا التأييد لان القرآن يفسر بعضه بعضاً ويجب أخذه بجملته بل هذه الآية نفسها تهدي الى السر فى هذا النصر فانه قال « فئة تقاتل في سبيل الله » ومتى كان القتال في سبيل الله أي سبيل حماية الحق والدفاع عن الدين وأهله فان النفس تتوجه اليه بكل ما فيها من قوة وشعور ووجدان وما يمكنها من تدبير واستعداد

مع الثقة بان وراء قوتها معونة الله وتأييده . ومما يوضح ذلك قوله تعالى (٨ : ٤٥ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ٤٦ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ٤٧ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) أقول وهذا مما نزل في وقعة بدر التي قيل إن الآية التي نفسرها نزلت فيها وان كان عاماً في حكمه مطلقاً في عبارته . أمر الله تعالى المؤمنين بالثبات وبكثرة ذكره الذي يشد عزائمهم وينهض هممهم وبالطاعة له تعالى ولرسوله وكان هو القائد في تلك الواقعة - وطاعة القائد ركن من أركان الظفر - ونهاهم عن التنازع وأنذرهم عاقبته وهي الفشل وذهاب القوة وحذرهم أن يكونوا كأولئك المشركين من أهل مكة اذ خرجوا لقتال المسلمين لعلة البطر والطغيان ومراءاة الناس بقوتهم وعزهم وهم يصدون عن سبيل الله . فبهذه الأوامر والنواهي تعرف سنة الله في نصر الفئة القليلة على الكثيرة . وقال تعالى في هذه السورة أيضا (٨ : ٦٠ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)

أورد الاستاذ الامام الآية الاولى من الآيات التي ذكرناها آنفا وهذه الآية فقط ثم قال ولاشك أن المؤمنين قد امتثلوا أمر الله تعالى في كل ما أوصاهم به بقدر طاقتهم فاجتمع لهم الاستعداد والاعتقاد فكان المؤمن يقاتل ثابتاً واثقاً والكافر متزلزلا مائقاً ونصروا الله فنصرهم وفاء بوعده في قوله (٤٧ : ٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (٣٠ : ٤٧ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فالمؤمن من يشهد له بإيمانه القرآن وإيتاؤه ما وعد الله المؤمنين لا من يدعي الايمان بلسانه وأخلاقه وأعماله وحرمانه مما وعد الله المؤمنين تكذب دعواه . وغزوات الرسول وأصحابه شارحة لما ورد من الآيات في ذلك وناهيك بغزوة أحد فانهم لما خالفوا ما أمروا به نزل بهم ما نزل وهذا أكبر عبرة لمن بعدهم لو كانوا يعتبرون بالقرآن ولكنهم أعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما اختاروا لأنفسهم . ولو عادوا اليه واتحدوا فيه واعتصموا بحبله

لفازوا بالعز الدائم والسعادة الكبرى والسيادة العليا في الدنيا والاخرى

﴿ ١٣ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

لاتصال هذه الآية بما قبلها وجوه أحدها مبني على القول بأن بضعاً وثمانين آية من أول هذه الصورة نزلت في وفد نصارى نجران . روى أصحاب السير أن هذا الوفد كان ستين راكباً وأنهم دخلوا المسجد النبوي وعليهم ثياب الحبرات (١)وأردية الحرير وفي أصابعهم خواتم الذهب وطفقوا يصلون صلاتهم فأراد الناس منعهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « دعوهم » ثم عرضوا هديتهم عليه وهي بسط فيها تصاوير ومسوح فقبل المسوح دون البسط . ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة تشوفت نفوسهم الي الدنيا فنزلت الآية . كذا قال بعضهم وهو ما يذكره أهل السير ولا يخفى ضعفه وقال الاستاذ الامام ان رئيس وفد نجران ذكر فى حديثه مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه يمنعه من الاعتراف بأنه هو النبي المبشر به و بصدقه أن هرقل ملك الروم أكرم مثواه ومنعه وانه يسلبه ما أعطاه من مال وجاه اذا هو آمن . فبين تعالى أن ما زين للناس من حب الشهوات حتى صرفهم عن الحق لاخير فيه وقال الامام الرازي انا روينا أن أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لأخيه بأنه يعرف صدق محمد صلي الله عليه وسلم فى قوله الا أنه لا يقر بذلك خوفاً من أن يأخذ منه ملوك الروم المال والجاه . (قال) وروينا أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فبين في هذه الآية أن هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا باطلة وأن

(١) الحبرات جمع حبرة كعنبة وهي ثوب يمني مخطط ونجران بلد على سبع مراحل من مكة من جهة اليمن

الآخرة خير وأبقى اه

ومنها ما هو مبني على ان الآيات نزلت في تقرير أمر التوحيد وما يتبعه والاتصال على هذا الوجه أظهر فإنه بعد ما بين أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم التي أعرضوا عن الحق لأجلها بين وجه غرورهم بها للتحذير من جعلها آلة للغرور وترك الحق وللتذكير بأنه لا ينبغي أن تشغل الانسان عن الآخرة.

ومنها وهو المختار عن الاستاذ الامام أنه لما كان الكلام السابق يتضمن وعيد الكافرين جاء بعده بوعد المتقين وجعل له مقدمة بين فيها جميع أصول اللذات التي يتمتع بها الناس بحسب غرائزهم تمهيدا لتعظيم شأن ما بعدها من أمر الآخرة. أقول يعني أنه ليس المراد ذمها والتنفير عنها وانما المراد التحذير من أن تجعل هي غاية الحياة

والناس في قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ هم المكلفون لأن الكلام في إرشادهم فلا معنى للبحث في الاطفال هنا والشهوات جمع شهوة وهي انفعال النفس بالشعور بالحاجة الى ما تستلذه والمراد بها هنا المشتهيات على طريق المبالغة وهي شائعة الاستعمال يقال هذا الطعام شهوة فلان أي مشتهاه. ومعنى تزيين حبها لهم أن حبها مستحسن عندهم لا يرون فيه شيئاً (قبحاً) ولا غضاضة وقد يحب الانسان الشيء وهو يراه من الشين لا من الزين ومن الضار لا من النافع ويود لذلك لو لم يكن يحبه ومثل لذلك الامام الرازي بحب المسلم لبعض المحرمات ومثل له الاستاذ الامام بحب بعض الناس للدخان على تأذيه منه فكل من هذين المحبين يود لو انقلب حبه كرها وبغضاً ومن أحب شيئاً ولم يزين له يوشك أن يرجع عن حبه يوماً وأما من زين له حب الشيء فلا يكاد يرجع عنه لأن ذلك منتهى الحب وصاحبه لا يكاد يفطن لقبحه وضرره ان كان قبيحاً أو ضارا ولا يحب ان يرجع وان تأذى به قال المجنون

وقالوا لو تشاء سلوت عنها ... فقلت لهم وإني لا أشاء

ولذلك قال تعالى (٤٧ : ١٤ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) . وقد اختلف المفسرون في اسناد التزيين في هذا المقام

فأسنده بعضهم الى الشيطان لان حب الشهوات مذموم لاسيما وقد أطلقت هنا فدخل فيها المحرمات في رأيهم ولأن حب كثرة المال مذموم في الدين بحسب فهمهم له ولأنه سمى ذلك متاع الحياة الدنيا وهي مذمومة عندهم ولأنه فضل عليه ما أعده للمتقين يوم القيامة . ويؤثر هذا الاسناد عن الحسن البصري . وأسنده بعضهم الى الله تعالى لأنه تعالى أباح الزينة والطيبات وأنكر على من حرم ذلك بقوله (٧ : ٣٢ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فجعل اباحتها فى الدنيا غير منافية لنيلها في الآخرة ولأنها قد تكون وسائل للآخرة بتكثير النسل وكثرة الصدقات والمبرات والجهاد . وعزي هذا القول الى المعتزلة وقال بعض المعتزلة بالتفصيل فقسم الشهوات الى محمودة ومذمومة أو مباحة ومحرمة وقال ان الله زين القسم الاول والشيطان زين القسم الثاني . أقول وغفل الجميع عن كون الكلام فى طبيعة البشر وبيان حقيقة الأمر في نفسه لا فى جزئياته وأفراد وقائعه فالمراد أن الله تعالى أنشأ الناس على هذا وفطرهم عليه ومثل هذا لا يجوز اسناده الى الشيطان بحال وانما يسند اليه ما قد يعد من اسبابه كالوسوسة التي تزين للانسان عملا قبيحاً ولذلك لم يسند اليه القرآن الا تزيين الاعمال قال تعالى (٨ : ٤٨ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية وقال (٦ : ٤٣ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وأما الحقائق وطبائع الاشياء فلا تسند الا الى الخالق الحكيم الذي لا شريك له قال عز وجل (١٨ : ٧ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال (٦ : ١٠٨ كذلك زينا لكل أمة عملهم) فالكلام في الامم كلام في طبائع الاجتماع وفي هذا المعنى آيات أخرى

ثم بين المشتهيات التى يحبها الناس وحبها مزين لهم وله مكانة من نفوسهم بقوله ﴿ من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ﴾ فهذه ستة أنواع (أولها) النساء وحبهن لا يعلوه حب لشي آخر من متاع الحياة الدنيا فهن مطمح النظر وموضع الرغبة وسكن النفس ومنتهى الانس وعليهن ينفق أكثر ما يكسب الرجال فى كدهم وكدحهم فكم افتقر في

حبهن غني وكم استغنى بالسعي للحظوة عندهن فقير وكم ذل بعشقهن عزيز وكم ارتفع فى طلب قربهن وضيع . ولعل في القارئين من يحب أن يعرف كيف يغنى الفقير ويرتفع الوضيع بسبب حب النساء - اذا كان لا يوجد فيهم من يحتاج الى معرفة كيف يذل العاشق ويفتقر - فنقول ان من يحب ذات شرف ورفعة ويرى أنه لا سبيل الى الاقتران بها الا بتحصيل المال وتسنم غارب المعالي يوجه جميع قواه الى ذلك ولا يزال به حتى يناله . ولم يذكر حب النساء للرجال على ان حبهن لهم من نوع حبهم لهن ولكن الحب لا يبرّح بالنساء تبريحه بالرجال فالمرأة أقدر على ضبط حبها وكتمانه وضبط نفسها وحفظ مالها وانك لتسمع بأخبار المئين والالوف من الرجال الذين افتقروا أو احتقروا أو جنوا في حب النساء ولا تجد في مقابلتهم عشر نسوة قدمنين بمثل ذلك في حب الرجال . ثم ان الرجال هم القوامون على النساء لقوتهم وقدرتهم على الحماية والكسب فإسرافهم في الحب واستهتارهم في العشق له الأثر العظيم في شؤون الامة وفي اضاعة الحق أو حفظه . فإن قيل ان حب الولد أشد من حب المرأة فلماذا قدم ذكر النساء؟ أقول ان الامر ليس كذلك فان حب الولد - وان كان لا يزول وحب المرأة قد يزول - لا يعظم فيه الغلو والاسراف كحبها وكم من رجل جنى عشقه للمرأة على أولاده حتى أن كثيرا من الرجال الذين تزوجوا بأكثر من امرأة فعشقوا واحدة وملوا أخرى قد أهملوا تربية أولاد المملولة وحرموهم الرزق من حيث أفاضوا نصيبهم على أولاد المحبوبة وهذا من أسباب تحريم التزوج بأكثر من واحدة على من يخاف أن لا يعدل فكيف بمن يوقن بذلك ويعزم عليه . وكم من غني عزيز يعيش أولاده عيشة الفقراء الاذلاء لعشق والدهم لغير أمهم من نسائه وان ماتت أمهم ولم يكن للمعشوقة ولد وما هو الا محض التقرب وابتغاء الزلفى الى المرأة

أما السبب في كون حب الرجل للمرأة أقوى من حبها له فهو أن السبب الطبيعي لهذا الحب هو داعية النسل لا قصده والداعية في الرجل أقوى وأشد ولذلك تراه يشغل بها اذا بلغ سنها أكثر المرأة على كثرة شواغله الصارفة له عن ذلك وهو هو الذي يطلب المرأة ويبذل جهده وماله في سبيلها موطنا نفسه على ان يمونها ويصونها

ويتحمل أثقالها طول الحياة وما عليها هي الا القبول فان طلبت أجملت في الطلب وان شئت دليلا آخر على أن داعية النسل فيه أقوى فتأمل تجده مستعدا لها في كل حال طول عمره والمرأة تفقد هذا الاستعداد في زمن الحيض وبعد سن اليأس من الحيض الذي يكون غالبا من سن الخمسين الى الخامسة والخمسين فاذا قبلت المرأة الرجل بعد هذا كان قبولها اياه من باب التودد والعتبى أو إثارة الذكرى — ولا يدخل في السبب ماهو مسلم عند أكثر الرجال من كون النساء أوفر نصيبا من الحسن وقسما من القسامة والجمال فان هذه القضية المسلمة غير صحيحة فان الرجال أكمل وأجمل خلقا كما هي القاعدة في سائر الحيوان اذ نرى أن خلقة الذكر منها أجمل وأكمل من خلقة الانثى وكما نراه في الشيوخ والعجائز من الناس بل نرى الابيض القوقاسي يفضل خلقة رجال الزنوج على نسائهم لأنه قلما يشتهي الزنجيات في حال الاعتدال فمعظم حسن المرأة وجمالها انما جاء من زيادة حب الرجل اياها

فمن تأمل هذه المعاني والفروق في حب كل من الزوجين للآخر يسهل عليه أن يقول ان المراد بحب النساء حب الزوجية الذي يكون بين المرأة والرجل فذكر أقوى طرفيه لان قصد التمتع فيه أظهر، وأثره في الصرف عن الحق أو الاشتغال عن الآخرة أقوى ، وطوى الطرف الثاني وفعل مثل ذلك في النوع الثاني من الحب المزين للناس وهو حب الولد فكأن في الآية احتباكا وليس عندي في هذه المسألة بل ولا في الآية شيء عن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى الا ما سيأتي في حب الولد

(النوع الثاني حب البنين) أي الاولاد فاكتفى بذكر ما كان حبه أقوى والفتنة به أعظم على طريق التغليب . أو لدلالة ماحذف فيما قبله عليه كدلالته هو على ماحذف مما قبله على طريق الاحتباك أو شبه الاحتباك وأخر في الذكر عن حب النساء لما تقدم ولتأخره في الوجود اذ الأولاد من النساء . قلنا ان العلة الطبيعية لحب النساء أو الازواج هي داعية النسل فهذه الداعية تحدث في النفس ألما لا يحفز صاحبه الى الزواج . وأما حب الاولاد فيكاد يكون كحب النفس لا علة له غير ذاته الا أن نقول ان عاطفة رحمة الوالدين بالولد منذ يولد هي غير عاطفة حبهما له وهي علته . ولكن حكمة الخالق في حب الزوجية وحب

الولد واحدة وهي تسلسل النسل و بقاء النوع وهي حكمة مطردة في غير الناس من الاحياء . هـذا هو حب الولد من حيث هو ولد وقد يكون للولد محبات أخرى في قلوب الوالدين كالامل في نصرته ومعونته وحب الاعتزاز به وهذا مما يشاركهم فيه غيرهم وان كان يكون فيهم أقوى لان وجوه المحبة اذا تعددت يغذي بعضـها بعضاً الولد من حيث هو ولد يظهر في وقت ذهاب الامل في فائدته بأشد ممـا يظهر مع الأمل فيها كحال الصغر والمرض وقد قيل لبعض أصحاب الفطرة السليمة أي ولدك أحب اليك فقال صغيرهم حتى يكبر وغائبهم حتى يحضر ومريضهم حتى يبرأ

أما كون حب البنين أقوى والتمتع به أعظم فله أسباب (منها) الامل فى نصرة الذكر وكفالته عند الحاجة اليه في الضعف والكبر وقد قلنا آنفا ان الحب أنواع يغذي بعضها بعضاً (ومنها) كونه في عرف الناس عمود النسب الذي تتصل به سلسلة النسل ، ويبقى به ما يحرصون عليه من الذكر ، (ومنها) أنه يرجى به من الشرف مالا يرجى من الانثى كقيادة الجيش وزعامة القوم والنبوغ فى العلوم والاعمال (ومنها) مامضى به العرف من اعتبار نقص الانثى وخروجها عن الصيانة مجلبة لأكبر العار وتوقع ذلك أو تصور احتماله يذهب بشيء من غضاضة الحب فيلحقه الذبول، أو الذوى (ومنها) الشعور بأن الأنثى انمـا تربى لتنفصل من بيتها وعشيرتها وتتصـل ببيت آخر تكون عضوا من عشيرته فما ينفق عليها وما تعطاه يشبه الغرم وخدمة الغرباء . فمن تأمل هـذه الفروق الوجودية وان لم تكن كلها طبيعية ظهر له وجه تخصيص البنين بالذكر ووجه كمال التمتع بهم وكونهم هم الذين قد يغتر بهم الوالد حتى يستغني بهم أو يشتغل بهم وبالجمع لهم عن الحق وينسى الآخرة . على أن حب الوالدية الخالص للبنات قد يكون مساويا أو أقوى من حب البنين ولكن ما يغذيه ويقويه أقل فهو مثار للفتنة أيضاً كما قال تعالى (٦٤ : ١٥ إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فذكر الأولاد عامة ولذلك قلنا بأن تخصيص البنين بالذكر ليس للحصر

وقال الاستاذ الامام :لمحبة الولد طوران طور الصغر وهو حب ذاتي لهم لا

علة له ولا فكر فيه ولا عقل ولا رأي بل هو جنون فطري ورحمة ربانية عامة لجميع الحيوانات لا فرق فيها بين الانسان والهرة والطور الثاني حب معلول معه فكر وهو المراد بالآية وهو حب الأمل والرجاء بالولد ولذلك كان خاصاً بالبنين وإنما الحب على قدر الأمل فاذا خاب يضعف الحب ويرث وربما انقلب الى عداوة تستتبع التقاضي وطلب العقاب أو الغرامة كما يقع كثيرا : فرأيه أن لفظ البنين لا تغليب فيه ولا احتباك في مقابلة ما قبله وكأنه رأى أن في هذا تكلفاً لا حاجة اليه في العبرة

(النوع الرابع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة) أي كثرة المال وهو مما أودع في الغرائز وعلته أن المال وسيلة الى الرغائب ، وموصل الى الشهوات واللذائذ ، ورغائب الانسان غير محدودة ، وافراد لذائذه غير معدودة ، فهو لاستعداده الذي لا منتهى له يطلب الوسائل الى رغائب لا منتهى لها ، وهذه الرغائب يتولد بعضها من بعض

فما قضى أحد منها لبانته　　ولا انتهى أرب الا الى أرب

فلا جرم أن الانسان لا يستكثر المال مهما كثر بل ان كثرته ، هي التي تزيد فيه نهمته ، حتى انه لينسى أنه وسيلة لغيره فيجعل جمعه مقصدا يتفنن في طرقه كلما سلك طريقاً عن له من السلوك فيه طرق أخرى . قال صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب » رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

والتعبير بالقناطير المقنطرة يشعر بأن الكثرة هي التي تكون مظنة الافتتان لأنها تشغل بالتمتع بها القلب ، وتستغرق في تدبيرها الوقت ، حتى لا يكاد يبقى في قلب صاحبها منفذ للشعور بالحاجة الى غيرها من طلب الحق ونصرته في الدنيا ، والاستعداد لما أعده الله للمتقين في الاخرى ، وما بعث الله رسولا في أمة ، ولا مصلحاً في قوم ، الا وكان الاغنياء أول من كفر وعاند وأبى واستكبر ، وان مؤمني الاغنياء أقلهم عملا ، وأكثرهم زللا ، قال تعالى (٤٨ : ١١ سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا) وقال (٨ : ٢٨ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم) فقدم الفتنة بالاموال على الفتنة بالاهلين وكأنه انما أخر ذكر الاموال هنا عن ذكر النساء والبنين

لأن الكلام في طبيعة الحب لا في الاشتغال، والفتنة خاصة وحب النساء والبنين مقصد وحب المال وسيلة لا يجعله مقصداً الا من أعمته الفتنة عن الحقيقة ولو أردنا أن نخوض في شرح فتنة الناس بالمال وكيف تشغلهم عن حقوق الله وحقوق الامة والوطن وحقوق من يعاملهم بل وعن حقوق بيوتهم وعيالهم بل وعن حقوق أنفسهم على أنفسهم بما يثلمون شرفهم أو يقصرون في النفقة التي تليق بهم لأطلنا وخرجنا عن حد الوقوف عند بيان كون المال من متاع الحياة الدنيا بمقدار ما نفهم العبرة من الآية ونكون قد جعلنا الكلام في المال مقصدا كما جعله الاشحة من الاغنياء مقصدا . أما لفظ القنطار فمعناه العقدة المحكمة من المال وهو ما يعبر عنه التجار الآن بالصرّ أوالصرة هذا هوالاصل فيه عندي وسائر الاقوال في معناه ترجع اليه فمنها أنه المال الكثير بعضه على بعض ومنها أنه وزن اثنتي عشرة ألف أوقية وروي مرفوعاً عند ابن جرير أو ألف ومئتا أوقية وروي عن معاذ أو ألف دينار ومئتا دينار وروي عن أبي مرفوعاً وقال ابن عباس ثمانون ألف درهم كذا في المخصص وروي عنه غير ذلك وقال السدي مئة رطل من ذهب أو فضة وعن قتادة أنه مئة رطل من الذهب أو ٨٠ الفاً من الورق . وكأن كل هذا مما يطلق عليه لفظ القنطار باختلاف العرف ويشهد له ما قاله ابن سيده في المخصص في بعض الاقوال فيه اذ عزا القول بأنه الف مثقال من ذهب أو فضة الي البربر قال وهو بالسريانية ملء مسك ثور (أي جلده) ذهباً أو فضة . ولكنه ذكر أن أبا عبيد لم يقيده بالسريانية ونقل عن سيبويه : القنطار عربي وهو رباعي وقنطار مقنطر مكمل على المبالغة : اه وقيل المقنطرة المحكمة العقدة وقيل المضروبة من دنانير أودراهم وقيل المنضدة في وضعها وقيل المكنوزة ولا يزال الناس يختلفون في القنطار فهو في الشام مئة رطل برطلهم ورطلهم ٨٠٠ درهم في أكثر البلاد . وفي مصر مئة رطل برطلهم ورطلهم ١٤٤ درهماً

(النوع الرابع الخيل المسومة) ذهب بعضهم الى أن الخيل المسومة هي الراعية وهو مروي عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير والربيع وغيرهم وقيل هي المطهمة الحسان أو المعلمة بالالوان والشيات وقيل المرسلة على القوم . فالاول من مادة السوم

يقال سام الدابة رعاها وأسامها أرعاها وأخرجها الى المرعى ومثلها سوّمها عند هؤلاء وفي سورة النحل (١٦ : ١٠ ومنه شجر فيه تسيمون) قال ابن جرير ان سوّم بالتشديد غير مستفيض في كلامهم ورجح أن المسومة بمعنى المعلمة واستشهد له بقول النابغة

بسمر كالقداح مسوّمات عليها معشر أشباه جنّ

وقال ان معنى المطهمة والمعلمة والرائعة واحد . أقول وكل من الخيل الراعية التي تقتنى للتجارة والمطهمة التي تقتنيها الكبراء والاغنياء للمفاخرة من متاع الدنيا الذي يتنافس فيه ومن الناس من يغلو في حب الخيل حتى يفوق عنده كل حب وقال بعض المفسرين ان المسوّمة هنا هي التي ترصد للجهاد وهو قول لا يفيده اللفظ ولا يرضاه السياق

(النوع الخامس الانعام) وهي الابل والبقر عرابها وجواميسها والغنم ضأنها ومعزها . والانعام مال أهل البادية بها ثروتهم ، وفيها تكاثرهم وتفاخرهم ، ومنها معايشهم ومرافقهم ، ولعله أخرها عن ذكر الخيل المسومة لان من قدر على اقتناء الخيل المسومة يكون أوغل في التمتع لأنها من متاع الفضل والزيادة وما كل ذي أنعام يقدر على اقتناء الخيل المسومة ويضاهيه في التمتع بالدنيا والا فان الانعام أكثر نفعاً قال تعالى في السورة التي يعدد بها النعم على عباده بعد ذكر خلق الانسان (١٦ : ٥ والانعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ٦ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ٧ وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم ٨ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون)

(النوع السادس الحرث) أي الزرع والنبات نجمه وشجره على اختلاف أنواعه وهو قوام حياة الانسان والحيوان في البدو والحضر وانما جعله آخر الانواع في الذكر على انه أولها في شدة الحاجة اليه لانه لما كان الارتفاق به أعم كانت زينته في القلوب أقل فهو قلما يكون مانعا للانسان عن البحث عن الحق ونصره أوصادا عن الاستعداد للآخرة وان من النعم ماهو أعظم من نعمة الحرث وأعم وأشمل وهو الهواء الذي لا يستغني عنه الاحياء لحظة واحدة سواء منها النبات

والحيوان وهو لذلك لا فتنة من التمتع به وقلما يفكر الانسان بغبطته به أو حاجته اليه

ثم قال تعالى ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ أي ذلك الذي ذكر من الانواع الستة هو ما يستمتع به الناس في حياتهم الدنيا أي الأولى والله عنده حسن المرجع في الحياة الآخرة التي تكون بعد موت الناس و بعثهم فلا ينبغي لهم أن يجعلوا كل همهم في هذا المتاع القريب العاجل، بحيث يشغلهم عن الاستعداد لما هو خير منه في الآجل، كما سيأتي التصريح به في الآية التالية لهذه الآية

فقد علم مما شرحته ان الكلام فى هذه الشهوات بيان لما فطر عليه الناس من حبها وزينته في نفوسهم وتمهيد لتذكيرهم بما هو خير منها لا لبيان قبحها في نفسها كما يتوهم الجاهل فان الله تعالى ما فطر الناس على شيء قبيح بل خلقهم في أحسن تقويم ، ولا جعل دينه مخالفا لفطرته بل موافقا لها كما قال (٣٠ : ٣٠ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وكيف يكون حب النساء في أصل الفطرة مذموما وهو وسيلة اتمام حكمته تعالى فى بقاء النوع الى الاجل المسمى وهو من آياته تعالى الدالة على حكمته ورحمته كما قال (٣٠ : ٢٠ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وكان صلى الله عليه وسلم يحبهن . وكيف يكون حب المال مذموما لذاته والله تعالى قد جعل بذل المال وهو تعالى ينهى عن الاسراف والتبذير فى انفاقه كما ينهى عن البخل به وقد امتن على نبيه بأنه وجده عائلا أي فقيرا فأغناه وجعل المال قواما للامم ومعززا للدين ووسيلة لاقامة ركنين من أركانه ومن أعظم أسباب التقرب اليه تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ » رواه مسلم في صحيحه . ولا أراني في حاجة الى الكلام في حب البنين والخيل والانعام والحرث فان الشبهة فيها للغالين في الزهد أضعف . فعلى المؤمن المتقي ان لا يفتتن بهذه الشهوات و يجعلها أكبر همه والشاغل له عن آخرته فاذا اتقى ذلك واستمتع بها بالقصد والاعتدال والوقوف عند حدود الله تعالى فهو السعيد فى الدارين « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

باب الاصول والعقائد

فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ * (سورة الزمر — ٣٩ : ١٨)

اللهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين،

وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر ن يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تميز الى رشد وعقل لذلك جعل خطاب الرسل لهم فى كل طور على حسب استعدادهم نخاطبهم طوراً بما يناسب مدركات الحس ، وطورا بما يناسب وجدان النفس ، وحملهم أولا على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانياً بالاقناع وضرب الأمثال ، حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على صحة العقائد بآيات الله في الأنفس والآفاق ، وبين فوائد ما دعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الحرج والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين — هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لفسادهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهباً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالا لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الحنيفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عمن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه السورة (١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقال في سورة آل عمران (٣ : ١٠٣ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية أخرى منها (١٠٥ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠ : ٣٠ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وثم آيات أخرى في التنفير عن التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين ؟ هل ظلوا على البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخروا عليها صما وعميانا ؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله ؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعة تعادي الأخرى لمخالفتها اياها فى المذهب ، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب ؟

اذا كان الخلاف طبيعياً في البشر ، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم اذا تمادت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون فى كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤ : ٥٩ فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني فتفرقوا شيعاً كل شيعة تنتحل مذهباً تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولا يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فبما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه، واما خسرانهم الآخرة فبما ابتدع جماهيرهم في الدين، واتبعوا غير سبيل المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فآتاهم بطاعتهم ما سلبه من الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض — بين الاشاعرة والحنابلة بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية ... انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجـد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعـده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج يأجوج ومأجوج ويقول انهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هـذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا ايمان لهم ولا أيمان الا من حفظ الله من أفراد متفرقين يتحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وازالة الخلاف واعادة الاخوة الدينية الى ما كانت عليـه في أول نشأة الدين أو الى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعـداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الامام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عنـد الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثـل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن ان شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٢٣ : ٦٨ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالأمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلا ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانما هم المخلفون، «١١ : ١١٧ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مصلِحُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقلتهم أمسوا غرباء كما جا في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذ أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع ، ولا هدي يتبع ؛ فلا أثر لهم في الأمة فكأنهم ليسوا منها

أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكلتهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة ألقي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ·

ثم اشتد ضغط السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الي الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتنسمون ريح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ،

لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ماهو من انشائنا ومنها ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبينا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملا خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

فصل المقال في توسل الجهال

ألف الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتابًا جديدًا سماه (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال) واسمه يدل على مسماه وقد أحسن فيه ونصر السنة وخذل البدعة وقد طبع في هذه الايام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التلمساني الفاضل السلفي وانا نورد خاتمته على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامه الشيخ محمد طيب المكي في رسالته في التوحيد فانه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووفقه: الأمر انه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتبا على تصرف آخر كأن يخلق شيئا ويخلق بذلك شيئا آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بان الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذا بعموم قوله تعالى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وماملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المنهمكين في الاولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم تصرفا في العالم وأنهم يولون ويعزون ويذلون ... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيهما من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضا على المعتزلة اذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون مانعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ماثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك باني أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً — أمر ان لا تعبدوا الا اياه — قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم — فلا تدعوا مع الله أحدا — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال ياشيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين).

واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فأطاعه مطلقاً فان الله سمى ذلك المطيع عابدا لذلك المطاع ومتخذه ربا قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً - أرأيت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير الله ولا أن يدعوه وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله مكروها كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحيثية وسدا للذرائع لان الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع ضعفها فانها لا تفيد الاجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من المبتدعين انتهى.

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة ياشيخ عبد القادر شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند ابحاث شريفة

في هذا المقام لا نقدر على ايرادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت لولم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مادار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ماحصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف مايفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الالباب وهذه كتبهما قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحاكم بينهم بماوصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويعذرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلاتغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحدمن أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الارض منهم « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة على مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تامرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال ياعمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفى لفظ آخر فضرب على فخذي وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ الله به في النار ..

عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الانفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلااله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيع لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراني قال فى كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفى رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيها له بابراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اه

باب المقالات

الأمل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم ، اختص الله به الانسان ، ورفعه به على سائر الا كوان ، ليبلغ به المقام المحمود ، ويحوز ما أعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به . راجع نفسك ، واصغ لمناجاة سرك ، تجد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتمامها تجد مثل ذلك في كليتها كما هو فى آحادها تبتغي رفعة المكانة فى نفوس الأمم سواها . ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتمعا : ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا فى السبل ، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يضعف حرصه ، ولا ينقص ميله . يقطع شعابا ، و يعاني صعابا ، حتى يرقى ذروة المجد ، و يتسنم شاهق العزة ، ولو قام فى وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأيته يتململ و يتضجر كأنما يتقلب على

---

*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

الرمضاء لو سبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها فى طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الامر والنهي كل ينافس أهل طبقته فى أسباب الكرامة بينهم و يأنف من ضعته فيهم ويحرص على مايحله في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتابع سيره مادام حيا يخطر في بسيط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حد ولا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حدًا ليست بعده غاية . سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . يعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه، أوعند مسه والخوف من سلبه . أرأيت أن فقيراً ذا أسمال لايؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه أوقذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التى هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أوالاهانة مانقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشنت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعا عن الشرف أوطلبا للكرامة والمجد . جل شأن الله لايهنأ للانسان طعام ولا شراب ولا يلين له مضجع الا أن يلحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخارا أو ليحفظ ما آتاه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارب منه، آسف الفؤاد على ما قصر عنه.

ماهو المجد الذى يسعى اليه الانسان بالالهام الالهي ويخوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسؤدد وتذعن له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته وكلمة المتصلين به والمتحدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الاولى فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين . واها! تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الأمة حظها من السؤدد نعم وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الآحاد منها « ذلك تقدير العزيز العليم » . ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان همه أن يصعد الى عرش العزة و يرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم فضيلة وكمالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والإلهام الالهي وما أشد ما تحتمل النفوس في قضاء بعض الوطر مما يتصل به وما أعظم الحامل للأنفس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب و يقرب كل بعيد و يصغر كل عظيم و يلين كل خشن و يسليها عن جميع الآلام ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الأمل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهماء الكروب ، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات ، وحاكم قاهر للعزائم اذا اعترتها فترة ، ومستفز للهمم ان عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلمحهما الذهن تارة بعد أخرى و يعبر عنهما بليت لي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش واللهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبدل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه مايهجس بخاطره بدون أن يصيب تعبا أو يلاقي مشقة . انما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصحبه حمل للنفس على المكاره، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تغذ بنيل الارب فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلا عن المال الذي لا يقصد منه الا وقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمرا فطريا كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعيا للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكلٌّ طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملا تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير مايكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاحموا في الأعمال كما تزاحموا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في الهمم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخلتين الشريفتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤول الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكمون على أنفسهم بالحطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة ، فيأتون الدنايا ويتعاطون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول مايوجه اليهم من ذلك ايًّا كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بحاجات قبقبهم وذبذبهم ثم يالبتهم يكونون هملا وسوائب يرعون النبات ويتبعون مواقع الغيث ولكنهم وان تركوا

العمل لأنفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمال الحمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح فيها الجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرهما من الاعمال الشاقة ويدأبون بأشد مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثمرات كسبهم بأسرها محولة الى الذين سادوا عليهم بهممهم (هذا الذى يتجشمه الذليل في ذله من مشاق الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها) بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة فإن السائدين يشعرون بحكم البداهة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وايداعهم ما اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان فى الامم التي أدركها اليأس وسقطت في أيدي الاجانب ....

ونظن أن يوجد أقوام أخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم الآن ما لا تسام به السوائم الراعية وهم على القرب منا وليسوا ببعيد عنا .

عجبا كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس حتى لا تطلب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة طبيعيان في الانسان . بعد إمعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان أن جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله وليس فوق يده يد تمده بالمعونة أو تصده بالقهر فاذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الي قدرته فوجدها فانية، وقوته فرآها واهنة، فيعترف بوهنه، ويسكن الى عجزه، فييأس ويقنط، ويذل ويسفل، اعتقادا منه بأنه لا دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتي كانت قوة المانع أعظم من قوته فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدي . أما لو أيقن بان لهذا الكون مدبرا عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتغتال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن اليها فى أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكلما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يمل ولا يكل ولا تدركه السآمة لاعتقاده أن في قدرة مدبر الكون أن يقهر الأعزاء ويلقي قيادهم الى الاذلاء وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضعفاء من نواصي الاقوياء — وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار — فتشتد عزيمته و يدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الاولى والاخرة وما كان لموقن بالله و بقدرته وعزته وجبروته ان يقنط و ييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريبة فيها بما قال وهو أصدق القائلين « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » و بما حكى من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة .

لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله و بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضيم و يتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عظاما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بسيط الارض وان من الحق ان نقول ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، والفرص دائما تمد ايديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاول الا أن يجمعوا كلمتهم و يتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط و بين ايديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين ؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والغي فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقانطين فيهم من عذر ؟ أيرضون بالعبودية للاجانب بعد تلك السيادة العليا ؟ ماذا يبتغون من الحياة ان كانت في ذل واهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم؟ يطمئنون وهم بين اجنبي حاكم و بغيض شامت ومقبح غي ومشنع دني ومعير خسيس يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد و يحكمون بأن محالا عليهم أن يصيروا أمة في عداد الامم؟ اذا لم ينسلخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات أينسون انهم كانوا الاعلين في الارض وما طال على ذلك الزمان ، ولا محيت التواريخ ، ولا عفت الآثار ، ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه الارض ؟ ان كان للعامة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسعون في توحيد متفرق المسلمين؟ لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم؟ لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى ان قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم و يقوموا بتعضيدهم ليتمكن الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكونهم (*

وسبب ذلك

واعتصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولاَ تَفرَّقُوا

ان المسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثباتا على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين و يشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع و يعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان و يستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم و بعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم و بالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يغبر منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعرة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون . . . .

. . . .

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب و يدعو الى الحيرة و يسبق الى بيان السبب فخذ مجملا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الأنفس عليها حتى يصير مايعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ماينعكس الي مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا وكل فكر يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في الاجساد وكل قبيل هولاء آخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ماتبعث عليه الضرورات وتلجىء اليه الحاجات عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار و بعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذا يصرفه في آثارها بقية الاجل و يكون انبساط النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا مجرى الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعيا . فلوأهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ماعكن تلك الصلة و يؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه أوألجأته ضرورة الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكالها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ماهم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في تباطوءهم عن نصرة اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لا أنساب بينهم وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذلك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم و يعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لايبعث على النهوض لمعاضدته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف فى روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه فى الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل فى دين من الاديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكزخان وأولاده وتيمورلنك وأحفاده وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الى ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة وتبعث على اشتباك الوشيجة وصار ما في العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الآ نوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لايدعو الى حركة لتدارك النازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين مايتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع مايغشاها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين إلى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الغيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم فقد دارستهم التجارب ببيان لامزيد عليه وماهو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو مايخشى أن يمسها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

ــ*﴿ الرد على الشيخ بخيت = تابع لما فى الجزء التاسع ﴾*ــ

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم فى الجزء التاسع ان حديث جابر الذى استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافرا لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع انه كان يضع الحديث أي يختلقه وينسبه لى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمتابعة عبد الملك بن حبيب له لا يعتدبها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعته فاننا لا نحكم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتج به .

واما أكثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارته أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفا أو منكراً أو موضوعا فى نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين — كالمناوي والزبيدي بل والفاسي — ما يوهم الجاهل بالحديث ما يوهم . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا تجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعا وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما يتفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا تجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يغتر به أحد . وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق .
نعم انه يجوز عقلا ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفا بل أكثرهم كذبا ووضعاً مما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتج بها لاحتمال صدقه عقلا . واذا ظهر أن بعض ما رواه قد رواه غيره من الثقات فانما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول فى استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيتا لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسألتنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون على بينة في استنباطه والا فليقف عند ما قاله الفقهاء ولم يقل ان أحداً منهم قال ان الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافرا وانه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله اي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول وان طعن فيه أهل الحديث ما نصه : « وقد علمت ان حديث جابر الذي نحن بصدده قد تعددت طرقه وروي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكر في كثير من السنن وكتب الحديث كما مر وله شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة » اه

أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجرأة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع ان الحديث لم تتعدد طرقه بل هي طريق واحدة — وانه لم يرو عن أبي سعيد وانما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزع فهو لا يعد تقوية له فيه وانما تقوي الروايات بعضها بعضا فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد النهي عن إمامة الفاجر للمؤمن الا عند الخوف — وانه لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وانما ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي اما البيهقي فقد ذكره ليبين انه لا يحتج به واما ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له ما نصه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره والمشهور ان ما انفرد به يكون ضعيفا وليس بكلي لكن الغالب كذلك » ثم نقل ان السيوطي قال في حاشية النسائي نقلا عن غيره « ان ابن ماجه قد انفرد باخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الاحاديث وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم » ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب العلل لابي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحاح الستة لكن غالب المتأخرين على انه سادس الستة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظرتنا يعد مما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيحا البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط ايهامه قوة الحديث باخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي الى اثنين من الصحابة .

وأما قوله ان له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه باشتماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الامر بالتوبة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها وتهاونا أوجحدا لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن إمامه الفاجر للمؤمن كذلك .

أقول ان التدليس أو الايهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأييدا له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة اسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم فان من الاحاديث الموضوعة باتفاق المحدثين ما هو صحيح المعنى لموافقة معناه كله للكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا تجوز نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . هذا هو الحكم فيهما اذا كان معناهما كله صحيحا مؤيدا بما ذكر واما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقوي المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

مثاله أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وإياكم وشرب القهوة : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح معنى لانه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشتماله على الامر بالتقوى ؟ لا يباح ذلك فان موافقته لما ذكر بالأمر بالتقوى لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بخيت تأييد حديث جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي يأذن بالجمعة ويولي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشتمال حديث جابر على هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتملا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا فى حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطول لا حاجة اليه في موضع النزاع ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وانما نذكر من ذلك ماله علاقة بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة — أي ولو كان كافرا على حسب استنباطه — فعزاه الى الحنفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى « الى ذكر الله » اذ لا بد فى الذكر من ذاكر وهو من له ولاية الاقامة . ونقول اذا كان الشيخ بخيت مقلدا بحتا لهؤلاء الحنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم فماله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها من ولاية ولو لكافر يأذن بها وانه يجب ان يكون المصلي الذي يسعى اليه هو صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من الآية فاسعوا الى أداء هذه الصلاة التى نوديتم لها ؟ هل يقول الشيخ بخيت ان قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على انه يشترط في قراءة القرآن أذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء ؟ فان كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لابد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذى يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ماهو وصف من ينسب الى القرآن ماليس فيه وماهو جزاؤه ؟ ولعل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الحنفية لنعلم هل هو من طبقة مجتهديهم أم لا وانني أخشى ان يكون عزوه ذلك الى الحنفية كعزوه الحديث الى كتب السنن أو . . .

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالآثار الصحيحة مانصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفا أربع الى السلطان وذكر منها الجمعة والعيدين والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لادخل للرأي فيه » اه

أقول في فتح القدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل جهل صاحب الفتح وغيره من شراح الهداية ومحشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لادخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثا موقوفا وله حكم المرفوع واذاً لماذا سماه أثرا ؟ أم تعمد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئين لرسالته ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من المحدثين ليرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ لعله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو بالنقل عن البرق الوميض أو التلقي عن صاحبه الحافظ الكتاني الفاسي أو عن كتبه !!! ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ماذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتج به فان قصارى ما دل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لا أن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن السلاطين لاتنعقد ولا يقبلها الله تعالى الا اذا أذن بها السلطان وإن كان كافرا

ثم قال الشيخ بخيت بعد ماتقدم « وماقاله ابن المنذر مضت السنة ان الذى يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره وقال فى التلويح اذا قال الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام » اه

أقول السنة في الاصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات معروفة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتج به أم لا قيل يحتج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعادتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وإن كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبرة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لانه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم انه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لاسيما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بخيت بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالإمامة والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عندما كان عثمان محصورا ولم يروعن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أنها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يعتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذى هو موضوع بحثنا لا يحتج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط . لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » انما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحربيين الذين يمنعون المسلمين من اقامة الشعائر يكون له عذر

وههنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائر استخفافا بها أو جحودا لها فلا جمع الله شمله » الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما ؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليله أن الجمعة تؤدى بجمع عظيم والتقدم على الجمع يعد شرفا ولذلك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط ان يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتتميماً لأمر الجمعة ولنا ان نبطل هذه الشبهة التي جعلها دليلا معقولا بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لاسيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيرا وكما هو المطلوب شرعاً لاسيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لتلافاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشتهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردءا دون صلاة الجمعة مانعا من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلا الوصول الى اذن من القيصر باقامة الجمعة فأي فتنة تحذر من اتفاقهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الامر الثالث مما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها أو تهاونا أو جحدا لها فلا نبحث فيه وان كان فيما قاله بحث لانه ليس من موضوعنا في شيء

وأما الامر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخيت فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التى أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بانه لا دليل في الباب سواه أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان اذاً مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الامر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه « والمراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابلته بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقا . . . ويحتمل أن يراد به ماهو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمنكم ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا نطيل فيه ولا نتكلم عن هذه الاحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالاعرابي من يسكن البوادي وان كان ورعاً زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومنافقيهم أشد كفرا ونفاقا وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوسل بذلك الى قوله « ولكن المعترض قد أبى الا أن يكون جميع الأعراب قسما واحدا وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفا في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله » اهـ !!

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والتتار والعجم وسائر بلاد المسلمين الى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لعلهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة الى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة للمال والوقت لأن منتهى العلم فيه ايراد الاحتمالات في الضروريات والبديهيات ، اتفقت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقه على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بخيت المستنبط الأزهري الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى . أليس هذا العلم أو الجهل مما يصدق عليه قول الجاحظ انه لايصل اليه أحد الا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار أوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعاريب » وقال شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لانه (لا واحد له) كما في الصحاح وهو نص كلام سيبويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب » ثم قال « وحكي الأزهري رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن فصيحا وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد الكلأ وتتبع مساقط الغيث وسواء كان من العرب أومن مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب والأعرابي اذا قيل له ياعربي فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له ياأعرابي غضب فمن نزل البادية أوجاور البادين فظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء. وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لارغبة في الاسلام فسماهم الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهري والذي لايفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله فى هذه الآية وهو لايميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعما ورعوا مساقط الغيث بعد ما كانوا حاضرة أومهاجرة قيل قد تعربوا أي صاروا أعرابا بعد ماكانوا عربا وفي الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة » اه

أقول وإذا رجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بخيت ما قال، لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساما منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الاعراب والبدو ويصير من أهل الحضارة . فقول الشيخ بخيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن البوادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الاولى في الامامة في الصلاة بالتقدم عملا بعموم الاحاديث الواردة بتقديم الاقرأ ثم الاعلم مطلقا » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون العلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل ما هم . اما اللغة والتفسير والحديث فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطلع عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا — كأن ألمّ المهاجر بالبادية أوجاء البدوي المدينة لحاجة — يقدم الاعرابي فى الامامة على المهاجر بعلمه وقراءته وفقهه، لان القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟؟ اللهم ان احتمالات أكثر الازهريين لا يحتملها عقل غيرهم من عبادك وان من احتمالات الشيخ بخيت ما لا يكاد يحتمله عقل أحد من الازهريين ، حتى يوافقوه على زعمه اننا خالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو المخالف لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،   (للرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء أمده الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد من بعده ،

سعد حظي أيدكم الله بما أمتننتم به عليّ من اعتباركم لي مشتركا في مجلتكم التي تقشع بمظهرها سحاب الضلال ، والبدع التي أحدقت بالأمة ذات اليمين وذات الشمال ، والخرافات التي انصبغت بصبغة الدين ، والأوهام التي لعبت بعقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ همتك لارشاد أمتك فأوضح للساري بمنارك المحجة « ومن يهد الله فما له من مضل » سيما وقد شفعت ذلك بفتح باب الاسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة للأمة ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الاخيرة قصدا لأداء صلاة العشاء مع الجماعة فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتفعة وقد رجت الارض رجا فحسبت أن أبخرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثر لغط القوم على ما أعرفه عنهم عند حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كثيرا من نوع الانسان ينيف على الخمسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصبب جبينه عرقا فعلمت أن رجة الارض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعادا علي السؤال : كيف يسمى فى جنون من عقل ؟ فقلت وأنى لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لما فكروا فى مثل هذا وتجرءوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴾ وهذا ان لم يكن لهؤلاء المجانين شغل تعجل منفعته، والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا ، وليستعدوا للعذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصارا ،

ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم ليت شعري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترديدهم كلمة التوحيد؟ ان نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدفين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يتلونها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدانية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالف فى ذلك أقوام ،بنوا مذهبهم على الخرفات والأوهام ،والعمل برأي ليست في الحقيقة الا أضغاث أحلام ،سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف «تنزه عن المكان» فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ،ولم يكافحنا بمثل هذا المقال، فان كلام الأولياء لا تصل اليه الأفكار ،ولا تتوجه نحو إدراك حقيقته الأنظار، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرائرهم ،وقال سبحانك أعوذ بك من هؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن تردد ما لا تفهم ثم أعرضت عنه فلاطفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ،فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

ولعلي أطلت ذيل المقال ، فى الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فليسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ماهذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع «أر بعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا » وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال : أين أنت ياقطب مكناس والجرس الا كبر بديوان الصالحين والغوث المتصرف فى السماوات والارض مزق هذا المعترض كل ممزق : فقلت أنتم وايم الله تشركون من حيث لاتشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم وما القطب والجرس والغوث الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاما لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

تزعمون انكم مسلمون وقد دعوتم غير الله تعالى

تزعمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان. أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فرددوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت ببركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العبث والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية وان زعمتم انها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله مالاتعلمون

سيدي هل في كلماتي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي ان يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقين سلاما ، وتحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والخلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الاخيرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المتكلم ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل وانما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتقاد العامة علمهم وصلاحهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التى تتوكأ في بدعها عليهم وهم يتحرون رضاها لما لهم من الفائدة فى ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ماهو دونها بالتدريج ولكل مقام مقال وانما يخاطب الناس على قدر عقولهم فعسى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة فى كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقيه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة فى نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يعيشون بأكل السحت ومخادعة العوام قلما يسمعون أو يعقلون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التى تقنع مقلديهم بفساد حالتهم ،

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفنت – فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الغراء

أقدم وافر احترامي لجنابكم ثم اتجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتي منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلا لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

لقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتكم الغراء فرأيت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضوءا يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (إقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع مطبعة مجلتكم الغراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل ألى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ؟ ألتمس بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الاصوب مع قبول وافر احترامي م ؟

(ج) ما من عالم ولا إمام إلا و يقول أقوالا ثم يرجع عنها لأن غير المعصوم لا يحيط بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك انه كان يبكي قبل موته لأن أناسا أخذوا عنه أقوالا فى الدين رجع عنها بعد ذلك. إذاً لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولا ثم رجع عنه. والعمدة في بيان رأيه مطلقا أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد يعد تفصيلا لما نقل عنه فى الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر. ولا يخفى أن كلا من تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليسا من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشيء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبعده. وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك فى رسالة ثم قرأته عليه ونقحته باشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه. وانما يرجح ما كتبه في تفسير جزء عم اذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما ان الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيهما أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعد ما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :

« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق — الى قوله — علم الانسان مالم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعا وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه انما نزل بعد شيوع خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لايذائه عليه السلام. ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها» اهقوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى ان هذا يتفق مع ماجاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولا من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها. ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجح الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريبا فى حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لاتفق ذلك مع ماتقدم ذكره نقلا عنه وكتابه منه

هذا وإن هذه الآيات من أول سورة العلق ينحصر معناها في جعل النبي الأمي قارئا بقدرة من خلق الانسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فاذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمتثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولا كما أنها في أوله وضعاو ترتيبا ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وان كان أمر تكوين لا تكليف اذ أمر التكوين هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفصل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند مانطبعه مع الجزء الأل من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء و بدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معا لأن في الأول اختصارا في بعض الآيات وقد زاد الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار بقلمه قبل وفاته بزمن قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين افندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلتكم الغراء التي أفادت الناطقين بالضاد قاطبة لاستمدّ من نور معارفكم ماخفيت عني حقيقته :

كنت أطالع بعض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلعم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الاعين » فاعتراني وهم لعدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح: هل للعين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنقشع عني غياهب الجهل والوهم واهتدي الى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفاً .

(ج) اعلم أولا ان ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لايعد من أمور الدين التي يبلغها عن الله تعالى وانما يعد من الرأي وعصمة الانبياء لاتشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمي العلماء أمر

النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمور دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحيانًا فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقعتي بدر وأحد فاذا رأيت حديثًا في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرعك ذلك ولا تظنّ ان في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعنًا في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وان كان كلامه فيها قليلا لانه جاء لما هو أهم وأعظم

وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حق ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الامم والاجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر انني رأيته في شيء من كتب الحديث المعتمدة ومعناه أن تأثير العين كتأثير السم لأن في العين سما ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحسية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير التثاؤب فاننا نرى كثيرا من الناس يتثاءب لنحو نعاس فلا يلبث أن يتثاءب من بجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فانك ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتعد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لانه يكون اذا أراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفًا عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لانه يحصل بعد النظر الى الشيء وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبته الى النفس . ومن المصائب ان سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل ما لا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لعلمهم وتقاليدهم فالحريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلا والآخرون يظلون في ريبهم يترددون

آثار علمية أدبية

تتمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم اللسانية والدينية ووصف من كتبها وعلمائها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير . واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارئ اننا ذكرنا له نموذجا من عباراته المملوءة غلطاً فنوجز من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطأه بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فعده مرّة من العلوم الضارة ومرة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد أتاه هذا من انه لم يفرّق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرّقا بينهما . فعلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشاعرة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنحائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا وناقشه فيه .

لا أنقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لما أسلفت من الاعتذار فليعلم القارئ إجمالا ان الكاتب بالغ في الحملة على علم الكلام والمتكلمين وافاضت عليه الخطابة ما أفاضت فصوّر مسائل هذا العلم بصورة معاول لهدم الدين وصور أهله قوماً نشيطين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا فاضت على قريحة تكبّر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وسامعيه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارئ الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله .

إن الدين كما يعرف العارفون — ولا أقول كل أحد — هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول انها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور انها نقلت كلها نقلا متواتراً على اختلاف في قراءتها وان هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دفتيها كل ما قال الله لرسوله وأما الاقوال الاخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين — والحمد لله — في ان ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض ونفرض ان كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وان الرسول (ص) قال ما اسنده اليه المسندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول ان هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لان في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية وللكلام أساليب وفنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلا أو رجالا لتعيين مراده فالاختلاف وقع لانه لا بد من وقوعه والمنصف اذا زعم انه ظفر بالحقيقة لا يسوّغ لنفسه ان يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص مافهموا وأكثرهم لم يسمعوا أكثرها ولم يكن في وقتهم فراغ الا لاقامة ما أمروا أن يقيموه بل كان النبي (ص) اذا رأى فيهم تشوفاً الى البحث ينهاهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الاشياء فوقع البحث فيها قبل ان تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون انه لم يبتدع علم الكلام الا بعد ان ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بمقدار ما سمح الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن ان البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . واذا جاز لنا ان نقول ان أهل هذا العلم أخطأوا في كل ماذهبوا اليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول انهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لان الحاظر على رجل وظيفة عقله وطبيعة فكره كالحاظر عليه وظيفة سمعه وبصره وطبيعة حسه واذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاتب عليه العلم .

ماذا صنع المتكلمون . رأوا ان صفات الله التي نقلت اليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثله شيء »ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتنا وأعضائنا ضرورة انها لا تخلو من معنى فلتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللغة . . وربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بارادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلا وخضوا في بحرها فلم يجدوا ساحلا سار هذا مشرقاً وسار ذاك مغرباً وكلهم يلتمسون الخلاص من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريده فاذا أراده وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرده فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون؟رأوا ان النبي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذى سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتنزه الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجوه اليه ناظرة يوم القيامة فلتمسوا لنظر الوجوه اليه معنى يليق بتنزهه عن ان تدركه الابصار .

ماذا صنع المتكلمون ؟رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تتداخل في جسوم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزاء واقع فاختلفوا هل تجازى الارواح وحدها أو تركب الارواح في أجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التى كانت الجسوم تتركب منها على تداخلها في جسوم متعددة .

نحن قلنا إن المتكلمين رأوا ما رأوا مما وصفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العلم الذين يرجع اليهم

— الخطأ السادس عشر —

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يطعنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل » ونحن لا نحاسبه هنا على خطأه في الايهام بانه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لاممهم وما أجابهم الامم به فاننا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريء أنى ساح في فدافد هذا الكتاب القاصية . كلا فان المحاسبة على هذا في كل موضع تضيع علينا وقتاً هو أثمن من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالفي الرسل ومكذبيهم لم يكونوا يطعنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حينما يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تعترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للاصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلا ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان به أكثر من أن يستوفيها كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون » الخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعتراضات الامم على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الاوثان — ولم يجيء الرسل كلهم الا لها — أشهر من ان تذكر فمنهم قوم نوح « وقالوا لاتذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين » الخ ومنهم قوم شعيب « قالوا ياشعيب اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد أباؤنا أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات قريش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها لانا لا نظن المؤلف نسيها

واعتراضات الامم على ما كلفهم به رسلهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الشر كغصب الاموال واكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان نفعل فى أموالنا مانشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا»

فماذا بقي من أقسام الشرائع مما لم تعترض الامم به على رسلها وأيّ رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جملة أزدرائهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟

ــ كلامه في أصول الفقه ــ

ــ الخطأ السابع عشر والثامن عشر ــ

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وانما نعدله خطأين في النتيجة وهما (١) ان علم أصول الفقه انما يحتاج اليه المجتهد فقط و(٢) انه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد ان المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم ان يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه انه غير صحيح بدليل انه حصر الفائدة كلها في تعلم العربية والفقه ولم ينه عن علم الحديث

فماذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث فتمرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا ان يحفظوه من فروع الفقه .. أنا لا أقول ان التقيد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول ان تعلم هؤلاء المقلدين لاصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلازمهم بملازمتهم للفروع وحدها .

ــ الخطأ التاسع عشر ــ

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه ان المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص١٣٣) اننا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .

ــ الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون ــ

يحض المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقيد بمذهب من المذاهب الاربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكره ــ كما نكره ــ هذه الكتب التي للمتوسطين

والمتأخرين ويحب — كما نحب — تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكنا رأيناه يخطئ في ثلاثة أشياء (١) في تنويهه بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سموا بالأئمة كانوا يكثرون من الرجوع عما يفتون به وأن الدين يكره تعظيم الاحبار الى هذه الدرجة وهو ان تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الرب الاعلى كان ينسخ بعض شرائعه ببعض. و(٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها على التعب في ورود الشريعة من مواردها و(٣) في ترجيحه التقييد والاغلال التي كانت للعلم على فكه واطلاقه وهو يعرف ان من محاسن ديننا الشريف رفع الآصار والاغلال

ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيف فنفر كما ينفر الظبي في الفلاة رأى شبحاً مخيفاً.. تراءى للمؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فسأبين له ولغيره هنا ان هذا الحذر ليس في موضعه.

ان الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و(٢) العبادة و(٣) الاحكام القضائية و(٤) الآداب. أما العقيدة فمهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانه لا يجوز الحظر فيه وانما وظيفتنا فيه ان نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وان نتناظر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتمل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيما صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا ان لا يزيدوا على خلاف الأئمة اذا اتقوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لانفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزونهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط وللعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل. وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثلها القضاة والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختارت الحكومات جماعات من صالحي العلماء يجمعون لهم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه كحكم كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم. وأما الآداب فالمعروف بين والمنكر بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس يرجع فيها الى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع..

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له لاثمرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيما وقعوا فيه حين قلدهم والصحيح ان لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطنينا المسيحيين أكثر نشاطاً منا في تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ماقصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في ان خلوّ الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته . و(٣) في ان ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يعيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فعجبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصدده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلمي مايعطيه الخطباء والشعراء لالسنتهم وأقلامهم لابكيت السامعين في رثائي لهذه الامة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها ياأيها الاخ لا تهيء للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثنتي عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كلما عبروا عنها

ويعرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوربا ويعرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين فترى ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم يمنعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تعيقه ·

لو ناقشت علي ماوراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تجشم نفسك التعب انه لا يعاب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يعاب باصراره على جهله ومكابرته في أوضح الواضحات

اما تحامل المؤلف على الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نعده مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة وليس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هو شيء متعمد — نجده يعد من اغلاطه الكبرى ادخاله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل الفنون العصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد أدخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم نجده يقول انه كان ذا تفريط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله ايضاً قضى حياته باحيائها) ثم نجده يقول فيه انه كان يحابي باعطاء الشهادات لغاية في نفسه لان الغاية عنده تبرر الواسطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابغة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فعسى ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه ·

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون — والتاسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الأزهر والحالة هذه تعظيماً مملوءاً بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم نجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكده في الهند بل هو خير منها كلها · و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرحال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية و(٤) ان لنا فيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا اخطأ .

اما ان الازهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وانما بني الازهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القذارة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره واما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحشر الناس على الصورة المعهودة في الازهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه على ان مسجد الفاتح يفضله بهذا المعنى ايضاً مع تنزهه عن القذارة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم افهمه !!! واما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم افقهه !! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية فلم ادركه !!! واما انه قبلة الآمال ومحط الرحال وان لنا فيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم اعرفه !!!

ابشروا أيها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فان الازهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصعيد يعرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فأن هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها ستزحزح عنكم ما تكرهون وتأتيكم بكل ما تحبون !!!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها لقلة الفائدة من ذكرها في جملتها حملاته على المدارس النظامية وعلى اساتذتها وتلاميذها معاً ولا نتعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فاننا نترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معاثر الفهم ومزالق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين　　عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين　　من به الله أعز المسلمين
فقووا حتى أذلوا المشركين

واذا نار أضاءت سحرا　　قال ياأسلم قم ماذا أرى
علهم ركب يريدون القرى　　فخرجنا وهو كالسهم انبرى
ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت　　قدرها بين عيال أعولت
ثم حيينا فردت واستوت　　قال هل أدنو فقالت ان أردت
فبخير أودع القلب الحزين

قال مابال العيال تصرخ　　قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبية اني أطبخ　　علهم من بعد ذا ان يفرخوا (١)
وينامو احول قدري جائعين

يالنار أضرمت في الاضلع　　أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاصلع　　هاأنا من فرط جوعي لاعي
بين نوح وصياح وانين

قال ياأماه من أدريـ عمر　　بك قالت ذاك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يستقر　　ينبري للناس في قر وحر
يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

---

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمأن

وَيْ لعمري كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
من سهاعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
انما هذا جزاء الغافلين
ولقد أصغى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو الى دار الدقيق
وأتى منها بدهن وطحين
ثم قال آحمل عليَّ قلت ويْ بل انا أحمل قال احمل عليَّ
قلت عفوا قال هل منكم فتيْ يحمل الاوزار عني ياأخي
يوم يؤتى بي لرب العالمين
وسرى الفاروق خوف النقمة في الدجى يحمل قوت الصبية
وهو ممن بشروا بالجنة لايرى في حمله من حطة
بل قياما بحقوق المسلمين
فمضى بي مسرعا نحو الصغار فأتيناهم وهم في الانتظار
ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعار مالهم منها قرار
ورأونا فاشرأبوا قائمين
قالت الامّ اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
* ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا
في كتاب الله بالنص المبين
فدنا منها برفق وابتسام ودموع العين منها في انسجام
قال قومي هيئي هذا الطعام معنا ان اليتامى لاتنام
بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقعته صوب المطر
فلقد أبصرت أسلاك الشرر تلفح اللحية منه بالسحر
وهو مهتم بانضاج العجين

قالت الام وقد رمنا القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يارعاك الله ياساري الظلام تحمل الاقوات للغرثى الصيام
أنت أولى من أمير المؤمنين

قال اي يرحمك الله اعدلي واذكري خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الامير فادخلي تجديني قاعدا في المنزل
وعليّ الجد في ماتطلبين

وتنحى عنهم مستترا رابضا مربض آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا
شاكراً لله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرهم قارس الجوع بل استعبرهم
ولذا أحببت ان أبصرهم في سرور وكذا غادرهم
فلقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عبيد الامة لاغرانيق العلى والعزة
مزجوا شدتهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة
ومضوا شرقا وغربا فاتحين

(محمد نجيب الغرابلي)
بمدرسة الحقوق

السمير المفيد . في شرح المواليد

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد الصيدلي الكيماوي لمستشفى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعا معاً في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية لتعليم هذا الفن بسهولته وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لايخلو من الفوائد الأدبية كبيانه عند ذكر البوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أود لولفت الاذهان عند ذكر مافي هذه المخلوقات من الحكم والاسرار الى انها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لكان كتابه أنفع من كتب العقائد المتداولة وجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة النافعة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيرا من نسخه و ينتظر ان تبتاع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لاتجد مثل هذا الكتاب في فنه . واننا نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم

للشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالمدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وماينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالعها يتغذى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجونها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثنتين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيه في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان أخلص صاحبها وصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فعسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي الساسي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فعسى أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستورا يتبع في اختيار من يؤهل للتوظف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرءوساً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بالقراءة فيه وتدبره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته عثر على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كمبردج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فنسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لايستغنى عنها فنشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهر العظمة والفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكثرها فكاهة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يتيح لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاءه حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا — والقدر لما يسعدنا على ذلك — الا أن ننوه بالكتاب ونثني على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى علي بك أبو الفتوح المفتش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فاذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الغارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاة ويجعلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الخراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاة بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث يناط كثير من الامور باجتهاده ويوكل الى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الاخير يوافق الشريعة الاسلامية فى أكثر أحكامها الجنائية فعسى أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قررته الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج الى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ أقله . وفي الرسالة فوائد أخرى لا يحيط بها الا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب «دافد وطسن راني» بلغته الانكليزية وترجمه بالعربية نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحجاز ليعلموا كيف ارتقت هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المنتبذة في أقاصي البحار نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول ويذل الأمم وكيف يسود الناس بالعدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويعزوا حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

أنساب العرب القدماء

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطوتمية عند العرب الجاهلية لجرجي افندي زيدان . والامومة أو الطوتمية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وانما ينتسبون الى الطوتم والطوتم كلمة أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبده أو تقدسه القبيلة أو الشخص من أنواع المخلوقات حيوانا كان أو نباتا أو جمادا لاعتقادها انه يحميها أو يكف أذاه عنها ويعد في عرف أهلها أباها بانتسابهم اليه اذ لا يعرف لهم أب وانما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا انه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأوستراليا وزنوج أفريقية وألحقوا العرب بهم بطريق القياس الذي استدلوا عليه بتأنيث لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبني أسد . وقد ردّ عليهم جرجي افندي زيدان ردّا داحضا لمزاعمهم مفندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية والشبهة برهانا قاطعا واعتمادهم على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج لا يكاد يوثق بعلمهم النظري والعقلي لانهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار وثمن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه في الرد على المذهب رسالة أنساب العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمنها كثمن الامومة عند العرب

ديوان تذكار راغب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذكي رشيد أفندي مصوبع وقد قدمه الى ادريس بك راغب رئيس الماسون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية بافتتاحه بقصيدتين في مدحهما . ومن أحسن مارأيناه له في هذا الديوان قوله في استنكار سلوك بعض نساء الأغنياء

عار على الغيد أن تزهو وتفتخرا ... وتبدي التيه في الاعطاف والاشرا

بأي عطف تميل الخود تائهة ... و يفخر العطف إمّا اصبين واستترا

قدر الغواني بتحصين الجمال وإن ... تهتكت زال ذاك القدر واندثرا

لو تترك العاشق المسكين ملتهباً ... شوقاً لها ظل ذاك الحسن معتبرا

ثم أطال في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية لجرجي افندي زيدان صاحب الهلال وهي من القصص التي لها أصل مروي في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية وفيها وصف الترف والافناق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة مافيه وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة منها عشرة قروش

الطفل المفقود

إسم لقصة من قصص مسامرات الشعب الشهرية التي يصدرها خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضعاً وفائدة لان مافيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالذم وما ينظر من سوء العاقبة . وأما ماتشرحه عن الحب الصالح والعفة والمروءة والوفاء والسخاء والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد الانسان يبدأ بقراءة جزء منها و يستطيع ان يتركه قبل أن يتمه

فأنصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للنشر واذا استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر للرذائل مطلقاً فليفعل فان الرذيلة وان ذكرت مقرونة بالذم تؤثر في نفوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها وجراءتهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفننهم في تحصيلها !! ويظهر ان لمترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فعسى ان يراعي في الاختيار ماذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ فتاة الشرق ﴾ « مجلة أدبية تاريخية روائية لصاحبتها لبيبه هاشم » ولبيبه هاشم من أشهر الفتيات السوريات المتعلمات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئين ورأينا فكرها قويما فيما كتبت عن «واجبات الزوجة» في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع مايكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فعسى أن تجد من مساعدة الفضلاء مايضمن لها طول البقاء

﴿ تونس ﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبيها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري — ثمن الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ ف في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ كتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية ومايتفرع عنها . وانه ليسرنا أن تكثر المجلات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ ترويح النفوس * المرشد ﴾ جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الاولى (عزوز بن أحمد الخياري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فنرحب بالجريدتين ، ونثني على فضل الحريفين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا واياهما للخدمة النافعة

﴿ التلميذ ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد افندي ابراهيم صاحب جريدة (ألفت) المفيدة وقد سررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع لطلاب العلم من مسلمي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

باب الأخبار والآراء

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القوانين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راغب من سروات المصريين تعترض على هذا الاقتراح وطفقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها ونقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وادريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الالحاد فيما نعلم . وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الالحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائداً من أوربا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوربا لاتمام دروسه العالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم نابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي مئتا جنيه تعطى للنابغ الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهوراً اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياماً كان جل همه فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقد الذكاء شديد الغيرة على أمته بعيداً من الهزل واللغو معتصما بالادب وهو يتكلم العربية مع حضرمتّا ويفهم ممن يكلمه بعبارة فصيحة بل علمنا منه انه عربي النسب · وقد أعجب بفضله وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكونتننتال احتفالا دعوا اليه كثيرا من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فينا خطيباً باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والتربية الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر · وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر فتلا ترجمة خطبته بالعربية · ثم قام الشيخ علي يوسف شيخ المؤيد وتلا خطاباً وجيزا تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق فى قوله « إن مصر لو رزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قويمة مثل التي عليها كلية عليكره وتناسب فى عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم فى حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فعسى أن يسعى مع الذين يتمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التى ذكرمنها العلم والفلسفة ولم يذكر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكره ولولاها لكانت تلك الكلية وبالا على المسلمين

وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتهللون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تربيت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسميا فأجابه ناظر الخارجية بأن

مولاه الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد أن تقيدنا في بلادنا وتمنع عنا النور كما منعته عن اخواننا العرب في بلادها وسنتكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبو خطوة — وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وانها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبو خطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الازهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه أذكياء تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبو خطوة صار هؤلاء الاذكياء كاليتيم من الابوين .

كان رحمه الله تعالى وقورا مهيباً على تواضعه ورفقه حسن السمت حليما لا تخشى بوادره حسن التصرف في الامور لا يدخل فى شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في المحاكم الشرعية لو فوض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاستاذ الامام لذلك التقرير الذي أحصى طرق الاصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعداده وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يثقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول إن مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار ولعله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر ، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر ، والشرف خير من المال ، والعبرة بالخاتمة والمآل ، « وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق

{ مصر في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ — آخره الاربعاء ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ }

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١٣:١٥) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٦ : ١٤) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٧ : ١٥) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ *

(القراآت) للعرب في مثل همزتي أؤنبئكم أي ما كانت أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة أربع لغات قرئ بها القرآن باذن الله على لسان رسوله تسهيلا عليهم هنا وفي قوله تعالى « أأنزل » في سورة ص وقوله « أألقي » في سورة القمر وليس في القرآن سواها (إحداها) تحقيق الهمزتين من غير مد بينهما وعليه القراء الكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر وهشام في رواية عنه في السور الثلاث

(الثانية) تحقيق الهمزتين مع المد بينهما وهو رواية عن هشام في السور الثلاث (الثالثة) تحقيق الاولى وتسهيل الثانية مع المد بينهما والتسهيل قراءة الهمزة بين نفسها وبين حرف حركتها وهو ان تجعل هنا بين الهمزة والواو - ويعبر بعضهم عن المد بادخال ألف بين الهمزتين والمعنى واحد وهي قراءة قالون (الرابعة) تحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير مد وهي قراءة ورش وابن كثير . وهناك قراءة مركبة من لغتين وهي المد وعدمه مع التسهيل وهي قراءة أبي عمرو وعن هشام تفريق بين ماهنا ومافي القمر وص وهوانه المد هنا والقصر هناك مع تحقيق الهمزتين وفي قوله تعالى (رضوان) لغتان ضم الراء وهي قراءة عاصم فيما عدا قوله تعالى (الامن اتبع رضوانه) وكسرها وهي قراءة الباقين في جميع القرآن

قوله تعالى ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ الآية بيان وتفصيل لقوله تعالى « والله عنده حسن المآب » وبدأه بالاستفهام لأجل توجيه النفوس الى الجواب وتشويقها اليه والتنبئة بالشيء التخبير به كالانباء بمعنى الاخبار وقال في الكليات « النبأ والانباء لم يردا في القرآن الا لماله وقع وشأن عظيم » وعلى هذا يكون التعبير بمادة النبأ تشويق آخر . وقوله « ذلكم » اشارة الى ما تقدم ذكره من النساء والبنين وسائر الشهوات المذكورة في الآية السابقة . وكون ما سيأتي في جواب الاستفهام خيرا من تلك الشهوات يشعر بأن تلك الشهوات خير في نفسها أوليست بشر والصواب أنها خير ومن أجل نعم الله تعالى على الناس وإنما يعرض الشر فيها كما يعرض في سائر نعمه تعالى على الناس في أنفسهم كحواسهم وعقولهم وفي غيرها حتى في الشريعة فالذي يسرف في حب النساء حتى يعطي امرأة أوولدها حق غيرها أو يهمل لاجلها تربية ولده من غيرها أو يترك حق الله وطاعته تقربا اليها أو يعتدي في ذلك بأن يحب امرأة غيره هو كمن يستعمل عقله في استنباط الحيل لهضم حقوق الناس وإيذائهم أو يحتال في نصوص الشريعة ويؤولها حتى يفوت الغرض من الاحكام وتترك الفرائض وتهدم الاركان فسوء سلوك الناس في الانتفاع بالنعم لايدل على ان النعم شر في ذاتها ولا كون حبها شرا مع القصد والوقوف عند حدود الشريعة والفطرة في ذلك

أما الجواب عن الاستفهام فهو قوله ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ جعل ما أعده للمتقين من الجزاء على التقوى نوعين نوعا جسمانياً نفسياً وهو الجنات وما فيها من الخيرات والأزواج المطهرات مما يعهد في نساء الدنيا من الشوائب ، ونوعا روحانياً عقلياً وهو رضوان الله تعالى . وقد تقدم تفسير التقوى والجنات والازواج المطهرة في سورة البقرة ولا يخفى ما في اضافة لفظ رب الى ضمير المتقين من الاشعار بفضلهم وعناية من رباهم بعنايته وتوفيقه بشأنهم واما الرضوان فهو مصدر بمعنى الرضا مع ما في زيادة المبنى من المبالغة في المعنى فكأنه قال ورضوان عظيم من الله لا يشوبه ولا يعقبه سخط وفي سورة التوبة (٩ : ٧٢ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) وفي هذا من تفضيل الرضوان على نعيم الجنات وما فيها ما لا غاية وراءه ، وفي سورة الحديد (٥٧ : ٢٠ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار (١) نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) وهذه الآية أوجز من الآية التي نفسرها على انها في موضوعها وفيها من زيادة الفائدة بيان جزاء المسرفين والمعتدين في هذه الشهوات الدنيوية الذين تشغلهم عن حقوق الله وتحملهم على هضم حقوق خلقه وجزاء المقتصدين الذين يتقون الله في تمتعهم ولا ينسون الله ولا الدار الآخرة . ولعلنا اذا أمهل الزمان وبلغنا سورة الحديد نبين ما في الآية

وقال الاستاذ الامام في تفسير الرضوان في الآية وأكبر من هذه اللذات كلها رضوان الله تعالى وهذا يدلنا على أن أهل الجنة طبقات ومراتب كما نراهم في الدنيا فمن الناس من لا يفهم معنى رضوان الله تعالى ولا يكون باعثا له على ترك الشر ولا على فعل الخير وانما يفهمون معنى اللذات الحسية التي جربوها فكانت أحسن

(١) فسروا الكفار هنا بالزراع لانهم يكفرون الحب بالتراب أي يسترونه به

الاشياء موقعا من نفوسهم فهم فيها يرغبون ولأجلها يعملون ولكن جميع المتقين يعرفون في الآخرة هذه اللذة التي لم يكونوا يعقلون لها معنى في الدنيا

﴿ والله بصير بالعباد ﴾ قال الاستاذ الامام رحمه الله ختم الآية بهذه الجملة للإشعار بأنه ليس كل من ادعى التقوى في نفسه أو بلسانه يكون متقيا وإنما المتقي عند الله هو من يعلم الله منه التقوى وفي هذا تنبيه للناس وإيقاظ لمحاسبة نفوسهم على التقوى لئلا يغشهم العجب بأنفسهم فيحسبوها متقية وما هي بمتقية

﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا ﴾ قال الاستاذ الامام: وصف أهل التقوى بشأن من شؤونهم وهو أنهم لتأثر قلوبهم بالتقوى التي هي ثمرة الايمان تفيض ألسنتهم بالاعتراف بهذا الايمان في مقام الابتهال والدعاء: وهذا اختيار منه للقول بان الكلام وصف للذين اتقوا ولا يضره الفصل بين الصفة والموصوف وان كان طويلا لظهور المراد وعدم الالتباس ويجوز أن يكون مراده الوصف في المعنى لا في عرف النحاة وهو يصدق على قول بعضهم ان الكلام مدح او استئناف بياني كأنه قيل من أولئك المتقون الذين لهم هذا الجزاء الحسن فقيل هم الذين يقولون الخ. وقالوا في قوله تعالى ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ انهم رتبوا طلب المغفرة والوقاية من النار على الايمان فدل ذلك على أن الايمان وحده كاف في استحقاقهما من غير توقف على العمل الصالح. وأقول قد يصح هذا اذا أريد مغفرة الشرك السابق على الايمان وما تبعه من الذنوب والوقاية من الخلود في النار بذلك فان الاسلام يجب ما قبله كما ورد. ولا يمكن أن يصح اذا أريد به ان الانسان قد يكون مؤمنا ولا يعمل صالحا بل يكون منغمسا في المعاصي والخطايا ثم يكون مستحقا للمغفرة والوقاية من العذاب فان العقل والنقل يحيلان هذا الفرض. ذلك ان المعروف من سنة الله تعالى في الانسان أن عقائده الراسخة اليقينية، لها السلطان الاعلى على أعماله البدنية، وما الإيمان الا الاعتقاد اليقيني الراسخ في العقل المهيمن على القلب، ولا عمل الا عن فكر من العقل أو وجدان من القلب، فأعمال المؤمن يجب أن تكون تابعة لايمانه لا تستبد دونه ولا تتحول عن طاعته الا لنسيان أو جهالة كغلبة انفعال يعرض ولا يلبث أن يزول وتقفي التوبة على أثره فتمحوه

(٤ : ١٧ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فهذا دليل العقل . وأما النقل فالآيات التي يعسر إحصاؤها ومنها في المغفرة قوله تعالى (٢٠ : ٨٢ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقوله فى حكاية دعاء الملائكة للمؤمنين (٤٠ : ٨ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم – الى قوله – ٩ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) والفرق بين وعده بالمغفرة وبين حكايته دعاء المستغفرين لايحتاج الى بيان على أن الآية التي نفسرها لا تعارض هذه الآيات وما في معناها بل تؤيدها لأن الدعاء فيها لم يرد به أن كل متق ينطق به نطقا بلسانه وانما هو بيان لشأن المتقين الموصوفين بما يأتي في الآية التالية من أكمل صفات المؤمنين . على انه لولم يكن الكلام في المؤمنين المتقين ولولم يوصفوا بعد الدعاء بما يأتي من الصفات بأن قيل : للذين آمنوا عند ربهم الخ الدعاء فقط لكان لنا أن نقول ان المراد بالايمان الايمان الصحيح الذي تصدر عنه آثاره من ترك المعاصي وعمل الصالحات لتتفق الآية مع سائر آيات القرآن الموافقة للعقل والعلم بطبيعة البشر ولاجماع السلف على ان الايمان قول واعتقاد وعمل . ولكن القوم غفلوا عن هذا وحجبوا عنه بالتماس مايؤيدون به مذاهبهم ويفندون به ماخالفها . وقد قررنا هذه الحقيقة فى الايمان والعمل من قبل ولا نزال نبدئ القول فيها ونعيده لعل التكرار في المقامات المختلفة يؤثر فى صخرة التقليد الصماء فيفتتها أو ينسفها نسفا فيعود المسلمون الى إيمان القرآن الذي كان عليه السلف وصفوة علماء الخلف كحجة الاسلام الغزلي في المشرق وشيخ الاسلام ابن تيمية في الوسط والعلامة الشاطبي صاحب الموافقات في المغرب – كل هؤلاء من القرون الوسطى وحسبك بالاستاذ الامام من المتأخرين

﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ﴾ قال الاستاذ الامام : وصف الله المتقين بهذه الصفات التى استحقوا بها تلك الدرجات : وهو الظاهر على القول بأن قوله « الذين يقولون » وصف للذين اتقوا وكذا على القول بأنه منصوب على المدح . أما على القول بانه استئناف بياني فالمراد بالوصف الوصف بالمعنى

« والصابرين » منصوب على المدح والمنصوب على المدح أو الاختصاص ليس كلاما مقطوعا مفصولا مما قبله كما يوهمه تقدير الفعل له وانما هو أسلوب بليغ في ايراد الصفة معربة بغير اعراب الموصوف ووجه البلاغة فيه من ثلاثة أوجه أحدها لفظي والآخران معنويان أما اللفظي فهو ان اختلاف الاعراب يحدث في الذهن حركة جديدة فينتبه فضل انتباه الى الكلام الجديد وأما المعنويان فأحدهما بيان مزية خاصة في المقام لما به المدح كأن يقال هنا في التقدير وأمدح من هؤلاء الذين يقولون ربنا اننا آمنا الصابرين والصادقين الخ كأنه يشهد لهم بأنهم بهذه الصفات امتازوا على سائر المؤمنين وصاروا أحق بذلك الوعد . وثانيهما تقرير ان هذه الصفات ممدوحة في ذاتها

تقدم في تفسير سورة البقرة معنى الصبر وكيفية اكتسابه والاستعانة به وقال الاستاذ الامام هنا مجموع الآيات الواردة في الصبر تدلنا على أن الصبر هو حبس النفس عند كل مكروه يشق على النفس احتماله وأكمل أنواعه الصبر على ملازمة الشريعة في المنشط والمكره فعند ما تهب زوابع الشهوات فتزلزل الاعتقاد بقبح المعاصي وسوء عاقبتها يكون الصبر هو الذي يثبت الايمان ويقف بالنفس عند الحدود المشروعة لذلك قرن الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالتواصي بالصبر في سورة العصر والحق هو المقصود الأول من الدين وهو لا يقوم الا بالصبر . وكما يحفظ النفس عند حدود الشرع يحفظ شرف الانسان في الدنيا عند المكاره ويحفظ حقوق الناس ان تغتالها أيدي المطامع . وكتب في تفسير سورة العصر «الصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله والرضى بما يكره في سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتي الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه . كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة » : وأتى بأمثلة متعددة على ذلك

ويعلم مما تقدم أن تقديم ذكر الصابرين على ما بعده لأنه كالشرط اذ لا يتم بدونه الصدق والقنوت والانفاق والاستغفار في الاسحار وهو الوقت الذي يطيب فيه النوم ويشق القيام قال الاستاذ الامام والصدق يكون في القول والعمل والوصف يقال فلان صادق في عمله صادق في جهاده وصادق في حبه كما يقال صادق في قوله .

أقول و يدخل في ذلك الايمان والنية والصدق منتهى الكمال في كل شيء وحسبك في بيان فضل الصدق وجزائه قوله عز وجل (٣٩ : ٣٣ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ٣٤ لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ٣٥ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملو و يجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد جعل الصدق ملاك الدين كله وجامع حقيقته وجعل أسوأ الذنوب معه مستحقا لأن يكفر و يغفر وأي ذنب يدنس نفس الصادق في إيمانه وأخلاقه وأقواله وأفعاله فيمنعها استحقاق المغفرة؟ أليس أسوأ مايمكن أن يلم به الصادق من الذنب بادرة غضب لاتلبث أن تفيء أونزوة شهوة لاتمكث ان تخمد فيكون مس طائف الشيطان ضعيفا قصير الأمد لايقوى على إضعاف فضيلة تلك النفس القوية بالصدق ولا على إطفاء نورها

وقد فسروا القانتين بالمطيعين و بالمداومين على الطاعة والعبادة وتقدم في سورة البقرة ان القنوت هو المداومة على الخشوع والضراعة أي على روح العبادة ولبابها لاعلى صورها ورسومها فقط والمنفقون معروفون ولم يعين النفقة ولا المنفق عليه فعلم ان المراد بهم المنفقون للمال فى جميع الطرق المشروعة من واجبة ومستحبة لايمنعون حقا ولا يقبضون أيديهم عن شيء من أعمال البر . وفسر مجاهد وغيره المستغفرين هنا بالمصلين لأن أهل التهجد في آخر الليل يطلبون بتهجدهم مغفرة الله ورضوانه فهؤلاء المفسرون يرون ان الاستغفار هو طلب المغفرة بالفعل لا بمجرد حركة اللسان . ومن يقول انه الطلب باللسان فإنه يجعل من شروطه حضور القلب ولا يقول أحد يعتد بقوله ان استغفار اللسان وحده نافع بل قالوا ان المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه . وفي مثل هذا الاستغفار ، الذى يغتر به الجهلة الأغرار ، قالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير : وروي تفسير الاستغفار هنا بالصلاة في وقت السحر و بصلاة الصبح أي لأول وقتها وقيده زيد بن أسلم بصلاة الجماعة . وحكمة تخصيص وقت السحر ان العبادة تكون حينئذ أشق على أهل البداية لأنه الوقت الذى يطيب فيه النوم و يعزب الرياء وأروح لاهل النهاية لان النفس تكون أصفى والقلب أفرغ من الشواغل

ومن مباحث اللفظ النكتة فى نسق هذه الاوصاف بالعطف مع ان الاوصاف

المعدودة تسرد غير معطوفة ذكر الاستاذ الامام عن الزمخشري أن العطف يفيد كمال الموصوفين بهذه الاوصاف وقال غيره من المفسرين اننا لا نعهد من معاني الواو الكمال في معطوفاتها ، ومن عنده ذوق في اللسان يجد في نفسه فرقا بين المعطوف وغيره وذكر أمثلة منها قول الشاعر

ولو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث

وذكر الفرق بينه وبين ثلاثة رماح وقال ان بيان الفرق ربما لا تفي به العبارة الا مع الاستعانة بالسليقة ويمكن تقريب ذلك بان يقال ان الاوصاف المسرودة بغير عطف كالوصف الواحد واما عطفها فيفيد ان كل واحد منها وصف مستقل: أقول وعبارة البيضاوي « وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها » وهي مبهمة وإيضاح الاستقلال ما قرأت آنفا . واما تغاير الموصوفين بها فمعناه هنا ان الذين اتقوا أصناف فمنهم الصابرون ومنهم الصادقون الخ والمراد الممتازون بالكمال في الصبر والصدق الخ وذلك لا يقتضي ان يكون كل صنف عاريا من صفات الآخر وهذا ما ذهب اليه الرازي اذ قال « وأظن والعلم عند الله ان من كانت معه واحدة من هذه الخصال دخل تحت المدح العظيم واستوجب هذا الثواب الجزيل » وعبارته لا تفيد اعتبار كمال كل صنف في وصفه وهو مالا بد منه . والتحقيق أن الالفاظ المفردة يمتنع عطفها في مقام سردها مطلقاً لأنها عند ذلك تكون بمثابة الاعداد التي تسرد : واحد اثنان ثلاثة أربعة : الخ ولكنها اذا لم يرد سردها كأن ذكرت للحكم على مدلولاتها ابتداء فلابد أن تجمع بالعطف . مثال الأول قوله تعالى (٩ : ١١٢ التائبون العابدون الحامدون السائحون) الآية وقوله تعالى فى سورة التحريم (٦٦ : ٥ أزواجاً خيرا منكن مسلمات مؤمنات) الخ فان هذه أوصاف سردت للتعريف بها بعد الحكم على الموصوف ومثال الثاني الآية التى نفسرها والحكم فيها على الموصوفين ابتداء ويتعين اذاً ان تكون منصوبة على الاختصاص . ومثلها (٩: ٦٠ انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ فان المراد الحكم على مدلولات هذه الالفاظ ابتداء . والفرق بين هذا القول وما قبله انه يمتنع على هذا ان تكون هذه الالفاظ نعوتاً للذين اتقوا

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الاصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الاصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسررنا كما سر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تؤلف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطوفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافلة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا فى غنى بآرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبعثنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق فى البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملا بقول سيدنا علي كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، بفوق أن يعان على ماحمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرته النفوس، واقتحمته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين، الكافلة ببقاء حوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها مااستحكم في في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أتاهم من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلادوما شاكل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطلوبة منها فقدضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على معاقد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانتكاس في الطبائع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية هممهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائد عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ماوراء النهر وقبائل التركمان واشباههم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى خشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله

هذا الضعف الديني قدنهج لشياطين الأجانب سبل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واستمالة أهوائهم الى الاخذ بدسائسهم والاصاخة الى وساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعاتهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى العثمانية لتضليل المسلمين فلا نرى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم. ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي المناصب الدينية الاسلامية. وأولئك الضعفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحداثة ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي بل لا يطرق أسماعهم الا مايزري على دينهم وعقائد آبائهم ويعيب عليهم التمسك بعرى الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساتذتهم القوام على تربيتهم بإذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يتلقونه من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة، فذلك أمر أعرف من أن يبين. فلا تنقضي سنو تعليمهم الا وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتنجذب أهواؤهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ماتدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصيرون بذلك ويلا على الامة، ورزية على الدولة، نعوذ بالله. ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم مايجيدون به تربية أبنائهم مع استبقائهم مسلمين في العقيدة، عثمانيين في النزعة، هذا ما جلبه الجهل على الامة الاسلامية وان غائلته لمن أشد الغوائل وقد كنا نخاف أن تحل بوائقها لو لم تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني جملة واما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

ممن قرؤا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده منكبين على الشهوات وسفساف الملذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكلب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الخيانة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ويطلبون التخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى غيرهم من الامم يتسابقون الى الانتظام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في دينهم بل مضادة لصريح نصوصه ونرى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والانفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على شهواتهم بعكس ما نرى في سائر الامم . هكذا انطفأ من المسلمين مصباح العقل فلا يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله

هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير نذكرها مقرونة بأنفاس الاسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا ذئابهم يتخطفون شاذتهم وأغلبهم شاذة ويفترسون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارعة الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لا نجد الا سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما باهماله جملة كما هو في بعض البلاد واما بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أُهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها ولا يعتبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وانما هو مجبور في ما يصدر منه جبرا محضاً فلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع ذنباً حتى تشمله بالغفران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفعل الانسان ما يفعل من الموبقات ويهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شا كل ذلك مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع فى كتاب الله وسنة رسوله وأما الذين أصابو شيئاً من العلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وان هدموا كل ركن سواهما و يشتركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذا ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع العادية وأولئك الاغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وماشا كل ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فان مال بهم طلب العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهؤلاء لاتختص مفاسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم فهذا القسم أعظم الاقسام خطرا وأشدها ضررا في العامة والخاصة وما أفراده بقليل

نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة رجال وقفوا عند ماحد الكتاب واستمسكوا فى الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين فى قلوبهم نار الحمية، واستفز اليقين هممهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم قد يكون خامل الذكر، أوقاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة فى ارشاد الأمة، و بالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافيا في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا مالطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لعجل لها من الوبال ما استحقته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحراف قلوبها عن مقاصد ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه. فيا للنعمة العظمى

وبالمرحمة الكبرى ، هشت لها قلوب المؤمنين ، وبشت لورود بشراها وجوه الصادقين ' وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين ، وتأييد دولته ، واعلاء كلمته ،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على سببها الذي أشرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء اللجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقه المعهودة في المساجد وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبن على عقائد صحيحة وايمان صادق لاتلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فانما تسوق الى أعمال خالية عن النيات وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه النظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكر بما تنال النفس من ذلك الفن فيكون التذكار مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن الفقه الباطي وهو مانعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والخيانة والنميمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة وسائر الفضائل ويضم الي ذلك باقي علم الحلال والحرام على ماهو مذكور في الكتاب والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم فى هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق قواعدها مستندين الى الشرع الشريف بحيث تذكر مآخذها من القرآن والسنة الصحيحة وماصح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن حذا حذوهم كحجة الاسلام الغزالي وأمثاله فالمقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعها ركن من الاصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبعهما فن آخر يقوى على الغرض منهما وهو فن التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا نقسم طبقات الناس الى ثلاث ونعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون

فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم . والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة فى تدبير أمر الرعية وحماتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة ان يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

(الطبقة الأولى) هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادىء الكتابة والقراءة وشيء من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة ينتفعون بها في معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فهولاء يهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير ساخطين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدايات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة الملية كما كان ذلك فى نشأة الاسلام و بداءة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاوربا وية مما تعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا ـ كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة الاقناعية القريبة المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الإلمام بشيء من الخلاف بيننا و بين النصارى و بيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استعداد لدفع ما يرد عليها من وساوس دعاة الانجيل المنبثين في كل قطر

ثانيا — كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال و بيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤيداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبدا لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول

ثالثاً — كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق في المكافحة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعة فيها

﴿ التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف ﴾

﴿ الطبقة الثانية ﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والعسكرية والطبية وما يتلوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والحكم منهم بفصل المخاصمات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كفف النظام يرجح مارجح فيه و يسقط ماسقط منه فهو يتحرى الحق و يحكم به أو يموت ، والمولى منهم آمراً في ادارة أمور الرعية آخذ لمنظار الحذق والدراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يدق من مسالك أهوائها ليضبط الاعمال و يلزم الحدود و يوفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت . فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزاد لها بعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي

أولا — كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول النظر وشيء من آداب الجدل

ثانيًا — كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط واتيان الطريق الاقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضًا الا أن يتوسع فيما بيننا و بين النصارى لايضاح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية فى تقويم المعيشة المدنية فضلا عن غاية السعادة الأخروية

ثالثًا — كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والرذائل ببيان أكمل مما في البداية وتوضيح لاسباب الاخلاق وعللها وآثارها على وجه يقنع به العقل وتطمئن به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفى سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم و يكون مدار الكلام في الكتابين على ما يضرم الحمية في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الا معالي الأمور

رابعًا — كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء العثمانيون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة للغرض الديني ويبين في هـذا الكتاب ما كانت تنبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض و يودع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المفقود فضـلا عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفيهم أن يتعلموا هذه الكتب بألسنة آبائهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لتربيتهم الدينية أن يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من ايقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بمدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع ، وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والمكاتب الابتدائية اذا وجدت فيهم الاوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في الممنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أوهام العامة

التعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الامة وهداة الملة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية اذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لاهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لا بلاغهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزاد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لافادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي المسترشد ولأجل هذا نقتصر في بيان ما يحتاجون اليه على ذكر الفنون دون التعرض لاعيان الكتب الا قليلا فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولا - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج اليه ليقرأ القرآن تفهما وتطلبا لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أمرهم الا بإرجاعهم اليه وما لم تقرع صيحته أعماق قلوبهم وتزلزل هزته رواسي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد اليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقة الإبل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفا باللغة العربية ومذاهب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج الى وسيلة أخرى فأولاها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب كتفسير الكشاف وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقهما

ثانيًا — فنون اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ جاهلي وما يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثًا — فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسرا للقرآن مبينا له مع اطراح مايخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لارجاع الأحاديث الصحيحة اليه ان كان ظاهرها يوهم المخالفة

رابعًا — فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو ماسلك الإمام الغزلي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على الاصول المشهورة

خامسًا — فن أصول الفقه من وجه مايمكن من صحة الاستدلال بالنصوص الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الاحكام ونرى أفضل كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس

سادسًا — فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التى عرضت في الممالك الاسلامية الاولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في انهاض الاسلام من كبوته التى كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب ماوصلت اليه الملة في هذه الايام ليتبين أنه لاسبب لذلك الا الجهل بالدين والانحراف عن أحكامه وانشقاق عصا الامة بالخلاف الذي لاطائل له

سابعا — فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في الأذهان وتثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والارتفاع بها عن دنايا الصفات وسفساف الأمور

ثامنا — فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث فى أدلة كل لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا باس بقراءة بعض الكتب الحكمية الاسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة مايلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلتي العلم والعمل ولم نتعرض لفن الفقه فى العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة وفى المعاملات يشترك فى طلبه المسلم والذمي والأجنبي اذ يضطر اليه كل ساكن في الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات والرياضيات والطبيعيات والنظامات وكل ماحددته نظارة المعارف العثمانية فهي على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . و يدعى لها بالمدرسين المتبصرين من أي أرض يوجدون بها و ينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكاهم أخلاقا و يراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها شهادة ببلوغة الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس فى جميع تلك الدرجات انما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون للملة وجهة واحدة يقصدونها بأعمالهم فتلتئم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة تخشى بأسها وتخاف بوائق غضبها و يؤول بالدولة الى علو الكلمة فى سياستها الخارجية بعدما عادت بركاته على المسلمين فى راحتهم الدخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجداول انما هو الى إحياء الملة وقد كانت كادت تموت والعياذ بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصاً في الاخلاق والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من مقارّ الخمول والغفلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال المعلمين وأعمالهم ومؤاخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ماتعلموه ، أوقصروا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكن من خواطرهم ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكمل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعد الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وخبرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدراية كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع أرواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا واقي للملة سواه وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم

هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدينا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المومنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظلا لله ورحمة لعبيده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتتمة له فنتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل اليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والاعراب المتنقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حق قدرها فاصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهؤلاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ماوصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما ينافمن الواجب الالتفات اليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترتيب دعوة تنبههم الى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تربيتهم وتهذيبهم ثم تخدعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أنهم لو رغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والانفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في ادارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاغنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على انشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد و بقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والمجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ماجهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبثون بين العامة ليقفوهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهولاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعا في الفنون الادبية الشرعية وأوسعهم علما بعلل الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

التماس منافذ القلوب للدخول فيها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بلغتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاستماع

ومن هذا تلزم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليتها قوما يحسنونها و يدرجون فيها مايمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبينون لهم مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هومقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الاصلاح اذا وجهت العناية اليه رجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبثهم دعاة ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت فى أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الايغال فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمنًا طويلا

فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمعونة الله عز وجل فى أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضا والذين يليقون لوظيفة الارشاد فهم أن تعسر وجودهم فى بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يتطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهؤلاء لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب

وأما طول الزمان فى التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن مايشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فانه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخليص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فاننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب الا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من اصلاحه فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون.

هذا مجمل ماحضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل مايطول به القول أضعافا مضاعفة فان دعينا اليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي الى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين م جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب: هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يبغض الدولة فليأتنا أحد بمثل نصحه للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها.

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين، وبث الارشاد في نفوس المسلمين، فيستبشر المغرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد فتلك أمة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتعتورها السعادة والشقاء ، ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر ، ويتناوبها العز والذل ، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم . فان كان حاكمها عالما حازما أصيل الرأي عليّ الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها أبوابًا للتفنن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة و بعث في أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير .

وان كان حاكمها جاهلا سيء الطبع سافل الهمة شرها مغتلمًا جبانًا ضعيف الرأي أحمق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح أبوابا للعدوان فيتغلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة ويغلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة و بقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بالعنوان الآتي

لقاتلة بين جميع الامة فتميتها و ينقطع الامل من العلاج و بادروا الى قطع هذا العضو المجذم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء فانذرها بحضض العبودية وعناء الذلة ووصمة العار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسله

الاسلام هو القرآن وحده

رَدٌّ لِرَدٍ (١)

نحمدك اللهم ياهادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤتينا الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فاننا لا نعتمد إلا عليك * ونصلي ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عليم حكيم (و بعد) فقد اطلعت على ما كتبه الاستاذ الفاضل الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهبت اليه ، فسررت جدا لغيرته، وشكرته على أدبه ونزاهته ، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطررت الى مناقشته ليظهر لي الحق ان كنت مخطئا ، راجيا من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكما بيننا، والله ولي الهداية ، المنقذ من الغواية

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا نثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه تعتمد » ثم استشهد على ذلك بعدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفى علينا من قبل فلهذا نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى . الآية الأولى قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ ونقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

(١) للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي

الأحاديث المعتبرة بينة للقرآن لكان في غاية لاجمال وما وصفه الله تعالى بكونه بينا ومفصلا في قوله (بلسان عربي مبين * وقوله — وكذلك أنزلناه آيات بينات * وقوله — وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا * وقوله — كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * وقوله — كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضحه وتفسره وتفصله؟ وكيف يكون القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؟ ألا يستنكف أحدنا أن يكتب للناس كتابا لا يفهمونه الا اذا فسره هو لهم!! فما بالك بالقرآن المبين

نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطبقة على أحوال جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر. ولتوضيح المقام نضرب مثالا لكل.

فمثال الاجمال قولك: حرم الله الخبائث: واذا أردت تفصيله تقول: حرم الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها. ومثال الاطلاق أن تقول: جاء محمد: وتقييده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالمجمل ما دخل تحته جميع أفراد المفصل. والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يحتملها أي ان الأول كالجراب الحاوي للمفصل والثاني كجراب غير حاو له ولكنه يسعه. فالقرآن ليس فيه مجمل نحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر. ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان. فان قيل لم لا نعتبر السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين. قلت لأن النبي لا يعلم حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة. وان كان الله تعالى أعلمه بها فلم لم يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؟ والخلاصة أن القرآن بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه. ولذلك لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما بينا ذلك فيما سبق. اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسمي مازاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا ؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لمجرد الارتداد وتحريم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويبلغهم اياه مفصلا وموضحا بلغتهم التي يفهمونها واتيان النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية مايدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارات أخرى . وهب أن مايدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم وهو ماندعيه وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فتعليم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهيمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكر فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى مافيه من الآيات والدلائل والعبر والحكم وحثهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمغايرة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وانما المراد الحكم والمواعظ والآداب والفضائل

وأنواع التهذيب والتأديب والتثقيف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الهمجية الى نور العلم والمدنية . ونحن لانرفض شيئاً من ذلك بل نقبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ تخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول ان اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وإنما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمنه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلا وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه الينا خطابه لوجبت علينا نحن أيضا ولعلمنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام فى زمننا لحق علينا امتثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية مايدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ماسقط من هذه الآية فى مقالة الشيخ من الطابع لا منه

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت فى الفيء ونصها هكذا (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عن أخذه منه فانتهوا . يقولون ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي سبب النزول ولكنا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر للسياق لوجب على كل مسلم مثلا أن يكون دائما متجها نحو الكعبة في أي عمل يعمله لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما أتاكم الرسول) عامة فى كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لاننا نقول إن السنة أعطاها الرسول للعرب لا لنا كما سبق ولو أعطاها لنا لوجب علينا أخذها و بعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد و يعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرته سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآناً والبعض الآخر سنة ؟ مثلا اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون دينارا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها فى جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلا في الكتاب كما ذكر المواريث وغيرها ؟ ؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى ؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله انما هو بالوحي السماوي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على اطلاقها غلط لا نوافقه عليها . لان بعض أعمال الرسول وأقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحيا مطلقا وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الاستاذ تنسى ذلك أو تتناساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا نلفت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت

لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي بكاء شديدا من بعض هذه العتابات . وقد ورد فى الحديث أيضاً أن النبي نهى عن تأبير النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) . فالعصمة لله ولكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطيء فيه مطلقا

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب ونقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يعد على أصابع اليد . واذا لم تكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة فى القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له ولا يغنينا ذلك من الحق شيئا . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) هو في شأن القرآن كما يدل عليه ماقبله ولم تسم السنة بالذكر مطلقا . وكيف نقول ان هذه الآية تتناولها مع أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا مهما بحثنا في تاريخ الرواة وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقليل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المطعون فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ماهو حق وصدق ولا نقبله منه فيحصل النقص فى السنة . وكذلك الثقة قد يخطيء أو يكون ممن تظاهر بالصلاح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ الحديث عنه والرسول بريء منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة . فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها فى عهد النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها فى كتاب وعدم تبليغها للناس بالتواتر . وعدم حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلفت الرواية عنهم لفظاً ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمروا أن يعاملوها معاملة القرآن . حتى نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصا من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين وهنا نريد أن نسأل حضرته سؤالا وهو لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حدتها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها مايفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل الينا كتابان لانزاع فيهما ولا اختلاف ؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزهما عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الاعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنهما حتى وصلا الينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء — ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئا قليلا — أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون ؟ وبذلك كان المسلمون يستريحون في القرون الاولى من العناء والتعب في لمها وتمحيصها وهم لم يصلوا الى النتيجة المرغوبة ولن يصلوا وكانوا يصرفون همتهم هذه الى شيء آخر

واعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار فى القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لاغيره مما ذكرت » ونقول ان القرآن لاشك أنه متواتر لفظا ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فاي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك الا ماشذ وندر ؟ وهل يفيدنا ذلك اليسير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا . الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ماعدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلا ؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه ؟؟ الحق أقول : لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو واصحابه حتى تصل الينا كما وصل الينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدنا بالظن والظن لاقيمة له عندالله قال تعالى (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك

عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وما أجمل قوله هنا (اكثر من فى الارض) فسبحان ربك رب العزة عما يقولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نعتمد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي :—

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيرا مقنعاً بغير ماذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لاعتني بها بذلك أو نحوه

(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالتواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام فى الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصدا منهم

(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت ألفاظ ما تعددت رواته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع فى ضبطها ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبط لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوقع فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جلها لمجرد عدم معرفتنا شيئاً بجرح الرواة

(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الا على العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يوافق الا عاداتهم وأحوالهم كمسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك

(١٠) يشم من بعض ما وصل الينا منها رائحة ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القيء «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى» وان حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف رووه عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا اجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وان كان الواضع من غير المسلمين فماذا يهمه اذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصا في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه يعززهم و يقويهم ؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال ان الوضوء لا ينتقض بالقيء مستشهدا به على مذهبه فالقول بان هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء العلة وارواء الغلة بل لابد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها سردا بالايجاز ليتدبرها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد عليّ أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقنعني ويقنعه والا أضعنا الوقت سدى ، ولم نصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله اليهم مباشرة والى العالمين بواسطتهم . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج الي تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار ان العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقاً لفهم القران . وغيرهم لابد له أن يقدر على فهمه . أعني أن يصير مثل العرب بتعلم ماذكرت . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مبيناً . فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يعهدوه الا اذا ذكر ما يفسره . اذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسمان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والاحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرهما .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلا ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر مايتبين المراد به . فمثلا الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك — وقوله — محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود * وقوله — وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله — يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله — ولا تجهر

بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا * وقوله — أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا * وقوله — أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل — مع قوله — وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها — فأمثال هذه الآيات يكمل ويفسر بعضها بعضا والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وان كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها — وقوله — وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لابد من أخذها من مجموعه لا من بعضه .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله مامعناه انه قد يرد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر الا بالسنة . وأقول انه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه الا اذا كان معنياه يؤديان الى الفائدة المطلوبة بعينها كلفظ القروء الذي استشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الاصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والترجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وان كان أخذ بحديث « طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان » الا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقرء الطهر . وهذا هو الذي اشتكينا ونشتكي منه . فيا أيها الفاضل المناظر

أتدعونا الى شيء لم يفدكم أنتم المتمسكين به ولا زلتم مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم أن ماقلته فى هذا الباب يعد طعنًا منك في بيان القرآن المبين و بلاغته فلتستغفر الله تعالى منه ولتتب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ماعدا المتواتر لايفيد اليقين . وأن العمل به عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للجرح على الأقل وهومدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) : ونقول ان الله تعالى لا يتعبدنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيرا . قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لان التكليف بالقرآن فى غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لا له .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلج في نفس أحدهم أقل شبهة من أحد رواته نفض يديه منه وانقلب الى أهله خاويا من ذاك الحديث وفاضه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة حصل فيها نقص كل التأييد . فان الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذ الاشتباه في الراوي لايمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولته أن يقول انهم جميعا على الحق وان اختلفوا فمما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابون على اجتهادهم فأنا لم أعارض في ذلك ولم يكن هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الاجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في ايرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب مانحن فيه . وعلى فرض المناسبة نقول : انه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لايخطئون . أوأن طريقهم واحد ولا يسيرون في طريق الباطل . ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكانت حجة لحضرته . والذي نعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسيروا في طريق الباطل فمن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عذبه الله . فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عذبه الله بما ذكر . واذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم . لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم . ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون اليه بمقتضى فطرتهم ويتطلبونه اذا ضلوا . وهم إما يحيدوا عنه الاخطأ أوجهلا . ورجوعهم اليه سهل اذا أرشدوا

هذا واني قد تركت بعض مسائل لم أبد ملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة . ولأن البحث فيها لا يؤدي الى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج اليها القارىء كل الاحتياج ليفهم حقيقة مانرمي اليه فنقول :

(١) انعدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) لوسلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ماهو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول لعل ذلك كان لأن النبي جمعهم على هذه الاعداد المخصوصة وحتمها رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام . وليس من خلف بعدهم

مضطرا لالتزام ما أمروا هم بالتزامه . فليس حديث ذي اليدين ولا حديث عائشة اللذان أوردهما الاستاذ بمفيدين لنا فى هذا البحث شيئا . على أنهما ليسا بمتواترين . ونحن وان احتججنا بمثلها على غيرنا لقبوله ذلك لا نقبل الاحتجاج بهما على أنفسنا لأنهما لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجبنا عن السبب في صلاة النبي ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصرا منه الى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطر كثير من المفسرين الى تأويلهما والاستاذ يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرا وتغاضى عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد متواتر لفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا نحن فيه بهذه الأعداد المخصوصة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير متواتر وليس صريحا في أمر الركعات . وهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصر النبي بدليل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف تحتج علي بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا تحتج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررته في أنه يكفي قراءة أي آية من القرآن فى الصلاة ولو كانت غير الفاتحة ؟ مع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مصليا كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الأربع ؟ ولماذا ترى أننا خالفنا طريق المؤمنين ولا ترى أن أبا حنيفة فعل ذلك أيضا ؟ وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي اذا لم يصحب بأمر لفظي يفهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

للتأويل ولا للطعن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه فلربما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على العموم . والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثيرا من علمائنا الآن صاروا يقولون انه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد فى الزمن الأول إن النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لاتفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا رووا القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك المخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يتعبدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث انه ماوصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أوما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فانه متواتر فى رأي الاكثرين

اذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك اذا لم يصل الينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ماهو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا فى امر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الازمنة والأمكنة . واذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يتعبدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب وحيث ان هذا الأمر لم يصل الينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستماته عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن الى اتمام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الاستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا * واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) الى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع فى قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه اذ كثيرا ما ورد الخطاب بالجمع ولم يرد به الا الأكثرين كما فى قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فالخطاب هنا وان كان لجماعة المؤمنين الا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكمين الا اذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد فنفي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . اذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصرا لما خالفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتى يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فمما لا نوافقه عليه لأن الأصل عدم ذلك ومتى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير اليه . أما اذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا الى القول به . وهنا لا دليل يمنعنا من القول بأن هذا القيد معتبر فى هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلها كقول عائشة وقول عمر اللذين ذكرناهما فيما سبق فانهما يدلان على أن صلاة السفر ليست قصراً فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فاقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » الخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وان كان للنبي لا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويريده هو وأمته كقول المثل (إياك أعني وأسمعي يا جارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وقوله « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » الآية وقوله (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) الى غير ذلك من الآيات. ولهذا قال علماء الاصول ان كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمته الا اذا دل دليل على التخصيص ومما يشير الى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك نقول ان القيد (واذا كنت فيهم) لا مفهوم له لان الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فانه معتبر مفهومه لعدم الدلائل القاطعة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الانسان وارادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشهاده بآية (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربيبة اذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد الدخول فانه يجوز له أن يتزوج الربيبة وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب ان نعتبر مفهومه الا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) وكل خطاب للنبي خطاب لأمته الا اذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لعلة فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام » وبذلك ننزه كتاب الله تعالى عن اللغو والعبث والابهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفينا في الرد عليه أن نحيله الى تفسير مثل تفسير فخر الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المتبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذكر غيره وبه تنتهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلى الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدللت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرباعية زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة وبنى على ذلك ما بنى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزلتيهما أقل من الركعتين الأولين : وشتان ما بين هذا المعنى وذاك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً فى الركعتين الأولين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اكتفاء بالواجب » ونرى أن انتقاده هذا له حق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلازم في غضون أسفاره النوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلا للنوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصليها عليه السلام في السفر كما اعتاد فى الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وألهمنا الفهم لكتابه المجيد . انه ملهم الأنام هادي العبيد . رب العرش الفعال لما يريد

تذييل

نلفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زبدة هذه المقالة والمحور الذى تدور عليه : —

(المسألة الأولى) الفروق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته في زمنه ولذلك نسميه « التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة نهى عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنه خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب مالم يكن مصحوباً بدليل قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع أن ذلك متواتر عملا عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين للعرب لا يحتاج لتبيينه الى كلام آخر لأنه في منتهى البلاغة ولا يكون كذلك الا اذا كان ايضاحه فوق ايضاح كل كلام سواه . فلا فلا معنى عندنا للقول بأن الرسول مبين له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الايضاح العملي أبلغ من الايضاح القولي مهما كانت درجته . فالقرآن وإن كان لا يمكن ايضاحه بقول أوضح منه الا أنه يمكن توضيحه بالعمل فان العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التى تحتاج الى العلم والعمل كالطب مثلا . ويدخل تحت ذلك تصوير الافرنج للمعاني بصور وأشكال يضعونها فى كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بعمله . ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) قد يشمل هذا التبيين العملي أيضا . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه آنفا فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح مافي الكتاب وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التى تزيد عن معنى مافي الكتاب . فكل عمل مبين لمافي الكتاب يكون واجبا اذا دل الكتاب على وجوبه . والذى

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكره يكون غير واجب علينا . و بعبارة أخرى (الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابعة) جل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه مفسرا لآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة لا أصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد يعتمد عليه فى بيان الناسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح ما يقولون (راجع مقالتنا في الناسخ والمنسوخ)

فنرجو ممن يطالع هذه المقالة أن يمعن النظر في هذه المسائل ولا يعميه التقليد عن إدراكها و بعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من اتبع الهدى ؟　٢٠ يناير سنة ٩٠٧　صدقي

المنار

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة ونقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا اليها في بعض أجزاء السنة الآتية

كثر الكلام وتشعبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد وتحرير محل النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسألة عدد ركعات الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه «لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجبا على الامة الاسلامية في جميع الازمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » . وذكر في المقالة الثانية ما رأيت آنفا من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب . وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الا الثامن فانه امر سلبي والتاسع فانه دعوى ممنوعة والعاشر فانه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذى لا يماري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا نطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يمتري فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وانه عام لجميع المكلفين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشاركهم في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذى بعث لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم

فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتده من الدين ومن وثق بمجتهد وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتده من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخيرا فيه تخير . فاذا سلم الدكتور صدقى بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما يتسع له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجئه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين — و يدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس — مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم انها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرنا كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها لمكان الضرورة فمنه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما فى سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمأمومين وركعتان للإمام وأقل صلاة الامن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب فى كيفيتها يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود فى آيات أخرى مخيرا فيه أو مندوبا اليه أو أمراً كماليا ولا يعدم لذلك نظائر فى أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معياراً على القواعد والاحكام العامة التي هى الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يصلون ركعة واحدة لاسيما على القول بان معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من اذكارها الخفية لامن أركانها الجلية . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فاذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورائهم لئلا يفتنهم العدو وهم ساجدون لاينظرون اليه وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لايدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولافي حال الخوف أيضاً . والأحاديث لايصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فاذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (٧:١٥٨ قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لاإله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لاالعرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكمه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وانما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هديا واطلاقها على مايشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما مضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآنا وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (٢:١٥١ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذى تتحقق به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والأسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الدكتور « الحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتى تصل الينا كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الا ما واظب عليه النبي (ص) وأصحابه ككيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل الينا هذا بدون نزاع ولا خلاف يجعل السنة في جملتها مظنونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بعضه فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرؤن بعدها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله تارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراآت ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لا نستغني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن واهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث ويسمونها بسنن الاقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سنننا متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لاسيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فاكبر شبهة ترد علينا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة الصحابة للحديث وعدم عناية علمائهم وأئمتهم كالخلفاء بالتحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا للدكتور صدقي

في هذا كراته لنا قبل أن يكتب شيئا في الموضوع. وقد سألنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فما أجاب أحد الا ببعض ما أجاب به النووي في شرحه لصحيح مسلم وهو غير مقنع لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهريا. فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافوه بما يعلمون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والا كانوا من كاتمي العلم وقد علموا ما ورد في الكاتمين

هذا وقد سبق لنا بحث طويل في بحث ما تتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاه ورزقنا بره ولقاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالموجب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك على الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الغراء. أول من ترجم ذلك ذكاء الملك في جريدته (تربيت) الغراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الحبر واقرؤها على المنابر وفي المعابر. ثم نقل ماترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جديدة الطلوع يقرأها في طهران الصغير والكبير والذكر والانثى بل وفي جميع إيران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغلظ فيه وذكر أن ما ترجمته وزنامه (تربيت) ونقلته عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوقعوا النفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، فالأولى أن تحتموا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيتنا حتى نؤاخذه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا معارضتهن بشيء . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعيني في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشحون من طلاب العلوم الدينية فتذاكروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت بإخواننا من العرب الساكين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينوّر عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في إيران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التعدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأينا منها التعدي والظلم لاخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها ذبحهم وجزرهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلتكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كاليوم ، انفتحت علينا أوربا وأتانا أهلها من كل حدب ينسلون ، هذا تاجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخر داع لدينه ، والمقصد من الكل ابتلاعنا معاشر أهل الاسلام ، فان تيقظتم وإلا فأنتم صبوحهم ونحن غبوقهم لاسمح الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أربابا من دون الله طاعتهم كطاعته ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجالدهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فان توليتم فنشهدكم بأنا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

هذا معنى ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحببت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ماترجم قولكم صار بين الناس ذكرهم وأنشئهم أشهر من نار على علم اه

(المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتمه ولكننا لم نذكره لاجل قوله انه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله يبين عنوانه الذى تصل اليه به الرسائل لنكتب اليه

وقد رأى القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذى يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر فى بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم و بين قومه الترك ومعنى هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذى وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يئنان من حكم الاستبداد ويحنان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولولم يجد المابين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لماذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لهما عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لاجل المال والجاه هو العدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أنذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فنسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قبل أن تقع الواقعة فتكون خافضة رافعة

باب التربية والتعليم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتفوا به ولاصحاب الجرائد ما ترجمته

أيها السادة : — لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكتفي بأن أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام — المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد مدارس مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لان المدارس الثانوية للتعليم العام لاوجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا المدارس العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوربا مدارس ثانوية فنية . فمدرستنا العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وان كانت المدرسة العالية في عليكرة لاتزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية ولا ننكر أن مدرستنا الكلية لم تخرج الى الآن رجالا من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجالا ذوي كرامة ونفوس عالية وإخلاص لبلادهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا امتيازا حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص باقامة الطلبة فيها على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها واعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادىء الاخلاص والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصلحة شخصية له حقره الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذى تسير عليه هذه المجتمعات والاندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا النادي ناديكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكوّنون فيه رأيكم العام وتغذون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لادارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لا نعرف ولا نتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فنها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتمسك كثيرا بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يجبر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لابد للشاب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سيال الفكر بحواجز صناعية لابد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نعمله في الحقيقة هو أن نعدّ لذلك السيال طرقا ومسالك يجري فيها

والكلية الآن تتبع بروجرام التعليم في الحكومة وتعد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاتنا لاتكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا بيدنا ولاتسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بيمينا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج ,, لا إله الا الله محمد رسول الله ‘‘ فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أنتى مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تنمو هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقيّ السياسي والديني الذي لايؤمل الآن من الاستانة أومكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي النواب محسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وثمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو آغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طبيعيا برقي وتقدم اخوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

بجعل عليكره (اكسفورد اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والمروءة والايثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولاريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا الذاهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه ، فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سبباً في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شيء من المال لهذا العمل المجيد ???

وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التى يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكر تنمو فيه الارواح وتتربى الرجال وتسمو الاخلاق . نريد مكاناً يكون مهبطاً للعلم ودارا يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والعرفان في كل ارجاء العالم

واني أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذتم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وانحطاطه . واننا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر المختبئة في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب العديمة المثال بتفاسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ونجعل لهم مرتبات لكي يستريح بالهم من جهة الحياة وليتفرغوا للدرس والبحث

ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذاة تلك العربية كلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير ، يحتاج الى انفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واذا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لعلمي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كلها وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمت علم من العلوم لا يتعلم في عليكره . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع انحاء العالم عليكره لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألنا بعض الناس – لما ذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فننشيء مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة – ونحن نقول اننا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكره لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تميز بين المختلفين في الجنس والدين . فيوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين . ولن نسعى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها « جامعة اسلامية » الا بالمعنى الذي تنسب اليه اكسفورد وكمبردج الى كنيسة انكلترا الرسمية . وأني أورد لكم بعض الحجج التي نقيمها في هذا الصدد

أولها – من المعترف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية العمومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يعلم الدين اجباريا ولابد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت . أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها . وقد لفت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق نظر الرأي العام الى هذه النقطة وعدها نقصاً في نظام التعليم الهندي . ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اننا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها – قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكره وإنني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهمال الدين

ثالثها – أشك كثيرا في امكان جمع المال لانشاء مدرسة جامعة لا دين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشائها واذكر ان السير ميخائيل هيكس بيتش وزير مالية انكلترا اخيرا قد القى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها – إن المدرسة الجامعة ليست معملا (فاوريقة) لصناعة طلبة ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية ولكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالا كبارا ورجالا ينقطعون للعلم والدراسة والبحث . ولا يمكن لمدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على انه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم

ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدرى بدائكم ودوائكم أكثر مني ولكني اريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكره ان ادعوكم الى الهند لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل ان تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد ان كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة الى مدرسة ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الاربع لاتكفي لتربية الامة كلها ولو وجد من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الامة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لانشاء مدرسة ثانوية واحدة في حين انه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية اهلية ليست منها واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الامة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو انه يلزم ان يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوربيين . ومما يمنع الناس ان يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى . واني موقن بأنه اذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فان عدد المدارس الاهلية الثانوية يزداد . واذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية اخوانهم الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدر المصريون على تعليم اخوانهم كذلك ؟؟ فلهذا أرى ان أول واجب على قادة الافكار هنا ان يسعوا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي نفقات كثيرة ويمكن تنفيذه في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم ان يكون ذلك في أوروبا .

واذا كانت الحالة المالية لاتسمح بارسال الطلبة الى أوروبا فهناك طريقة أخرى لتعليمهم في كلية عليكره فان نفقات التعليم فيها مع الاقامة والسكنى وكل ما يلزم للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنيها في السنة ولهذا أرى ان عشرين جنيها تكفي الطالب في السنة من كل الوجوه ويا ليتكم تجمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنيهاً يعطى منه عشرون جنيهاً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء الى عليكره ليقيموا اربع سنين أو أكثر اذا أراد الطالب . ولا أقصد ان أقول ان التعليم فى عليكرة ارقى منه في أورربا ولكني افضله لسببين أحدهما ان الطالب يتلقى تربية دينية مع تلقي العلوم والمعارف في جو اسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد العجم وافغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وباجتماعه بهم وأحاديثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وثانيها ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يتعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوربا . وانني في موقفي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي تهم عليكره وترقيها كما سبقت لي الاشارة لانني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكره يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشبيلد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين فى عليكرة يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نجدها والتي آمل ان اخواننا المصريين يساعدوننا على تخطيها . علمتم ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكره ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطالما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكره فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتبا للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نفخر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمد على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذ أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع برجراما صالحا ولا كتباً وافية بالغرض

أيها السادة : العلاقات بين مصر وعليكرة تزداد يوما بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونودّ أن نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم أن تبعثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقدم مدرستنا وسيرها ويسألون عما نفعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى انه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلا في اختيار معلم اللغة العربية عندنا . واذا تأسست جمعية على هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يعد لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلا اذا احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته اكثر من نواب محسن الملك اوسواه من الرؤساء واظن انهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد ان نحتذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لايحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم اياي وأؤكد لكم انني سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأتذكر ماحييت بمزيد الشرف والفخار اصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبيء عن فهم ثاقب، ورأي صائب ،وتهدي الى طريق لاحب، لعمل واجب ،وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين ،وان أولاهم بها لعقلاء المصريين ،الذي خطب الخطيب ودهم ،وطلب وصل حبل مدرسة عليكره بحبلهم، وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم فى وجوب العمل لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة إسلامية تكفل ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعواليه الا ما كان من الاستاذ الامام رضي الله تعالى عنه فلنا أن نقول بعده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا وأعلى همة

(٢) توحيد التعليم الديني والتربية الدينية فى مدرسة عليكره وهو أعظم أركان الاصلاح الذي لايرجى للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل ان أعلمنا ضياء الدين ان مدرسة عليكره تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنيون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الاخوة الاسلامية النافية للتفرق والخلاف. وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبر همة واقداما وقد كنا دعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات ا محاورات المصلح والمقلد) ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذانا كثير من الناس زاعمين ان مادعونا اليه ضار مضيع للاسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقن لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها فى الاسلام متروكة الى اجتهاد الأفراد لاتدخل في التعليم العام ولا يمنع أحد من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادى لذلك . وما شرع الله لنا الا ان نقيم الدين ولا نتفرق فيه وهل من سبيل الى اقامة بدون تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد. ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاستاذ الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها. ومن علم ان التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وان الحرية في مصر أقوى منها في الهند تجلي له ان الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والا فان استعداد الشعب هنا للاصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما أعتقد

(٢) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان فى مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه ان لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وانما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكره

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية وناهيك بما كتبه يومئذ الى المنار وما العهد بمقالته الاخيرة في المنار ببعيد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ماوقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذى باح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهباً من المذاهب ولا نعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لايرجى منه شيء . وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لاعناية فيها لاسيما التوحيد والتفسير والحديث وهي هي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجى خيرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئاً من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسناً الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئاً في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية مزايا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسفي وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها إنه لم يترك خلفاً يتم مابدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بعد ترك الأزهر فجاء دعاة الجامعة المصرية يسابقونهم الى ماهم أنهض به فاستمالوا بعضهم وسكت الآخرون لئلا يكونوا معارضين لمن بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يمشون الخوزلى ويري الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذى نقل الينا ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكيائنا المتفرنجين قدشغل خيالهم بوطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أوعدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفاسد التى تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لدرء هذه المفاسد عدتها . فهؤلاء هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم لدين من الأديان مخالفين فى ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عافى الهند من هذه النزعة

لا نريد بهذا تثبيط الهمم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية و بذل المال لها اذ لسنا نرى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها (لا قدر الله) عار على الامة كلها وأن ما يريده الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتقاء ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تغني مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربى فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا نابغين في علوم العصر كلها واذا عظم الاكتتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا فى الجزء الماضي والله الموفق

آثار علمية أدبية

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب الفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب ما لا يبلغه مع وجدهما وقد ثلمت فطرته ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يعز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصلى ، وانهم نالوا من التربية القدح

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة ؛ يعاقرون الخمر جهرا وهم يعتقدون أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون اليه ، وضارة في حكم الطب الذي يعولون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرمها على نفسه وهو لا يري فيها أثما في حكم الدين ، ولاذما من المعاشرين ، وانما هو العقل أراه حقيقة خبثها فأبى ان يحكم لذته في عقله . قال ابو على القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قالا حرم رجال الخمر في الجاهلية تكرما وصيانة لانفسهم منهم عامر ابن الظرب بن عمر بن عباد بن بشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سآلة للفتى ما ليس في يده　　ذهابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله أسقيها واشربها　　حتي يفرق ترب القبر أوصالي (١)
مورثة القوم اضغانا بلا إحن　　مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك ان الخمر مادمت شاربا　　لسالبة مالي ومذهبة عقلي
وتاركتي من الضعاف قواهم　　ومورثتي حرب الصديق بلا نبل

(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرث الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك

رأيت الخمر صالحة وفيها　　مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله اشربها حياتي　　ولا أشفي بها أبداً سقيما

(قال) وحرم عفيف بن معديكرب عم الاشعث بن قيس الخمر وقال

وقائلة هلم الى التصابي　　فقلت عففت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد اراني　　بها في الدهر مشعوفا رهينا(٢)
وحرمت الخمور علي حتى　　اكون بقعر ملحود دفينا

وقال عفيف بن معديكرب أيضا

فلا والله لا ألفى وشربا　　أنازعهم شرابا ما حييت

---

(١) أي لا اسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوفا مجنونا

أبى لي ذاك آباء كرام وأخوال بعـزهم ربيت

(قال) وحرم سويد بن عدي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر وأدرك الاسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
وحرمت الخمور وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

أقول و يالله لسلاسة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وماهو أرق منه

﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تنشدني من أرق ماسمعت من عمك من أشعار العرب فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وماتصنع برقيق أشعارهم فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصبابة ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوى

يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا انني لغريب
غريب دعاه الشوق واقتاده الهوى كما قيد عودٌ بالزمام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أونفته حروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلائص منها صعبة وركوب

فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لعمري لئن كنتم على النأي والقلا بكم مثل مابي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
اذا زفرات الحب صعّدن في الحشا كررن فلم يعلم لهن طريق

(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه قال أنشدتني عشرِقةُ المحاربية وهي عجوز حيزبون زَوْلة

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقًا وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أبلي
ولا شربوا كأسا من الحب مرة ولا حلوة الاشرابهم فضلي

قال أبو بكر : الحيزبون التي فيها بقية من الشباب والزولة الظريفة والزول الظريف وقوم ازوال والزول أيضاً الداهية والزول العجب . وقال لي غير أبي بكر الحيزبون العجوز ولم يحدد لها وقتاً . ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة المكي

ان وصفوني فناحل الجسد　　أو فتشوني فأبيض الكبد
أضعف وجدي وزاد في سقمي　　أن لست أشكو الهوى الى أحد
آه من الحب آه من كمدي　　ان لم أمت في غد فبعد غد
جعلت كفي على فؤادي من　　حر الهوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكرتكم　　فريسة بين ساعدي أسد
يدي بحبل الهوى معلقة　　فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الانباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق　　أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى　　اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كبدا أفنى الهوى جلها　　من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا نفسها ساعة　　كرت يد البين على الباقي

(المنار) القارىء يرى في هذه المقاطيع ارق الشعر وألطفه مسلكا في الروح وأشده جذبا للقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الخمر وفي النسيب هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر ، وما كتاب الأمالي والنوادر ؟ هو الذي عده ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب : وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي على القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها : اه

كان في هـذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برؤيتها عين فصارت ولله الحمد مسرح كل عين تعشق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع فى هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاتقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأمالي . طبع في المطبعـة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً مافيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشتبه فيها وما قد يشتبه من التركيب في النثر بالشكل وأظن أنه لم يعتن بطبع كتاب بعد (المخصص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاريء ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاهة مما يطبع في نفس قارئه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيـه خمسون قرشا

مفردات الراغب في غريب القرآن

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو مازال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح وفسرها تفسيرا قلما تجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص و بالتعريف الدوري وهو كثيرا مايحدد المعاني حتى يكون تفسيره للفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه فى هذه الأيام الحاج مصطفى البابي الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكر له احياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر اقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

خمس رسائل نادرة

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسـلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الخيام . والرابعة فتوى شيخ الاسـلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سـبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحث أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد المسلي الرحالة السوري انه ظفر في كشغر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع اهل الصين السابق (تونجى خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشغر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض العارفين باللغة التركية والصينية معا فى مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف فى الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح. وقد طبع ما ترجمه فى مصر. ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية. ويا ليت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام. اما طبعه فحسن والورق الذى طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة فى أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والمرغبة في المطالعة. هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكام لاسيما رجال القضاء، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجى رواجه من غير ترغيب فيه، ويحمد مترجمه على اتحاف العربية به،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدى أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقليين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع. والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندى هنديه

﴿ بليزار ﴾

أهدتنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بليزار فوضعناها بين الكتب المعدة للمراجعة فى أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الي ابتياع

مايكتب عنه ترويجا له وقلما يقرأ المنار حيث تباع قصة بليزار الا عند طابعها وبائعها . وعكنا في الشهر الماضي أياما فرأينا من التسلية أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبدأنا بقصة بليزار فبدالنا مالم نكن نحتسب، بدالنا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجاليها، لايقرأ الفصول الأولى منها ذوقلب ويملك عينيه أن تهملا وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف فى تحري النافع والتجافي عن اللغو أن يختار طبع قصة لاتفيد ولعله يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء فى تشويقهم اليها مع امتناعها عليهم

لحن كيوتزر — مكسيم غوركي

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاهما للفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ماأحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطتهن الطبيعة حتى صار همّ المرأة فى التمتع بمعنى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموسيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أوحكايات وضعية عنوان الأولى العجانون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهو من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندى شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

المعارف

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق المحمودي »
ظهرت فى تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى . وذكر صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الاسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن العجمة . وجعل أمر السياسة فيها ثانويا فأصاب . وفى العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيهاعن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انتقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية مالا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الاهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع أن سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب انهم سوريون كأصحاب الاهرام وكمبالغته في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام ... ولم نقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما نرى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الهمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلاكتها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية . ومن مبالغته ماذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهؤلاء قلما يقرأون الجرائد لبعدهم عن السياسة وانما يقرأ بعضهم المجلات . وأما الاستانة فكل من أرسل اليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت . والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الخديو . وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية «بكونها تطبع بثمان صفحات» والصواب أن هنا عدة جرائد أسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجملا لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة للعناية بها وللتنبيه على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فاننا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلا) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكاتب على ما كتب - وللغيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من التخيل أو الغرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المهذب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »

أنشأها في زحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد الى عيسى افندي اسكندر المعلوف بتحريرها . ومن عرف ما للخوري بولس صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع التهذيب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبنانيين الذين ينشئون الجرائد اليومية وغير اليومية في قلل الاجبال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبغداد ،



﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المتفرقة بالقوة العسكرية بضعة قرون ولكنها لم تحولهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل الشعوب عن دينها ولغتها معا أو عن أحدها بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة وإبادة من تأبى وإجلائه فبقيت هذه الشعوب التي لم تتحد مع الدولة برابطة لغة ولا دين ولا حكومة مساواة تفترص النهز للخروج عليها والانفصال منها فمنهم من قضى مأربه ومنهم من ينتظر

كان ضعف هذه الشعوب وجهلها وعدم النصير لها هو العون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد أفاضت على هذه الشعوب شعاعا من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصارا من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة · واتفق ان اشتد من أول هذا القرن (الهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (أي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشعورهم بألم زوال السلطة اقوى · فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى فى تلافي الخطر الذي ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والمهلك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعوانا للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لاتدرأ الخطر ، ولاتنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجوب السعي فى تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية فى القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها ومللها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهتدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكريت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فعسى ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجا ويعضدوها بآرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الاساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه لائحتها الاساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية شوروية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التفات الى الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظامات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم اللجنة المركزية الاصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعها وتسمية الاشخاص اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعيين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الاساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والافرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الاساسية يرجون من جميع اخوانهم العثمانيين الذين يهمهم خير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم و يساعدوهم للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المخاطبات ترسل الآن موقتاً الى صندوق البوسته نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

أمير بل ملك أفغانستان في الهند

طالما تمنى الانكليز أن يزور أمير الافغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الايام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا لا تعد افغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا امارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة وبحث فيها بحث مفتش خبير فكان بحثه وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتى قيل أنهم عجزوا عن مجاراته والاجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصغاؤه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أمر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطلب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصيخوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرخ الشباب وستذكرون ما أقوله لكم متى تقدمتم في السن ، تسمعون الناس يقولون ان أمير افغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أتفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني — وأنا سني — لا أفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

اني نهيت في دلهي عن تضحية البقر يوم العيد وأنا هناك مجاملة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فاذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا اني متعصب، ان في رعيتي السني والشيعي والهندوس واليهود وقد أطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب . نعم لا أسمح للشيعة أن تهين الخلفاء الثلاثة وتزدريهم فان كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب .

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر انه سمع عن المدرسة الحسن والسيء وكان السيء هو الغالب على ذهنه قال « فجئت لاعرف الحقيقة بنفسي لانني لا أثق في شيء من الاعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين فى ايمانهم وان الطلبة يتقدمون و ينمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واني سألتهم أسئلة يعسر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا تجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجدتهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص الناس على قطع ألسنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضعف حيث ينمو العلم فليأت الى هذه الكلية وابر كما رأيت مايفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة النابتة الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم فيالذلك من جهل فاحش . أصيخوا لما أقول إنني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسبانه طريقًا للشر إنشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني أصرّ على القول بأنه لابد من جعل التعليم الديني أساسًا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فاذا هدمتم الاساس هدم مابني عليه . لذلك أقول لكم اجعلوا تمرين الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كليتي وأرجو أن يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام »

ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألف روبية هبة معجلة ومرتبا سنويا قدره ستة آلاف روبية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدئ القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاما ونستقبل آخر، فله الحمد على ماوفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي، فان بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ،هو ربي اليه أدعو واليه أنيب،

كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار فيها وطلب المئين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم يعرفنا به صديق نثق بوثوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر المجهولين الذين يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطلب يمطلون بعد ذلك ويسوفون ، أو يهضمون الحق وهم متعمدون ،وان سوء حال الأكثرين ،يحمل على سوء الظن بالاقلين من الصالحين ،وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة ان شاء الله تعالى لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطلب الا أن يكون معروفا لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ماقاسينا من مطل الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشا لأهل القطر المصري والسودان فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة مثيرة وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت دكاكين زجر عاهو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة تذكر فاستكثر وزاد مطل المشتركين مع ذلك

مطل المشتركين

في كل سنة نزداد علما بصحة مابيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء الصحف المنشرة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص٣١٤م٦) وهي أشد البلاد مطلا حتى ان بعض المديريات (كالدقهلية) لم يرسل الينا قيمة الاشتراك منها في هذه السنة الا نحو ستة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديريات لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكرهم بها مذكر والصحف نفسها لا تعد مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤنها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقا وأنها ماوصلت اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقا الى مستحقه الا بعد إلحاح في الطلب وكثرة مراجعة في السؤال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقا بدون حكم قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك وباعته الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في اللي والمطل لغريب وقد كنت أذاكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتمكن من نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما تمكن الا بالوراثة . قال إن الحكومة لم تكن تحصل الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون العدم وهم واجدون ، و ينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضربوا يعترفون ، كان أحدهم يضع مايطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الايمان المغلظة انه لا يملك الآن شيئا حتى اذا مابرح الكرباج بجلده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج النقد من فمه ، ورمى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ؛ لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطلا كتاب المصالح والدواوين وصغار المستخدمين ، ثلة من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

